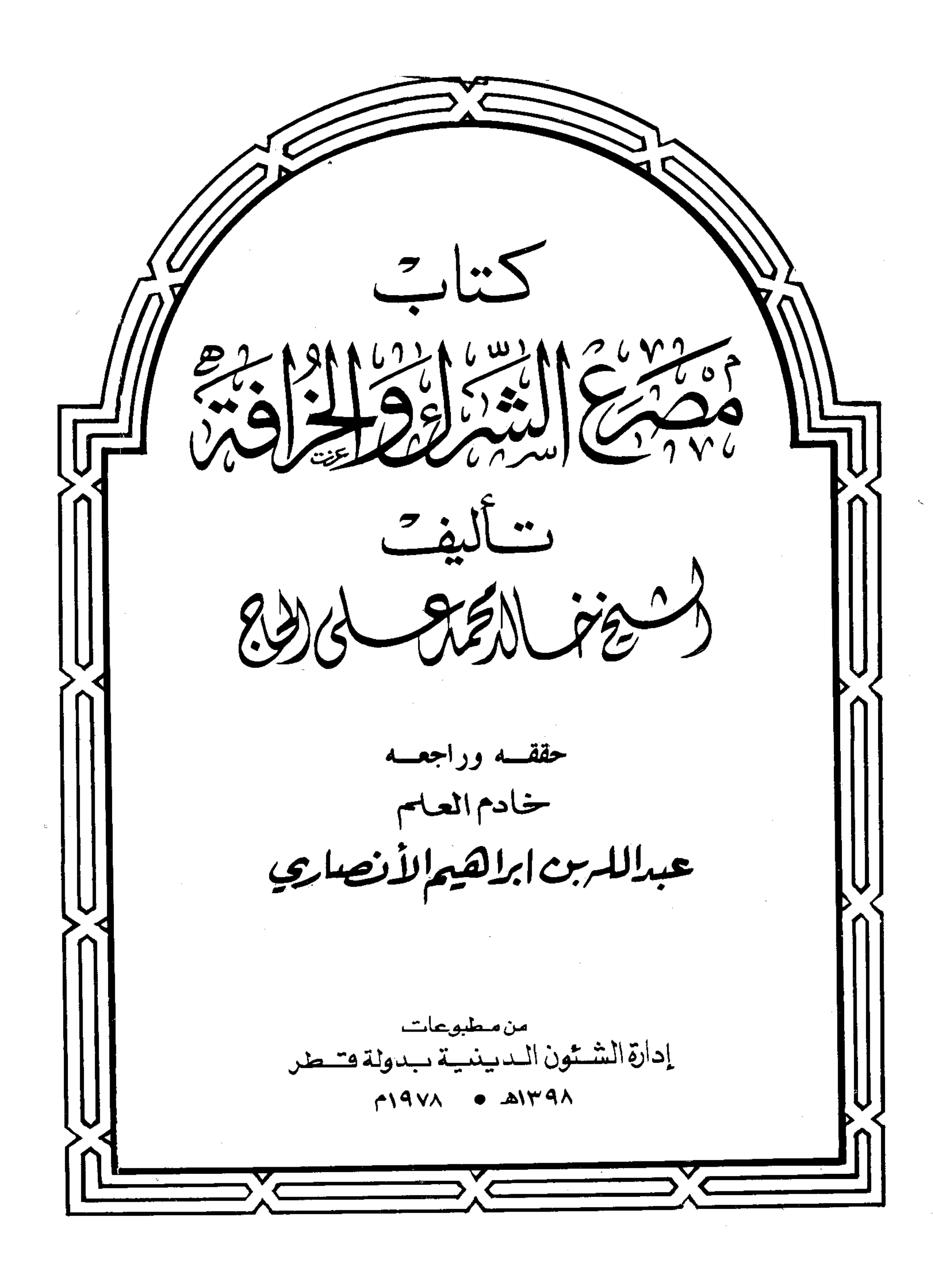


كتاب

مصرع الشرك والخرافة

تأليف

الشيخ خالد محمد علي الحاج

حققه وراجعه

خادم العلم

عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

من مطبوعات

إدارة الشئون الدينية بدولة قطر

١٣٩٨هـ • ١٩٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله اختار من اصطفاه من عباده ، ومنَّ عليهم بالأخلاق الفاضلة والهدي القويم ، وسلك لهم نهج الطريق المستقيم ، نحمده إذ هدانا للإسلام وجعلنا من أُمة خير الأَنام ، سيد الأَولين والآخرين ورسول رب العالمين .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله ، خالق الخلق أَجمعين ، بفضله ورحمته رفع مقـــام المتقين . وأَشهد أَن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، المخصوص بوصف الله له بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ، صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه ، أَئمة الهـــدى ومصابيح الدجى ، والسائرين على نهج هدي الرسول الأَمين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يـــوم الدين .

وبعد : فلما كان من أَفضل ما يغنمه المسلم في هذه الحيـــاة نشر العلم النافع ، الذي يبقى بعد صاحبه نبراساً خالداً له ، يتمتع بنيل ثوابه كلما استفيد به ودرس . ولا ريب أَن العلم إحدى الباقيات الصالحات الثلاث اللاتي خصهن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالذكر في قوله : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ

ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».
ولا ريب أن العلم من أفضل مكاسب الحيـاة ، ومن أشرف كنوز الثروة ، حيث أن كنوز الأموال والنقود والذهب والفضة تنقص بالإنفاق منها ، أما كنز العلم فبعكس ذلك ؛ كلما أنفقت منه ازداد وكثر . وقد أجاد القائل حيث قال :

وكنز لا تخـاف عليه لصـاً خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيـد بكثـرة الإنفـاق منه وينقص إن به كفا شـددتا

وليس على كنز العلم معتد قادر على اختلاسه إلا المعاصي .

فيا أيها القارئ الكريم : إذا أردت أن يسهل عليك نيل العلم ، وتفهم معاني أبوابه وفصوله وفوائده ، فعليك بتقوى الله تعالى فيه ، يفتح الله لك أبواب العلم ويسهل لك نيل المقاصد منه ، فالعلم شرف الإنسان في الحياة الدنيا ، وفخره وفلاحه في الآخرة .

فالعلم سبب لكل فضيلة ، والجهل عامل قوي في كل رذيلة .
ولابد لرائد العلم أن يتحمل التعب والنصب والسهر والادلاج ومواصلة العمل لنيل العلم ، ولا يكون قصارى أمنيته أن يتلذذ بالمآكل المتنوعة أو الطيبة ، ويتنعم بالملابس الفاخرة ، بل لابد أن يتحمل بعض الشدائد في وقت العسر والضيق ، وينعم بما يمن عليه الرحمن في وقت السعة ، من غير أن يهتم بذلك ، ويترك

العلم لأجل الرغد والتنعم والتلذذ . وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

العلم مغرس كل فضل فاجتهـد كي لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بـأن العـلم ليس يناله من همه في مسكن أو ملبس
إلا أخو الفضل الذي يسعى له في حالتيه عـارياً أو مكتس

لأجل كل ما سبق وجب أن نتسابق إلى نشر العلم بين العاملين ومن أفضل العلوم علم التوحيد ، وإصلاح العقيدة ، إذ أن كل شيء من الذنوب جدير بأن يغفره الله للإنسان إلا الشرك فإنه لا يغفر . والشرك ضد التوحيد ، بدليل قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) . وكذلك من أخطر الأعمـال والعقائد قبول الخرافات والادعاءات الباطلة التي يزعمها بعض الدجاجلة والخرافيون ، الذين يزعمون أنهم يستعينون بالجن ، أو يقولون أن لهم صلة بالولي الفلاني ، أو أنهم يتصرفون في الكون ، أو أن أرواحهم تستمد من الأولياء التصرف المطلق ، أو غير ذلك من العقائد الفاسدة والادعاءات الباطلة .

وقد وقفت على هذا الكتاب الذي عنوانه يدل على فضله وثمرته : [**مصـرع الشـرك والخرافة**] لمؤلفـه الفاضل الشيخ خالد محمد عـلي من مكتبة القسطل في الزرقاء بالمملكة الأردنية الهاشمية .

ولمـا كان لدى مؤلفه من الشدة في التوحيد جانباً كبيراً ، قد يؤدي أَحياناً إلى أَن يغضب السامع أَو القارئ قبل وقوفه على الدليل باليقين ، استخرت الله في دراسته وهو مخطوط لم يطبع ، فخففت من شدته في بعض الحالات ، وحققته دراسة وقراءة وما أُبرئ نفسي ولا أُزكيها ـ فأَنا أَضعف طلبة العلم ـ ولكني أَبذل جهدي ووسعي في أَن أَسلك الطريق الصالحة والمؤلفة للقلوب وبيد الله مقادير كل شيءٍ ، وهو على كل شيءٍ قدير .

ومن الملاحظات التي يجب عليّ ذكرها أَنني أُفضل دائماً الكتب التي لم يسبق لها أَن طبعت ، وأَحرص على طبع الرسائل الصغيرة والمفيدة ، والتي تبحث في التوحيد والعقائد والقضاء على الخرافات والعادات الدخيلة الزائفة ، والبدع المخالفة لهدي الإسلام . بالرغم من أَن أَحد المشايخ الكبار ـ من أَفاضل العلماء والذي أَعتبره شيخاً لي ـ صارحني بأَن طبع الكتب الصغيرة وبذل الأَموال في مثل هذه الرسائل والأَبحاث ليس بصحيح ، وإنما يؤكد أَن نطبع الكتب الكبيرة ، والتي قد تغدو مراجع لمن يريد أَن يبحث ، وبصورة خاصة طلبة الدراسات العليا في الجامعات .

مع أَننا ـ ولله الحمد ـ قد بذلنا جهداً كبيراً في هذا المجـال .

وعلى سبيل المثـــال ـ لا الحصر ـ أتممنا طباعة : **تفسير مجاهـد** وهو مرجع كبير . وكتاب : **العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال** . ذلك السفر نادر المثال في بابه ، وما يحويه من علوم في الفلك والفقه والهيئة والتعديل . . . وهناك : **المختار من كنوز السنة النبوية ومشيخة ابن الجوزي** و : **تلك حدود الله** ، بالإضافة إلى : **تفسير ابن عطية** ـ تحت الطبع ـ والذي نحن في سبيلنا إلى إنهاء الجزء الثالث منه ، وإن تكن المملكة المغربية الشقيقة قد نافستنا في طباعته غير أنه ليس من السهل وصول الكمية المطلوبة منه إلى هذه الديار .

وهي كلها كتب نفيسة ، تطبع لأول مرة عن أصولها المخطوطة لتأخذ مكانها في المكتبة العربية وتزيدها ثراءً وغنى .

وبالرغم من كل ذلك ـ ومع فائق احترامي لرأي فضيلة شيخنا وأستاذنا ـ لازلت أفضل الإكثار من طباعة الرسائل والبحوث النافعة المفيدة للشباب ، سيما المبتدئين منهم ، فهم أكثر حاجة للتفقه والعلم ، وأشد رغبة في مطالعة الأبحاث والرسائل المختصرة .

أما الباحثون وطلاب الدراسات العليا ـ من الراغبين في نيل شهادتي الماجستير والدكتوراه ـ فما أكثر المراجع لهم ، في كتب السلف الصالح ، هذا إذا اقتنعوا بما تحويه من نفائس العلم وكنوز المعرفة ، ولم يطلقوا عليها ـ إنقاصاً لقدرها ـ اسم الكتب الصفراء

اغتراراً وانسياقاً خلف أعداءِ الإِسلام ، الذين لم يتركوا وسيلة لإِبعادنا عن العلم النافع ، وصرفنا عن اعتماد تراثنا ، وما خلفه علماءُ السلف من مراجع وأَسفار قيمة .

إني أَسأَل الله العلي القدير أَن يلهمنا العلم النافع ، وينفعنا بما علمنا . وأَن يرشدنا إلى الخير ، ويثبت على طريق الحق خطانا . وأَن يجزي مؤلف هذا الكتاب القيم عنا وعن المسلمين خير الجزاءِ . وندعوه تعالى أَن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وينفع به الإِسلام والمسلمين . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي ، وعلى آله وأَصحابه أَجمعين .

غـرة جمادى الأولى لعـام ١٣٩٨ هـ.

خادم العلم
عبدالله بن ابراهيم الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . (يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) . (يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) . (يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَّقُو اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)[1] .

أمـا بعـد :

فقد عانت البشرية أزمات مختلفة ، ورزئت بمحن ونكسات متعددة ولا تزال ، وكان من أشدها انتشار الشرك وهيمنة البدع

١ — تعرف هذه الخطبة باسم « خطبة الحاجة » . ومن السنة النبوية البدء بها في مختلف الأحوال ، انظر تخريج خطبة الحاجة للمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

والخرافات ، فتعثرت الخطا ، وتفرقت السبل الجائرة الحائدة عن الحق وكان من نتيجة ذلك أن استسلم الناس لسلطان الجهل والخرافة .

وفي هـذا الجـو المظلم ، ابتعث الله صفوة مختارة من خلقه الذين حملوا دعوة الحق إلى عباده ، لإنقاذهم من أوحال الجهل والشرك والضلال ، فامتثل الأنبياءُ والمرسلون لأَمر ربهم ، وشرعوا في تبليغ رسالات السماءِ إلى أَهل الأَرض ، فدعوا الناس لعبادة الله الواحد الأَحد ، ونبذ ما سواه من معبودات ، ونتيجة ذلك فقد احتدم الصراع بين دعاة الحق وأَنصار الباطل وخلال هذا الصراع الرهيب ، تحطمت الأَوثان وتهاوت الأَصنام وانخذل الشرك وأَهـله وانتصر الحق ودعاته ، ثم مر على البشرية حين من الدهر نسيت فيه دين الله الحق ، وارتدت على أَعقابها فأَعادت سيرتها الأُولى .

وعندما أَذن الله لدينه أَن يظهر ، وللباطل أَن يدحر ، اصطفى من بين عباده صفوة خلقه سيدنا محمداً ، صلوات الله وسلامه عليه ، للنهوض بعبء تبليغ رسالة الإسلام الخاتمة ، التي كانت الصورة النهائية الكاملة التي ارتضاها الله للناس في كل زمان ومكان .

قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فدعا إلى عبادة الله وحده ، فلاقى كثيراً من صنوف العذاب والصّد والعناد ، ولكن مشيئة الله أَرادت لهذا الدين أَن ينتصر ، وقد كان ذلك بعد ثلاث

وعشرين سنة مضت ، وبفضل عقيدة التوحيد وتحت ظلالها ، كان الرعيل الأَول من السلف الصالح ، يعيشون في كنف الإِسلام الحنيف كما أَراده الله .

ولما دارت عجلة الزمن إلى الأَمام ، ودخل الناس في دين الله أَفواجاً ، وكانوا من مختلف الأَجناس والأَلوان ، أَخذت معاول الهدم والتخريب تعمل ناشطة على تقويض دعائم التوحيد ، فانجلت الأَيام بظهور الفرق الدينية ، والمذاهب العقدية ، والفلسفات البدعية ، التي قام أَتباعها ينشرونها ويروّجون لها في كل مكان واختلط الحابل بالنابل ، والحق بالباطل ، فالتبست حقيقة الإِسلام على المسلمين ، وذهبَوا في تفسيره وتأْويل حقائقه مذاهب شتى فبرز في الساحة أَهل السحر ودعاة الشعوذة ، والقُبوريون وأَدعياءُ الولاية والوصول من الصوفية والمبتدعة ، الذين شوَّهوا معالم الدين وزيفوا حقائقه ومعتقداته ، فجاءَ زمان أَصبحت فيه السُّنة بدعة والبدعة سنة ، والشرك توحيد ، والتوحيد كفر وإِشراك .

وشعوراً بالمسؤولية ، وبدافع من الغيرة الإِسلامية ، رأَيت أَن أُقدم هذه الصفحات تحت عنوان « **مصرع الشرك والخرافة** » للمسلمين في زمن هم أَحوج ما يكونون فيه إِلى إِخلاص توحيدهم وعملهم لله سبحانه ، ذلك التوحيد الخالص الذي شذّ عن تحقيقه

كثير من المسلمين جهلاً وتهاوناً ، وجرياً وراءَ الشهوات وهيمنة العــادات . . .

وفي هذا الكتاب سيجد القارئ الكريم ، حديثاً مفصلا عن مظاهر الشرك وأَلوانه ، مشفوعاً بضرب المزيد من الأَمثــلة التاريخية والحقائق الاعتقادية ، كما أَمطْتُ اللثــام عن كثير من الأَمراض والمفاسد التي ملأَت الأَرض من أَقصاها إلى أَقصاها ، كالبدع المستحدثة ، والكهانة والعرافة ، والسحر وأَنواع الخرافة ، وكل ما يروّج له الملاحدة ودعاة التصوف وأَهل القبور . . .

ولما كانت العوائد والتقاليد قد امتدت إلى دائرة العقيدة والعبادة ، وأَحكام الحلال والحرام ، فقد أَشرت إليها ليكون المسلم في مأْمن من غوائل هذه الآفات والضلالات الفتاكة ، وغيرها من معاول الهدم التي شوهت معالم الإسلام وحضارته الرائدة ، كما حالت دون تقدم المسلمين . .

وقد اعتمدت على نصوص ثابتة من القرآن والسنة ، وآثار السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ لنتبين وجهة الإسلام على حقيقتها ، ولتتوضح معــالم الدين القويم ، حتى يكــون المسلمون بصيرين في دينهم .

إن هذا الكتاب ليس فريداً في دعوته ، ولا جديداً فيما يناقشه من قضايا تتصل بعقائد الإسلام ومبادئه وحقائقه الثابتة ، ولكنه جمع كثيراً من النقول والمسائل والأفكار والآراء التي ناقشها من سبقونا إلى هذا العمل الإصلاحي الجليل.

وإني أتوجه للقارئ الكريم أن ينهج في أمور دينه ودنياه على هدي من الكتاب والسنة وآثار سلف هذه الأمة ، فإن في ذلك النجاة والفوز في الدنيا والآخرة . وحسبي أن أكون قد دافعت عن التوحيد ونفيت عنه عبث العابثين ومكائد المشركين وأباطيل الملحدين.

ولا أبرئ نفسي من العيوب والأخطاء في هذه الدراسة ، فأنا قصير الباع في مجال العلم والبحث ، ويسعدني أن أصرح هنا أنني مستعد أن أتقبل النقد البناء لكل ما جاء في هذا الكتاب ، وسأكون شاكراً لأولئك الذين يبصرونني بأخطائي ، وأتعهد بأنني سأثبت ما نبهوا إليه في طبعة قادمة إن شاء الله .

ولما كان لزاماً أن أقوم بواجب الشكر لكل من أسدى إلى هذا الكتاب يداً ، وقدم فيه مساعدة أدبية أو علمية ، أو استمددت شيئاً من مقالاتهم أو كتبهم ، فإنني أبعث إليهم شكري الجزيل الموفور الخالص ، تقديراً لفضلهم الملحوظ .

أما الإخوان الذين شاركونا الجهد في سبيل إصدار هذا الكتاب

فلهم منا الشكر والعرفان . . . ونخص بالذكر أخانا المفضال الشيخ محمود يوسف القدومي ، الذي بذل من جهوده المعنوية والأدبية الشيء الكثير ، والذي شجعني شخصياً على إصدار كتابي هذا ليرى النور بإذن الله ، فجزاه الله عنا خير الجزاءِ ، كما أتوجه بالشكر للسادة الذين ساعدونا في الطباعة والتنسيق ، وجزى الله الجميع عنا خيراً .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم ، وتقبله منا إنك أكرم مسؤول ، وادخره لي يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وصلى الله على سيدنا ومعلمنا محمد وآله وأصحابه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بقلم
خالد محمد علي

الاردن ـ الزرقاءُ
غرة رجب ١٣٩٦ هـ

مــن المنهــاج الإلهــي

يقول الله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَـرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُــونَ) .

سورة الاعراف ـ ٣٣

(هٰــذَا بَلَاغٌ لِلنَّــاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُــوَ إِلٰــهٌ واحِــدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُــوا الْأَلْبَــابِ) .

سورة ابراهيم ـ ٥٢

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

مــن مشكــاة النبــوة

قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يُنْقِصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً . وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَــامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يُنْقِصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » .

رواه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح

وقال أيضا : « مَنَ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَـراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَــدِهِ فَإِنْ لَمْ

يسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَــانِ » .

رواه مسلم

عن أَنَس أَن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

رواه البخـــاري

« التوحيـــد »

المدلول اللغــوي لكلمة التوحيد :

يقول الراغب الأَصفهاني في المفردات [1] :ـ الوحدة : الانفراد والواحد في الحقيقة هو الشيءُ الذي لا جزءَ له البتة ، ثم يطلق على كل موجود ، حتى إنه ما من عدد إلا ويصح أَن يوصف به ، فيقال: عشرة واحدة ومئة واحدة وأَلف واحد ...

ويقول ابن الأَثير في النهاية ـ في أَسماءِ الله الواحد ـ : هو الفرد الذي لم يزل ولم يكن معه آخــر .

قال الأَزهري : الفرق بين الواحد والأَحد أَن الأَحد بني لنفي لا يذكر معه من العدد . تقول : ما جاءَني أَحد . والواحد اسم بني لمفتتح العدد . تقول : جاءَني واحد من الناس ، ولا تقول جاءَني أَحد . فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير ، والأَحد المنفرد بالمعنى . وقيل : الواحد هو الذي لا يتجزأُ ، ولا يثنَّى ، ولا يقبل الانقسام ، ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعــالى . ا . هـ .

من هذين النصين ، وأَشباههما في كتب اللغة ، نستطيع أَن ندرك أَن هذه المادة ـ وحدة ـ تدور حول انفراد الشيءِ بذاته أَو بصفاته

١ ـ العقــائد السلفية جـ١ ص ١٤

أَو بأَفعاله ، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه ، وإذا عُدّي بالتضعيف فقيل: وحَّد الشيءَ توحيداً ، كان معناه إما جعله واحداً أَو اعتقده واحداً . قال تعالى ، حكاية عن المشركين: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً[1] ﴾ .

فتوحيد الله معناه اعتقاد أَنه إِلٰه واحد لا شريك له ، ونفي المثل والنظير عنه ، والتوجه إليه وحده بالعبادة . وإذا قيل: الله واحد أَو أَحد ، كان معنى ذلك انفراده بما له من ذات وصفات وعدم مشاركة غيره فيها ، فهو واحد في إِلٰهيته فلا إله غيره ، وواحد في ربوبيته فلا ربَّ سواه ، وواحد في كل ما ثبت له من صفات الكمال التي لا تنبغي إلا له . قال في القاموس : التوحيد إيمان بالله وحده ، أَي: التصديق بما جاءَ به النبي ، ﷺ من الخبر الدالّ على أَن الله تعالى واحد في أُلوهيته لا شريك له .

قال ابن القيم : أَصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة ، وأَن يكون الحب كله لله ، فلا يحب معه سواه ، وإنما يحب لأَجله وفيه .

إن قاعدة الإسلام الأَساسية هي التوحيد ، القائمة على الاعتقاد بوجود الله الذي لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، وهو في هذا يبدو مختلفاً عن عقائد كثيرة ، ومن هنا كان عجز المعارضين له ، عجزاً في الفهم أَساساً ، وقد جرت محاولات ضخمة لنقض مفهوم التوحيد

١ ـ سورة ص : ٥

في الإسلام ، وذاعت دعوات كثيرة حملتها رياح التغريب في في محــاولة من دعاتها لإحلالها ، وكان الإسلام في نفوس المسلمين غير أَن هذه الدعوات قــد فشلت ، وهذه السنان المسمومة المصوّبة قد ردت إلى أَصحابها .

وفي هذا يقول العلامة محمد فريد وجدي : إذا كانت أُمة لا تنجح فيها دعوة دينية ، فهي الأُمة الإسلامية . لأَن دينها أَجمع الأَديان لمعتقدات البشر ، منقحة مهذبة تتفق مع العقل والعلم معاً ، فهم يؤمنون بجميع رسل الله ، وأُمروا أَلا يفرقوا بين أَحد منهم . ويؤمنون بالكتب كلها ويحترمونها ، ومع احترامهم لجميع الكتب ، فإنه يتعذر على أَكبر قوة في الأَرض أَن تحولهم عن دينهم.

أقســام التوحيــد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أَقســام : ـ

أَ) توحيد الربوبية .　　　ب) توحيد الأُلوهيــة .

ج) توحيــد الأَسماءِ والصفات

أَ) توحيــد الربوبيــة : ـ

أَما توحيد الربوبية : فهو توحيده بأَفعاله تعالى . مثل اعتقاد أَن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت . وقد اتفقت كلمة أَكثر الأُمم ، ومنهم مشركو العرب على الإقرار به ؛ وعدم الشركية

فيه[1] كما يخبرنا القرآن بذلك . كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[2] وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللهُ ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3] .

ب) توحيـــد الألوهيـــة : ـ

أما توحيد الألوهية ، الذي يسمى توحيد العبادة ، فهو توحيد الله بأفعال العباد .

وأصل العبادة في اللغة : التذلل والخضوع ، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ، لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين ومتذللين لله تعالى .

قال شيـــخ الإســلام ـ رحمه اللـــه :

العبادة اسم جــامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ... ا.هـ[4]

وتلك الأقوال والأعمال التي قالها شيخ الإسلام تشمل جميع العبادات المطلوبة من العبد ، فرضاً أو نفلا ، كالصلاة والصيام

---

١ ـ العقائد السلفية جـ ١ ص ١٤ ٢ ـ سورة الزخرف : ٩

٣ ـ سورة يونس : ٣١

٤ ـ العقـــائد السلفية جـ ١ ص ٢٣

والطواف والنحر والنذر والحلف والاستغاثة والتوكل والرهبة والخشية إلى غير ذلك .

وفي هذا التوحيد ، وقعت الخصومة بين الرسل وأممهم من عهد نوح إلى عهد سيدنا محمد ، ﷺ . وما خلق الله الخلق من الجن والإنس إلا لعبادته ، وإفراده بالطاعة والقصد كما قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [1] .

جـ) توحيد الأسماء والصفات : ـ

وهو اعتقاد ثبوت ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله كالعلم والقدرة والإرادة ونحوها . ولم يقع في هذا خلاف في القرن الأول ، بل كانوا مطبقين على ذلك ، وإنما وقع النزاع في أوائل القرن الثاني .

وأول من عرف عنه القول بنفي الاسماء والصفات هو الجهم ابن صفوان تابعاً للجعد بن درهم . .

وفي أوائل المائة الثالثة فشت هذه المقالة ، وكان المتصدر لنشرها والدعوة إليها ، بشر المريسي ، في عصر المأمون ، وأحمد بن أبي دؤاد والقدرية ، من حيث رأيهم في القدر كانوا أسبق من جهم ، لأنهم أخذوا مذهبهم من غيلان القدري ، ثم من معبد

١ ـ سورة الذاريات : ٥٦

الجهني ، ولكن في نفي الصفات وإنكار الرؤية وافقوا جهماً ، كما وافقه كثير من الشيعة والخوارج والأشعرية ، لكن في بعض الصفات لا في كلها ، وعرف هؤلاء باسم المتكلمين . .

وقد جرت بينهم وبين أثريين حملات كلامية ، ولكل منهما أحزاب وشيع يعادي بعضهم بعضا ، ويَسِمه بالفسق والضلال أو الكفر والمروق ، وكثرت الردود في الجانبين[1] .

كيف نحقق توحيد الإلهية ؟

إن توحيد الربوبية وحده لا يكفي لتحقيق معنى التوحيد المطلوب شرعاً ، وإن العبد لا يكون موحداً التوحيد الذي ينجي صاحبه في الدنيا من عذاب القتل والأسر ، وفي الآخرة من عذاب النار بمجرد اعتقاده أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، وإنه المدبر للأمور جميعاً ، فإن مثل هذا التوحيد كان يقرُّ به المشركون الذين أمر الرسول ، ﷺ ، بقتالهم . بل لابد مع ذلك من توحيد الالهية الذي هو الغاية من بعثة الرسل ، عليهم الصلاة والسلام والذي من أجله خلق الله الخلق ، وجعل الجنة والنار ، وفرق الناس إلى سعيد وشقي . . . .

ومن المهم أن نعرف العناصر التي يتحقق بها هذا التوحيد ،

---

١ — العقائد السلفية ج ١ ص ٤٨

والتي إن توفرت للشخص كان توحيده كاملا . ويقوم توحيد الإلهية على صرف جميع العبادات لله والإخلاص له فيها ، بغير شائبة توجه بشيء منها إلى غيره أصلا ... ولابد كذلك من معرفة أنواع العبادات التي تعبَّدنا الله تعالى بها في العقائد والأقوال والأعمال التي يحبها ويرضاها ، وأمرنا أن نتقرب بها إليه لأن بعضها قد التبس على كثير من الناس فلم يفقهوا معنى التعبد فيها ، فتوجهوا بها إلى غير الله ، عز وجل ، دون أن يشعروا بخطر ذلك على دينهم وانخلاعهم به من ربقة الإسلام .

والعبادات ـ على كثرتها وانتشارها ـ ترجع إلى أربعة أنواع: [1]

١) عبادات قلبية : مناطها القلب ، وهي أهم أنواع العبادات وتعتبر أساساً لما وراءها من العبادات القولية والعملية . منها الحب والخوف والإخلاص والتوكل والصبر والذل والتعظيم والتسليم والرضا وغير ذلك .

٢) عبادات قولية : تتعلق باللسان ، وهي كثيرة جداً ، ونذكر منها : الدعاء والذكر والتسمية والاستعاذة والاستغاثة والحلف والتوسل والشفاعة . . . وغير ذلك .

٣) العبادات البدنية : وهي العملية التي تعمل بالجوارح . وهي

---

٤ ـ دعوة التوحيد . ص ٤٦ ـ ٦٨ بتصرف .

كثيرة وأفضلها الصلاة من سجود وركوع وتسليم . والصيام والحج والطواف والجهاد بالنفس والتضحية بها والرحلة في طلب العلم . . . وغير ذلك .

٤) عبادات مالية تتعلق بالأَموال : وهي التي تعبَّد الله بها عباده في أَموالهم ، من الصدقات والذبائح والنذور . وأَهمها الزكاة المفروضة وصدقات التطوع ، ومنها الذبح ومنها النذر . وقد ورد النهي الشديد عن الذبح لغير الله سبحانه وتعالى .

آثـــار التــوحيـــد

لقد تفضل الله سبحانه وتعالى على عباده ، فأَكرمهم ونعَّمهم وخلقهم في أَحسن تقويم ، كما أَنعم عليهم بصفات الخير والكمال وفضلهم على باقي مخلوقاته .

فسبحان فاطر السموات والأَرض الذي فطـر الناس على عبادته وهيـأَهم لتحمل أَمانة التوحيد الذي هو رأْس الأَمر كله ، وأَهم واجب وأَقدس عمل يتشرف به الإِنسان في عالم الوجود .

وقد أَعجبني ماذكره الأَستاذ محمد خليل هراس ، في كتابه القيم حيث يقول[1] : لا يشك عاقـل في أَن عقيدة التوحيد هي الفطرة الإِنسانية التي فطر الله الناس عليها ، وأَن هذه الفطرة إِذا استقامت ولم تفسد بعوامل الهوى والتقليد والمعصية ، فإِنها تكون قوة موجهة للنفس إلى الترقي في مدارج الكمال ، حافزة لها على التحلي بخصال الخير كلها ، والتنزه من رذائل الأَخلاق ومكروه الأَعمال.

فعقيدة التوحيد إذا صحت كانت مركز إِشعاع يضيء جوانب النفس فيطهرها من الأَوهام والخرافات ، وينزهها عن الملكات السيئة ، التي تلازم تلك الأَوهام ، فتتخلص بتلك الطهارة من الاختلاف والوقوع في أَســر الجهل ومسقط الخرافة ، كما يرتفع شأْن الإِنسان

١ ـ دعوة التوحيد

وتسمو قيمته بما يصير إليه من الكرامة ، بحيث لا يخضع لأَحد إلا لخالق السموات والأَرض وقاهر الناس أَجمعين .

يقول الشيخ محمد عبده ، رحمه الله ، في إعلاءِ التوحيد لشأْن الفرد : تجلت بذلك للإنسان نفسه حرة كريمة ، وأَطلقت إرادته من القيود ، التي كانت تعقدها بإرادة غيره ، سواءٌ كانت إرادة بشرية ، ظن أَنها شعبة من الإرادة الإلٰهية ، أَو أَنها هي ، كإرادة الرؤساءِ والمسيطرين ، أَو إرادة موهومة اخترعها الخيال ، كما يظن في القبور والأَحجار والأَشجار والكواكب ونحوها . وافتكَّت عزيمته من أَسر الوسطاءِ والشفعاءِ والمتكهنة والعرفاءِ وزعماءِ السيطرة على الأَسرار ، ومنتحلي حق الولاية على أَعمال العبد فيما بينه وبين الله الزاعمون أَنهم واسطة النجاة ، وبأَيديهم الإشفاءُ والإسعادُ. وبالجملة فقد أَعتق روحه من العبودية للمحتالين والدجالين ، وصار الإنسان بالتوحيد عبداً لله خاصة ، حراً من العبودية لكل ما سواه ، فكان له من الحق ما للحر على الحر ، لا عليٌّ في الحق ولا وضيع ، ولا سافل ولا رفيع ، ولا تفاوت بين الناس إلا بتفاوت أَعمالهم ، ولا تفاضل إلا بتفاضلهم في عقولهم ومعارفهم ، ولا يقربهم من الله إلا طهارة العقل من دنس الوهم وخلوص العمل من العوج والريــاءِ .

ثم بهذا خلصت أَموال الكاسبين ، وتمحض الحق فيها للفقراءِ

والمساكين والمصالح العامة ، وكفت عنها أيدي العالة وأهل البطالة مما كان يزعم الحق فيها بصفته ورتبته لا بعمله وخدمته . . !هـ .

أثر كلمة التوحيد في المؤمن

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ[1]) .

قال ابن القيم[2] : شبه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح .
والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون : الكلمة الطيبة هي : شهادةأن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مُرض لله ثمرة هذه الكلمة .

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كلمة طيبة : شهادة أن لا إله إلا الله. كشجرة طيبة ، وهو المؤمن. أصلها ثابت: قول لا إله إلا الله ، في قلب المؤمن ، وفرعها في السماء ، يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

١ — سورة ابراهيم : ٢٤ — ٢٥ .
٢ — أعلام الموقعين ج ١

وقال الربيع بن أنس : كلمة طيبة : هذا مثل الإيمان ، فالإيمان الشجرة الطيبة ، وأصلها الثابت الذي لا يزول : الإخلاص فيه وفرعه في السماء : خشية الله .

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب ، التي فروعها من الأعمال الصالحة ، صاعدة إلى السماء ، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت ، بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب ، وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها ، وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها .

والمقصود إن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً ، متصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته ، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد ، أصلها ثابت راسخ في قلبه ، وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرتها كل وقت .

قال عطية العوفي ، في قوله تعالى : (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) . قال : ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله[1] .

في فضائل كلمة التوحيد

لكلمة التوحيد فضائل عظيمة ، لا يمكن ههنا استقصاؤها

١ ـ أعلام الموقعين ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٣

والوقوف على فضائلها ، التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، وهي الكلمة الطيبة التي يسعد من تمسك بها ، ووقف على مضمونها عملا بروحها ونصوصها . وفيما يلي بعض ما ذكر فيها [1] ؛ فهي كلمة التقوى ، كما قال عمر ، رضي الله عنه ، وهي شهادة الإخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق وبراءة من الشرك ونجاة هذا الأمر ولأجلها خلق الخلق . كما قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [2] .

ولأجلها أُرسلت الرسل ، وأُنزلت الكتب ، كما قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [3] .

قال ابن عيينة : ما أَنعم الله على عبد من عباده نعمة أَعظم من أَن عرّفهم لا إله إلا الله ، وأَن لا إله إلا الله لأَهل الجنة كالماءِ البارد لأَهل الدنيا ، ولأَجلها أُعدت دار الثواب ودار العقاب ، ولأَجلها أُمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه عصماً ، ومن أَباها فماله ودمه هدر ، وهي مفتاح الجنة ، ومفتاح دعوة الرسل وبها كلم الله موسى كفاحاً - أَي مواجهة - وباختصار فلكلمة

---

١ - راجع كتاب « كلمة الإخلاص » للإمام ابن رجب الحنبلي تحقيق زهير الشاويش .

٢ - سورة الذاريات : ٥٦ ٣ - سورة الأنبياء : ٢٥

الإخلاص ـ التوحيد ـ فضائل ومزايا عديدة، أهمها ما يلي :

١ ـ هي ثمن الجنة . وقد ورد في الحديث : « وَمَنْ كَانَتْ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ »[1] .

٢ ـ وهي نجاة من النار . سمع النبي ، ﷺ، مؤذناً يقول : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. فقال : « خَرَجَ مِنَ النَّارِ » . رواه الإمام مسلم .

٣ ـ وهي توجب المغفرة وتمحو الذنوب والخطايا ، وهي أحسن الحسنات ، كما تجدد ما درس من الإيمان في القلب .

٤ ـ وهي ترجح بصحائف الذنوب ، كما في حديث السجلات والبطاقات .

٥ ـ وهي التي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله ، عز وجل . وفي الحديث : « مَا قالَ عَبْدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصاً إلاّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَىٰ الْعَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ »[2] .

٦ ـ وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها ، وهي أفضل ما قالها النبيون ، كما ورد في دعاء يوم عرفة .

٧ ـ وهي أفضل الذكر ، كما ورد في الحديث : « أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ »[3] .

---

١ ـ له عدة وجوه بعضها حسن وهو مخرج في المشكاة .

٢ ـ رواه أحمد والنسائي والترمذي ، وحسنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

٣ ـ حديث حسن ، الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

٨ - وهي أَفضل الأَعمال وأَكثرها تضعيفاً[١] ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان .

٩ - إنها أَمان من وحشة القبر وهول الحشر ، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم . قال النضر بن عربي : بلغني أَن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ .

١٠ - ومن فضائلها أَنها تفتح لقائلها أَبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أَيها شاءَ . كما في حديث عمر عن النبي ﷺ ، فيمن أَتى بالشهادتين بعدالوضوءِ[٢] .

١١ - ومن فضائلها أَيضا : أَن أَهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها ، فإنهم لابد أَن يخرجوا منها[٣] . وفي الصحيحين عن أَنس عن النبي ، ﷺ ، قال : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ » .

---

١ - أي تكثيراً للثواب ومضاعفة له . تعدل : تساوي .

٢ - أخرجه الإمام مسلم .

٣ - باختصار من « كلمة الإخلاص » للإمام ابن رجب الحنبلي .

أركان وشروط كلمة التوحيد : لَا إِلٰهَ إِلَّا ا للهُ

تعتقد الجمهرة الغالبة من أَتباع الإِسلام الحنيف ، بأَن التلفظ بكلمة التوحيد : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ . يكون كافياً لصحة إسلام قائلها ، وعليه فمن قالها فقد أَصبح مسلماً وفي صف المسلمين ولو لم يعرف شروطها وأَركانها ، وكما هو مشاهد في دنيا الواقع فإِن الكفرة والكتابيين يتلفظون بها ، ولكن ذلك لا ينفعهم ولا يخرجهم من زمرة المشركين والكفار ، لأَنهم يخالفون مدلولها ، ولا ينقادون للعمل به ، ويقولونها دونما صدق أَو إِخلاص .

ومن أَركان التوحيد : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، النفي والإِثبات : وحد النفي من الإِثبات: لاَ إِلٰه . أَي نافياً ما يعبد من دون الله . والإِثبات : إِلاَّ اللهُ ، أَي مثبتاً لعبادة الله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أَنه لا شريك له في ملكه .

وفيما يلي شروطها التي لا تصح هذه الكلمة ولا تنفع قائلها إِلا إِذا استجمعت له :

١ ـ العلم بمعناها نفياً وإِثباتاً . قال الله تعالى لنبيه ، ﷺ : (فاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ)[١] ، وقال: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٢] . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ

١ ـ سورة محمد : ١٩ . ٢ ـ سورة الزخرف : ٨٦ .

لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ دَخل الْجَنَّة » .

٢ – اليقين . أي استيقان القلب بها . قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا . . .) [١] . وقال عليه الصلاة والسلام : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ. لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّـــةَ » .

٣ – الإخــلاص . قال الله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [٢] . وقال : (أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [٣] وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ [٤] » .

٤ – الصدق . قال تعالى : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [٥] . وقال ﷺ : « مَا مِنْ أَحَد يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ [٦] » .

٥ – المحبــة . قال الله سبحانه : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [٧] . وقال عليه السلام : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » [٨] .

---

١ – سورة الحجرات : ١٥ .
٢ – سورة البينة : ٥ .
٣ – سورة الزمر : ٣ .
٤ – رواه مسلم .
٥ – سورة الزمر : ٣٣ .
٦ – متفق عليه .
– سورة المائـــدة : ٥٤ .
٨ – متفق عليه .

٦ ـ الانقيـــاد لها ظاهِراً وباطناً . قال تعالى : (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ)[١] . وقال عليه السلام: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ[٢] » .

٧ ـ القبول لها . فلا يردّ شيئاً من لوازمها ومقتضياتها ، فقد يقولها من يعرفها لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها ، تعصباً وتكبراً[٣] . قال تعالى : (وَعَجِبُوا أَنْ جَآءَهُمْ مُنْذِرٌمِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[٤] .

جـاءَ في الحديث الصحيح : « مَثَلُ مَا بعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ ... فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ لِذٰلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ[٥] » .

نـــواقض الاســـلام

١ ـ الشهادتين

إن كثيراً من المنتسبين لأُمة الإِسلام ، يخرجون من الملة ، ويشركون بالله على غير علم أَو معرفة ، إما لجهلهم أَمر دينهم ، وهذا هو الغالب على جمهرتهم ، وإما اتباعاً للهوى وإرضاءً للشيطان

١ ـ سورة ص :٢٢ .   ٢ ـ رواه البغوي في شرح السنة ، والنووي في الأربعين .
٣ ـ هذه المعلومات وما قبلها مستقاة من كتاب « الكواشف الجلية لمعاني الواسطية » بتصرف .
٤ ـ سورة ص : ٤ .   ٥ ـ متفق عليه .

أَو تقليداً للآباءِ أَو الشيوخ أَو العلماءِ المتمشيخين صورة والجهلاءِ حقيقة وواقعاً ، فلا يعرفون من الإِسلام إلا رسمه ، ويجهلون أَهم قواعده وأُصوله وخاصة ما يتعلق بأُصول العقيدة ، وما يفسد شئون التوحيد وقواعده ... فالتوحيد أَوجب الواجبات وأَهم الضروريات التي يجب على المسلم الحق أَن يعرفها ، ويعمل جاهداً على تحقيقها ، وهي بمثابة الماءِ والطعام لجسم الإِنسان ... وفيما يلي بعض نواقض الشهادتين وهما الركن الأَساسي للإِسلام[1] :

١ ــ صرف العبادة لغير الله . نأْخذ هذا من قوله تعالى : (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ)[2] . ونأْخذ هذا من قولنا : لا مَعْبُودَ إِلاَّ اللهُ . والعبادة ليست مقتصرة على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، بل كل ما تعمله تقصد به وجه الله فهو عبادة ، وكل عمل تعمله تقصد به وجه غير الله فهو شرك .

ويدخل في هذا النوع من الشرك حالات كثيرة منها :

ــ أَن يعمل الإِنسان للقومية جاعلاً إِياها هدف عمله الوحيد ، يقاتل من أَجلها ، يدعو للإِيمان بها والعمل لها مع تركيز عصبيته كلها لها .

١ ــ انظر كتاب الإسلام ج ١ ص ٧٣ــ٨٨ للأستاذ سعيد حوّى ، لقد انتفعنا بمعلومات قيمة من هذا المؤلف العصري في منهجه وأسلوبه ، وجزى الله مؤلفه عنا خير الجزاءِ .

٢ ــ سورة الأنعام : ١٦٢ ــ ١٦٣ .

- إن مثل هذا الاتجاه اتجاه شركي ، لأن الله أمرنا أن نعمل له وأن نجاهد له ، وأن نقاتل له ، ونحن إذ نفعل هذا قد نخدم قومنا تبعاً وعرضاً ، وقد لا نخدمهم بل نكون ضدهم إذا كانوا كافرين .

- فالمسلم لا يكيّف سلوكه على حسب ما تقتضيه مصالح قومه ، بل على حسب ما يأمره الله عز وجل ، ومنها العمل للحزب أو للمذهب أو للحركة التي ينتمي إليها المرءُ لهدف ، فهذا شرك ، وإذا طلب من بعض هؤلاءِ القيام بعمل أو بالدعوة لفكرة الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً ، فلا يستجيب .. فهو لا يلتزم إلا بما يصدر له من حزبه أو شيخه أو زعيمه . ! !

- لقد خبرت هؤلاءِ طويلا ورأيت منهم العجب العجاب ! ! إنهم يتبعون الهوى الحامل على ترك العدل فلا يقفون عند أمر الله ورسوله بل يتعدون ذلك ، فيقدمون الولاءَ لزعمائهم ويقفون عند أمر الحزب أو المشيخة أو النحلة ولا يتعدونها ، لاعتقادهم بأن لها الحكم الفيصل ! !

فسبحان الله ! ! كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص ، وبودهم أن لو لم ترد ؟ ! وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ؟ ! إني أذكرهم بأن سرائرهم ستبدو لهم بالذي يسوءُ عند رفع الحواجز والستائر في يوم عبوس تبلى فيه السرائر .

قال تعالى : (يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) . سورة النساء : ١٣٥ .

إن القيام بالهوى والمعصية مضاد لأمر الله ، مناف لما بعث به رسوله ، فأمر الله تعالى بالقسط وهو العدل ، وفي ذلك إيثار للحق وائتمار بأمر الله واتباع لهدي رسول الله ... وهذا خلاف من يجعل أصحابه ونحلته وشيوخه وحزبه معياراً على الحق وميزاناً له ، يعادي من خالفه ويوالي من وافقه بمجرد موافقته ومخالفته ...

فلو أنكر عليهم منكر بأن اعترض على سوء تصرفات حزبهم أو انحرافه أو ما يصدر من تعليمات ، نجدهم يدافعون عنه وكأنه معصوم لا يصدر منه إلا الحق ، ولو كان ذلك معارضا لحكم الشرع ، وكذلك ما يقع من شيخ الطريقة وما يصدر عنه من تصرفات شائنة ومبتدعات محدثة ، كالمداومة على الأوراد والأذكار غير الشرعية ، ومناجاة أهل القبور وما يقدم لهم من قرابين ونذور ، كما يزين لأتباعه ومريديه ضلالاته وبدعه المنكرة فيتخذونها ديناً بدل السنة المطهرة ! ! ! .

إن أمر هؤلاء يحير العقول . فهم يظهرون غير ما يبطنون ، وما أكثر الذين راحوا ضحايا إثمهم ، وهم يختتلون الأغرار ختلاً

بوسائلهم المغرية الملتوية ، فينساق هؤلاءِ معهم إلى دهاليزهم المظلمة حيث يقبعون ، فينظمونهم في تجمعاتهم غبناً وإغراءً .. وهكذا يصبح هؤلاءِ الأَفراد أَدوات مسخرة، تعمل وفق مشيئة التجمع أَو الحزب أَو الطريقة، بعد نيلهم شرف العضوية المدمرة ؟ ! !

ومن صفات الأَتباع ، التعصب الأَعمى لأَفراد جنسهم وأَبناءِ نحلتهم ، تعصباً للهوى واتباعاً لمرضاة الشيخ أَو الزعيم ... ومن سوءِ طالعهم أَنهم يتبعون وسائل شيطانية كثيرة لجذب الأَتباع إلى تيارهم، وجرهم إلى حوزتهم فيصطنعون منهم أَعضاءَ أَشباه دمى وأَحجار شطرنج .. وإذا لم تفلح وسائل الإغراءِ والتمويه هذه لجر الناس إلى دهاليزهم وخلواتهم ، نجدهم يطلقون عليهم أَوصافاً شائنة . كأَن يقولوا : فلان جاهل ضال ، أَو منحرف أَو ضعيف الإيمان ، أَو أَنه كالشاة الجرباءِ ، وهذه لعمري بعض صفاتهم التي يتصفون بها ، وهي ناتجة عن تعصبهم الأَعمى المقيت الذي طمس على قلوبهم ، وليس بعد الحق إلا الضلال ... وحسبهم هذه الآية القاصمة : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا)[1]

- ومنها العمل للوطنية كهدف . فهذا شرك... إن المسلم لا يتعلق

١ - سورة الأحزاب : ٦٦

بوطنه إلا بالقدر الذي يكون فيه هذا الوطن وأَهله مستسلمين لله .

وهو إذ يعمل ما فيه مصلحة هذا الوطن وأَهله ، إنما يعمل هذا لله ، أَما إذا أَصبح الوطن هو قبلة العمل ،ولم تعد نية وجه الله فيه هي الأَصل ، فذلك الشـــرك . . .

لقد عاب الله ، عز وجل ، على أَقوام تعلقهم بأَوطانهم فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ،وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً[1] ﴾ .

إِن رفع شعار الوطنية ، والوحدة الوطنية ، والعمل من أَجل المصلحة الوطنية ، لا يجوز أَبداً أَن يكون الأَصل الذي توزن به الأَشياءُ ، فإذا ما أَصبح كذلك كان شركا .

أَما إذا كان الأَصل الذي توزن به الأَشياءُ هو الإِيمان بالله والعمل بما أَمر ، وكان مما أَمر ، القيام بما فيه مصلحة للوطن ، وعملنا هذا تحقيقاً لأَمره ، قاصدين وجهه ، فهذه هي العبادة . . . وهذا الذي لا حرج فيه . .

ــ العمل للإِنسانية والإِنسان شرك ، وصرف للإِنسان عن الله الذي ينبغي أَن يوجه إليه الإِنسان وجهه . وشعار العلم للعلم شرك ، وشعار

١ ــ سورة النساء : ٦٦ .

الواجب للواجب شرك ، وشعار الأَدب للأَدب شرك .

وعلى الجملة : فكل شعار يصرف وجه الإنسان عن أن يكون الله مقصوده ومعبوده فهو شرك .

٢ - إعطاءُ غير الله حق الأَمر والنهي ، وحق التحليل والتحريم، وحق التشريع ، وحق الحاكمية . قال تعالى : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)[١] . وقال : (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ)[٢] . وقال : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ)[٣] . . .

ويدخل في ذلك ما يسمى [بالديمقراطية] ، إذ أَن الديمقراطية هي كلمة الأَكثرية الممثلة بمجلس نيابي أَو غيره ، يكون مفوضاً بأَن يشرِّع ما يريد دون قيد إلا قيد الدستور في بعض البلاد ، والدستور تضعه الأَكثرية بلا تقييد بأَمر ما ، إلا بآرائهم وأَفكارهم. إن مثل هذا إنما هو إعطاءُ حق التشريع والتحليل والتحريم للبشر ، وهو شرك . . .

أَما الصيغة الصحيحة التي تجنبنا هذا الشرك في المجتمع الإسلامي فهي أَن يكون لنا مجلس شورى ، ولا حرج أَن يكون منتخباً ، على أَن يكون كل فرد من أَفراد المجلس- والمجلس ككل- ملتزمين بأَحكام الله ، ما سمح الله لهم فيه أَن يجتهدوا اجتهدوا ، وما ورد فيه

١ - سورة الأعراف : ٥٤ . ٢ - سورة الأنعام : ٥٧ .
٣ - سورة التوبة : ٣١ .

نص لم يكن لهم فيه إلا التسليم، إن كان النص قطعياً، أو الترجيح إن كان ظنياً . أي أن الكتاب والسنة يمثلان الدستور في البلاد الدستورية البرلمانية ، بحيث لا يستطيع المجلس النيابي أن يسن من القوانين ما يخالف الدستور ، فيكون عمله في الصورة إما مفسراً للدستور أو سانّاً ما لا يخالفه .

ويدخل في ذلك أن تعطى صلاحية التشريع ، المستقل عن حكم الله ، لطبقة الرأسماليين ، أو الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا . ويدخل في ذلك أن تعطى صلاحية التشريع للحزب أو لقياداته، ويدخل في ذلك أن تعطى صلاحية التشريع لرجل، سواءٌ كان رجل دين أو رجل سياسة . . . .

ويدخل في ذلك أن لا يعترف الإنسان بأنه مكلف من الله بواسطة الرسول ، ﷺ ، فيسقط عن نفسه التكاليف ، كيف ؟ وقد خاطب الله رسوله بقوله : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1] .

٣ ـ أن تعطى الطاعة لغير الله بغير إذنه ، إذ من معاني لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ : لا مطاع إلا الله ، والطاعة التي أذن لنا الله فيها هي أن نطيع رسوله ، لأن طاعة رسوله طاعة له : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)[2] .

---

١ ـ سورة الجاثية : ١٨ .   ٢ ـ سورة النساء : ٨٠ .

وطاعة أُولي الأَمر إذا كانت على كتاب الله وسنة رسوله ، فإذا انحرفوا فلا طاعة لهم في معصية الله ، سواءٌ كانوا علماءَ دين أَو أُمراءَ ـ الحكام والزعماءُ والرؤساءُ والملوك ـ والآية التي نصت على هذا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) سورة النساء : ٥٩ .

فطاعة ولي الأَمر مشروطة بكونه منا ، وبكونه يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله حال اختلافه معنا .

وفي الحديث : « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » . « إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ » . فلا يطيع المسلم في ذات الله أَحداً ، لا نفسه ولا شيطانه ولا كافراً ولا ضالاً ولا مبتدعاً ولا مسرفاً ولا غافلاً ولا داعياً إلى ضلالة ولا أَحداً [1] إذا دعانا إلى غير أَمر الله .

قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ)[2]. وقوله تعالى:(وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)[3] . و(إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)[4]. (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ)[5] . وكذلك:

١ ـ كدعوة الاحزاب للقيام بأمر الإضراب أو المظاهرات ، أو دعوة قادة الحزب أو التجمع لبعض أعضائه أو أفراده للقيام بمهمة الاغتيالات وغيرها من أعمال العنف لتحقيق مصالح شخصية دون التقيد بأمر الشرع ، بل الأخذ بمصالح الحزب وتقديمها فوق كل اعتبار . . .

٢ ـ سورة الجاثية : ٢٣ . ٣ ـ سورة الشعراء : ١٥١ـ١٥٢ .

٤ ـ سورة آل عمران : ١٠٠ . ٥ ـ سورة الأنعام : ١١٦ .

(أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[1] . فمن أطعته من هؤلاءِ اتخذته إلٰهـا ، وإذا اتخذته إلٰهـا كفرت . قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْـرِ) . سورة محمد : ٢٥-٢٦ .

إن مظهر ردة هؤلاءِ طاعتهم لمن كره ما نزل الله في بعض الأمر . ومما يدخل في هذا الأصـل :

عدم طاعة رسول الله ، إذ مظهر طاعة الله طاعة رسوله ، لأننا لا نعرفها إلا عن طريقه . طاعة رسوله تعني طاعة سنته ، فمن لم يعترف بسنته فهو كافر ، أما إذا اعترف بها وعصى فهو فاسق .

٤ - الحكم بغير ما أنزل الله ، أو الاحتكام إلى غيره ، جلَّ وعلا ، قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ)[2] . وقال : (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً)[3] . وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

١- سورة يس : ٦٠ . ٢- سورة المائدة : ٤٤ . ٣- سورة النساء : ٦٠-٦١ .

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) . سورة النساء : ٦٥ .

٥ ـ كراهية شيءٍ من الإِسلام أَو كراهية الإِسلام كله . قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)[١] . وقال عليه السلام : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ[٢] » .

ويدخل في ذلك أَن يكره الإِنسان حكماً من أَحكام الإِسلام ، سواءٌ كان في العبادات أَو المعاملات أَو السياسة أَو الاقتصاد أَو السلم أَو الحرب أَو الأَخلاق أَو التنظيم الاجتماعي أَو العلمي .

إِن كراهيته لمضمون آية ، أَو لمضمون حديث ثابت ، أَو لسنة بشمولها الذي يدخل فيه قول الرسول ، أَو فعله أَو تقريره أَو صفته ، يخرج الإِنسان من الإِسلام ، وينقض دعوى الشهادتين عنده .

٦ ـ استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، وجعل الدنيا هدف الإِنسان الوحيد . . قال تعـالى : (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِين مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولٰئِكَ فِي ضَلَال بَعِيد)[٣] . وقال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ

١ ـ سورة محمد : ٨ـ٩ .
٢ ـ رواه النووي في الأربعين بسند صحيح .
٣ـ سورة ابراهيم : ٢ـ٣ .

وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1]. وقوله سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)[2].

كما بين سبحانه من طلب الآخرة وتوعد سواه فقال : (قُلْ إِن كَانَ آباؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) . سورة التوبة : ٢٤ .

٧ ـ الاستهزاءُ بشيءٍ من الكتاب والسنة ، أَو بأَهلهما من أَجلهما ، أَو بحكم من أَحكام الله ، عزوجل ، أَو شعيرة من شعائره . فعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أَسلم وقتادة[3] ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أَنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأَينا مثل قرائنا هؤلاءِ ، أَرغب بطونا ولا أَكذب أَلسناً ولا أَجبن عند اللقاءِ ـ يعني رسول الله وأَصحابه القراءَ ـ فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأُخبرنَّ رسول الله ، ﷺ . فذهب عوف إِلى رسول الله ، ﷺ ، ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاءَ ذلك الرجل إِلى رسول الله ، ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ فقال :

١ ـ سورة هود : ١٥ـ١٦ . ٢ ـ سورة الشورى : ٢٠ .

٣ ـ الإسلام ج ١ ٧٩ ـ ٨٠

يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عناءَ الطريق . قال ابن عمر : كأَني أَنظر إِليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ، ﷺ ، وإِن الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب . فيقول له رسول الله ، ﷺ ، (أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِــهِ كُنتُمَ تَسْتَهْزِئُونَ ؟) . سورة التوبة : ٦٥ .

فالاستهزاءُ بأَي حكم من أَحكام الإِسلام ، أَو شعيرة من شعائره ، أَو نص من نصوصه ، ينقض دعوى الشهادتين وهما ركنا التوحيد . ومن أَمثــلة ذلك : كأَن يسخر من آيــة فيها حكم كقوله : ترجعنا إِلى شريعة السن بالسن والعين بالعين . وكقوله : تريدنا أَن نمشي على : (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)[1] أَو : دعونا من هذا الكــلام الفــارغ . بعد سماعه رأْياً له علاقة بحكم من أَحكام الإِسلام .

أَو كالقول بعد مثل هذا : لازلتم تتمسكون بهذه القشور . كأَن في دين الإِسلام قشر ينبغي أَن يقذف به . أَو كالاستهزاءِ باللحية أَو بأَصحابها من أَجلها ، أَو بلباس المرأَة المسلمة المرتدية للملابس الشرعية الساترة ، أَو بالصلاة أَو بأَصحابها من أَجلها ، أَو بالعلم بالإِسلام أَو بأَهله من أَجله ، أَو الترفع عن هؤلاءِ واحتقارهم لأَنهم ليس عندهم علم إِلا به . إِلى أَشياءَ كثيرة تدخل في هذا الأَصل ،

١ – سورة الأنعام : ١٦٥ .

ويقع فيها المنافقون ، وكلها تأْخذ بصاحبها إلى الكفر . ولعلّ أَمثال هذا ما أَشار إليه الرسول ، ﷺ بقوله : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لَا يُلْقِي إِلَيْهَا بَالاً ، يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفـاً » .

٨ – تحليل ما حرم الله أَو استحلاله ، وتحريم ما أَحل الله .

قال تعالى : (إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)[١] . وأَعظم الكذب ما كان على الله في تحريم ما أَحل وتحليل ما حرَّم . قال تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ، هٰذَا حَلَالٌ وَهٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . سورة النحل : ١١٦-١١٧ .

فتحريم ما أَحـلّ الله كفـر ، وتحليل ما حرّم الله كفر . . . إن المسلم لا يتقدم أَمـام الله ورسوله برأْي إلا أَن يعلم حكم الله فيقوله ، وذلك عنوان صدقه في شهادته ، أَنه لا إِلٰهَ إلا الله محمد رسول الله ، فإن الله يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) . سورة الحجرات : ١ .

٩ – عدم الإِيمـان بكل نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ . قال تعالى : (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ

---

١ سورة النحل : ١٠٥ .

ببعْضٍ ، فَمَا جزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلكَ مِنْكُمْ ، إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) . سورة البقرة : ٨٥ .

فعدم الإِيمان بشيءٍ من نص الكتاب ، ينقض الإِيمان ، لأَن الله تعالى قال : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[١] . وعدم الإِيمان بالسنة الثابتة ينقض الإِيمان ، لأَنه تكذيب لرسول الله بشيءٍ ثابت عنه ، وتكذيب رسول الله بأَدنى شيءٍ كفـر . وكذلك الإِيمـان بنصوص زائدة على الكتاب ، على أَنها من الكتاب ، أَو زائدة عن السنة ومكذوبة ، على أَنها من السنة ، ينقض الإِيمان . قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ أَوْ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ أَوْ عَلَىٰ وَالِدَيْهِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ[٢] » .

ولمسلم والترمذي عنه عليه السلام : « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بَحدِيثٍ يَرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ » . وصح عنه ، ﷺ ، أَنه قال : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ عَامِداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّـارِ » .

١٠ – تولّي أَهل الكفر والنفاق وعدم محبة أَهل التوحيد والإِيمان . قال تعالى : (يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ

---

١ – سورة الحجر : ٩ .   ٢ – حديث حسن في الكبير للطبراني .

مِنْهُمْ ، إنَ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . سورة المائدة : ٥١ .

١١ - سوءُ الأَدب مع رسول الله ، ﷺ ، كغمزهم بخدشهم عصمته ، بأنه كان في عصمته تسع نساءٍ ، وكحديث بعض الكتاب عنه ، ﷺ ، كحديثهم عن شخص عادي ، وتجاهلهم مكانته السامية كرسول ونبي منقذ . ومحاولة بعض الفسقة إدخال تمثيليات ومسرحيات بدور اللهــو والسينما تمثل أدواره وتتقمص شخصيته الكريمــة .

١٢ - اشمئزاز القلب من توحيد الله ، وانبساطه لنوع من أَنواع الشرك . قال تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) . سورة الزمر : ٤٥ .

وأَهم تطبيقات هذه الآية ما نراه عند طبقات من الناس اليوم ، إذا أَرجعت الأُمور والحوادث إلى الله نفرت قلوبهم ، وإذا أَرجعتها إلى الطبيعة أَو إلى الأَسباب العادية ، أَو نسبتها إلى الأَولياءِ انبسطوا لذلك وسُروا .

إذا قلت : لقد انتصرنا لأَننا استعددنا وعبأْنا قوتنا وكنا رجالا . . . سُروا ، وإذا قلت : إن الله نصرنا . انقبضوا .

١٣ - ادعاءُ أَن للقرآن باطناً يخالف الظاهر ، وأَن الباطن

يستقل بعلمه بعض الناس بواسطة الإلهام أو غيره[1] وما يقال في القرآن يقال في السنة ، فالله عز وجل أنزل كتابه عربياً قال : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2] . وقال : (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)[3] . واللغة العربية معروفة المفردات والقواعد ، فلا يفهم القرآن ولا السنة التي تشرح القرآن إلا بمفردات هذه اللغة وقواعدها وأساليب أصحابها ، فمن يخرج عن ذلك فإنما يخرج عن الأصل إلى غير أصل ، بل إلى هوى وضلال ، وذلك تعطيل للشريعة ، بتعطيل نصوصها ، وتفريق للمسلمين لأنه لا يبقى بعد ذلك أصل يرجعون إليه ، وإن اليهود والنصارى لم يصلوا إلى ضلال في فهم كتبهم كهذا الضلال ، ولا شك أن أصحاب الدعوة إليه أحط زنادقة خرجوا بين المسلمين .

١٤ ــ عدم معرفة الله معرفة صحيحة ، بإنكار شيءٍ من صفاته أو أسمائه أو أفعاله . قال تعالى : (وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)[4] . وقال : (أَللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

---

١ ــ هذه فرية الفرق الباطنية المنحرفة وغيرها من أهل الضلال كالشيعة والصوفية والقاديانية والبهائية والدرزية والاسماعلية والقرمطية الذين يفترون على الله الكذب ، وهم بهذه الدعوى الواهية يظنون أنهم يعطلون شريعة الإسلام ونصوصها . . . قاتلهم الله أنى يؤفكون . .

٢ــ سورة يوسف : ٢ . ٣ــ سورة النحل : ١٠٣ . ٤ــ سورة الأعراف : ١٨٠ .

الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)[1] . وقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[2] . وقال عز من قائل : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) . ومن أذكارنا الصحيحة: « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . فما عرف الله من لم يعرف أن كل ما في هذا الوجود من أفعاله ، وما عرف الله من لم يعرف أسماءَ وصفات كماله ، وما عرف الله من نسب إليه شيئاً من نقص ، وما عرف الله من لم يعرف أن الكمال كله لله . (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) . سورة الحج : ٧٤ .

إن عدم معرفة الله معرفة صحيحة ، ووصفه بما لا يليق بذاته أو تشبيهه بخلقه ، أو جعل خلقه جزءاً منه[3] كل ذلك كفر ، ونقض للشهادتين لأنه إعطاءٌ للألوهية لغير صاحبها الحقيقي ، إذ من لم يعرف الله جهله ، ومن جهله لم يوحده ، وكذّب وحي الله فيما وصف الله به ذاته .

١٥ – عدم معرفة الرسول ﷺ ، معرفة صحيحة ، أو سلبه صفة مما وصفه الله به ، أو وصفه بصفة منقصة له ، أو

---

١ – سورة طه : ٨ . ٢ – سورة الشورى : ١١ .

٣ – وقال بذلك دعاة الاتحاد والحلول والتناسخ ، فالتناسخيون الذين قالوا أن علياً صار إلهاً حين حلّ روح الله فيه . وقالت فرقة البيانية : إن روح الإله دارت في الأنبياء ثم في الأئمة إلى أن صارت في رئيسهم بيان بن سمعان . . . كما يعتقد غالبية الصوفية بنظرية الاتحاد والحلول ، قال بذلك من زعمائهم الحلاج وأبو يزيد البسطامي القائل بأن الله تعالى حلّ فيه . (تَعَالَى الله عن ذلك علوا كبير) .

محقّرة أَو عدم كونه الأُسوة العليا للإنسان . قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً)[1] . ومن قال عنه أَنه نبي للعرب فقط فقد كفر . قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)[2] .

١٦ – تكفير أَهل الشهادتين وعدم تكفير من كفر بهما ، واستحلال قتال أَهلهما . فالقواعد : « مَنْ كَفَّرَ مُؤْمِناً فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْ الْكَافِرَ فَقَدْ كَفَرَ . . . » . قال عليه الصلاة والسلام : « سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » رواه الشيخان .

إنما كان تكفير المؤمن كفراً لأَن فيه طعناً في نفس الإِيمان ، كما كان الشك في كفر الكافر أَو تصحيح مذهبه أَو عدم تكفيره ، لأَنه تكذيب لله ولرسوله ، ﷺ .

١٧ – العمل بعمل جعله الله ، عز وجل ، عبادة لا تليق إلا به فيعطيه لغيره ، كأَن يذبح لغير الله ، أَو يركع ويسجد لغير الله ويطوف[3] بغير بيت الله بنيــة القربة لله . قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[4] . وكأَن يدعو غير الله معتقداً فيه النفع والضر ، وكأَن ينوي حج غير بيت الله بنية القربة لله[5] .الخ.

١– سورة الأحزاب : ٢١ . ٢– سور ةسبأ : ٢٨ . ٤– سورة الأنعام : ١٦٢–١٦٣.
٣ ، ٥ – الإسلام – جـ ١ . ومن شاء الاستزادة لهذا الكتاب ففيه بسط وتفصيل .

والأَصل الجامع لهذا كله : أَن المسلم لا يعمل عملاً إلا لله ، ولا يعمل عملاً إلا إذا شرعه الله له ، فإن عمل مالم يأْذن به الله فتلك معصية وجريمة ارتكبها في حق نفسه ، أَو عمل لغير الله فذلك شرك .

وهناك أَنواع أُخرى من نواقض الشهادتين . ومن أَمثلة الشرك الأَصغر : المصلّي الذي يحسن صلاته من أَجل مدح الناس له ، أَو الذي تعلم ليتصدر الناس أَو يحارب ويقاتل ، أَو يتصدق ليقال عنه شجاع أَو كريم أَو سخي وغيرها . . ودواءُ الشرك الأَصغر أَن يقول : اللهم إني أَعوذ بك أَن أُشرك بك شيئاً أَعلمه ، وأَستغفرك لما لا أَعلمه

٢- الصـراط المستقـيم

قال تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) . سورة الفاتحة : ٦ ، ٧ .

قال الإمام أبو جعفربن جرير : أجمعت الأُمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم ، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وذلك في جميع لغة العرب . فمن ذلك قول جرير عطية الخطفي :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعـوج الموارد مستقيم

قال : والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر . قال : ثم تستعير العرب الصراط ، فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه .

وقيل : الصراط المستقيم هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم . وقيل : هو الإسلام . ورد ذلك في روايات مختلفة (١) .

وعلى كل حال ففي قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) فيه توحيد الطريق ، وإن من سلك سواه ، وأراد الوصول من غيره ، فالسبل والطرق عليه مسدودة قاطعة غير موصلة ، وفي حديث ابن

١ - راجع تفسير ابن كثير ج ١

مسعود : خطّ لنـــا رسول الله ، ﷺ ، خطاً ثم قال : « هٰذَا سَبيلُ اللهِ » ، ثم خط خطوطاً على يمينه وعن شماله وقال : « هٰذِهِ سُبُلٌ ، علَىٰ كُلِّ سبيل مِنْها شيطانٌ يَدعُو إِليْهِ » ، ثم قرأ قوله تعالى : (وأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1] .

إذا عرف هذا ، فالصراط المستقيم ما كان عليه رسول الله ، ﷺ وأَصحابه والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى ، ودعاة الحق من الأَنبياءِ والصالحين . . . أَما دعاءُ الأَنبياءِ والصالحين ، والاستغاثة بهم والتوجه إليهم . . . ، كل هذا ليس مما كان عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأَصحابه والتابعون له بإحسان ، بل وليس عليه أَحد من رسل الله وأَوليائه . وقد توافرت النصوص ، وتظاهرت على المنع منه ، فاذا كان خارجاً عن الصراط المستقيم ناهياً عنه سالكيه ومؤتميه ، فهو سبيل يفضي بسالكه إلى النيران والدخول في طاعة الشيطان .

وأَهل هذا الصراط المستقيم دأْبهم وشأْنهم إفراد الله بالعبادة كالدعاءِ والاستغاثة ، والاستعانة والإِنابة والخوف والرجاءِ والتوكل والاعتماد ، ومباينتهم الأَوصاف خــروج عن صراطهم وطريقهم . . . فسبيل الله واحد لا متعدد ، ولا يمكن أَن يأْتي أَحد بحجة ولا سلطان على

١ ـ سورة الأنعام : ١٥٣ .

أن دعاءَ الأَولياءِ والصالحين من أَهل القبور أَو غيرهم مشروع مسنون أَو مباح .

ولا يمكن أَن تأْتي شريعة بهذا . وما يقوله الجاهلون من الشُّبه الواهية لا يعتد به ، ولا يلتفت إليه ، بل هي قاطعة في الطريق حائلة بين أَربابها وبين الصراط المستقيم ، وبين ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما جاءَ به من عند الله . وإن زعموا أَنها أَدلة وبينات فهي جهالات وخيالات وضلالات[1] وما بعد هذه من الطامات ، التي تؤدي بصاحبها إلى بحور الظلمات ، والعياذ بالله من طريق السوءِ والضلال ، ونضرع إليه أَن يلهمنا الرشد للسير على صراطه المستقيم ، الذي هو النجاة والحبل الموصل إلى رضوان الله وجناته التي أُعدت للمتقين[2] .

قال تعالى : (وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[3]) .

قال ابن القيم رحمه الله : ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً ، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه بحسب صفاته ومتعلقاته ، وحقيقته شيءٌ واحد ، وهو طريق الله الذي نصبه

---

١ – انظر « غاية الأماني في الرد على النبهاني » ج ٢ ص ٣٠٠

٢ – راجع « بدائع الفوائد » ج ٢ ص ٤٠ لابن القيم . ٣ – الأنعام : ١٥٣ .

لعباده موصلا لهم إليه ، ولا طريق إليه سواه ، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا طريقه الذي نصبه على أَلْسن رسله وجعله موصلا لعبادة الله ، وهو إفراده بالعبادة وإفراد رسله بالطاعة ، فلا يشرك به أحداً في عبادته ، ولا يشرك برسوله ﷺ أحداً في طاعته ، فيجرد التوحيد ، ويجرد متابعة الرسول ﷺ وهذا كله مضمون شهادة أَن لا إلٰه إلا الله .

فأَي شيءٍ فسر به الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الأَصلين. وخلاصة ذلك ، أَن تحبه بقلبك وترضيه بجهدك كله ، فلا يكون في قلبك موضع إلا مغمورا بحبه ، ولا يكون لك ارادة ، إلا متعلقة بمرضاته ، فالأَول يحصل بتحقيق شهادة أَن لا إلٰه إلا الله . والثاني يحصل بتحقيق شهادة أَن محمداً رسول الله .

وهذا هو غـاية الهدى ودين الحق ، وهو معرفة الحق والعمل به ، وهو معرفة ما بعث الله به رسوله والقيام به ، وقل ما شئت من العبارات التي هذا آخيّتها[1] وقطب رحاها . قال سهل بن عبد الله : عليكم بالأَثر والسنة ، فإني أَخاف أَنه سيأْتي عن قليل زمان ، إذا ذكر إنسان النبي ، ﷺ ، والاقتداءَ به في جميع أَحواله ذمّوه ونفروا عنه وتبرؤوا منه وأَذلّوه وأَهانوه . ا هـ[2] .

١ – الآخية : بالمد والتشديد ، حبل أو عويد ، يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ، ويصير طرفه كالعروة تشد فيه الدابة ، وجمعها : الأواخي .

٢ – فتح المجيد ص ٢٨ / ٢٩ .

الرسول المتبوع هو النبي صلى الله عليه وسلم

لقد مرت على البشرية فترة مظلمة ، فاستسلمت لسلطان الجهل والضلال ، بعد أن ســاد الجور وعم الفساد وهتكت المحارم ، وتقوضت معالم الحياة ، ولم يعد للناس أمل في نجاة أو خلاص ، بعد أن وقعوا أسرى الذل والاستعباد لقانون الجاهلية المتمردة .

حدث هذا على حين فترة من انقطاع رسالات السماء ، ولكن الخالق سبحانه ، العليم البصير بعباده اللطيف بخلقه ، بعث لهذا العــالم من ينقذه ، ويخلصه من ضياعه وفساد حاله ، بعد أن وصل إلى ما وصل إليه من الفرقة والهلاك ، والتردي في أحضان الشرك ووطأة الجاهلية . وقد أسند سبحانه هذه المهمة الفريدة لأكرم خلقه محمد ، ﷺ ، الذي أرسله تعالى رحمة للعالمين ، فحرر البشرية من ظلمــات الجاهلية وعثراتها ، وأخرج النــاس من الظلمات إلى النور ، وهداها إلى طريق الهدى والفلاح ، حيث قادها من نصر إلى نصر . وفي هذا المنهاج وعلى هذا المنطلق نهج أتباع الرسول ، ﷺ ، الذين كانوا بحق من خيرة الأمة .

تلك الأمة التي أرادها الله لتكون حاملة لخاتمة الرسالات ، والتي كانت بحق خير أمة أخرجت للنــاس .

لقد سار السلف الصالح ، الذين حملوا الراية من بعد نبيهم الكريم ، مقتدين بهديه ومتابعين لسيرته ومنفذين لسنته . وصدق الله العظيم : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حسنَةٌ لِمنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ[1] .) وقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ[2]) وقوله سبحانه : (فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ[3]) . وقوله : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[4]) .

وجاءَ في الصحيح : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ بِهِ[5] » . وهكذا فالرسول الكريم ﷺ هو القائد وهو الإمام المتبع ، ولا يجوز لمسلم أن يتابع أو يقدم قول أحد عليه ، بل إن قوله ﷺ مقدم على غيره كائناً من كان .

قال العلامة عبد الحق الدهلوي في شرح الصراط المستقيم : إن الإمام المتبوع والمقتدى به حقاً ، هو النبي ، ﷺ ، فالمتابعة لغيره غير معقولة ! وهذا هو طريق السلف الصالحين ، جعلنا الله تعالى منهم .

وقال الإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى : أجمع المسلمون على أن

١ – سورة الأحزاب : ٢١ . ٢ – آل عمران : ٣١ .
٣ – النساء : ٦٥ ٤ – الحشر : ٧ .
٥ – رواه البغوي في شرح السنة والنووي بإسناد صحيح .

من استبان له سنة رسول الله ، ﷺ ، لم يحل له أن يدعها لقول أحد[1] .

ولا ريب أن أهل الحق هم الذين يقتفون أثر رسول الله ، ﷺ ، ويعملون بأمره وعمله ، ويهتدون بسنته التي هي المصباح الوحيد لإنارة الكون الذي أظلم بعد تنكب هديه وتعاليمه .

كما أن الاقتداء بعد الرسول ، ﷺ ، يجب أن يكون بالذين من بعده من الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين ، رضي الله عنهم أجمعين ، لقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .

إن الذي لم يكن معه دليل من الكتاب والسنة ، هو الذي لم يصب الحق ، بل أخطأه وإن كان عدداً كثيراً ، فليس لعالم ولا متعلم ولا لمن يفهم ، وإن كان مقصراً ، أن يقول : الحق بيد من يقتدي به من العلماء ، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره ، فإن ذلك جهل عظيم وتعصب ذميم وخروج عن دائرة الهدي السليم ، لأن الحق لا يعرف بالرجال ، بل الرجال يعرفون بالحق . وما أحسن ما أدبنا به رسول الله ، ﷺ ، فيما صح عنه من قوله : « رَحِمَ اللهُ امْرءاً قَال خَيْراً أَوْ صَمَتَ » .

---

١ ـ رسالة هدية السلطان للشيخ محمد المعصومي المكي .

وهذا في الذي تكلم في العلم ، قبل أن يفتح الله عليه بما لابد منه ، وشغل نفسه بالتعصب للعلماءِ والشيوخ والزعماءِ ، وتصدر للتصويب والتخطئة في شيءٍ لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه ، ولم يقل خيراً ولا صمت . فلم يتأَدب بالأَدب الذي أَرشد إليه رسول الله ، ﷺ .

فلنتمسك بالكتاب والسنة ، ولا نعبأُ بأَقوال البشر مهما علت منازلهم ، لأَن الخير في اللجوءِ إلى حصن الكتاب والسنة واتباع سبيلهما ، ولا ننظر إلى ما ابتدعه أَهل الأَهواءِ والمبتدعة ، أُولئك الذين يحسبون أَنهم يحسنون صنعاً ، فسبحان الذي أَضلهم فأَعمى قلوبهم وأَبصارهم .

أهل السنة والجماعة

إن أَهـل السنة والجماعة من فريقي الرأْي والحديث[1] ، دون من يشتري لـهو الحديث ، وفقهاءَ هذين الفريقين وقراءَهم ومحدثيهم ، ومتكلمي أَهل الحديث منهم ، كلهم متفقون على مقالة واحدة ؛ في توحيد الخالق وصفاته وعدله وحكمته ، وفي أَسمائه وصفاته ، وفي أَبواب النبوة والإِمامة ، وفي أَحكام العقبى ، وفي سائر أُصول الدين . وإنما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الأَحكام ، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق ، وهم الفرقة الناجية ، ويجمعها الإِقرار بتوحيد الخالق وقدمه ،وقدم صفاته الأَزلية ، وإِجازة رؤيته في الجنة من غير تشبيه ولا تعطيل ، مع الإِقرار بكتب الله ورسله وبتأْييد شريعة الإِسلام ، وإِباحة ما أَباحه القرآن ، وتحريم ما حرمه القرآن ، مع قبول ما صح من سنة رسول الله ، ﷺ ، واعتقاد الحشر والنشر ، وسؤال الملكين في القبر ، والإِقرار بالحوض والميزان .

فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ، ولم يخلط إِيمانه بها بشيءٍ من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر أَهل الأَهواءِ ، فهو من جملة الفرقة الناجية ، إن ختم الله له بها ، ودخل في هذه

---

١ ـ انظر كتاب الفرق بين الفرق . ص ٢٦ وما بعدها .

الجملة جمهور الأُمة وسوادها الأَعظم من أَصحاب مالك والشافعي وأَبي حنيفة واحمد والأَوزاعي والثوري وأَهل الظاهر[1] .

ما ينبغي أن يتحقق فيمن ينتسب إلى ملة الاسلام .

اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام ، فزعم أَبو القاسم الكعبي في مقالاته أَن قول القائل : [أُمة الإسلام] تقع على كل مقرّ بنبوة محمد ، ﷺ ، وأَن كل ما جاءَ به حق كائناً قوله بعد ذلك ما كان[2] .

وزعم قوم أَن [أُمة الإسلام] كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة . وزعمت الكرامية ، مجسمة خراسان ، أَن [أُمة الإسلام] جامعة لكل من أَقرّ بشهادتي الإسلام لفظاً .

وقالوا : كل من قال : لا إلٰه إلا الله ، محمد رسول الله فهو مؤمن حقاً ، وهو من أَهل ملة الإسلام . سواءٌ كان مخلصاً فيه أَو منافقاً مضمراً للكفر فيه والزندقة . ولهذا زعموا أَن المنافقين في عهد رسول الله ، ﷺ ، كانوا مؤمنين حقاً وكان إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والأَنبياء والملائكة ، مع اعتقادهم النفاق

---

١ ـ هم أتباع داود بن على بن خلف الأصبهاني المتوفي سنة ٢٧٠ هـ .

٢ ـ الفرق بين الفرق .

وإظهار الشهادتين[1] ، إلى غير هذه من المزاعم الباطلة . ولكن الصحيح الذي يجب تحقيقه لمن ينتسب إلى أُمة الإسلام - كما يرى أَهل السنة - تلك الأُمة الوسط التي كانت خير أُمة أُخرجت للناس ، وهي التي تجمع المقرّين[2] بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه ، وصفاته وعدله وحكمته ، ونفي التشبيه عنه ، وبنبوة محمد ، ﷺ ، ورسالته إلى الكافة ، وبتأْييد شريعته ، وبأَن كل ما جاءَ به حق ، وبأَن القرآن منبع أَحكام الشريعة ، وأَن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها ، فكل من أَقرّ بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد . وإن ضم إلى الأَقوال بما ذكرناه بدعة شنعاءَ نظر : فإن كان على بدعة الباطنية ، أَو البيانية ، أَو المغيرية ، أَو الخطابية ، الذين يعتقدون إلٰهية الأَئمة أَو إلٰهية بعض الأَئمة ، أَو كان على مذاهب الحلول ، أَو على بعض مذاهب أَهل التناسخ ، أَو على مذهب الميمونية من الخوارج ، الذين أَباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أَو على مذهب اليزيدية من الإباضية ، في قولها بأَن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان ، أَو أَباح ما نص القرآن على تحريمه ، أَو حرم ما أَباحه القرآن

---

١ - الفرق بين الفرق . ص ١٣ - ١٤ .

٢ - انظر كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى المتوفي سنة ٤٢٩ هـ .

نصاً لا يحتمل التأْويل ، فليس هو من أُمة الإِسلام ولا كرامة له .

وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أَو الخوارج أَو الرافضة الإِمامية أَو الزيدية ، أَو من بدع النجارية أَو الجهمية أَو الضرارية أَو المجسمة ، فهو من الأُمة في بعض الأَحكام ، وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين ، وفي أَن لا يمنع حظه من الفيء والغنيمة إِن غزا مع المسلمين ، وفي أَن لا يمنع من الصلاة في المساجد ، وليس من الأُمة في أَحكام سواها ؛ وذلك أَن لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأَة سنية ، ولا يحل للسني أَن يتزوج المرأَة منهم إذا كانت على اعتقادهم .

وقد قال علي بن أَبي طالب ، رضي الله عنه ، للخوارج : علينا ثلاث ، لا نبدؤكم بقتال ، ولا نمنعكم مساجد الله أَن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نمنعكم من الفيء مادامت أَيديكم مع أَيدينا . والله أَعلم[1] . اهـ .

١ – انظر كتاب الفرق لعبد القاهر البغدي ، المتوفي سنة ٤٢٩ هـ .

المسلم الحقيقي

إن الله تعالى قرر القواعد لكل مسلم وقال : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1] . وقال سبحانه : (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ »[3] . وجاء في الصحيح : « . . . مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي . . »

عُلم بتلك النصوص القرآنية والأَحاديث النبوية أَن المسلم لا يكون مسلماً ولا مؤمناً إلا إذا اعتصم بالكتاب والسنة ، في العقائد والفرائض ؛ كالصلاة والحج وأَركانه من سعي وطواف وذبح ، وكذلك الدعاءِ والذكر ، وكل السنن والأَقوال والأَفعال والأَعمال ، على وجه التسليم والرضا والإِخلاص ظاهراً وباطناً ، خاصة عند المعارضة والمقابلة ، حيث تقدم قول النبي ، ﷺ ، على أَقوال جميع أَهل الأَرض كائنا من كان ، فلا يسمع مثلا لرأي حاكم أَو زعيم أَو شيخ إذا ما كان مخالفاً للإِسلام ومعارضا لهدي الرسول الكريم .

١ — سورة الحشر : ٧ . ٢ — سورة النساء : ١٤ .

٣ — رواه البغوي في شرح السنة والنووي في الأَربعين بسند صحيح .

فمثلاً ، الدعاءُ لا يجوز صرفه إلا لله ، وهو نوع من العبادة وكذلك الذبح والاستغاثة والطواف والأَدعية والأَذكار وغيرها ، كل هذه لا يجوز العمل بها والتعبد بإقامتها وصرفها لغير الله ، وعند المنازعة تعرض هذه بمجموعها على الميزان، وهو كتاب الله وسنة رسوله ، فإن وافقتهما عمل بها وإلا فلا ، فيقف المسلم الحق على ما كان يتعبد به الرسول عليه السلام ، ويعرض عن كل ما جاءت به أَهل الطرق والفرق والمشايخ وغيرهم ، لأَنه لا خير في مخالفة الرسول ، ﷺ ، وبهذا يكون المسلم مسلماً حقيقياً طائعاً لله ولرسوله . قال تعالى : (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ولاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ)[1] . وقوله سبحانه : (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . سورة آل عمران : ١٠١ .

رد كل شيء للرسول عند المنازعة :

أَخبر الله سبحانه وتعالى عن قوم يوم القيامة : (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً) . سورة الأَحزاب : ٦٧ ـ ٦٨ .

قال الشوكاني : المراد بالسادة والكبراءِ هم الرؤساءُ والقادة والذين كانوا يمثلون أَمرهم في الدنيا ويقتدون بهم . . . كزعماءِ

---

١ ـ سورة الأعراف : ٣ .

الطوائف وزعماءِ هذا الزمان ، وشيوخ الصوفية وأَشباههم .

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : قال طاوس : سادتنا يعني أَشرافنا ، وكبراؤنا يعني : علماؤنا . رواه أَبو حاتم . . . أَي اتبعنا السادة وهم الأُمراءُ والكبراءُ من المشيخة وخالفنا الرسول ، واعتقدنا أَن عندهم شيئاً وأَنهم على شيءٍ ، فإذا هم ليسوا على شيءٍ . . . (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) أَي لكفرهم وإغوائهم إيانا (وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً) . اهـ . وقال تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ) . قال العلماءُ : معَناه إلى الكتاب والسنة . فأَمر سبحانه بردّ الأَمر حالة النزاع إلى كتابه العزيز وسنة نبيه ففي حالة الوفاق أَولى .

إن المسلم الحق يجب أَن يصبغ حياته كلها بصبغة الإسلام ، لا يفرق في ذلك بين أَمر جليل أَو صغير ، فالإسلام كلٌّ لا يتجزأُ . وصدق الرجل الصالح ، رحمه الله ، إذ قال : خذوا الإسلام جملة أَو فدعوه . ذكره صاحب بدعة التعصب المذهبي . ويعجبني ما قاله أَحد الكتاب المعاصرين : إنه إما أَن يكون الرجل مسلماً أَو لا يكون . فإن كان مسلماً فعليه أَن يغير كل حياته لتوافق الإسلام الصحيح ، ولا يقول : هذا أَمر بسيط تافه غير إسلامي فلا بأْس بالبقاءِ عليه . ونحن نسمع مثل هذا الاعتراض من أُناس يدعون

الغيـرة على الإسلام والدعوة إليـه[1] ، وهم يتختمون بالذهب أَو يلبسون الحريـر ، وجمهورهم يحلقون لحـاهم ، مـع العلـم أَن الأَئمة الأَربعة متفقون على حرمة حلقها ، وبعضهم يحتال على ذلك فيحلقها على مذهب العوام الذي يقول : خير الذقون إشارة تكون . واللبيب من الإشارة يفهم . فإذا أَنكرت على هؤلاءِ قالوا : هذا أَمر بسيط . وهل فرغنا من المنكرات الكبيرة كالكفر والضلال حتى جاءَ دور التختم بالذهب ولبس الحرير وحلق اللحى ؟ . إننا نعتقد أَن هذا تحايل ومغالطة وهروب من الحق .

إن الحق لا يقبل التجزئة ، ولا يجوز بحال قبول بعضه ورفض بعضه ، وليس عندنا حلّ وسط يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض[2] . ثم إننـا نشير هنا إلى أَن الأُمور الصغيرة بنظر البعض هي أُمور كبيرة بنظر الشرع ، كما قال سبحانه وتعالى عن حديث الإفك : (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ) . سورة النور : ١٥ .

---

١ – من المؤسف أن نرى من يزعم أنه من العاملين لإعادة مجد الإسلام ، كما كان في عهد سلفنا الصالح ، ومع ذلك لا يحضر صلاة الجماعة ، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ، حتى أن بعض أبنائه لا يؤدون الصلاة ، كما تخرج محارمه كاسيات عاريات . . وإن بعضهم يشـارك النصارى في أفراحهم وأعيادهم ، ويبادلهم الزيارات ، ويتاجر معهم ويقلدهم في لباسهم وعاداتهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

٢ – راجع بدعة التعصب المذهبي .

أصـــل ديـــن الاســـلام وقاعـــدته

بعث الله ، سبحانه وتعالى ، رسله وأنبياءه الكرام ، الذين كانوا مصابيح هدى للبشرية ، فأقالوها من كبوتها ، ودعوا بدعوة التوحيد الخالص المنافي للشرك ، فخلصوا الإنسانية من الفساد ورواسب الوثنية . . وعلت بذلك راية التوحيد .

جاء في كتاب الجامع الفريـــد[1] :

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران : الأول الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه وتكفير من تركـــه .

يقول تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ) . سورة البقرة : ١٩٣ .

ثم قال رحمه الله : والفتنة : الشرك .

ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات فلابد من تكفيرهم أيضاً . هذا هو مقتضى (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) ـ كلمة الإخلاص ـ فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته كما في الحديث الصحيح : « مَنْ قَالَ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ

١ ـ الجامع الفريد ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤ من رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .

مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ » .

فقوله ﷺ : « وَكَفرَ بِما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ » تأكيد للنفي ، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك . فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله . فهذه الأُمور هي تمام التوحيد ، إلا أن (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) قيدت في الأَحاديث بقيود ثقال ؛ بالعلم والإِخلاص والصدق واليقين وعـــدم الشك .

فلا يكون المرءُ موحداً إلا باجتماع هذا كله ، واعتقاده وقبوله ومحبته والمعاداة فيه والموالاة ، فبمجموع ما ذكره شيخنا ، رحمه الله ، يحصل ذلك .

ثم قال ، رحمه الله : والمخالف في ذلك أَنواع ؛ فأَشدهم مخالفة من خالف في الجميع فقبِل الشرك واعتقده ديناً ، وأَنكر التوحيد واعتقده باطناً ، كما هو حال الأَكثر . والسبب هو الجهل بما دلَّ عليه الكتاب والسنة من علامة التوحيد وما ينافيه من الشرك ، والتنديد واتباع الأَهواءِ وما عليه الآباءُ ، كحال مَن قبلهم من أَمثالهم من أَعداءِ الرسل ، رموا أَهــل التوحيد بالكذب والزور والبهتان والفجور . وحجتهم : (بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ) .

هذا النوع من الناس ، والذين بعده ، قد ناقضوا ما دلت

عليه كلمة الإخلاص ، وما وضعت له وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه ، وهو دين الإسلام ، الذي بعث الله به جميع أَنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه ، كما لا يخفى فيما قصَّ الله عنهم في كتابه .

ثم قال ، رحمه الله تعالى : ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم يعادِ أَصله . قلت : ومن المعلوم أَن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ولم يأْت به ، وقد عرفت أَن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت .

ثم قال ، رحمه الله : ومنهم من عاداهم ولم يكفِّرهم . فهذا النوع أَيضاً لم يأْت بما دلت عليه (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) من نفي الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعاً ، وهو مضمون سورة الإِخلاص : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) . وقوله في آ ية الممتحنة : (كَفَرْنَا بِكُمْ) . ومن لم يكفِّر من كفَّره القرآن فقد خالف ما جاءَت به الرسل من التوحيد وما يوجبه .

ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يحب التوحيد ، ولم يبغضه . فالجواب : إن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً ، لأَنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده كما قال تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) .

فلو رضي بما رضي به الله تعالى ، وعمل به لأَحبه ، ولابد

من المحبة لعدم حصول الإسلام بدونها ، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

قال الشيخ أَحمد بن تيمية ، رحمه الله تعالى : الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه ، فمن أَحب الله تعالى أَحب دينه ، ومن لا . فلا. والمحبة يترتب عليها كلمة الإخلاص ، وهي من شروط التوحيد .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه . قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ) من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءَة منه ، فهذا ليس من الإسلام في شيءٍ أَصلاً ، ولم يعصم دمه ولا ماله كما دلّ عليه الحديث المتقدم .

وقوله رحمه الله : ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ولم ينفه . ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأَ منه وممن فعله وكفره ، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيءٌ مما دلت عليه (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ) . ومن لم يقم بمعني هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيءٍ ، لأَنه لم يأْت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين وصدق وإخلاص ومحبة وقبول وانقياد ، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيءٌ . وإن قال : (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ) ، فهو لا يعرف ما دلت عليه وما تضمنته .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

فأقول : هذا كالذي قبله ، لم يرفعوا رأساً بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله ، وهذه الحال حال من قال فيهم : (إِنْ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) . وقوله رحمه الله : ومنهم – وهو أشد الأنواع خطراً – من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره . ولم يبغض من تركه ولم يكفره .

فقوله : وهو أشد الأنواع خطراً ، لأنه لم يعرف قدر ما عمل به . ولم يأت بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها لما علمت من أن التوحيد يقتضي نفي الشرك ، والبراءة منه ، ومعاداة أهله وتكفيرهم ، مع قيام الحجة عليهم . فهذا قد يغترّ بحاله وهو لم يأت بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً .

وكذلك قوله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره . فهذا أقرب من الذي قبله ، لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات . كقول الخليل عليه السلام : (إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) . وقوله : (إِنَّا بُرَءَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً) . سورة الممتحنة : ٤ .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك من الولاء والبراءة من العابد والمعبود ، وبُغض الشرك وأهله وعداوتهم .

وهذان النوعان هما الغالب على أَحوال الكثير ممن يدعي الإِسلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الإِتيان بكلمة الإِخلاص وما اقتضته على الكمال الواجب ، الذي يكون به موحداً مما أَكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين .

فإِذا عرفت ذلك عرفت أَن الله كفَّر أَهل الشرك ، ووصفهم به في الآيات المحكمات بقوله : (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) . وكذلك السنة :

قال شيخ الإِسلام ، رحمه الله تعالى : فأَهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما خبروا ، ويطيعونهم فيما أَمروا ، ويحفظون ما قالوا ويفهمونه ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأْويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا إِلى الله وطلباً للجزاءِ من الله لا منهم . وأَهل الجهل والغلوّ لا يميزون بين ما أُمروا به ونهوا عنه ، ولا بين ما صح عنهم ولا من كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ، ولا يتحرون طاعتهم ، بل هم جهال بما أَتــوا به معظمون لأَغراضهم[1] . قلت : ما ذكره شيخ الإِسلام يشبه حال هذين النوعين الأَخيرين . ولا يعجب القاريءُ بعد هذا المقال من سبب خذلان الله سبحانه للمسلمين وترك نصرهم ، لإِهمالهم عقيدة التوحيد (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

١ ــ انظر كتاب الجامع الفريد .

أقسام الخلائق بالنسبة للدعوة المحمدية

إن الذين ساروا على منهاج الرسول ، ﷺ، وفهموا دعوته وعلموها الناس ، هم السعداءُ الذين ارتقوا إلى معالم الفضيلة ، وتفيؤوا في ظلال العقيدة السمحة ، التي حملها منقذ البشرية ، وإمام العالمين ، سيد الخلق محمد بن عبد الله ، ﷺ، فأَثمرت غراس دعوته ، وأَتت أُكلها على الوجه الأَكمـل .

أَما الذين أَبوْا دعوة التوحيد ورفضوها ولم يرتضوها منهاجا لهم ، ولم يقبلوا هدى الله والذي بعث به رسوله ، ﷺ، ولم يرفعوا به رؤوسهم ، فهؤلاءِ هم الأَشقياءُ ، الذين يقول عنهم سبحانه : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)[1] .

وقد ذكر النبي ، ﷺ، أَقسام الخلائق بالنسبة إلى دعوته ، وما بعث به من الهدى ، في قوله ، ﷺ: « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَـا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً أُخْرَىٰ مِنْهَا إِنَّما هِيَ قِيعانٌ لَا تَمْسِكُ

١ – سورة الجمعة : ٥ .

ماءً . ولَا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[1] .

فشبه النبي ، ﷺ ، العلم الذي جاء به بالغيث ، لأَن كلاًّ منهما سبب الحياة ، فالغيث سبب حياة الأَبدان ، والعلم سبب حياة القلوب . وشبه القلوب بالأَودية كما في قوله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا)[2] .

وكما أَن الأَرضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث[3] :

١ ـ إحداها : أَرض زكية قابلة للشراب والنبات ، فإِذا أَصابها الغيث ارتوت ، ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج ، فذلك مثل القلب الذكي فهو يقبل العلم ، فيثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بذكائه ، فهو قابل للعلم ، مثمر لموجبه وفقهه وأَسرار معادنه .

٢ ـ والثانية : أَرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه ، فهذه تنفع الناس لورودها والسقي منها والازدراع ، وهو مثل القلب الحافظ للعلم ، الذي يحفظه كما سمعه ، فلا تصرف فيه ولا استنباط ، بل للحفظ المجرد ، يؤدي كما سمع ، فهو من

---

١ ـ متفق عليه . راجع مختصر الترغيب والترهيب وجواهر البخاري .

٢ ـ سورة الرعد : ١٧ .

٣ ـ راجع الرسالة التبوكية .

القسم الذي قال فيه النبي ، ﷺ : « فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ » .

فالأَول : كمثل الغني التاجر الخبير بوجوه المكاسب والتجارات فهو يكسب بماله ما شاءَ .

والثاني : مثل الغني الذي لا خبرة له بوجوه الربح والمكسب ولكنه حافظ لما لم يحسن التصرف والتقلب فيه .

والأَرض الثالثة : أَرض قاع ، وهو المستوى الذي لا يقبل النبات ، ولا يمسك ماءً ، فلو أَصابها من المطر ما أَصابها لم تنتفع منه بشيءٍ . فهذا مثل القلب الذي لا يقبل العلم والفقه والدراية وإنما هو بمنزلة الأَرض البوار التي لا تنبت ولا تحفظ ، وهو مثل الفقير الذي لا مال له ولا يحسن أَن يمسك مالا .

فالأَول : عالم معلم ، وداع إلى الله على بصيرة ، فهذا من ورثة الرسل[1] .

والثاني : حافظ مؤد لما سمعه ، فهذا يحمل لغيره ما يتَّجر به المحمول إليه ويستثمره .

والثالث : لا هذا ولا هذا ، فهو الذي لم يقبل هدى الله ولم يرفع به رأْساً .

١ ــ هذه المعلومات مستقاة من « الرساله التبوكية » لعلامة زمانه ابن قيم الجوزية

فاستوعب هذا الحديث أقسام الخلق في الدعوة النبوية ومنازلهم فهم قسمان : قسم سعيد وقسم شقي .

أَقول : ليت أَبناءَ أُمتي يتمسكون بسنة الهادي البشير ويعضون عليها بالنواجذ ، ليكونوا كما كان الرعيل الأَول من سلفنا الصالح الذين سادوا العالم ودانت لهم البشرية ... جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أَحسنه والعاقبة للمتقين .

بعض الأسباب المانعة من قبول الحق

بعد انقضاءِ القرون الثلاثة المفضلة ، ومرور الزمن على عهود الإسلام الأُولى ، التي هي خير القرون وأَفضل الأَزمنة ، وبعد أَن أَصبح الإسلام غريباً في عصوره الأَخيرة ؛ حيث انتكست أُمة الإسلام لتنكُّبها هدي رسالة الإسلام وسنة رسول الأَنام محمد ﷺ ، الذي بعثه الله تعالى لعالم الثقلين من الإنس والجان ، فكان رحمة للبشرية وحرباً على الشرك والأَوثان .

ولا ريب فإن الصراع قد احتدم بين أَنصار الحق ودعاة الباطل ، كما استمرت المعركة قوية بين جحافل الشرك وأَولياءِ الشيطان من جهة ، وبين أَنصار التوحيد وأَولياءِ الرحمن من جهة أُخرى ، تلك مشيئة الله ليكون للحق أَهل وأَنصار ، وللباطل أَهل وأَعوان . ولكن العاقبة الحميدة للحق وأَصحابه ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

إن الناس في هذا الزمان معرضون عن الحق واتباع سبيل الهدى ، رغم النهضة المضطردة ، وانتشار وسائل المعرفة حيث المؤسسات التعليمية وعلى كافة المستويات والمراحل ، ووسائل الإعلام المختلفة ، التي راجت وتيسرت للعامة والخاصة ، والتي لم يكن لها مثيل في العصور الماضية ، ومع هذا فلا زالت النفوس معرضة

عن الخير ، غير سالكة سبل الحق ، بل تحكمت فيها الأهواءُ رغم وضوح دلائل الحق وضوح الشمس في رابعة النهار . وكذلك التهافت على التقليد الأعمى واتباع منهج الآباءِ ، بدون علم ولا تبصر وعدم الالتفات لما أبطلته الشريعة ، بل الانسياق وراءَ ما تلقيه الشياطين وما تزينه الشهوات ، جرياً وراءَ التعصب الممقوت بدون حجة ولا برهان .

هذا هو ديدن الغلاة والمنحرفين ، وأصحاب الضلال المارقين . تلك عاداتهم وذلك مسارهم الأعوج ، بدون نظر لدليل أو اتباع لأهل الحق ، بل إنهم أتباع لسنن الجاهلية ، ومن الذين تنكبوا سبيل الهدى ودعوة خير البرية ، وهذه مكيدة عظيمة للدعاة المنحرفين والغلاة المبتدعين من شركيين ، كدعاة القبور والصالحين وغيرهم الذين يتوسل بهم الجهلة من الناس ، لدفع ضر أو جلب نفع ، وهذه العبادة هي من حق الله وحده ، لا يجوز أن تصرف لغيره ، مهما علا كعبه ، سواءٌ كان نبياً مرسلاً أو ملكا مقرباً .

هذه أُمور تستحق عناية المسلم ، واهتمامه في هذا الزمان ، لغيبة الدين وغربة حملة الإسلام ، فسبحان الذي طمس على قلوب أعدائه ... وصفوة القول : فإن الأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة ، كمـا ذكر ذلك الحافظ ابن القيم في الهداية[1] . وأُجمل

١ ـ غاية الأماني في الردّ على النبهاني جـ ١ ص ١٦ ـ ١٧ بتصرف .

بعضاً منها فيما يلي : -

١ - الجهل بالحق . وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فإن من جهل شيئاً عاداه ، فإن انضاف إلى هذا السبب بُغض مَنْ أمره بالحق ، ومعاداته له وحده ، كان المانع من قبول الحق أقوى .

٢ - أُلْفَةُ الإنسان وعاداته وَمرْباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه ، وتوهُّمه أن الحق الذي دُعي إليه ، يحول بينه وبين جاهه وبين شهواته وأغراضه ، وبذلك يقوى المانع من قبول الحق .

٣ - الخوف من الأَصحاب والعشيرة والقوم ، على النفس والمال والجاه ، كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وكما نرى كثيراً ممَّن ينتسب إلى العلم من أهل المناصب والجرايات ، ينتسبون إلى الطرائق المبتدعة ، ويظهرون ما يروج من العقائد لدى حكومتهم ودولتهم ، ويتجنبون العقائد السلفية وإظهار السنن النبوية مع علمهم بأَحقية حقائقها ، ووقوفهم على دقائقها ، محافظة على الزخارف الدنيوية والسفاسف الدنية ، وأعرف من هؤلاء عدداً كثيراً : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)[1] .

---

١ - سورة البقرة : ١٦ .

فإذا كان الأَمر على ما ذكر، ازداد المانع من قبول الحق قوة. فإن هرقل عرف الحق وهمَّ بالدخول في الإسلام، فلم يطاوعه قومه، وخافهم على نفسه، واختار الكفر على الإسلام، بعد ما تبين له الهدى. وقصته مشهورة.

٤ ـ الحسد: وهو من أَعظم هذه الأَسباب، فإنه داءٌ كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأُوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أَن ينقاد له ويكون من أَتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟ فإنه لما رآه قد فضّل عليه، ورفع فوقه، غُصَّ بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أَن كان مع الملائكة.

وهذا الداءُ هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى بن مريم عليه السلام، وقد علموا علماً لا شك فيه أَنه رسول الله، جاءَ بالبينات والهدى. فحملهم الحسد على أَن اختاروا الكفر على الإيمان وأَطبقوا عليه، وهم أُمة فيهم الأَحبار والعلماءُ والزهاد والقضاة والملوك والأُمراءُ. هذا وقد جاءَ المسيح بحكم التوراة ولم يأْت بشريعة تخالفها، ولم يقاتلهم، وإنما أَتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً، وجاءَ مكملاً لشريعة التوراة، ومع هذا اختاروا كلهم الكفر على الإيمان.. فكيف يكون حالهم مع نبي

جاء بشريعة مستقلة ؟ ناسخة لجميع الشرائع . مبكتاً لهم بقبائحهم ومنادياً على فضائحهم ، ومخرجاً لهم من ديارهم ، وقد قاتلوه وحاربوه ، وهو في ذلك كله ينصر عليهم ، ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه ، وهم معه دائماً في شقاق ! . فكيف لا يملك الحسد قلوبهم ؟ وأين تقع حالهم معه ، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى ؟ . وهذا السبب وحده كاف في رد الحق فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم ؟ ! .

والمقصود أن لعدم قبول الحقّ والإذعان له أسباباً كثيرة ، كلها موجودة في الغلاة ، والغالب منها قسوة قلوبهم[1] كما أخبر الله تعالى عن اليهود بقوله : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[2] .

هذه بعض الأسباب المانعة من قبول الحق والخضوع لسلطان الشرع والالتزام بهدي الإسلام ، الذي هو العروة الوثقى وحبل الله المتين ، أما قساة القلوب وذوو البصائر المظلمة ، والنفوس الفاسدة والمدارك المنحطة ، الذين أصبحوا عبيداً للأهواء والشهوات ، فليس

١ ــ غاية الأماني : ج ١ ص ١٦ وما بعدها باختصار .

٢ ــ سورة البقرة : ٧٤ .

لهم في حياتهم إلا إرضاءُ نزواتهم واتباع غرائزهم ومتعهم وأنانيتهم مثلهم في هذا ، مثل الحيوان الأَعجم ، (بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) ولا علاج ولا خلاص لهؤلاءِ الضالين الحيارى ، ولا شيءَ يمسح عن نفوسهم صدأَها ، ويغسلها من أَدرانها ويعيدها إلى نقائها وصفائها ، أَفضل من الالتزام بشرع الله والخضوع والتسليم والعبودية لله الواحد القهار ، بحيث لا يكون هناك دينونة لسلطان سواه ، وبهذا تنال البشرية الكرامة والعزة التي وهبها الله ، وتصبح خليقة بالفوز بالدارين .

تفسير حديث : « مَثَلُ مَا بَعثَنِي اللهُ بِهِ »

جاءَ في [باب فضل من عَلِم وعَلَّم] من كتاب : صحيح الإمام البخاري : حدثنا محمد بن العلاءِ قال : حدثنا حماد بن أُسامة عن بريد بن عبد الله عن أَبي بردة عن أَبي موسى عن النبي ، ﷺ ، قال : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً

فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ».

قال شارحه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني [1] ، بعد كلام له ، ناقلاً عن الإمام القرطبي وغيره : ضرب النبي ، ﷺ ، مثلاً لما جاءَ به من الدين كالغيث العام الذي يأْتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أَن الغيث يحيي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأَرض المختلفة التي ينزل بها الغيث - فمنهم - العالم العامل المسلم ، فهو بمنزلة الأَرض الطيبة ، شربت فانتفعت في نفسها وأَنبتت فنفعت غيرها - ومنهم - الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أَنه لم يعمل بنوافله ، ولم يتفقه فيما جمع ، لكنه أَداه لغيره ، فهو بمنزلة الأَرض التي يستقر فيها الماءُ ، فينتفع الناس به . وهو المشار إليه بقوله : « نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا » .

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأَرض السبخة أَو الملساءِ التي لا تقبل الماءَ أَو تفسده على غيرها . وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأُوليين المحمودتين

---

١ - غاية الأماني في الرد على النبهاني : ج ١ ص ١٧ - ١٩ .

لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم .

قال : ثم ظهر لي أن في كل مثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه والثاني : الأول منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم ، أو سمعه فلم يعمل بـه ولم يعلمه . ومثالها من الأرض السباخ ، وأشير إليها بقوله ﷺ: « مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ رَأْساً » .. أي أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع . والثاني منه من لم يدخل في الدين أصلا بل بلغه فكفر به . ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماءُ فلا تنتفع به ، وأشير إليها بقوله ﷺ: « وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ » .

وقال الطيبي : بقي من أقسام الناس قسمان : أحدهما الذي انتفع بالعلم ولم يعلّمه غيره ، والثاني من لم ينتفع به في نفسه وعلّمه غيره . قلت : والأول داخل في الأول ، لأن النفع حصل في الجملة ، وإن تفاوتت مراتبه . وكذلك ما تنبت الأرض فمنه ما ينتفع الناس به ومنه ما يصير هشيما .

وأما الثاني : فإن كان عمل الفرائض وأهمل النوافل ، فقد دخل في الثاني كما قررناه ، وإن ترك الفرائض أيضاً فهو فاسق لا يجوز الأخذ عنه ، ولعله يدخل في عموم : « مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ

رَأْساً » . والله أَعلم . انتهى كلام الإمام العسقلاني .

والمقصود أَن الحديث الشريف قد دل على أَن بعض القلوب كالأَرض النقية التي قبلت الماءَ ، فأَنبتت الكلأَ والعشب الكثير كقلوب الصحابة الأَبرار ، رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإِحسان إلى يوم الدين .

وبعضها كالأَجادب التي أَمسكت الماءَ فشربوا منها وسقوا وزرعوا ويؤيده قوله ، ﷺ: « رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ » . وبعضها كالقيعان التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، كقلوب كثير من الغلاة وأَهل البدع والضلالات ، فإِنها لا يؤثر فيها الهدى والعلم . كما أَن الأَرض السبخة لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً .

أولو العــزم من الرســل

إن المتتبع لتاريخ الأَديان ، والمتفحص لسير رسل الله وجهادهم المتواصل في حياتهم ، من لدن آدم ، عليه السلام ، حتى مبعث خاتم الأَنبياءِ ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، يجد أَنه منذ درج الإِنسان على هذا الكوكب وهو في كفاح دائب في سبيل الحياة الحرة الكريمة ، وعليه مهمات غاية في الأَهمية ، حيث يعلم أَنه مستخلف في هذه الأَرض ، ولم يخلق عبثاً ، وأَن له إِلٰها قادراً أَنشأَه واستخلفه ليكون خليفة في الأَرض ، كما جعل له أَجلا

معلوماً ، ثم ينقله سبحانه إلى دار أُخرى لينال حسابه كاملا غير منقوص . والذين حملوا هـذه الدعوة إلى أَسماع البشر ، هم صفوة مختارة من خلق الله تعالى ، اصطفاهم رب العالمين ليكونوا عباده المرسلين في الأَجيال المتتابعة على مدار العصور وتعاقب السنين .

وبإرسال الرسل قامت حجة الله على العباد ، ولم يعد لأَحد عذر في تنكب الطريق ، والتردي إلى الهلاك . فلقد نادى الرسـل بالحق ودعوا إلى صراط الله ، وصبروا على الأَذى والتكذيب ، ولاقوا الأَهوال في سبيل هداية البشر وإبلاغهم وحي الله .

والمسلم يعلم أَن تاريخ الأَنبياء تاريخ فـريد . وأَن أَقدارهم فوق كل بطولة وعَبقرية . فمن فجر التاريخ ورسالات الأَنبياء تكافح الجحود والكفران ، وتصارع الشرك والطغيان ، وتحاول أَن تثبت دعائم الطمأْنينة وأَسباب السلام .

وقد كانت سنة الله تقضي دائما بأَن يكون النصر للأَنبياء ودعوات الرسل ورسالاتهم المقدسة ، مهما بلغت قوة الجاحدين ومهما طالت حرب المبطلين . وصدق رب العالمين : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)[١] .

وها هو التاريخ الطويل شهيد على صدق الوعد الإلـهي ، وتحققه

١ — سورة غافر : ٥١ .

في كل العصور مما يجعله حقيقةً لا تتبدل ، وسنة لا تختلف ، فقد فشل الطغاة المكذبون في أن يطفئوا نور الله ، وعجزوا عن صد الناس عن صراطه المستقيم ، وذهبوا عن الدنيا أَذلاءَ موتورين ليعيشوا في الآخرة أَشقياءَ ملعونين : (وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] .

وهكذا فالمرسلون أُسرة واحدة ، تربطهم قرابة العقيدة وصلة الإيمان ، وكلهم دعا إلى عبادة الله وتوحيده . والله تعالى يقول : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[2] . فهي أُمة واحدة تدين بعقيدة واحدة كما تنهج نهجاً واحداً ، هو الاتجاه إلى الله وحده دون سواه . إنها أُمة واحدة في الأَرض حقاً ، وربٌّ واحد صمد في السماءِ . هذه الأُمة الواحدة مفطورة وفق سنة واحدة مشاهدة بالإِرادة الواحدة طبق منهج ثابت (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)[3] .

إن أَنبياءَ الله ورسله ، عليهم الصلاة والسلام ، كان أَول دعوتهم وأَكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة هو تصحيح العقيدة في الله ، وتصحيح الصلة بين العبد وربه ، والدعوة إلى إخلاص الدين وإفراد العبادة لله وحده رب العالمين . فهو سبحانه

---

١ — سورة هـود : ٦٠ .

٢ — سورة الأنبياء : ٩٢ .

٣ — سورة الأنبياء : ٢٥ .

النافع الضار المستحق للعبادة والدعاءِ والالتجاءِ والنسك وكافة أَنواع العبادة . وكانت حملتهم موجهة ومركزة إلى الوثنية الممثلة في عبادة الأَصنام والأَوثان ، والصالحين المقدسين من الأَحياءِ والأَموات والذين كان يعتقد فيهم أَن الله قد خلع عليهم لباس الشرف والتأَلُّه ولهم تصرف في بعض الأُمور ، وقبول شفاعتهم على الإطلاق . . . وهكذا نرى أَن سائر دعوة الأَنبياءِ هدفها القضاءُ على الوثنية والإنكار عليها ومحاربتها ، وإنقاذ الناس من براثنها ، ذلك هو مقصدها وأَساس بعثة الأَنبياءِ[1] .

إن الأَنبياءَ والمرسلين ، الذين أَرسلهم الله تعالى هدى ورحمة للعالمين ، من أَول الدهر إلى أَن بعث بخاتم الرسل ، ﷺ ، كثيرون لم يحصهم عدد ضابط على التحقيق ، لكن المذكور منهم في القرآن المجيد بصريح اسمه خمسة وعشرون كما هو معروف . وفي الصفحات التالية سأُقصر حديثي الموجز عن دور أُولي العزم من الرسل ، عليهم وعلى نبينا أَفضل الصلاة وأَتم التسليم . ذلك الدور الخالد والجهاد المتصل في الصراع مع دعاة الشرك ، حيث هزيمة المشركين وإقامة صرح دعوة الموحدين على أَيدي رسل الله رب العالمين .

لقد أَخذ الله العهد والميثاق على الأَنبياءِ الكرام في إقامة دينه

---

١ – انظر – شخصية المسلم – د . مصطفى عبد الواحد .

عز وجل ، وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر ، كما قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)[1] .

وكذلك فقد أخبرنا القرآن الكريم ، كما ورد في قول الحق تبارك وتعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)[2] .

لقد صرح ، سبحانه وتعالى ، بذكر أسماءِ أُولي العزم من الرسل ، كما ورد في الآية السابقة . وعددهم خمسة[3] : نوح – إبراهيم – موسى – عيسى – محمد ، عليهم الصلاة والسلام ، وهم أفضل الأَنبياءِ . وأَفضل الخمسة خاتمهم محمد ، عليه وعليهم الصلاة والسلام . فأُولو العزم من الرسل هم أَصحاب الشرائع والرسالات ، وهم الذين عمت شرائعهم كل البشر ، وبلَّغوا رسالات

١ – سورة آل عمران : ٨١ . ٢ – سورة الشورى : ١٣ .

٣ – ورد في عددهم عدة أقوال أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، صلوات الله عليهم وسلامه . قال : وهم المذكورون في سورة الشورى : ١٣ . عن شرح الطحاوية ص ٣٤٩ .

ربهم ونصحوا الأُمم ، وأَفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي ، الذي لا لبس فيه ولا شك ولا افتراءَ ، وإِن كذَّبهم من كذبهم من الجهلة المعاندين وأَهل الضلال والمارقين . فما جاءَت به الرسل هو الحق ، ومن خالفهم فهو على الضلال والشرك ، كما يقول أَهل الجنة : (لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)[1] .

سأَمّر بك سريعاً أَيها القاريُ الكريم على أَدوار أُولي العزم من الرسل ، وما أَبلوه ، عليهم صلاة الله وسلامه ، في هذا السبيل وما صادفهم فيه من عقبات ، وما واجهوه من طغيان أَهل الشرك وتكذيبهم ، حتى جاءَهم نصر الله الذي كتبه لهم كما قال تعالى : (كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) . المجادلة : ٢١ وسأَبدأُ الحديث عن نبي الله نوح ، عليه السلام ، جد الأَنبياءِ .

إِن جولات الرسل المتعاقبة ، ودعواتهم المضيئة ، هي التي أَنارت السبل وعبّدت المسالك على مر العصور ، فسعد العالم بإِنقاذ البشرية من أَوحال الشرك والوثنية ، حيث تم النصر لهم ، وعلت كلمة التوحيد التي أَرادها الله مناراً للعالمين .

---

١ ـ الأعراف : ٤٣ . . راجع تفسير ابن كثير جـ ٣ .

دعوة جد الانبياء نوح ، عليه السلام

امتدت المعركة بين الخير والشر والتوحيد والشرك زمناً طويلا ولازالت تتكرر ، ولن تتوقف حتى يرث الله الأَرض ومن عليها ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً . . . وفي قصة نوح ، عليه السلام ، مع قومه نجد وصفاً دقيقاً وتجربة مريرة من تجارب الدعوة في الأَرض ، تلك التجربة التي تمثل دورة من دورات العلاج الدائم المتكرر للبشرية ، وشوطاً من أَشواط المعركة الخالدة بين الهدى والضلال والحق والباطل . . . هذه التجربة تكشف عن صور البشرية العنيدة الضالة التائهة في بيداءِ الجهالة ، وراءَ القيادات المضللة المستكبرة عن الحق ، المعرضة عن دلائل الهدى وموحيات الإِيمان المعروضة أَمامها في الأَنفس والآفاق ، المرقومة في كتاب الكون المفتوح ، وكتاب النفس المكنون . . . وبالتالي فإِن هذه التجربة تكشف عن صورة من صور الرحمة الإِلٰهية ، تتجلى في رعاية الله لهذا الكائن الإِنساني ، وتتجلى هذه العناية في إِرسال الرسل تترى إِلى هذه البشرية العنيدة الضالة ، الذاهبة وراءَ القيادات المصطنعة المعرضة عن الحق والهدى . فكانت إِرادته سبحانه بإِرسال جد الأَنبياءِ نوح ، عليه السلام ، منذ فجر التاريخ ، لتغيير مسار البشرية الضالة آنذاك إِلى المسار السوي الذي ارتضاه الله لخلقه ، إِلى

المنهج القويم القديم .

ومن خلال عرض هذه الحلقة ، من حلقات الدعوة الإلٰهية على البشرية ، تتجلى حقيقة وحدة العقيدة ، وثبات أُصولها ، كما يتجلى ارتباطها بالكون وبإرادة الله وقدره ، وأَحداث الحياة الواقعة وفق قدر الله ، وذلك من خـلال دعوة نوح ، عليه السلام ، لقومه : (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى . إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[1] .

وستعرض البشرية عن دعوة الرسل كما أَعرضت عن أُولي العزم منهم . نوح – ابراهيم – موسى – عيسى – محمد ، أَنبياءِ الله الكرام . وستذهب مع القيادات الضالة المعنة في الضلال وستعذب الدعاة إلى الحق أَنواعاً مختلفة من العذاب ، وتنكّل بهم أَلواناً شتَّى من النكال ، كما أَلقت ابراهيم بالنار ، ونشَّرت غيره بالمنشار ، واستهزأَت بالرسل والأَنبياءِ على مدار التاريخ .

١ – سورة نوح : ٢ – ٤ .

إمـــام الحنفـــاء ابراهيم ، عليه السلام

لا شك أَن دعوة الحق بحاجة إلى قوة تسندها ، والجهر بالحق من أَعظم الفضائل ، لأَنه لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق ، فما دام الدعاة إلى الله يجهرون بالحق ويدعون إليه وينشرون لواءه ، فسوف يتوارى الباطل وينكمش كما تتوارى الخفافيش في ضوءِ النهار .

وهــكذا لا تنهض الأُمم ولا ترقى إلا إذا وجد فيها الدعاة الذين ينادون بالحق ويصرحون به ... وهذا الذي صنعه شيخ الأَنبياءِ ابراهيم ، عندما أَعلن في الوثنين دعوة التوحيد دون مبالاة ، وهو وحيد فريد لا يجد من ينصره أَو يشد أَزره ، حتى أَن والده وقف له بالمرصاد محارباً دعوته ، عاقاً بنوته[1] . ولكن ابراهيم يسير في طريقه لا يأْبه لشيءٍ ، ويعلن في الناس دعوته متحدياً كل من يتصدى له قائلاً : (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[2] .

إن موكب الإيمان والتوحيد ، منذ فجر التاريخ الإنساني ، موكب واحد موصول ، يقوده رسل الله الكرام ، داعين بحقيقة واحدة ، جاهرين بدعوة واحدة ، سائرين على منهج واحد ، كلهم يدعو لأُلوهية واحدة وربوبية واحدة ، وكلهم لا يدعو مع الله أَحداً ، ولا يتوكل

١ ـ العقائد الإسلامية . ٢ ـ سورة الأنعام : ٧٩ .

على أَحد غيره ، ولا يلجأُ إِلى ملجإٍ سواه .

إِن قصة أَبي الأَنبياءِ خليل الرحمن ابراهيم ، عليه السلام ، ذات الظلال الوارفة المثمرة خير الثمرات ، والتي في مضمونها الكلمة الطيبة المتجددة في الأَجيال المتعاقبة ، التي تحتوي على الحقيقة الكبرى ، حقيقة الرسالة الواحدة التي لا تتبدل ، وحقيقة الدعوة الواحدة لا تتغير ، وحقيقة التوحيد لله الواحد القهار[1] .

إِن الاعتقاد في الله الواحد جاءَت به الرسالات منذ فجر التاريخ ولم تتغير هذه الحقيقة ، ولم تتبدل في رسالة واحدة من الرسالات ولا في دين واحد من الأَديان السماوية كما يقص علينا الحكيم الخبير.

ويبدو ظاهراً جلياً في دعوة ابراهيم تسليمه المطلق إِلى ربه ، والتجاؤه إِليه في أَخص مشاعر قلبه ، فهو يدعوه أَن يجنبه عبادة الأَصنام هو وبنيه ، كما في قوله تعالى : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) . سورة ابراهيم : ٣٥ .

يستعين الله بهذا الدعاءِ ويستهديه ، ثم ليبرز أَن هذه نعمة أُخرى من نعم الله ، وإِنها لنعمة أَن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إِلى نور الإِيمان بالله وتوحيده ، فيخرج من التيه والحيرة والضلال والشرور إِلى المعرفة والطمأْنينة والاستقرار والهدوءِ

١ — في ظلال القرآن .

ويخرج من الدينونة المذلة لشتى الأَرباب ، إلى الدينونة الكريمة العزيزة لرب العباد ... إنها لنعمة يدعو ابراهيم ربه ليحفظها عليه فيجنبه هو وبنيه أَن يعبد الأَصنام .

يدعو ابراهيم دعوته هذه لما شهده وعلمه من كثرة من ضلوا بهذه الأَصنام من الناس في جيله وفي الأَجيال التي قبله ، ومن فتنتها بها ومن افتتنوا ، وهم خلق كثير ... في قوله تعالى : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ) . سورة ابراهيم : ٣٦ . ثم يتابع الدعاء ... فأَما من تبع طريقي ونهج منهاجي القويم فلم يفتتن بها فهو مني ينتسب إلي ويلتقي معي في الآصرة الكبرى ، آصرة العقيدة ، وأَما من عصاني فإني أُفوض أَمره إليك .

ويمضي ابراهيم ، عليه السلام ، في دعائه وتوسله إلى ربه؛ يذكر إسكانه لبعض أَبنائه بهذا الوادي المجدب المقفر المجاور لبيت الله الحرام ، ويذكر الوظيفة التي أَسكنهم في هذا القفر الجدب ليقوموا بها : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ) . سورة ابراهيم : ٣٧ .

فهذا هو الذي من أَجله أَسكنهم هناك ، وهذا هو الذي من أَجله يحتملون الجدب والحرمان[1] . إنه الإخلاص لله والإنابة إليه وتنزيهه وعبادة الله الواحد القهار .

---

١ ــ في ظلال القرآن : بتصرف .

« مواقف فريدة »

يعتبر ابراهيم ، عليه السلام ، ابتداءَ عهد جديد للتوحيد الخالص ، دعا إليه في قوة وحرارة بالغتين ، وجاهد قومه وأباه بالعداوة ، وقال لهم في صراحة وجرأة : (إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ)[1] .

وقال لهم كذلك : (أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) . سورة الشعراء : ٧٥ – ٨٢ .

ولما حاجَّه قومه في الله عز وجل ، وخوفوه عاقبة كفره بآلهتهم وشتمه لها ، قال لهم موبخاً مسفهاً : (أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا ابْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ

---

١ – سورة الممتحنة : ٤ .

دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) . سورة الأنعام : ٨٠–٨٣

ولم يكتف ابراهيم ، عليه السلام ، بهذه الدعوة القولية إلى التوحيد ، وحربه للشركية ومهازل الوثنية ، بل بلغت به الجرأة وبيع النفس لله عز وجل حتى كاد لهذه المعبودات من الأصنام فاغتنم فرصة خروج القوم إلى عيد لهم ، فتوجه إلى تلك الأصنام – الآلهة – المصطنعة والمعبودة من دون الله ، وقال لها مستهزئاً : (أَلاَ تَأْكُلُونَ ، مَالَكُمْ لاَ تَنْطِقُونَ ، فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ)[1] . (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)[2] . فلما رجع القوم إلى مدينتهم ووجدوا أَصنامهم على هذا النحو من التفتت والهوان : (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)[3] : وهكذا انحصرت التهمة في ابراهيم[4] (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلاءِ يَنْطِقُونَ ، قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، قَالُوا حَرِّقُوهُ

١ – سورة الصافات : ٩١–٩٣ .
٢ – سورة الأنبياء : ٥٨ .
٣ – سورة الأنبياء : ٥٩ – ٦٠ .
٤ – دعوة التوحيد : ص ١٤٥ – ١٤٧ .

وانْصُرُوا آلِهَتَكم إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) . سورة الأنبياء : ٦١ ـ ٧٠ .

وهكذا ضرب ابراهيم ، عليه السلام ، المثل في التضحية والإخلاص والتفاني في الدعوة إلى الله ، واحتمال كل ما يلقى في سبيلها ، ولو كان التحريق بالنار ، واستحق بذلك ما أثنى الله به عليه في كتابه من قوله ، عز وجل : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ ، اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1] . وقوله تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) . البقرة : ١٣٠ ـ ١٣٢ .

وهكذا يحفل القرآن الكريم بذكر أبي الأنبياء ابراهيم ، عليه السلام ، ويجعله في مكان القدوة والإمامة في الدعوة إلى التوحيد

١ ـ سورة النحل : ١٢٠ ـ ١٢٣ .

والثبات عليه والمعاداة فيه ، ويجعله أُمة واحدة في خصال الخير كلها [١]

إن أَهمية الدور الذي قام به ابراهيم ، عليه السلام ، في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة بذور الشرك وفساده ، لم تكن قاصرة على ما بذله في حياته من جهد استحق به لقب الخلة للرحمن ، وتبوأَ منصب الإِمامة في الدين ، بل إن أَهميته لتظهر أَكثر في امتداد دعوته في الأَجيال من بعده ، كما قال تعالى :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[٢] . وكما قال سبحانه : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [٣]) . فجميع الأَنبياءِ بعد ابراهيم ، عليهم السلام ، كلهم من ذريته ولهذا لقب بأَبي الأَنبياءِ ... ومن يوم أَن غرس ابراهيم شجرة التوحيد وهي مورقة يانعة الثمار بفضل من تعهدها بعده بالسقي والإِنماءِ من الرسل والأَنبياءِ ، عليهم الصلاة والسلام . نعم كانت تذبل أَحيانا ويجف ورقها بسبب تفريط الأَبناءِ وغفلتهم عن عهود الآباءِ ، ولكنها على كل حال تغالب عوامل الموت والفناءِ ولقد جاءَ عليها بعد عيسى ، عليه السلام ، آخر أَنبياءِ بني اسرائيل

١ ـ دعوة التوحيد . ٢ ـ سورة الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨ .
٣ ـ سورة العنكبوت : ٢٧ .

وقت من الزمان ، كادت تذهب فيه وينمحي أثرها لولا أن تداركتها عناية الله بالرسالة الجامعة الخاتمة ، التي جاءَ بها سيد الخلق وخاتم النبيين ، محمد بن عبد الله ، النبي القرشي ، الأُمي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه . فبعث فيها الحياة قوية فتية ، وجدد من شبابها حتى استغلظت واستوت على سوقها ، وصارت وارفة الظلال ممتدة الأَفياءِ ، أَصلها ثابت وفرعها في السماءِ[1] .

١ - دعوة التوحيد : ص ١٤٧ .

إمـــام الحنفـــاء يتحـــدى

إن المتأمل في حياة الخليل ، عليه السلام ، في الدعوة إلى التوحيد ، ومواقفه الصارمة في مواجهة بني قومه المشركين ، وحربه الشديدة لكل انحراف وطغيان وعبودية لغير الله ، وما بذله من تضحيات جسام ، يجد حياته كلها سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد والثورة على عقائد قومه ومعبوداتهم ، كما يجد له مواقف في غاية الروعة في الجهر بدعوة الحق ، وإفحام المعاندين لها بالحجج القوية والعبارات الشديدة . فمن ذلك ما حكاه الله ، عز وجل في سورة البقرة من محاجته لنمروذ الطاغية ملك الكنعانيين ، حين سأله عن ربه الذي يعبده ويدعو إلى عبادته . قال إبراهيم : (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)[١] . فقال له الملك في حمقه وعتوه : (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)[٢] . فيقال إنه دعا برجلين وأمر بقتلهما ، ثم عفا عن أحدهما وقتل الآخر ، فلم يشغل إبراهيم نفسه بالكشف عن مغالطة الملك الجاهل وتلبيسه ، ولكنه انتقل من توه إلى حجة أُخرى ، لا يستطيع لها دفعاً ولا يملك معها إلا التسليم والإذعان ، فقال له إبراهيم : (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٣] .

ومن ذلك أيضا ما حكاه الله ، عز وجل ، في سورة مريم ، من

---

١ ، ٢ ، ٣ ــ سورة البقرة : ٢٥٨ .

نصيحته لأَبيه آزر ، تلك النصحية التي تفيض إخلاصاً وشفقة فهو يقول له فيها : (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ، يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَصِيّاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنَ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً)[1] .

ولما قال له أَبوه في شدة وغلظة وحدّة : (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً) . لم يكن منه ، عليه السلام ، إلا أَن قال له في لطف وأَدب : (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ، وأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَنْ لاَ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً)[2] .
ومن ذلك قوله لقومه ما حكاه الله في سورة الشعراءِ : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) : ٧٥ ـ ٨٢ .

فذكر في هذه الآيات ما يوجب عبادته لله وحده ؛ من كونه

١ ـ سورة مريم : ٤٢ ـ ٤٥ .   ٢ ـ سورة مريم : ٤٦ ـ ٤٨ .

هو الذي خلقه وهداه وأَطعمه وسقاه ، وإذا مرض شفاه .. وأَما موقف سيدنا إبراهيم ، عليــه السلام ، وبناؤه للبيت الحرام[1] ليكون مثابة لأَهل التوحيد ، حيث أَمره سبحانه وتعالى ببناءِ البيت وبوَّأَ له مكانه وحدد معالمه في ذلك المكان الطاهر ، حيث يقول عز وجل : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)[2] .

وكذلك ما رآه في منامه من أَمر الله سبحانه له بذبح ولده اسماعيل ، ورؤيا الأَنبياءِ حق ، حيث قام من فوره يقص على ابنه رؤياه ويقول له : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) . فما كان من الولد إلا التسليم والإِذعان لأَمر الله ، والحث لأَبيه على ما أُمر به ، فقال له : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) . سورة الصافات : ١٠٢ ـ ١٠٦ .

إن قصة الذبح تدل على سموّ التوحيد ، لما تحمل من معاني التضحية والإِخلاص ، وإيثاره الله سبحانه على كل محبوب ، فهذا والد قد تقدمت به السن ، وقد أَدركته الشيخوخة ، يؤمر بذبح ولده

١ ــ دعوة التوحيد : ٥٩ ــ ١٦٢ بتصرف . ٢ ــ سورة الحج : ٢٦ .

ووحيده بعد ما كبر وبلغ معه السعي ، فلا يتباطأُ ولا يتريث بل ينهض من فوره لتنفيذ أَمر ربه ، فيعرض الأَمر على ولده كأَنه يستشيره ، فلا يكون من الولد إلا أَن يبدي من الثبات ومن الصبر ما يثير الإِعجاب ... ويبلغ البلاءُ بهما أَقصى غاياته حين يصرع إبراهيم ولده ، ويضع السكين على رقبته ، فلا يلبث أَن يأْتيه النداءُ الإِلٰهي بالفـــداءِ ، فيا لـها من لحظة لا تصبر لـها إلا قلوب الصدّيقين والمخلصين من أَمثال الخليل وولده اسماعيل ، ويا له من موقف من مواقف التوحيد الرائعة ، التي كان الخليل إماماً فيها والتي استحق بها ما أَعطـاه الله من كرامة في هذه الدار ، حيث جعل الأَنبياءَ جميعاً من ذريته ، وجعل له لسان صدق في الآخرين ، فوق ما أَعــد له في الآخرة من جزاءٍ يناسب ما أَبلى في سبيل التوحيد وما قام به من جليل الأَعمـــال (١).

وبعد أَن رفع إبراهيم قواعد البيت بمساعدة ولده اسماعيل ، توجها إلى الله ، عز وجل ، بهذا الدعاءِ : (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ

١ ــ استفدنا معلومات كثيرة من كتاب دعوة التوحيد . ذلك الكتاب القيم الذي أنصح باقتنائه لما يحتوي من كنوز العلم والمعرفة التي ينفرد بها ، جزى الله صاحب هذا الكتاب عنا وعن المسلمين خير الجزاء وجعل الجنة مأواه .

فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١). وقد استجاب الله دعاءَ خليله فبعث في ولد اسماعيل أكرم رسله محمداً ، ﷺ ، على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، داعياً إلى الحنيفية السمحة والتوحيد الخالص ، ووعده أن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

يمدح الله سبحانه عبده وخليله إبراهيم ، والد الأنبياء ، ويبرئه من المشركين والكتابيين حيث يقول سبحانه : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

كما أخبر سبحانه وتعالى محمداً ، عبده ورسوله ، عن خليله إبراهيم ، عليه السلام ، في قوله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) . سورة الشعراء : ٦٩ ـ ٧٣ .

هذا إخبار سماوي وأمر إلٰهي يأمر فيه سبحانه وتعالى رسوله محمداً ، ﷺ ، أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له ، والتبري من الشرك وأهله ، فإن الله

---

١ ـ سورة البقرة : ١٢٧ ـ ١٢٩ .

آتى إبراهيم رشده من قبل – أي من صغره إلى كبره – فإنه من وقت نشأ وشبّ أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله ، عز وجل : (قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذا تَعْبُدُونَ ؟) أي : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ وكان جوابهم : إننا مقيمون على عبادتها ودعائها مع اعترافهم بأنها – الأصنام – لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فهم على آثارهم يهرعون ، فعند ذلك قال لهم سيدنا إبراهيم : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) . سورة الشعراء : ٧٥ – ٧٧ .

كليم الله موســى عليــه السلام

لقد جاءَ بعد أَبي الأَنبياءِ إبراهيم، عليه السلام، عدد من الأَنبياءِ والمرسلين ، وكان من بينهم نبي الله يعقوب ، والد نبي الله يوسف عليهما السلام .

إن يعقوب ، عليه الصلاة والسلام ، يمثل حلقة من حلقات التضحية في سبيل دعوة التوحيد ، وقطع دابر الشرك والوثنية ، كما كان أَباً ينتسب إليه بنو اسرائيل ، هذا الشعب الكبير الذي لعب دوراً كبيراً على مسرح الحياة ، وتقلبت عليه أَطوار عديدة تأَرجح فيها بين الوثنية والتوحيد ، وبعثت فيه كثرة كاثرة من الرسل والأَنبياءِ ، الذين كانوا حراساً أَمناءَ على عهد الله ، وعلى توجيه هذا الشعب العنيد المكابر ، لحمايته من الشطط والضلال والانحراف ومع الأَسف الشديد فلا زال الأَحفاد على غطرستهم رغم دعوات الرسل ورسالات السماءِ .

مصرع رأس الكفــر فرعــون

وما أَن ظهرت دعوة كليم الله موسى ، عليه السلام ، والتي بدأَت بمرحلة جديدة وخطيرة في حياة بني اسرائيل كما بدأَت حلقة من حلقات النضال في سبيل الدعوة إلى التوحيد ، بطلاها موسى

وهارون ، عليهما السلام ، وبعد أن يمنّ الله على موسى ، عليه السلام ويصطفيه لحمل رسالته ، ويحقق له سبحانه وتعالى أُمنيته ، يجعل أَخاه هارون وزيراً له يشد به أَزره ، ويشركه في أمره . ثم يرسلهما معاً إلى فرعون وقومه ، ويأْمرهما باللين والرفق في الدعوة ، فيقول لهما : (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ، فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ، إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ)[1] .

ولما قرعت هذه الدعوة الكريمة سمع الطاغية ، وأَسماع الملإ من حوله ، دارت منها رأْسه ، ورأَى فيها نذير الخطر على ملكه فابتدر موسى بقوله : (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) ؟ مبدياً تجاهله وإنكاره لأَن يكون هناك إِله غيره[2] فقال له موسى ، عليه السلام : (رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) . فيلتفت الطاغية العنيد ـ حين بهته الدليل وأَفحمته الحجة ـ إلى الملإ من حوله ويقول لهم : (أَلاَ تَسْتَمِعُونَ) ؟ فيبادرهم موسى ، عليه السلام ،

---

١ ـ سورة طـه : ٤٣ ـ ٤٨ .
٢ ـ دعوة التوحيد : ١٨٧ ـ ١٩٠ .

بقوله : (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) . ولما لم يستطع فرعون رداً على هذه الآيات البينات ،خرج من المناظرة إلى السب والمهاترة فقال هذيان : (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) . فقذف موسى ، عليه السلام ، بثالثة الايات : (رَبُّ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) .

وهنا يتملك الغضب فرعون الطاغية ، ويعزب عنه صوابه ويخرج إلى أُسلوب التهديد والوعيد قائلاً : (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) . وهنا لم يبق لدى موسى ، عليه السلام إلا أَن يلقي في وجهه بالآية الكبرى ، التي تلقمه الحجر ، فقال له : (أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) وكانت هذه هي الجولة الأُولى التي انتصر فيها الحق على الباطل وعلت كلمة التوحيد .

ولمــا وجد فرعون أَن الدهشة قد عقدت أَلسنة الحاضرين من مَلَئِه ، وامتلأَت قلوبهم إعجاباً وارتياعاً لتلك الآيات العظيمة ، أَراد أَن يهون من أَمرها وعظم شأْنها بدعوى أَنها من جنس السحر الذي يقوم به السحرة ، ولكنه لم يملك إلا أَن يصف موسى ببلوغ درجة المهارة والحذق في هذا الباب . فقال لهم : (إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) ؟ .

وكأنه كان يطمع أن يشير عليه قومه بقتل موسى وأخيه فيستريح منهما ويسلم له ملكه وسلطانه ، ولكنهم أشاروا عليه بأن يرجيء موسى وأخاه ، وأن يجمع السحرة من كل أنحاء مملكته لمنازلة موسى ومغالبته ، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ، ومعهم كل ما يقدرون عليه من ألوان السحر ، من حبال وعصي ، ووجدوا الفرصة سانحة لكي يُمْلوا شروطهم على فرعون ، فقالوا له : (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَنْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)[1] .

ولما جاء يوم الزينة ، وهو اليوم الذي واعدهم عليه موسى عليه السلام ، وحشر الناس ضحى ليروا ماذا يكون من أمر موسى مع السحرة ، ابتدأ موسى بالنصح لهؤلاء السحرة وقال لهم : (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ، فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا : إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ، فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى)[2] .

فألقى موسى عصاه فانقلبت حية عظيمة ، وابتلعت كل ما أفكه السحرة ، من غير أن ينتفخ بطنها أو يزيد حجمها ، فلما وجد

١ — سورة الشعراء : ٢٣ — ٤٢ .
٢ — سورة طـه : ٦١ — ٦٤ .

السحرة ذلك ، عرفوا أنه ليس من جنس ما عندهم من السحر فخرّوا سجداً وأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون ، فاستشاط فرعون غضباً ، وخشي أن يتبعهم الناس على إيمانهم فقال لهم مموهاً على قومه : (آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُمَ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ، وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)[1] .

وظن الخبيث أن القوم سيرجعون عن إيمانهم تحت هذا التهديد ولكن فأله قد خاب ، فإن كان قد خالطت بشاشته قلوبهم ، فأجابوه على تهديده في لهجة المؤمن الصابر ، المنتظر لما عند الله ، المؤمل في غفرانه ورحمته : (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)[2] .

ونفذ فرعون وعيده في هؤلاءِ الشهداءِ الأَبرار ، الذين احتملوا القتل والصلب في سبيل عقيدة التوحيد ، والإيمان بالله الواحد القهار .

ثم رجع إلى قومه يستخفهم بزخرف القول ويقول لهم :

١ ــ سورة طه : ٧١ .

٢ ــ سورة طه : ٧٢ ــ ٧٣ .

(يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ)[1] .

وكسب الحق في هذا الصراع الجولة الثانية ، وكسب أيضاً من أَهل مصر ما كان يمكن أَن يكونوا نواة للتوحيد بين أَهلها ، لولا أَن فرعون عاجلهم بهـذه العقوبة الجائرة ليحول دون التفاف الجماهير حولهم ، واقتدائهم بهم في الإيمان برب موسى وهارون . وبقي موسى وأَخوه بين قومهما ، بني اسرائيل ، في مصر ينتظران أَمر الله لهما بالهجرة والخلاص من عسف فرعون وطغيانه ، وأَوحى الله إليهما : (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[2] . وشكا بنو اسرائيل إلى موسى ما لقوه على يد فرعون وأَعوانه الجلادين من ذلة وهوان وذبح للأَبناء ، واستخدام للنساء ، فقال لهم : (اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ومِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[3] .

١ – سورة الزخرف : ٥١ – ٥٤ . ٢ – سورة يونس : ٨٧ .
٣ – سورة الأعراف : ١٢٨ – ١٢٩ .

وأما فرعون فقد عاد سيرته الأُولى مع بني اسرائيل ، من تقتيل الأَبناءِ واستحياءِ النساءِ وأَخذهم بـأَلوان العسف والجبروت ، وعاد كذلك يستأْذن الملأَ من قومه في قتل موسى ، عليه السلام ، ويقول لهم : (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)[1] . ولكن صوتاً إيمانياً حراً ينبعث من خلال هذه الصيحات الفاجرة المنكرة ، وهذه القوى الغاشمة الغادرة ، يهتف في قومه بموعظة تخلع القلوب ، ويصيح بهم منذراً لهم بسوءِ العاقبة إن هم أَصروا على كفرهم ومكرهم وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون المسمى [بحزقيل] الذي سجل القرآن موعظته البليغة في سورة غافر في قوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) إلى قوله (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) .

وفي هذه الفترة سلط الله على فرعون وقومه أَنواع البلاءِ لعلهم يرجعون . فأَخذهم بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون وأَرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات

---

١ – سورة غافـــر : ٢٦ .

مفصلات ، ولكنهم استكبروا وكانوا قوماً مجرمين . ولما وقع عليهم العذاب الشديد طلبوا من موسى أن يدعو ربه ليكشفه عنهم ووعدوه على ذلك أن يؤمنوا له ، ويرسلوا معه بني اسرائيل . فلما كشفه الله عنهم نكثوا العهد ، وظلوا على ولائهم لفرعون الذي استخفهم بمعسول القول ، وبذلك استوجبوا العقاب والهلاك ، الذي كان دائماً مصير الطغاة والظالمين ، واستحقوا دعاء موسى عليهم بقوله : (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1] .

ويصور القرآن الكريم حالة فرعون عند معاينته الغرق من مبادرته إلى إعلان الإيمان ظناً منه أن ذلك ينجيه مما حاق به من الهلاك ، فيقول : (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)[2] . وهكذا تم خلاص بني اسرائيل على يد موسى ، عليه السلام ، بعد أن قضوا في مصر

١ – سورة يونس : ٨٨ – ٨٩ .　　٢ – سورة يونس : ٩٠ – ٩٢ .

دهراً طويلاً كانوا فيه هدفاً لموجات قاسية من العسف والطغيان .

التوراة ودعوتها إلى التوحيد

إن أَول كتاب سماوي نزل متضمناً الشريعة كاملة البناء ، هو التوراة المقدسة ، وإن ما سبقها ونزل قبلها لم يعدُ أَن يكون صحفاً مشتملة على بعض الوصايا والمواعظ ، كصحف إبراهيم وما أُنزل على اسحق ويعقوب ، وقد ورد ذكر التوراة في القرآن في عدة مواضع وصفت بأَنها هدى ونور وضياءٌ وذكر ، وتمام على الذي أَحسن وتفصيل لكل شيءٍ .

وإن الله أَمر بني اسرائيل أَن يأْخذوا بأَحسنها ، وأَن يقيموا أَحكامها ، وأَن لا يشتروا بها ثمناً قليلاً ، وأَن لا يحرفوا كلمها عن مواضعه ... لقد جاءَت التوراة بتفاصيل العبادة التي لا تنبغي إلا لله ، ، وحذرت من الشرك ، وغوائل الوثنية ، فقد جاءَ في سفر الخروج : أَنا الرب إلٰهك الذي أَخرجك من أَرض مصر ، أَرض العبودية .

وجاءَ في سفر اللاويين : لا تلتفتوا إلى الأَوثان ، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأَنفسكم[1] . وكما نهوا عن عبادة الأَوثان ، نهوا عن عبادة النجوم وغيرها ، وكما أُمروا بالقسوة على الأُمم الوثنية أُمروا بمثل

١ — راجع دعوة التوحيد .

ذلك في حق من يشرك منهم ، فقد أمر موسى ، عليه السلام ، بني لاوي رهطه بقتل عبَدة العجل حين عبد العجل في غيبته . وجاءَ في سفر الخروج : من ذبح لآلهة غير الرب يهلك[1] .

عبــادة عجــل السامــري

قال تعالى في سورة الأعراف : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[2] .

وقال تعالى في سورة طه : (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) . إلىٰ قوله : (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي)[3] .

هذه الآيات الكريمة تصور تلك النكسة التي أصابت شعب اسرائيل بعودتهم إلى الشرك والوثنية التي ألفوها عند إقامتهم بمصر

---

١ — دعوة التوحيد .
٢ — سورة الأعراف : ١٤٨ ، ١٤٩ .
٣ — سورة طــه : ٨٣ — ٩٦ .

فبمجرد أن خرج موسى ، عليه السلام ، لميقات ربه ، وقد استخلف على قومه أخاه هارون ، عليه السلام ، وكان هارون رجلا لين الطبع حليماً ، فاغتنم القوم هذه الفرصة وأعطوا حليهم - التي كانوا قد استعاروها من المصريين - لموسى السامري ، فصاغ لهم منها عجلاً جسداً ، ويقال أنه ألقى عليه حفنة من التراب الذي سار عليه جبريل ، عليه السلام ، فصار عجلاً حياً له خوار ، ثم قال لهم : هذا إلٰهكم وإله موسى . فنسي ، فاستخف القوم فأطاعوه وعبدوا العجل ، فقام هارون ، عليه السلام ، ينصحهم ويحذرهم عاقبة شركهم ويقول لهم : (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ)[1] .

هكذا بلغ بهؤلاءِ القوم من الحمق والسفاهة ، فعبدوا العجل وقد صيغ أمامهم من الحلي التي كانت لديهم ، فلو كانت لديهم مسكة من عقل لما انحدروا إلى عبادته ، وهم يرون أنه لا يكلمهم ولا يرجع إليهم قوله ، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً . ولكن إلْفهم الوثنية في مصر أعماهم ، وملكة التقليد المتمكنة في نفوسهم زادتهم ضلالاً وانحرافاً[2] .

---

١ - سورة طـه : ٩٠ - ٩١ .

٢ - كتاب دعوة التوحيد .

يقول الشيخ العدوي رحمـه الله : فهذا نبي الله موسى يمضي الأيام في دعوة القوم إلى توحيد الله تعالى ، ويدأب على محاربة الشرك والوثنية أياما وليالي ، ثم يترك أخاه هارون ، عليه السلام فيطمع القوم في حلمه ولين جانبه ، فينتهز السامري تلك الفرصة ويضل القوم بعمل عجل من حلي الذهب والفضة على نحو خاص بحيث إذا مر الهواءُ منه صوَّت كصوت العجل ، واستغل سذاجة بني اسرائيل ، وجهلهم بحقيقة تلك الصنعة ، ويريهم أن ذلك هو الذي ينبغي أن يعبد ، فيعود نبي الله موسى ، فيحزن على إضاعة مجهوده بسبب ضعف قومه واستعدادهم لكل أنواع التحريف[1] .

حال التوحيد بعد موسى ، عليه السلام

لقد كانت شريعة التوراة متضمنة لكافة التكاليف التي يحتاجها البشر في ذلك الزمان ، وفيها الحضُّ على عبادة الله واتباع أوامره ، والتزام دعوة نبيه وكليمه موسى ، عليه السلام ، وفيها أمر الله لبني اسرائيل بعدم التراخي في القيام بما حَوت من نصوص وعدم التملص منها بأنواع التحريف والتأويل اتباعاً للهوى وتمشياً مع التقاليد .

ومع أن التوراة كانت بهذه المثابة من التمام والكفاية لهذا

١ ـ انظر دعوة التوحيد ص ١٩٨ .

الشعب ، فإن الله سبحانه أرسل فيهم بعد موسى ، عليه السلام رسلاً وأنبياءَ كثيرين لإحياءِ شريعة التوراة ، ومراقبة تنفيذ أحكامها والحكم بمقتضى نصوصها كما قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) . سورة المائدة : ٤٤ .

ولكن القوم رغم ذلك لم يوفوا بعهودهم ، وامتلأ تاريخهم بأنواع المخالفات التي ارتكبوها على مدار التاريخ . ولعل تاريخ اليهودية المعاصرة أكبر دليل على ذلك .

وقد أورد القرآن الكثير من تلك المخالفات . ولم يسلم التوحيد نفسه ، الذي هو أصل ديانتهم ، من التأثر بما وقع من أنواع الانحراف والتمرد في هذه الديانة الموسوية . ولعل أهم ما أصاب التوحيد من هذا الانحراف ، هو ما حكاه القرآن عن هؤلاءِ اليهود من قولهم : (عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ) . وكانت هذه الشبهة التي قادتهم إلى هذه الحماقة ما رواه السدِّي وغيره[1] من أن العمالقة لما غلبت على بني اسرائيل ، فقتلوا علماءَهم ، وسبوا كبارهم ، بقي العزير يبكي على بني اسرائيل وذهاب العلم منهم ، حتى سقطت جفون عينيه

---

١ — دعوة التوحيد .

فبينما هو ذات يوم إذ مر على جبانة ، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول : وامطعماه واكاسياه . فقال لها : ويحك ! من كان يطعمك ويكسيك قبل هذا ؟ قالت : الله . قال : فإن الله حي لا يموت . قالت : يا عزير فمن كان يعلّم العلماءَ قبل بني اسرائيل ؟ ! . قال : الله . قالت : فلم نبك عليهم ؟ ! . فعرفوا أنه شيءٌ قد وعظ به . ثم قيل له : اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصلِّ هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخاً ، فما أطعمك فكلْه . فذهب ففعل ما أُمر به . فإذا الشيخ ، فقال له : افتح فمك . ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات ، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة . فقال : يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة . فقالوا : يا عزير ما كنت كذاباً . فعمد فربط على إصبع من أصابعه قلماً وكتب التوراة بإصبعه كلها ، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماءُ وأُخبروا بشأْن عزير ، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أَودعوها الجبال وقابلوه بها ، فوجدوا ما جاءَ به صحيحاً ، فقال بعض جهلتهم : إنما صنع هذا لأَنه ابن اللـه[1] .

وكذلك نجد في التوراة الموجودة بين أَيدينا نزوعاً شديداً إلى التجسيم والتشبيه ، بما نعتقد أنه مما حرَّفه اليهود في كتابهم .

---

١ — رواه ابن كثير . راجع دعوة التوحيد .

يقول الأستاذ أمين الخولي ، في محاضراته : لكن هذه الوحدانية المتشددة المتجردة التي رأينا عنفها في المخالفين ، قريبين أو بعيدين ، ورأينا استئصالها لأسباب الشرك الظاهرة والخفية . . . هذه الوحدانية القوية قد ثبتت في التوراة بتجسيم واضح بارز لا يتفق مع روح التجريد ، التي حرمت التصوير والنحت ، بل حرمت اتخاذ السارية في المعبد . وتكرر هذا التجسيم في مواطن متعددة ، والقرآن نفسه يحكي عنهم مقالتهم في التشبيه ، ووصْفهم الرب ، جل وعلا ، بما لا يليق به من صفات النقص والسوء . كقولهم : (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) . وقولهم : (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) وقولهم : (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) .

ما ذكر عنهم في هذا الباب ، إنما يدل على طبعهم المادي ، الذي لم يهتد إلى الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق .

يقول الشهرستاني في كتابه الملل والنحل : وقد أجمعت اليهود عن آخرهم أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى[1]

١ ــ الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٠ . تخريج الأستاذ بدران .

هــل يهــود اليــوم كأســلافهم ؟

إن الشياطين هم الشياطين لم يتغيروا ، كما أن اليهود هم اليهود كذلك ولم يتغيروا ، هؤلاءِ الذين امتازوا بالتمويه والنفاق والإِجـرام والمالأَة ، حتى يحققوا أَغراضهم مهما كانت السبل والوسائل المستخدمة ، ولو كان ذلك على حساب القيم والتقاليد والأَخلاق . لأَنهم مجردين من هذه الصفات التي لا وجود لها في قاموسهم المليءِ بالمغالطات ، وكل ما تنفر منه الأَخلاق الإِنسانية .

لقد زعم اليهود – ولا يزالوا يزعمون حتى اليوم – أَنهم شعب الله المختار[1] ، وأَنهم هم أَوليــاؤه من دون الناس ، وأَن غيرهم [الجويم] أَو الأُممِيون أَو الأُميون ، وأَنهم من ثم غير مطالبين بمراعاة أَحكام دينهم مع غيرهم من الأُمميين (قَالُوا لَيْسَ علينْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) . إلى آخر هذه الدعاوى التي تفتري الكذب على اللــه بــلا دليــل .

ولقد وقف بنو اسرائيل في وجه الدين الجديد – الإِسلام – وقفة العداءِ والكيد والتضليل ، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق ، حرباً شعواءَ لم تضع أَوزارها حتى اليوم ... حاربوه بالاتهام : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)[2] . كما قال الذين لا يعرفون

١ – في ظلال القرآن ج ٨ .
٢ – سورة الصف : ٦ .

الكتب ولا يعرفون الشارة بالدين الجديد . وحاربوه بالدس والوقيعة داخل المعسكر الإسلامي ، للإيقاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة ، وبين الأوس والخزرج من الأنصار .

وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ، ومع المشركين تارة أخرى وحاربوه بالإشاعات الباطلة ، كما جرى في حديث الإفك على يد عبد الله بن أبي بن سلول ، ثم ما جرى في فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، على يد عدو الله عبد الله بن سبإ . وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسّوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم .

ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى هذه الساعة ، فقد دأبت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الكيد للإسلام . وظلّتا تغيران عليه ، أو تؤلّبان عليه في غير أناة ولا هدنة ، في أي جيل من الأجيال ، حاربوه في الحروب الصليبية في المشرق ، وحاربوه في الأندلس والمغرب ، وحاربوه في الوسط في دولة الخلافة الأخيرة حرباً شعواء حتى مزقوها ، وقسموا تركة ما كانوا يسمونه الرجل المريض ، واحتاجوا أن يخلقوا أبطالاً مزيفين في أرض الإسلام ، يعملون لهم في تنفيذ أحقادهم ودسائسهم ضد الإسلام .

فلما أرادوا تحطيم الخلافة الإسلامية ، والإجهاز على آخر

مظهر من مظاهر الحكم الإسلامي ، صنعوا في تركيا بطلاً[1] ؟ ! ! ونفخوا فيه . . . وتراجعت جيوش الحلفاءِ التي كانت تحتل الآستانة أَمامه ، لتحقق منه بطلاً في أَعين مواطنيه . . . بطلا يستطيع إلغاءَ الخلافة واللغة العربية ، وفصل تركيا عن المسلمين ، وإعلانها دولة علمانية مدنية لا علاقة لها بالدين ؟ ! !

وهم يكررون هذه البطولة المزيفة كلما أَرادوا أَن يضربوا الإسلام وحركاته الإسلامية في بلـد من بـلاد المسلمين ، ليقيموا مكانه دينـا وراية غير راية الدين[2] . وجرائمهم في فلسطين أَكبر دليل على ما نقول . والله يقول الحق : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .

---

١ – كتبت بحثاً مطولاً عن اليهودية والصهيونية في كتابي . الكشاف الفريد . الذي أؤمل أن يرى النور قريباً .

٢ – في ظلال القرآن ج ٨ .

روح الله عيسى ، عليه السلام

لقد تعاقبت بعثة الرسل والأَنبياءِ على بني اسرائيل ، ومرَّ على ذلك أَطوار مختلفة وعصور متباينة ، وكانت تمثل حلقات متتابعة من بعثة أُولئك الرسل والأَنبياءِ المصطفين ، الذين اختارهم الله لصلاح هذا الشعب ، وتخليصه من طغيان المادة . وعلى عادتهم فقد قابلوا هؤلاءِ المبعوثين بكل عناد وجفاءٍ وغطرسة ، تنم عن سوءِ الطوية والصلف والعتوِّ . فتلك لعمري بعض مزاياهم وسجاياهم المتميزة .

إن عيسى ابن مريم ، هو عبد الله ورسوله وكلمته أَلقاها إلى مريم ، وروح منه اختاره الله لبني اسرائيل ، فكان آخر أَنبياءِ الله ورسله من بني اسرائيل ، كما كان آخر الأَنبياءِ والرسل ، من بني الإِنسان جميعاً ، هو رسول الله محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أَجمعين .

إن عيسى ابن مريم هو آخر أَنبياءِ بني اسرائيل ، الذي جعله الله ، عز وجل ، هو وأُمه آية في ولادتهما ونشأَتهما ، حيث كان شعب بني اسرائيل آنذاك قد فقد روح الدين الصحيح ، وجمد على الطقوس والمراسيم ، وأَشكال العبادة الضالة المزيفة ، وأَكبَّ على المادة ، وارتكب أَبشع الجرائم المروعة ، وغير ذلك مما يتنافى

مع الفطرة الكونية . ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في عدة سور ، منها ما جاء في سورة النساء : (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّـهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً)[1] .

وقوله تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ)[2] .

المسيح يحقق العبودية لله وحده

لقد جاء عيسى ، عليه السلام ، قومه بالبينات الواضحات سواءً من الخوارق التي أجراها الله على يديه ، أو من الكلمات والتوجيهات إلى الطريق القويم . ويقص الله تعالى علينا ذلك في سورة الزخرف : (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ)[3] : ٦٣ ـ ٦٥ .

وهكذا جاء رسول الله عيسى ، عليه السلام ، بالحكمة وفصل الخطاب ، ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ، وأمن الزلل

١ ـ النساء : ١٥٥ .

٢ ـ النساء : ١٦٠ ـ ١٦١ .

والشطط أَمنه للتفريط والتقصير ، واطمأَن إلى خطواته في الطريق على اتزان وعلى نور ، وجاءَ ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه وقد اختلفوا في كثير من شريعة موسى ، عليه السلام ، وانقسموا فرقاً وشيعاً . ودعاهم إلى تقوى الله وإلى طاعته فيما جاءَهم به من عند الله ، وجهر بكلمة التوحيد خالصة ، لا مواربة فيها ولا لبس ولا غموض : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) . ولم يقل أَنه ابن الله ولم يشر من قريب أَو بعيد إلى صلة له بربه ، غير صلة العبودية مِن جانبه ، والربوبية من جانب الله رب العالمين .

وقال لهم : إن هٰذا صراط مستقيم لا التواءَ فيه ولا اعوجاج ولا زلل فيه ولا ضلال . ولكن الذين جاؤوا من بعده اختلفوا أَحزاباً كما كان الذين من قبله مختلفين أَحزاباً . . . اختلفوا ظالمين لا حجة لهم ولا شبهة : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) .

لقد كانت رسالة عيسى ، عليه السلام ، إلى بني اسرائيل ينتظرونه ليخلصهم مما كانوا فيه من الذل تحت حكم الرومان ، وقد طال انتظارهم له ، فلما جاءَهم أَنكروه وشاقّوه وهمُّوا أَن يصلبوه ! .

ولقد جاءَ المسيح فوجدهم شيعاً ونحلاً كثيرة ، أَهمها أَربع فرق وطوائف[1] :

---

١ ــ في ظلال القرآن ج ٧ ص ٣٤٧ وما بعدها ، بتصرف .

١ ـ طائفة الصدوقيين : نسبة إلى صدوق . وإليه وإلى أُسرته ولاية الكهانة من عهد داود وسليمان ، وكانوا يتشددون في شكليات العبادة وطقوسها ، ويتمتعون بملاذّ الحياة وينكرون يوم القيامة .

٢ ـ طائفة الفريسيين : كانوا على شقاق مع الصدوقيين ، وينكرون عليهم تشددهم في الطقوس والشكليات وجحدهم البعث والحساب . والسمة الغالبة عليهم الزهد والتصوف .

٣ ـ طائفة السامريين : وكانوا خليطاً من اليهود والآشوريين وتدين بالكتب الخمسة في العهد القديم ، المعروفة بالكتب الموسوية ، وتنفي غيرها مما أُضيف إليها في العهود المتأَخرة .

٤ ـ طائفة الآسيين أَو الآسينيين : كانوا متأَثرين ببعض مذاهب الفلسفة ، وكانوا متقشفين ومنعزلين عن اليهود ، وعندهم تشدد كبير في تنظيمهم . وكان هناك طوائف مختلفة متفرقة في الاعتقاد والتقاليد ، وكانوا في كبت امبراطورية الرومان أَذلاءَ ينتظرون المخلص لهم .

فلما أَن جاءَ المسيح ، عليه السلام ، بالتوحيد الذي أَعلنه : (إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) . وجاءَ معه بشريعة التسامح والتهذيب الروحي ، والعناية بالقلب البشري قبل الشكليات

والطقوس ، حاربه المحرفون الذين يقومون على مجرد الشكليات والطقوس . ثم ذهب المسيح ، عليه السلام ، إلى ربه ، فاختلف أتباعه من بعده ، اختلفوا شيعاً وأحزاباً ، بعضها يؤلِّهه ، وبعضها ينسب لله سبحانه بنوَّته ، وبعضها يجعل الله ثالث ثلاثة أحدهما المسيح ابن مريم . وضاعت كلمة التوحيد الخالصة التي جاء بها عيسى ، عليه السلام ، وضاعت دعوته الناس ليلجؤوا إلى ربهم ويعبدوه مخلصين له الدين : (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) . سورة الزخرف : ٦٥ .

ثم جاء مشركو العرب يحاجّون رسول الله ، ﷺ ، في عيسى عليه السلام ، بما فعلته الأحزاب المختلفة من بعده ، وما أحدثته حوله من أساطير وخرافات ! !

عيسى يتــابع دعــوة الأنبيــاء

ذكر القرآن الكريم في معرض الرد على النصارى — في ادعائهم بنوة عيسى ، عليه السلام ، وفي قولهم أن الآلهة ثلاثة — أنهم غيروا رسالة عيسى وخالفوا دعوته ، فإنه ما دعاهم إلا بما كانت الرسل قبله تدعوا إليه من توحيد الله ، عز وجل ، وإفراده بالعبادة . قال تعالى في سورة آل عمران : (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ إلى قوله تعالى : إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) : ٤٨-٥١ .

وقوله تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي اسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ). سورة المائدة : ٧٢ .

ويصور لنا القرآن صورة الموقف الذي سيكون يوم القيامة حين يُسأَل عيسى ، عليه السلام ، عما يقوله النصارى من بَهَت وافتراءٍ ، ناسبين إليه أنه أمرهم أن يتخذوه وأُمه إلٰهين من دون الله ، فيجيب على ذلك البهت بهذا الجواب المفحم الرصين : (سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1] .

---

١ - المائدة : ١١٦ - ١١٨ .

وفي كل موضع من تلك الآيات الكريمة في كتاب الله الحكيم والتي يؤكد فيها القرآن براءة المسيح من كل ما نسب إليه ، ويقرر في وضوح وبيان أنه ، عليه السلام ، ما كان إلا واحداً من هؤلاء الرسل ، وحلقة من حلقات التوحيد ، وداعية من الدعاة إلى الله وإقراره بالعبودية الحقة ، وإماماً منقذاً ورسولاً هادياً ، وحرباً على عبادة الطاغوت .

كيف طمست المسيحية ؟

إن الباحث والمتتبع لحركة الأَديان وتشعب العقائد ، قد لا يعثر على أُمة ضالة تائهة في دينها كما ضلت النصارى ، ولعل أُمة لم تختلف في نبيها ، ولم تغلُ في شأْنه ، كما اختلفت النصارى وغلت ، حيث تنكبت السنن وانساقت وراء الهوى والتقليد . والقرآن المجيد ينبه على هذا الضلال الذي وقع فيه النصارى في آيات كثيرة . فقد ورد في تفسير قوله تعالى من سورة الفاتحة : (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) . وحديث مرفوع يقول : « الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَىٰ ضَالُّونَ » . كما ورد قوله تعالى في سورة النساء ناهياً لهم عن الغلو واتباع الهوى والانسياق وراء العاطفة الرعناء : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً) : ١٧١ .

ولا تكاد عقيدة من عقائد النصارى الأساسية تخلو من الإغراق في الوهم ، وجموح في الخيال ، ونزوع إلى المغالاة فعقيدة التثليث والصلب والفداء والبنوة كلها عقائد تجافي العقل مجافاة صارخة وتتحداه تحدياً سافراً ، ومع ذلك تجد من يؤمن بها ويتعصب لها وهي لم تقم إلا على شبهات واهية ، لبس بها الشيطان على هذه الأمة . وهكذا افتتنت وأصبحت بعيدة عن دينها ، وفسد أمرها ، ومن يتبع هواه فلن تجد له وليًّا مرشداً .

عقيدة الصلب والفـداء وثنيـة

إن النصارى والوثنيين يشتركون في كثير من الاعتقادات حيث تتماثل عقائدهم وتتشابه . ومن أَوجه المشابهة فيما بينها : القول بالتثليث والصلب والفداءِ ، ولو أَردت التتبع لطال بنا القول وامتد ، ولكني أَقتصر على ما نقله السيد رشيد رضا ، رحمه الله ، في تفسير المنار[1] . ويكفي من القلادة ما أَحاط العنق .

جاءَ في كتاب : خرافات التوراة وما يقابلها في الديانات الأُخرى . ص ١٨١ ـ ١٨٢ . لصاحبه [داون] . جاءَ ما ترجمته بالتلخيص : إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أَحد الآلـهة نفسه ذبيحة فداءً عن الخطيئة ، قديم العهد ، بدأَ عند الهنود الوثنيين وغيرهم . وذكر الشواهد على ذلك ، منها قوله : يعتقد الهنود أَن [كرشنا] المولود البكر الذي هو نفس الإِلٰه [قشنوا] ، الذي لا ابتداءَ له ولا انتهاءَ ـ على رأْيهم ـ تحرك حُنواً كي يخلص الأَرض من ثقل حملها فأَتاها وخلص الإِنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

وذكر أَن [مستر موي] قد صور [كرشنا] مصلوباً ، كما هو مصور في كتاب الهنود ، مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإِنسان معلقاً ، ووجدت له صورة مصلوباً ، وعلى

---

١ ـ قصص الأنبياء ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ . بتصرف نقلاً عن تفسير المنار ج ٦ ص ٣٢ .

رأْسه إكليل من الذهب . والنصارى تقول أن يسوع صلب وعلى رأْسه إكليل من الشوك . وقال [هوك] في ص ٣٢٦ ، من المجلد الأَول من رحلته : ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسيد أَحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً للناس من الخطيئة .

وقال [هوروينوليمس] في ص ٣٦ ، من كتابه الهنود : ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأَصلية . ومما يدل على ذلك ما جاءَ في مناجاتهم وتوسلاتهم التي يتوسلون بها بعد [الكياتري] وهو : إني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أُمي ، بالإِثم ، فخلصني ياذا العين الحندوقية ، يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب .

ونقل [هيجين] عن [اندرادا الكروبوس] وهو أَول أَوروبي دخل بلاد النيبال والتبت ، أَنه قال في الإِله [أَندرا] الذي يعبدونه أَنه سفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير لكي يخلص البشر من ذنوبهم ، وأَن صورة الصلب موجودة في كتبهم .

هذا وأَما ما يروى عن البوذيين في [بوذا] فهو أَكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح ، من جميع الوجوه ، حتى أَنهم يسمونه المسيح ، والمولود الوحيد ، ومخلص العالم . ويقولون أَنه إنسان كامل ، وإله كامل تجسد بالناسوت وأَنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر

ذنوب البشر ، ويخلصهم من ذنوبهم ، فلا يعاقب عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السماوات .

بيَّن ذلك كثير من علماءِ الغرب ، منهم [بيلي] في كتابه : تاريخ بوذا . [وهوك] في رحلته . [ومولر] في كتابه : تاريخ الآداب السنسكريتية ، وغيرهم .

ومن أَراد المقابلة بين إلٰه النصارى وآلهة الوثنيين الأَولين - في الشرق والغرب - فعليه أَن يقرأَ كتاب : العقائد الوثنية في الديانة النصرانيه[١] . لمحمد طاهر التنير البيروتي ، ففيه بلاغ ومقنع . وأَما موقف الإِسلام حول عقيدة الصلب والفداءِ عند النصرانية ، والتي هي أَساس دينهم ، فقد تولى القرآن الحكيم الرد عليهم ، ونفى أَن يكون عندهم يقين بها ، وأَنهم إنما اتبعوا فيها الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً . قال تعالى : (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ، بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً)[٢] .

ونخلص مما كتبناه في عقيدة التثليث والصلب عند النصارى إلى أَنها جميعاً غير موثوق بها ، فأَكثرها مختلق . وبما أَنها تحوي

١ - قصص الأنبياء بتصرف .

٢ - سورة النساء : ١٥٧ - ١٥٨ .

عقائد وثنية فهي مردودة ومرذولة . ومن سخافة هؤلاءِ فهم لازالوا يعتنقونها . وهي نقيض التوحيد الذي جاءَ به الأَنبياءُ والمرسلون . وهذا ما نقوله وما نراه ، يشاركنا فيه أَئمة الفكر الإِنساني العام .

عقول مسيحية تستنكر ألوهية المسيح

إن الخرافة الساذجة والزعم الباطل بأُلوهية المسيح ، هذه الشبهة الواهية التي يعتنقها النصارى ويؤمنون بها إِيماناً أَعمى ، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل ، لم تثبت على أَرض الواقع لعدم شرعيتها ومصادمتها لحقائق الأَشياءِ ، وبالتالى فقد ناقضتها الأَناجيل نفسها .

هذه الخرافة الوهمية ، والأُسطورة القديمة ، قد تكشفت ولم تعد تقنع حتى بسطاءَ الناس ، وقد حاولت جمهرة كبيرة وعلماءُ كثيرون ، ومنذ زمن بعيد ، حاول هؤلاءِ الأَدعياءُ من المنتسبين للمسيحية ، دحض هذه الفرية وكشفها ، رغم وضوح بطلانها وضوح الشمس .

ولنستمع للأُستاذ الشيخ محمد أَبي زهرة يحدثنا عن ذلك فيقول[1] : ولكنا ـ وقد يئسنا من أَن يسير البروتستنت في طريقهم إلى أَقصى مداه ـ وجدنا العقول المسيحية قد تنبهت ، والدراسة العلمية والفلسفية قد سارت ، ونور الإِسلام قد انبلج ، فوجدنا

١ ـ محاضرات في النصرانية . ص ٢٠٨ــ٢١٠ .

علماءَ كثيرين قد صرحوا في قوة بأَن المسيح لم يكن إلا رسولاً وأنه لم يكن أَكثر من بشر ، وقد قبسوا ذلك من الأَناجيل نفسها فهذا رينان قد جهر بذلك في قوة وجرأَة ، ولم يمنعه حرمان الكنيسة من الإِصرار على رأيــه والذود عنه ، وهذا تولستوي ينكر عــلى المسيحين أُلوهية المسيح ، وتنتهي نتائج بحثه إلى أَن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضاً وإخفــاءً .

ولنترك الآن الكلمة لذلك الفيلسوف ، فهــو يقول : إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع الحقيقي كما كان يفهمه هو ، أَن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أَخفته عن الأَبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ويرجع بحثنا إلى أَيام بولس الذي لم يفهم تعاليم المسيح ، بل حمله على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولاً للأُمم ، أَو رسول الجدال والمنازعات الدينية ، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية ، كالختان وغيره ، فأَدخل ميوله هذه على الدين المسيحي فأَفسده ، وفي عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس وأَما تعليم المسيح الأَصلي الحقيقي ، فخسر صفته الإِلٰهية الكمالية بل أَصبح في عصرنا الحاضر ، والمتمسكة به جميع الكنائس ، وأَن

أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلٰها ، دون أن يقيموا على ذلك الحجـــة .

ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار : موسى ، والزبور ، وأعمال الرسل، ورسائلهم ، وتـآليف آباءِ الكنيسة . مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله .

هو إذن ينكر أُلوهية المسيح ، وينكر أُلوهية روح القدس ويعتقد بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بإلهام ، ويعلن في جرأة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل ، فيقول في صراحة المستمسك بالعـــروة الوثقى : إن المسيحين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحي ، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى ، ولكنهم يعتقدون، كما أعتقد، بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بأن محمداً خاتم الأنبياءِ ، وأنه قد أوضح في قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما قالاها دون زيادة ولا نقص ، وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه ، وليتمسك به ويسير بموجب أحكامه ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واضعوها بالتقوى والصلاح وليسمِّ المسلمون ديانتهم بالمحمدية ، لأن محمداً وضعها ، بخلاف الكنيسة المسيحية ، التي تسير الآن بموجب تآليف الآباءِ الذين

يدَّعون بأَن ما كتبوه هو من الروح القدس ، فكان الأَحرى بالمسيحين أَن يسمُّوا كنيستهم بالروحية القدسية ، أَولى من تسميتها بالمسيحية .

دحض اعتقـــاد نصراني فاســـد

بيَّنا في الصفحات السابقة بعض الاعتقادات الفاسدة ، والأَوهام الباطلــة التي اعتنقها النصارى ولا يزالون يرددونها [1] ويتشبثون بباطلها ، رغم وجود الكثيرين من علمائهم القائلين بالتوحيد وعبودية المسيح عليه السلام .

لقد عارض هؤُلاءِ العلماءُ المنصفون وغيرهم تلك المعتقدات المزعومة ، وأَنحوا باللائمة على معتنقيها ، كما نعوا عليهم قصر نظرهم وبطلان دعواهم التي لا يسندها برهان ولا حجة ، علاوة على معارضتها للمنطق السليم والعقل الإِنساني الراجح .

وفي هذه العجالة سأَتعرض إلى خرافة جديدة من خرافات النصارى التي يعتقدونها ، رغم فسادها الواضح ، والخرافة هذه هي اعتقاد النصارى – ضلالاً – أَن النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، إنما كان

١ – من هذه الاعتقادات الباطلة : تأْلية السيد المسيح ، عليه السلام ، وحلول روح القدس فيه ، ودعوى عقيدة التثليث المزعومة ، وغيرها من الاعتقادات الشركية التى هي من تلبيس إبليس . ومن أراد الوقوف على مزيد من التفصيل في هــذا الموضوع فليرجع إلي كتاب : إظهار الحق . الشيخ رحمة الله الهندي . وكتاب : محاضرات في النصرانية . للشيخ محمد أبي زهرة .

مبعوثاً خصيصاً إلى العرب الجاهلين ، وأنهم هم وحدهم المطالبون بالإيمان به ، وأن من لم يؤمن به من النصارى لا يؤاخذ على ذلك على حد زعمهم المتناقض ! !

هكذا شاعت هـذه العقيدة الفاسدة بين النصارى العرب وعلمائهم اليوم ، كما أن في بلاد الهند فكرة تقول : إن الاتِّباع الكامل للأَديان السابقة يتكفل النجاة من النار ، ولا خاجـة ليهودي أَو مسيحي صادق أَو رجل من غير المسلمين أَن يؤمن بالنبوة المحمدية[1] .

وبما أَن هذا الزعم الفاسد يقضي على جذور دعوة الإسلام ، وبعثة محمد ، عليه الصلاة والسلام ، كما يسُد باب الدعوة إلى هذا الدين وتبليغه لكافة الأَنام ، لهذا رأَيت أَن أُذكِّر القاريءَ الكريم بموقف الإسلام من هذه الدعاوى الباطلة ، حتى يكون المسلم على بيِّنة من أَمر دينه ، لأَن الأَعداءَ لهذا الدين بالمرصاد ، حيث أَقلامهم وجيوشهم وسماسرتهم – على كثرتهم – تجدهم في كل مكان يبثون السموم ويشوهون الحقائق ، فأَفسدوا الحرث والنسل ، وملؤوا الأَرض ظلمة وضـلالاً .

وسأَكتفي هنا بإثبات بعض الفقرات التي وردت في كتاب

---

١ – أنظر حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، لأبي الحسن الندوي . ص :٢٥٠ – ٢٥١ .

شيخ الإسلام ابن تيمية ، حيث دحض تلك الادعاءات وكشف عن زيفها وبهتانها ، مستنداً على نصوص مستفيضة من الكتاب والسنة قضت على شبهات المشركين وأوهام المبطلين ، كما بيَّن أن النجاة لم ولن تكون مأمولة لأي كان ، من غير الإيمان بنبوة محمد ، ﷺ .

قال رحمه الله [1] : قال ﷺ : « كَانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً » . وقال تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) . وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً) .

وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن دعوة المشركين وعُبَّاد الأوثان ، وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة ، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، فكيف يقال أنه لم يذكر أنه بعث إلا إلى العرب خاصة ؟ وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين ، وهذه سيرته ، ﷺ ، فيهم . وأيضا فالكتاب المتواتر عنه ، وهو القرآن يذكر فيه دعاءه لأهل الكتاب إلى الإيمان به .

ويقول ، رحمه الله ، في مكان آخر : فهذه الدلائل وأضعافها

---

١ — الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح . ومن أراد التفصيل فليرجع إلى هذا السفر النادر مما يتعلق بالموضوع جـ ١ ص ٢٨ وما بعدها . جـ ٤ ص ١١٥ — ١١٦ من حياة الحافظ ابن تيمية .

مما تبيِّن أنه نفسه ، ﷺ ، أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من أهل الكتاب ، وأنه دعاهم وجاهدهم وأمر بدعوتهم وجهادهم وليس هذا — مما فعلته أُمته بعده — بدعة ابتدعوها كما فعلت النصارى بعد المسيح ، عليه السلام ، فإن المسلمين لا يجوِّزون لأَحد بعد محمد ﷺ ، أن يغير شيئاً من شريعته . فلا يحلل ما حرم ولا يحرم ما حلل ولا يوجب ما أَسقط ولا يسقط ما أَوجب ، بل الحلال عندهم ما حلله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله[1] .

وهكذا يظهر لنا جلياً ضلال وانحراف عقائد النصارى ومزاعمهم الساقطة وأَباطيلهم الزائفة ، فسبحان من حفظ شريعة الإِسلام وهيأَ لها من ينافح عنها ، ويرد عنها كيد الكائدين ، ورحم الله الإِمام ابن تيمية المجاهد الذي أَدى حق الدفاع القوي عن شريعته وحمى جناب التوحيد ، وأَخرس أَلسنة الملحدين .

١ — الجواب الصحيح . ص ١١٧ — ١١٨ .

دين الأمة الصليبية مبني على معاندة العقول والشرائع

قال العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه القيم[1] : والمقصود أَن دين الأُمة الصليبية ـ بعد أَن بعث الله ، عز وجل ، محمداً ، ، بل قبله بنحو ثلاثمائة سنة ـ مبني على معاندة العقول والشرائع ، وتنقّص إله العالمين ورميه بالعظائم . فكل نصراني لا يأْخذ بحظه من هذه البلية ، فليس بنصراني على الحقيقة . ا.هـ .

أَفليس هو الدين الذي أَسسه أَصحاب المجامع المتلاعنين على أَن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ؟ ! فيا عجباً ! ! كيف رضي العاقل أَن يكون هذا مبلغ عقله ، ومنتهي علمه ؟ ! أَفترى لم يكن في هذه الأُمة من يرجع إلى عقله وفطرته ، ويعلم أَن هذا عين المحال ؟ وإن ضربوا الأَمثال ، واستخرجوا له الأَشباه ، فلا يذكرون مثالاً ولا شبهاً إلا وفيه بيان خطئهم وضلالهم . كتشبيه بعضهم اتحاد اللاهوت بالناسوت وامتزاجه به باتحاد النار والحديد ، وتمثيل غيرهم ذلك باختلاط الماء باللبن ، وتشبيه آخرين ذلك بامتزاج الغذاء واختلاطه بأَعضاءِ البدن ، إلى غير ذلك من الأَمثال والمقاييس التي تتضمن امتزاج حقيقتين واختلاطهما حتى صارتا حقيقة أُخرى تعالى الله عز وجل عن إفكهم وكذبهم .

١ ـ إغاثة اللهفان . ج ٢ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

ولم يقنعهم هذا القول في رب السموات والأَرض ، حتى اتفقوا بـأَسرهم على أَن اليهود أَخذوه ، وساقوه بينهم ذليلاً مقهوراً ، وهو يحمل خشبته التي صلبوه عليها ، واليهود يبصقون في وجهه ويضربونه ، ثم صلبوه وطعنوه بالحربة حتى مات ، وتركوه مصلوباً حتى التصق شعره بجلده ، لما يبس دمه بحرارة الشمس ، ثم دفن وأَقام تحت التراب ثلاثة أَيام ، ثم قام بلاهوتيته من قبره . هذا قول جميعهم ، ليس فيهم من ينكر منه شيئاً .

فيا للعقول ! كيف كان حال هذا العالم الأَعلى والأَسفل في هذه الأَيام الثلاثة ؟ ومن كان يدبر أَمر السموات والأَرض ؟ ومن الذي خلق الرب ، سبحانه وتعالى ، في هذه المدة ؟ ومن الذي كان يمسك السماءَ أَن تقع على الأَرض ، وهو مدفون في قبره ؟ ... ويا عجباً ! ! هل دفنت الكلمة معه بعد أَن قتلت وصلبت ؟ أَم فارقته وخذلته ـ أَحوج ما كان إلى نصرها له ـ كما خذله أَبوه وقومه ؟ فإن كانت قد فارقته وتجرد منها ، فليس هو حينئذ المسيح . وإنما هو كغيره من آحاد الناس ، وكيف يصح مفارقتها له بعد أَن اتحدت به ومازجت لحمه ودمه ؟ وأَين ذهب الاتحاد والامتزاج ؟ وإن كانت لم تفارقه وقتلت وصلبت ودفنت معه فكيف وصل المخلوق إلى قتل الإلٰه وصلبه ودفنه ؟ ! ! .

ويا عجباً ! أَي قبر يسع إلٰه السموات والأَرض ؟ ! هذا وهو

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون .

الحمد لله ثم الحمد لله ، الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللــه .

ياذا الجلال والإكرام ، كما هديتنا للإسلام أسأَلك أَنْ لا تنزعه عنا حتى تتوفانا على الإســلام .

تلاعب الشيطان بالامة الغضبية وهم اليهود

قال الله تعالى في حقهم : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ)[1] .

وقال تعالى : (تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)[2] .

وقد أَمرنا الله سبحانه أَن نسأَله في صلواتنا أَن يهدينا صراط الذين أَنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وثبت عن النبي ، ﷺ ، أَنه قال : « الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَىٰ ضَالُّونَ » .

فأَول تلاعب الشيطان بهذه الأُمة في حياة نبيها ، وقرب العهد

١ — سورة البقرة : ٩٠ .

٢ — سورة المائدة : ٨٠ .

بإنجائهم من فرعون ، وإغراقه وإغراق قومه ، فلما جاوزوا البحر رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم فقالوا : (يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) . . فقال لهم موسى عليه السلام : (إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1] .

فأي جهل فوق هذا ؟ والعهد قريب ، وهلاك المشركين أمامهم بمرأى من عيونهم ، فطلبوا من موسى ، عليه السلام ، أن يجعل لهم إلٰهاً ، فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلٰها مخلوقاً ، وكيف يكون الإلٰه مجعولاً ؟ فإن الإلٰه هو الجاعل لكل ما سواه ، والمجعول مربوب مصنوع ، فيستحيل أن يكون إلٰهاً .

وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إلٰه مجعول ، فكل من اتخذ إلٰهاً غير الله فقد اتخذ إلٰهاً مجعولاً .

وقد ثبت عن النبي ، ﷺ ، أنه كان في بعض غزواته ، فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم وشاراتهم وثيابهم يسمونها ذات أنواط ، فقال بعضهم : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « اللهُ أَكْبَرُ . قُلْتُمْ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ : اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ » . ثم قال : « لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ »[2] .

---

١ ـ سورة الأعراف : ١٣٨ ـ ١٣٩ .

٢ ـ راجع : إغاثة اللهفان . ج ٢ ص ٢٩٥ وما بعدها .

حــال العــالم قبيــل البعثــة

بعث الله ، سبحانه وتعالى ، الرسل والأنبياءَ لهذا لعالم ، لخلاصه وإنقاذه من الضلال والانحراف ، وليسلمه من التردي والضياع حيث كانت هذه مهمة الرسل من لدن آدم ، عليه السلام ، وانتهاءً بخاتم الرسل والنبيين ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . وقد قص الله تعالى علينا في القرآن المجيد أن الناس كانوا قبل بعثة النبي ، ﷺ ، يتخبطون في ضلالة الشرك ، ويتخذون من دون الله آلهة ، فيبعث إليهم أنبياءَ ليهدوهم السبيل ، ويدعوهم إلى العقائد السليمة والأخلاق الكريمة ، فيهتدي بهديهم أُولو الألباب ويكفر بهم من حقت عليه كلمة العذاب ، حتى جاءَ الزمن الذي خصه الله سبحانه بأَن يكون مطلع هداية عامة وشريعة خالدة . . . ذلك هو الزمن الذي بعث فيه أَفضل الخليقة سيدنا محمداً ، ﷺ ، خاتم الرسل المبعوث للثقلين من الإِنس والجن ، وحامل لواءِ التوحيد ومحطم الشرك ، وقاهر عبدة الطاغوت .

لقد كان العرب قبل البعثة المحمدية ، في ظلمات من العقائد الزائفة ، والمزاعم الساقطة ، والعادات المستهجنة ، والأَعمال المنكرة وكانت تنتشر بينهم عقائد مختلفة وملل ونحل حائدة عن السبيل فكان منهم الدهريون الذين لا يؤمنون بإِلٰه يدبر العالم ، وينكرون

الحساب ، وكذلك الثنوية وعبدة الأَصنام وعباد الكواكب والملائكة والجن وكذلك كان منهم الصابئة والنصرانية واليهودية . وقـد طـرأَ على هاتين الديانتين التحريف والتبديل ، بَعُـدا بهما عن الصراط المستقـيم .

هكذا كان العرب قبل بزوغ الإِسلام يسودهم الجهل ، وتعمهم الضلالة وينتشر بينهم الشرك والفساد ، حيث كانت الأَرض في حاجة ماسة إلى منقذ جديد ورسالة جديدة ، لأَن الفساد قد عم الأَرجاءَ كلها ، بحيث لا يرتجي لها صلاح إلا برسالة جديدة ومنهج جديد كما تطرق الكفر إلى العقائد جميعها ، سواءٌ أَهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها ، أَو المشركون في الجزيرة العربية وفي خارجها ، سواءٌ بسواءٍ .

أَما كيف كانت الأَرض في حاجة إلى هذه الرسالة ، وإلى هذا الرسول المنقذ ، فنكتفي في بيانه باقتطاف لمحات كاشفة من الكتاب القيم ، الذي كتبه الأُستاذ أَبو الحسن على الحسني الندوي ، بعنوان: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ففيه إرواءٌ للظمَإِ وشفاءٌ للعليل .

جاءَ في الفصل الأَول ص ٢٤ ـ ٢٨ ما يلي :

كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح من أَحط أَدوار التاريخ بلا خلاف ، فكانت الإِنسانية متدنية منحدرة منذ قرون . وما على

وجه الأَرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي ، وقد زادتها الأَيام سرعة في هبوطها ، وشدة في إسفافها . وكان الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه ، فنسي نفسه ومصيره ، وفقد رشده ، وقوة التمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وقد خفتت دعوة الأَنبياءِ من زمن ، والمصابيح التي أَوقدوها قد انطفأَت من العواصف التي هبت بعدهم ، أَو بقيت ونورها ضعيف ضئيل لا ينير إلا بعض القلوب ، فضلاً عن البيوت ، فضلا عن البلاد . وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة ، ولاذوا بالأَديرة والكنائس والخلوات فراراً بدينهم من الفتن ، وضناً بأَنفسهم أَو رغبة إلى الدعة والسكون فراراً من تكاليف الحياة وحدها ، أَو فشلاً في كفاح الدين والسياسة والروح والمادة . ومن بقي منهم في تيار الحياة ، اصطلح مع الملوك وأَهل الدنيا ، وعاونهم على إثمهم وعدوانهم وأَكل أَموال الناس بالباطـل .

وأَصبحت الديانات العظيمة فريسة العابثين والمتلاعبين ، ولعبة المجرمين والمنافقين ، حتى فقدت روحها وشكلها ، فلو بُعث أَصحابها الأَولون لم يعرفوها . وأَصبحت مهود الحضارة والثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال ، والاختلال وسوءِ النظام وعسف الحكام ، وشغلت بنفسها ، لا تحمل للعالم رسالة ، ولا

للأُمم دعوة . وأَفلست في معنوياتها ، ونضب معين حياتها ، لا تملك مشرعاً صافياً من الدين السماوي ، ولا نظاماً ثابتاً من الحكم البشري .ا.هـ .

هذه اللمحة السريعة تصور في إجمال حالة البشرية والديانات قبيل البعثة المحمدية . وقد أَشار القرآن إلى مظاهر الكفر ، الذي شمل أَهل الكتاب والمشركين في مواضع شتى . من ذلك قوله عن اليهود والنصارى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ . وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ) . سورة التوبة : ٣٠ . (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ)[١] . وقوله عن النصارى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)[٢] . (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ)[٣] . وقوله عن المشركين : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ إلى قوله : لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) . وغيرها كثير .

وكان وراءَ هذا الكفر ما وراءَه من الشر والانحطاط والشقاق والخراب ، الذي عمَّ أَرجاءَ الأَرض .

وبالجملة لم تكن على ظهر الأَرض أُمة صالحة المزاج ، ولا مجتمع قائم على أَساس الأَخلاق والفضيلة ، ولا حكومة مؤسسة على أَساس

---

١ ــ البقرة : ١١٣ . ٢ ــ سورة المائدة : : ٧٢ ٣ ــ سورة المائدة : ٧٣ .

العدل والرحمة ، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء[1] .

ومن ثم اقتضت رحمة الله بالبشرية ، إرسال رسول من عنده يتلو صحفاً مطهرة على تلك الأُمم والشعوب ، حيث لم يكن لأُولئك الذين كفروا من المشركين ، والذين أُوتوا الكتاب ـ الكتابيون ـ ليتحولوا عن ذلك الشر والفساد والبغي والضلال ، إلا ببعثة رسول الإسلام وخاتم النبيين المنقذ الهادي المبين .

جهاد الرسول صلى‌الله عليه وسلم في التوحيد

إن الكتابة عن البطولة والأَبطال أَمر قد يصعب وصفه أَحياناً سيما وإن كان هذا الأَمر يعرض صاحبه إلى ما لا يحتمل . فقد يشوبه كثير من الإفراط والشرور وعدم الدقة ، فيخرج به عن المسار الصحيح مما يُشَوِّه معالم الحقيقة ويفقدها روحها الحقة .

إن الحديث عن جهاد رسل الله الكرام ، وما قدموه للبشرية من عطاءٍ أَمر يفوق تصور الإنسان . لقد تم على أَيديهم خلاص البشرية من عبودية الدنيا وظلمات الآخرة .

أَما الكلام عن دور الرسول محمد ، ﷺ ، ـ إمام المجاهدين

١ ـ ماذا خسر العالم : ص ٦٣ .

وخاتم النبيين ـ في الجهاد ، فهو خوض في بحر لا يصل فيه الكاتب إلى شاطيءٍ ، وليس في استطاعتي استيعابه ، ولا الإلمام إلا بالقليل منه ، لقصر الباع وقلة المتاع ، فهو أَجل من أَن يمدح بكلمي ، وأَفوه بذكره بفمـــي .

وغاية ما يسعني في هذا المقام أَن أَسوق طرفاً عن إمام المجاهدين ورسول رب العالمين محمد ، صلى الله عليه وسلم .

لم يكن خافياً على من يقدر هذا الرسول الأَعظم والمجاهد الأَكرم حق قدره ، أَنه ليس في طوق كاتب ـ ولو أَلقت إليه البلاغات أَعنتها ـ تقصي المعاني التي في سيرته الشريفة ، وجهاده المبين في صراع الشرك ، وإقامة صرح دولة التوحيد[1] .

لقد استمرت أُمة العرب متخبطة في جهالتها الجهلاءِ لفقدانها قوارب النجاة الموصلة إلى سبيل السلام ، حتى بعث الله هذا الرسول المجاهد ، فجاهد في إخراجهم من ظلمات الوثنية إلى عقيدة التوحيد الخالصة ، فأَصبحت أُمة راجحة الأَحلام ، شديدة الثقة بالله حقيقة بأَن تحمل الهداية العامة والإصلاح الإلٰهي للبشرية ، فكانت حقاً خير أُمة أُخرجت للناس .

وإلى القاريء الكريم أُقدم بعض المقتطفات عن الجهاد المتواصل

١ ـ راجع كتاب : محمد رسول الله .

للرسول ، ﷺ ، ومقارعته للشرك وحمايته لجانب التوحيد .

إن ما قدمه للبشرية من فضائل عظيمة ، لا يبلغ اللسان من وصفها إلا مقدار ما يَبلغه واصف الشمس ، وهو لا يعرف منها سوى أَنها كوكب ينسخ طلوعه سواد الليل[1] .

لقد جاهد رسول الله ، ﷺ ، الوثنية بوسائل كثيرة ؛ فدعا إلى الاعتقاد بأَن خالق الكون ومدبره هو الله الواحد القهار ، وأَقام البراهين على أَن عبادة الأَوثان من انحطاط الفكر وسفاهة الرأْي . يقول هذا ويؤيده بالحجة ، ويذكِّر بما قصه القرآن من أَنباءِ الأَقوام الذين كانوا يعبدون الأَوثان ، وبما كان يعظهم به رسلهم عليهم السلام ، وبما نزل بهم من عذاب .

وقد عاب وسفَّه أَحلام القرشيين ، وسبَّ آلهتهم وعاب دينهم وضلال آبائهم ، وقد شكوا ذلك إلى أَبي طالب ليوقفه عن تلك التصرفات ، إلا أَنه استمر يجاهد الوثنية بالدعوة والحجة .

ثم جاءَ دور الهجرة وما أَعقبها من انتصارات ، فلا عجب أَن نرى جهاد رسول الله للأَصنام بالكسر والتحطيم ، قد ظهر عند فتح مكة ، وتواصل حيث قويت شوكة الإسلام ، وصارت يده فوق تلك الأَصنام ، التي هي مبعث الوثنية في الجزيرة العربية .

---

١ – محمد رسول الله . ص ٨٤ للشيخ محمد الخضر حسين ، رحمه الله .

ولمـا فتح الرسول ، ﷺ ، مكة المكرمة أبى أن يدخل البيت - الكعبة - وفيها تلك الأصنام القائمة ، والصور المنقوشة على جدرانها ، وأمر عمر بن الخطاب أن يخرج منها كل صنم ويمحو كل صورة ، ثم طاف رسول الله بالكعبة ، وجعل يطعن بقضيب في يده تلك الأصنام حولها ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ » .

وهكذا قضى الرسول على الأصنام ، وأمر بتحطيمها وإزالتها من بلاد العرب حيث بعث من يكسرها ويهدم بيوتها[1] .

السلف الصالح يحمون جناب التوحيد

لقد نهج الخلفاءُ الراشدون ، رضي الله عنهم ، سنَّة نبيهم ﷺ ، في الحيطة للتوحيد والمحافظة على حماه المقدس ، حتى أن الفاروق عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أمر بقطع شجرة الرضوان التي بايع الصحابة[2] رسول الله تحتها على الموت عام الحديبية لما علم أن بعض الناس يذهبون إليها ويتعمدون الصلاة عندها . وقال مرة وهو يستلم الحجر الأسود : اللهم إني أعلم أنك حجر لا

١ - دعوة التوحيد . بتصرف .

٢ - إغاثة اللهفان ج ١ ص : ٢٢٨ .

تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ، ﷺ ، يقبِّلك ما قبلتك.
وأبلغ من ذلك أن الرسول ، عليه السلام ، هدم مسجد الضرار[1] .

وعزل عمر خالداً رضي الله عنهما ، عن القيادة في وقت كانت الآمال كلها معلقة ليتم ما بدأه من الانتصارات على الروم ، ولكنه خشي أن يفتتن به الناس ، فعزله وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . وهذا علي ، رضي الله عنه ، يقول لأبي الهياج الأسدي[2] : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ، ﷺ ؟ . أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

وعلى هذا النهج الواضح من المحافظة على التوحيد ، سار السلف الصالح ، وأئمة الهدى من بعدهم ، لم يسمحوا لأحد أن يخرق سياج التوحيد ، أو يستبيح بيضته ، حتى نبتت طوائف الشيعة والمتصوفة ، فأعملوا فيه معاول هدمهم ، بغلوّهم في شيوخهم وأئمتهم ، وتقديسهم للمشاهد والمزارات ، وبركونهم إلى الآثار والمخلفات وسجودهم على العتبات ، وتقديمهم النذور والقرابين للأضرحة وأصحاب الخرافات .

ومازال الأمر يستفحل ، والخطر يشتد ، حتى وصل إلى ما نشاهده الآن في معظم بلاد الإسلام ، من إقامة القباب على القبور

١ـ إغاثة اللهفان . جا ص ٢٢٨ . ٢ـ رواه الإمام مسلم . راجع فتح المجيد ص : ٤٩٣ .

وإنشاءِ المقاصير حولها ، وتزيينها بالزخارف ، وفرشها بالبسط وإيقاد الشمع عليها ، ووضع صناديق النذور عندها ، وفتحها للزائرين والزائرات ، يحجون إليها ويرتكبون عندها كثيراً من الأَعمال الشركية ؛ كالطواف والتقبيل ، ووضع النذور والتوسل والمناجاة وذبح القرابين وإقامة المهرجانات الجاهلية ، التي يسمونها الموالد ، إلى غير ذلك ، مما يئنُّ منه الإِسلام وتتفتت على صخرته كل قواعد التوحيد[1] .

ولطالما هبَّ الغيورون من علماءِ هذه الأُمة وهداتها ، ناصحين لها بالاقلاع عن هذه العادات الشركية ، ومنذرين لها بسوءِ العاقبة إن استمرت على هذه الحال . وكانت جهودهم تضيع سدىً في أَكثر الأَحيان لأَن قوى السلطان لا تسندها . وقد جاءَ في الأَثر : إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . وليتها وقفت على الحياد في ذلك الصراع المرير ، بين جند الرحمن وعساكر الشيطان ، بل انحازت بكل ثقلها في معظم الأَحيان إلى جحافل الشرك والطغيان ، واضطهدت كل داعية إلى التوحيد والإِيمان .

ولا يخفى ما كان للسلف الصالح من مواقف مشرفة ، حيث شادوا أَعظم دولة إسلامية عرفها التاريخ ، ولأَول مرة أَصبح لأُمة

---

١ ـ دعوة التوحيد .

العرب والمسلمين دوراً تاريخياً وعالمياً يؤدو نه ، فأَصبحت لهم قوة دولية يحسب لها حساب بين الأُمم ، كما كان لها قوة جارفة تكتسح الممالك وتحطم العروش ، وتتولى قيادة البشرية بعد أَن تزيح القيادات الجاهلة المزيفة الضالة .

إن الذي هيأَ هذا للمسلمين ، أَنهم نسوا العنصرية الجنسية وغيرها ، ولم يبق لهم أَي ولاءٍ سوى ولاؤهم لأُمة الإِسلام . ورفعوا راية الإِسلام وحدها ، وحملوا عقيدة ضخمة أَلا وهي عقيدة التوحيد ، فأَهدوها للإِنسانية ، وكانت رحمة وبرا للبشرية . ولم يحملوا قومية ولا عنصرية ولا عصبية ، بل حملوا فكرة سماوية يعلِّمون الناس بها ، لا مذهباً أَرضياً يخضعون الناس لسلطانه . وخرجوا من أَرضهم جهاداً في سبيل الله وحده ، ولم يخرجوا ليؤسسوا امبراطورية عربية ، ينعمون في ظلالها ، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها ، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكمهم أَنفسهم . وإنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعا إلى عبادة الله وحده ، كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين ، في مجلس يزد جرد : الله بعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جوْر الأَديان إلى عدل الإِسلام[1] .

١ ــ البداية والنهاية لابن كثير .

عندئذ فقط كانت للعرب والمسلمين قيادة ، وكانت لهم قوة وكان لهم وجود . . . ولكنها كانت لله وحده . وهكذا استمرت ما استقاموا على الطريقة دون اعوجاج[1] .

وصفوة القول : إن طريق النجاة والفوز والسعادة بيِّن لا يخفى إلا على من وضع رأسه في الرمال ، ظاناً أن أعين الأعداءِ لا تراقبه .

ولنا في سلفنا الصالح الأُسوة الحسنة ، فهم القادة والهداة ، ولا يصلح آخر هذا الزمان إلا بما صلح به أوله . فلنتمسك بما يحقق الآمال وعلى درب السلف ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

جاءَ في الحديث الصحيح : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ » .

وصح عنه ، ﷺ ، أيضا أنه قال : « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَتِ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَقَدْ حُشِرَ مَعَهُمْ » .

وليس معنى هذا أن الإسلام انتشر بالسيف ، كما يتهمه بذلك أعداؤه ، فإن الله تعالى يقول : (لَا إِكْرَاه فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ

---

١ — في ظلال القرآن ج ٨ بتصرف .

مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى[1]) ... ولكن أعداء الإسلام المحيطين به من كل جانب كانوا يتربصون به الدوائر ، ويشنون عليه الغارة تلو الغارة ... فاقتضى واجب الدفاع عن الدعوة وتأمين سبيلها الإذن للمسلمين بالجهاد ، كما قال تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[2] .

وقد دلت التجارب الكثيرة أن الحق لا يمكن أن يقوم في أرض الله بدون قوة تسنده ، وتدفع عنه عدوان الباطل ، وتؤمن له الطريق حتى يصل إلى الأسماع والقلوب دون عنف أو إكراه[3] . ولعله لم يبلُ أحد من الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، في سبيل التوحيد ويبلغ الغاية القصوى في تقريره والدعوة إليه ، ويجاهد في ذلك بكل ممكن ، كما فعل نبي الإسلام ، صلوات الله عليه ، ولا غرو فهو الذي اختارته العناية الإلٰهية لحمل أعظم رسالة ، رسالة الكمال والتمام ، التي جاءت بالصور النهائية الكاملة لدين الله وتوحيده

---

١ ـ سورة البقرة : ٢٥٦ . ٢ ـ سورة الحج : ٣٩ـ٤٠ . ٣ ـ دعوة التوحيد .

بعد أَن شوهها أَهل الأَديان وجعلوها مزقاً ، وخرقوا سياجها مما أَحدثوا في أَديانهم من أَلوان الشرك والابتداع ، وأَن المتأَمل في سيرته ﷺ بعد البعثة ، ليجدها سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد الدائب لإعلاءِ كلمة التوحيد ، وتقويض دعائم الشرك ، ومحاربة الوثنية في كل صورها ومظاهرها ؛ فقد قضى ثلاثة عشر عاماً في مكة من سني بعثته ، لا شغل له إلا إقرار العقائد الصحيحة ، والدعوة إلى التوحيد ومكارم الأَخلاق ، ولم ينزل عليه فيها تشريع عملي واحد إلا الصلاة وقد تحمل كثيراً من ضروب الأَذى والاضطهاد والتهديد في سبيل دعوته ، وشاركه في هذا الجهاد صحبه الكرام ، الذين استمروا في جهادهم ولم يلتفتوا لمحاولات الإغراءِ والتهديد والإكراه .

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة ، وازدياد عسكر التوحيد ، لم يلبث أَن أَذن الله للمسلمين في الجهاد دفاعاً عن أَنفسهم ، وانتقاماً ممن ظلموهم وأَخرجوهم من ديارهم ، وإنقاذاً لمن بقي في مكة من ضعفاءِ المسلمين .

وبدأَ الصراع الفعلي والحرب الساخنة بين التوحيد والشرك وكانت وقائع في بدر وأُحُد والأَحزاب ، عدا حرب اليهود في المدينة حتى أَدال الله لنبيه على قريش وفتح عليه مكة ، ونصره الله نصراً عزيزاً ، بعد هذا البلاءِ الطويل والصبر الجميل ... وأَخيراً كان

النصر المؤزر لدولة التوحيد ، حيث لم يبق في جزيرة العرب إلا صوت واحد هو صوت الإسلام الحنيف[1] ، وبذلك رفرفت رايـة التوحيد ، وانهزمت آخر معاقل الشرك على يد رسول الإسلام ومنقذ البشرية ، الذي هو رحمة للعالمين .

هكذا طهر محمد ، ﷺ، جزيرة العرب من عبادة الأوثان وجرى أصحابه ، رضي الله عنهم ، على هذه الطريقة في كل موطن نسجت فيه عناكب الشرك ، فأبادوا الأصنام وما يشبه الأصنام - كمعابد النـــار - وتفقهوا في الدين فأخذوا في إبعاد الناس عن عقيدة الشرك بطريق الجزم ، وسد الذرائع التي قد تفضي إليه . وشاهِد هذا أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بلغه أن قوماً يأتون الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان ، فيصلون عندها فتوعدهم ، ثم أمر بقطعها ، فقطعت[2] .

إن الدعوة إلى التوحيد الخالص أساس كل إصلاح ، فمن واجب دعاة الإصلاح أن يجاهدوا في تقويم العقائد ، فإن العقائد السليمة مصدر كل خير ، والعقائد الزائفة منشأ كل فساد .

---

١ - دعوة التوحيد بتصرف .

٢ - رواه ابن سعيد بإسناد حسن . راجع كتاب : محمد رسول الله وخاتم النبيين . ص١٠٦.

محطم أصنام الهند

سيكون حديثنا في هذه العجالة عن عمل خالد لرجل الدولة المسلم في تاريخ الإسلام الفريد ، إنه السلطان محمود الغزنوي رحمه الله تعالى ، الذي كان نجماً من نجوم الإسلام الخالدين . هذا السلطان الخالد الذي قال يوماً كلمة دوَّت وقرعت أَسماع العالمين ولازالت تتردد .

تلك الكلمة الخالدة هي : (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ) . يومها قال للتوحيد : نعم . وللشرك وإغراءَات الدنيا وحطامها الزائل ، قال : لا وألف لا.

أُسجل هذه المواقف النادرة التي تستحق منا الإجلال والإكبار . أَقول هذا والأَلم يعصرني ، ليس لشيءٍ إلا للجهل المطبق على أَبناءِ أُمتي ، الذين يجهلون تاريخ أَمجادهم وحضارة آبائهم ، ولكنهم – وللأَسف الشديد – يعرفون عن بطرس الناسك ، وجولد زيهر – المستشرق والصهيوني الدم – وهرتزل – أَبو الصهيونية – أَكثر مما يعرفون عن أَجدادهم الذين أَهدوا للعالم راية التوحيد الخالدة وبها نالت البشرية مفاتيح السعادة وقوارب النجاة ، تلك الهدية الفريدة الأَوصاف التي أَرادها الله مناراً للعالمين . إن هؤلاءِ الأَمجاد هم الذين خلفوا تاريخاً يُقْرأُ ، وتؤخذ منه العبرة والسيرة العطرة ، التي هي البلسم والشفاءُ لما في الصدور .

نعم لقد عرفت شبه الجزيرة الهندية ذلك العملاق الذي لمع وميضه هناك ، فأضاءَ بنور الإيمـان الذي يحمله تلك البقاع التي كانت مظلمة ، ومحطاً لرحال الشرك وعبدة الأوثان . . . وحطم معاقل الوثنية ، وقلع آخر معقل للأصنام من جذوره ، ودك آخر معبود عبدته ملايين البشر خلال السنين الطويلة ، وطهر الأرض من براثن الوثنية وأدران الشرك الفتاك ، الذي أناخ بكلكله على تلك البلاد الشاسعة وغيرها أزماناً طويلة .

وعلى أنقاض دولة الشرك الباغية أقام السلطان محمود الغزنوي غفر الله له ، صرح دولة الإسلام . وبذلك دشَّن مزارع التوحيد - إن صح التعبير - وغرس بذور الإيمان في تلك الديار التي كانت مرتعاً خصباً لأشرِّ الشرور وظلمات الحياة . وبذلك علتْ راية التوحيد بتوفيق الله ونصره لعبد من عباده المؤمنين ، الذي ضرب أروع الامثلة في محاربة الشرك والوثنية ، رغم ما قام به أولياءُ الشيطان من إغراءَات خيالية وصفقات ربح دنيوية ، إلا أنه أصرَّ على موقفه الشجاع ، وقدم عيش الآخرة الدائم على مغانم الدنيا وعرضها الزائل .

فيا ليت أبناءَ أُمتي يسمعون ، ومن غفلتهم الطويلة يستيقظون وعلى درب هذا القائد الخالد يسيرون ، وبأعماله يقتدون ، فيصارعون معبودات هذا الزمان وطواغيته الفاسدة وينتصرون لدينهم ، فيربحوا

البيع ويخلدهم التاريخ ، كما انتصر الرجل العظيم ، فربح البيع ولحق بقافلة الخالدين . فإكباراً وإجلالاً لأعمال أهل الإيمان المقتدين بسيرة سيّد الأنام ، يحق لنا أن نسجل تاريخ هذا المجاهد المؤمن بأحرف من نور ، وسيبقى ذكره خالداً في فم الزمن .

صفحة مشرقة

ولد السلطان محمود الغزنوي سنة ٣٦١ هـ . وتولى الإمارة سنة ٣٨٩ هـ . وكان دأبه غزو الهند في كل عام مرة حتى افتتح الله على يديه بلاداً شاسعة . وقد عرف في التاريخ باسم : محطم أصنام الهند . لكثرة ما حطم فيها من أصنام في طول البلاد وعرضها ، وكان من هذه الأصنام ، صنم الهند الأكبر ، الذي كان يعظمه الهنود أيما تعظيم . وكان لتحطيمه هذه القصة والعبرة التي يسوقها المؤرخ ابن كثير سنة ٤١٨ هـ . أي قبل وفاة السلطان محمود بنحو ثلاثة أعوام[١] .

وأترك الحديث للحافظ المؤرخ ابن كثير ليحدثنا ، فذاك حسبنا فلنسمع : ورد في عام ٤١٨ هـ . كتاب من محمود الغزنوي يذكر أنه دخل بلاد الهند ، وحطم أصنامهم حتى الصنم الأكبر - الأعظم - الذي كانوا يفِدون إليه من كل فج عميق ، كما يفد

١ - مجلة حضارة الإسلام سنة ١٣٩١ هـ .

الناس إلى الكعبة - البيت الحرام - وأعظم ، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة التي لا توصف ولا تعد ، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالاً ، وعنده ألف رجل يخدمونه ، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه ، وثلاثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه . كما يضرب على بابه من الطبول والأبواق ، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه . وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم ، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات .

ثم لما سمع السلطان محمود خبر هذا الصنم وكثرة عبّاده وكثرة الهنود في طريقه ، والمفاوز المهلكة والأرض الخطرة ، في تجشم ذلك في جيشه ، وأن يقطع تلك الأهوال إليه ، استخار الله تعالى ، وندب جيشه لذلك ، فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ممن اختارهم لذلك سوى المتطوعة ، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ونزلوا بساحة عبّاده ، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة. قال : فما أسرع أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفاً ، وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار .

وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك هذا الصنم الأعظم ، فأشار من أشار على السلطان بأخذ الأموال

وإبقاءِ هذا الصنم لهم . فقال : حتى أَستخير الله عز وجل . فلما أَصبح قال : إني فكرت في الأَمر الذي ذكر ، فرأَيت أَنه إذا نوديت يوم القيامة : أَين محمود الذي كسر الصنم ؟ أَحب إلي من أَن يقال : الذي ترك الصنم لأَجل ما يناله من الدنيا .

ثم عــزم – رحمه الله – فكسره ، فوجد عليــه وفيــه من اللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينوف على ما بذلوه بأَضعاف مضاعفة .

ونرجوا له من الله في الآخرة الثواب الجزيل ، الذي مثقال دانق منه خير من الدنيا وما فيها ، وما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي ، فرحمه الله وأَكرم مثواه[1] .ا.هـ

هكذا سار هذا السلطان الشجاع على خطا الأَنبياءِ والصالحين يصدع بالحق الباطل فيزهق ، وعلى درب السلف الصالح ، طليعة قافلة الإسلام ، الذين بذلوا كل غــال ونفيس في سبيل العمل للإسلام ورفع رايته في العالمين .

فيا أَبناءَ أُمة الإسلام ... تلك ومضة من نور أَضاءَت العالم فهلاَّ اقتديتم بحامل لوائها ؟ وعملتم كمــا عمل ؟ أَقــول بأَمل : أَيها القادة ، أَيها العلماءُ ، يا أَبناءَ أُمة التوحيد ، إن مكانكم صدر

---

١ – البداية والنهاية : ١٢ – ٢٢ .

، فلا تدعوا الثغرة شاغرة ، ينفذ منها عدو الله وعدوكم واعلموا أَن الله سائلكم عن أَماناتكم يوم يقوم الناس لرب العالمين .

إليك يارب المشتكي والملاذ ، فاصرع بعزتك أَعداءَك في كل أَرض ، لتعلو الراية التي أَردتها منـــاراً للعالمين .

أول من عرف بالشرك وسببـــه

قال المحدثون والمفسرون : إن أَول من عرف بالشرك قوم نوح عليه السلام . وقالوا : إن وُدّاً وسُواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، فنشأَ قوم بعدهم يأْخذون كأَخذهم بالعبادة ، فقال لهم إبليس : لو صورتم[1] صورهم فكنتم تنظرون إليهم . فصوَّروهم ، ثم ماتوا . فنشأَ قوم بعدهم ، فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم ويستسقون بهم فعبدوهم .

وهناك روايات أُخرى تصرح بهذا المعنى ، من أَن الشرك ابتدأَ من القبوريين المنصرفين بقلوبهم إلى الموتى من صلحائهم .

إن نفرة القبوريين وأَشباههم من اسم الشرك ، مع تحليهم بوصفه لا تجدي ، لأَن المشرك مشرك شاءَ أَم أَبى ، فلسنا مكلفين برضاهم .

١ ـ قال ابن القيم : قال غير واحد من السلف ، لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوَّروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون الله .

وأَما تشهدهم بالشهادتين ، فهو منتقض بأَعمالهم المنافية لهما كالحدث بعد الوضوءِ . وإقرارهم بالخالق لا يفيد ، لأَن المشركين كانوا مقرِّين بالربوبية ولم يدخلهم إقرارهم في الإِسلام[1] .

ابتداء حدوث الشرك بعد آدم

جاءَ في كتاب الأَصنام للكلبي : أَول مـــا عُبدت الأَصنام ، أَن آدم ، عليه السلام ، لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أُهبط عليه آدم بأَرض الهند . وكان بنو شيث يأْتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه . فقال رجل من بني قابيل بن آدم : يا بني قابيل إن لبني شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه ، وليس لكم شيءٌ . فنحت لهم صنماً فكان أَول من عملهـــا .

ومعنى هذا الخبر أَن عهد بني آدم بالتوحيد لم يطل ، وأَنهم لم يلبثوا أَن غيروا بعد موته ، وهذا غير معقول ، لاسيما وقد قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على التوحيد[2] .

ومما جاءَ في هذا الكتاب أَيضاً : كان ودٌّ وسُواع ويغوث ويعوق

١ ــ العقائد السلفية . ج ١ ص ٣٧ .
٢ ــ أنظر دعوة التوحيد . ص ١٢٣ .

ونسر قوماً صالحين ماتوا في شهر ، فجزع عليهم أقاربهم ، فقال رجل من بني قابيل : يا قوم . هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ؟ غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا . قالوا : نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم ، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله ، حتى ذهب ذلك القرن الأول . وعملت على عهد برد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش ابن آدم . ثم جاءَ قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول .

ثم جاءَ بعدهم القرن الثالث فقالوا : ما عظَّم أوَّلونا هؤُلاءِ إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ، فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله إليهم إدريس ، عليه السلام – وهو أخنوخ بن بردي بن مهلائيل بن قينان – نبياً ، فدعاهم فكذبوه ، فرفعه الله إليه مكاناً علياً . ولم يزل أمرهم يشتد ، فيما قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، حتى أدرك نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ فبعثه الله نبياً ، وهو يومئذ ابن أربعماية وثمانين سنة ، فدعاهم إلى الله ، عز وجل ، في نبوته في عشرين ومائة سنة . فعَصَوْه وكذبوه . فأمره الله أن يصنع الفلك ، ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة . وغرق من غرق . ومكث بعد ذلك ثلاثماية وخمسين سنة ، فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها ، وكان بين آدم ونوح ألفا سنة

ومئتا سنة ، فأهبط الطوفان هذه الأَصنام من جبل نوذ إلى الأَرض وجعل الماءُ يشتد جريه وعبابه من أَرض إلى أَرض ، حتى قذفها إلى أَرض جدة ، فلما نضب الماءُ وبقيت على الشط ، فسفت الريح عليها حتى وارتها[1] .ا.هـ

وإذا صرفنا النظر عما في أَطواءِ هذه الرواية من زيادات غير معقولة – وهي في الوقت لا حاجة إليها – أَمكن أَن نستخلص منها أَن عبادة الأَصنام كانت هي النتيجة الحتمية للغلو في تعظيم قبور الصالحين والعكوف عليها . وأَدركنا السر العظيم في نهي الإسلام عن اتخاذ القبور مساجد ، واتخاذ السرج عليها ، ونهيه عن رفعها وإقامة القباب عليها ... إلى غير ذلك مما قصد به سد الذريعة وحسم دابر الفتنة .

وروي عن ابن كثير ، نقلاً عن ابن جرير ، قال : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران بن سفيان عن موسى عن محمد بن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس في تفسير قوله تعالى : (وَلَا تَذَرُنَّ وُدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) . قال : كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أَتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أَصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أَشوق لنا

١ – راجع . إغاثة اللهفان . ج ٢ ص ٢٠٢ وما بعدها .

إلى العبادة إذا ذكرناهم . فصوروهم . فلما ماتوا وجاءَ آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يستقون المطر . فعبدوهم[1] . ا . هـ

وجاءَ في : صفوة البيان[2] . عند تفسير هذه الآيــة : وهذه الخمسة الأَصنام والصور ، التي كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب من بعدهم ، كما عبدت غيرها . فكان ود لكلب بدومة الجندل ، وسواع لهذيل بساحل البحر أَو لهمدان . ويغوث لبني غطيف من مراد بالجرف من سبإٍ ، ثم لغطفان . ويعوق لهمدان باليمن أَو لمراد . ونسر لذي كلاع من حميَر .

آثــار الشــرك ومفاســده

إن الحياة التي يهيمن عليها الشرك وظلمات الإلحاد ، لهي حياة بهيمية ، تعافها النفوس الزكية وتأْنفها الطبائع الإنسانية . فهذه المخلفات التي تتركها وراءَها رواسب الشرك والوثنية تعوق مسيرة الحياة ، وتخالف السنن الكونية ، تلك لعمري نتائج حرب الإبادة والتدمير لكافة القيم والمعاني الروحية الأَصلية .

أَعجبتني كلمة لبعض الباحثين في هذا الصدد ، أُثبتها هنا

١ – راجع : إغاثة اللهفان . ج ٢ . ص ٢٠٢ .
٢ – راجع : دعوة التوحيد .

بنصها ، يقول : إن أَكبر الكبائر الإشراك بالله تعـالى . ذلك لأَن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، وحجب متلاطمة لا يقرُّ لها قرار . فهو يجعل الإنسان عبداً للمخلوق ، وهو لا يعبد المخلوق إلا جلباً لفائدة أَو دفعاً لضرر . فهو في الواقع عبد لمصلحته وبالتالى فهو عبد لنفسه . وعبادة النفس معناها أَن الشخص غير صالح ليكون عضواً عاملاً على الرقي بالجماعة الإنسانية ، محققاً لسعادتها ، بل هو على الضد من ذلك ، يكون عدواً هادماً لأَركانها ساعياً في شقائها دون أَن يدري .

وإذ أَن الشرك يقلب الأَوضاع ، فيجعل الحق باطلاً والباطل حقاً ، والخالق مخلوقاً . وعلى هذا الأَساس لا يمكن أَن تبنى قواعد الجماعات على أُسس سليمة ، ذلك أَن العلاقات الإنسانية تكون مبنية على مستلزمات الشرك ، وهي الجشع والتربص والحقد والكذب وسفك الدماءِ والعدوان والاستعباد والإذلال ، كل ذلك يؤدي إلى انفراط نظام العقد الإنساني ، الذي يتحول إلى فوضى لا ضابط لها ولا رابط ، يسودها الخوف ، ويخيم عليها القلق ، وتتخللها الحروب التي لا تنتهي ، والتي تسببها الأَطماع التي لا تنتهي ، وحينئذ تصبح الحياة شقاءً لا سعادة فيها ، وجحيماً لا يطاق ، يعذب فيه البشر بعضهم بعضا [1] .ا.هـ.

١ ــ دعوة التوحيد . ص ٨٨ .

كيف انتشرت الوثنية في جزيرة العرب

إن عمرو بن لحي – جد قبيلة خزاعة – خرج من مكة إلى الشام في بعض أُموره ، فلما قدم مآب ، من أَرض البلقاء ، رأَى أهلها يعبدون الأَصنام . . . ولم يكن العرب يعلمون إذ ذاك شيئا عن الأَصنام وعبادتها ، وكانوا جميعاً على فطرة التوحيد والإِيمان بالله ، عز وجل فقال لهم : ما هذه الأَصنام التي أَراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه آلهة نعبدها ، نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا . فقال لهم: أَفلا تعطونني منها واحداً فأَسير به إلى أَرض العرب فيعبدوه ؟ فأَعطوه صنماً يقال له هبل . فقدم به مكة فنصبه وأَمر الناس بعبادته وتعظيمه[1] .

وهكذا انتشرت عبادة الأَوثان في الجزيرة العربية ، وشاع في أَهلها الشرك ، فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأَوثان وانتهوا إلى ما انتهت إليه الأُمم الأُخرى ، من الضلال والقبائح في المعتقدات والمفاهيم والأَفعال . وأَخذت هذه المظاهر تزداد ضراوة وشيوعاً كلما امتد بهم الزمن ، شأن سائر الأُمم والشعوب عندما يغشاها الجهل ويطول بها العهد ، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون[2] .

١ – أنظر : سيرة ابن هشام . ج ١ . ص ٧٧ .

٢ – مجلة الوعي الإسلامي . العددان ٧ ، ٨ سنة ١٣٩٢ هـ .

جاءَ في الحديث عن أَبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ: « رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ [1] ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ » . وفي لفظ « وَغَيَّرَ دِينَ ابْرَاهِيمَ » [2] .

١ – قصبه : أمعاءه .

٢ – رواه البخـــاري .

أقســـام الشـــرك

اعلم أَن الشرك ضد التوحيد ، وهو ثلاثة أَنواع : شرك أَكبر وشرك أَصغر ، وشرك خفي .

والدليل على الشرك الأَكبر قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)[1] . (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) . سورة المائدة : ٧٢ .

ومعناه : اتخاذ الند ، بأَن يدعوه أَو يرجوه ، أَو يخافه أَو يحبه كمحبة الله ، أَو يذبح أَو ينذر له . . وينقسم إِلى أَربعة أَنواع[2] : -

١ - النوع الأَول : شرك الدعوة - الدعاء . والدليل قوله تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) . سورة العنكبوت : ٦٥ .

٢ - النوع الثاني : شرك النية والارادة والقصد . والدليل قوله تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[3] .

---

١ - سورة النساء : ١١٦ .   ٢ - راجع الكواشف الجلية وكتاب الجامع الفريد .

٣ - سورة هود : ١٥ - ١٦ .

٣ ـ النوع الثالث : شرك المحبة . والدليل قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ) . سورة البقرة : ١٦٥ .

٤ ـ النوع الرابع : شرك الطاعة . والدليل قوله تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[1] . وتفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاءَهم إياهم . كما فسرها النبي ، ﷺ ، لعدي بن حاتم لما سأَله فقال : لسنا نعبدهم . فذكر له أَن عبادتهم ، طاعتهم في المعصية .

والنوع الثاني من الشرك : الشرك الأَصغر . عرفه بعضهم بأَنه كل وسيلة وذريعة يتطرق بها إلى الأَكبر . وذلك كقول الرجل : ما شاءَ الله وشئت . ولولا الله وأَنت . وكالحلف بغير الله ، كأَن يحلف بأَبيه أَو شيخه أَو زعيمه أَو شرفه . . . أَلخ .

ودليل الشرك الأَصغر ـ الرياء ـ قوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)[2] .

والنوع الثالث من أَنواع الشرك : الشرك الخفي . والدليل عليه قوله ، ﷺ: « الشِّرْكُ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ » . وكفارته قوله ، ﷺ:

١ ـ سورة التوبة : ٣١ .　　٢ ـ سورة الكهف : ١١٠ .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لَا أَعْلَمُ » . وقوله ﷺ: « اتَّقُوا هٰذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ » . فقيل له : كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ فقال : « قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ »[1] . وكان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[2] .

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر

١ ــ إن الشرك الأكبر لا يغفر لصاحبه ، وأما الأصغر فتحت المشيئة .

٢ ــ الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال ، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

٣ ــ إن الشرك الأكبر مخرج عن الملة الإسلامية ، وأما الأصغر فلا يخرج منها .

٤ ــ إن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار أبداً ، وأما

---

١ ــ رواه أحمد . أعلام الموقعين . ج ٤ . ص ٣٩٩ .

٢ ــ مقتبس عن رسالة العبودية لابن تيمية . ص ١٣٨ . أنصح باقتناء هذه الرسالة وغيرها من كتب المجدد ابن تيمية النفيسة .

الأصغر فكغيره من الذنوب . وقيل إنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة كالأكبر ، وهذا أقرب[1] والله أعلم .

الفــرق بين الشرك والكفــر

الشرك : هو دعوة غير الله معه ، وأن تجعل لله نداً في العبادة وهو خلقك . والشرك أعظم شيء نهى الله عنه . والدليل على ذلك قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) . وقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً) .

أما الكفر : فهو بمعنى الجحد والستر . فمن أنكر الرب أو الخالق سبحانه ، أو أنكر يوم البعث ، أو نبياً من الأنبياء ، أو كتاباً من الكتب السماوية ، وكذا من أحل محرماً . ولذلك فكل مشرك كافر ولا عكس .

والكفــر أنــواع[2] : ـ

أ ـ كفــر عنــاد . ككفر أبي جهل .

ب ـ كفــر إبــاء ككفــر إبليس .

جـ ـ كفــر جحــد . ككفــر فرعــون .

---

١ ـ الكواشف الجلية . ص ١٩٤ .

٢ ـ مقتبس عن كتاب العقائد السلفية جـ ١ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

الشجرة الخبيثة

إن الكفر مدمر للشخصية الإنسانية ، وهو أشر الشرور وأخبث الخبائث . كما أن الشجرة الخبيثة هي التي تثمر الثمار المرة ، وغيرها من الآفات التي تعصف بالإنسانية إلى أتون الشرك وظلمات الحياة .

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم . وفي هذا يقول سبحانه : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)[1] .

فعلى الدعاة إلى الله ، والهداة المخلصين المؤمنين بالله واليوم الآخر ، أن يجدّوا وأن يتحملوا تبعاتهم ، لتخليص البشرية من متاهاتها ، ومآثم كفرها وضلال إلحادها ، لتعود للإنسانية شخصيتها الكريمة ، التي أرادها الله لها ، لتتبوأ بذلك مكانها اللائق تحت الشمس . قال ابن عباس : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) ـ وهي الشرك ـ (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) . يعني الكافر (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : الشرك ليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء . يقول : ليس له عمل صالح في السماء ولا في الأرض .

وقال الربيع بن أنس : مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض

---

١ ـ سورة إبراهيم : ٢٦ .

ولا يصعد إلى السماء .

قال الضحاك : ضرب الله مثلاً للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، يقول : ليس لها أصل ولا فرع ، وليس لها ثمرة ، ولا فيها منفعة ، كذلك الكافر لا يعمل خيراً ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة .

قال تعالى : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)[1] . لقد أخبر سبحانه وتعالى عن فضله وعدله في الفريقين : أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث ، فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت ، أحوج ما يكون إليه في الدنيا والآخرة ، وإنه يضل الظالمين وهم المشركون ، عن القول الثابت ، فأضل هؤلاء ـ بعدله ـ لظلمهم ، وثبت المؤمنين ـ بفضله ـ لإيمانهم[2] .

---

١ ـ سورة ابراهيم : ٢٧ .

٢ ـ راجع كتاب أعلام الموقعين جـ ١ . ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

الشـــرك ظلمـــات ونقـــم

قال تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)[١] . قال ابن كثير : أَخبر تعالى أَنـــه (لَا يَغْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ) . أَي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك . (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) . أَي من الذنوب لمن يشاءُ من عباده . انتهى .

فتبين بهذه الآية أَن الشرك أَعظم الذنوب ، لأَنَّ الله تعالى أَخبر أَنه لا يغفر لمن لم يتب منه . وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة إن شاءَ غفره ، لمن لقيه به ، وإن شاءَ عذبه به . وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأْنه عند الله ، لأَنه أَقبح القبيح وأَظلم الظلم ، وتنقُّص لرب العالمين ، وصرف خالص حقه لغيره ، وعدل غيره به ، كما قال تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)[٢] .

ولأَنه مناقض للمقصود بالخلق والأَمر ، مناف له من كل وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين ، والاستكبار عن طاعته والذّل له والانقياد لأَوامره ، الذي لاصلاح للعالم إلا بذلك ، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة[٣] . كما قـــال ، ﷺ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى

١ – سورة النساء : ٤٨ ٢ – سورة الأنعـــام : ١

٣ – ملخص بعض أقوال شيخ الإسلام . فتح المجيد . ص ٧٨ .

لَا يُقالَ فِي الْأَرْضِ : اللّٰهُ اللّٰهُ » [1]

قال الخليل ، عليه السلام : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) [2].

الصنم ما كان منحوتاً على صورة ، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك . قلت : وقد يسمى الصنم وثناً ، كما قال الخليل ، عليه السلام [3] : (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً) [4].

ويقال إن الوثن أعم وهو قوي ، فالأصنام أوثان ، كما أن القبور أوثان . قوله : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) . أي اجعلني وبنيَّ في جانب عن عبادة الأصنام ، وباعد بيننا وبينها . وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، وجعل بنيه أنبياءَ ، وجنبهم عبادة الأصنام . وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك بقوله : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ) . فإنه هو الواقع في كل زمان . فإذا عرف الإنسان أن كثيراً وقعوا في الشرك الأكبر ، وضلوا بعبادة الأصنام أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير ، من الشرك الذي لا يغفره الله .

---

١ – رواه مسلم . ٢ – سورة إبراهيم : ٣٥ .

٣ – الخلّة : أخص من المحبة . ولذلك اختص الله بها الخليلين إبراهيم ومحمد ، عليهما السلام ، ويقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً أحَداً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلكِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً » . رواه البخاري .

٤ – سورة العنكبوت : ١٧ .

قال إبراهيم التيمي : من يأْمن البلاءَ بعد إبراهيم ؟ . رواه ابن جرير وابن أَبي حاتم ، فلا يأْمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به وبما يخلصه منه ، من العلم بالله ، وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به .

جاءَ في قرة العيون : قال النووي ، رحمه الله تعالى : أَما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأَوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند أَهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإِسلام وبين من انتسب إِليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك . وأَما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به لكن إِن لم يكن صاحب كبيرة مصرّاً عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة ، فإِن عفي عنه دخل الجنة أَولاً وإِلا عذب في النار ثم أُخرج منها وأُدخل الجنة . ا.هـ.

قلت : هذا قول أَهل السنة والجماعة ، لا اختلاف بينهم في ذلك . وهذه الآية من أَعظم ما يوجب الخوف من الشرك ، لأَن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك وأَوجب له الخلود في النار ، وأَطلق ولم يقيد ثم قال : (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فخصَّص وقيد فيما دون الشرك ، فهذا الذنب الذي هذا شأْنه لا يأْمل أَن يقع فيه

فلا يرجى له معه نجاة ، إن لم يتب قبل الوفاة [1]

جاءَ في قرة العيون : فإذا كان الخليل إمام الحنفاءِ ، الذي جعله الله أُمة واحدة ، وابتلاه بكلمات فأَتمهنّ وقال : (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ) . وأُمر بذبح ولده فامتثل أَمر ربه ، وكسّر الأَصنام واشتد نكيره على أَهل الشرك ، ومع ذلك يخاف أَن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأَصنام ، لعلمه أَنه لا يصرفه عنه الله إلا بهدايته وتوفيقه ، لا بحوله هو وقوته .

فهذا أَمر لا يؤمن الوقوع فيه ، وقد وقع فيه الأَذكياءُ من هذه الأُمة بعد القرون المفضلة ، فاتخذت الأَصنام وعبدت . فالذي خافه الخليل ، عليه السلام ، على نفسه وبنيه وقع فيه أَكثر الأُمة بعد القرون المفضّلة ، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور ، وصرفت لها العبادات بأَنواعها ، واتخذ ذلك ديناً ، وهي أَوثان وأَصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة ، وأَصنام العرب وغيرهم ، فما أَشبه ما وقع في آخر هذه الأُمة ، بحال أَهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم ، بل وقع ما هو أَعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عدّه .

فمن تدبر القرآن عرف أَحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم ، الذي بعث الله أَنبياءَه ورسله بالنهي عنه ، والوعيد على

---

١ – راجع : فتح المجيد . ص ٧٩ .

فعله ، والثواب على تركه ، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه .

نسأل الله الثبات على الاسلام ؛ والاستقامة على ذلك ، حتى نلقى الله على التوحيد ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، سبحانه .

جاء في الحديث : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ ». فسئل عنه فقال : « الرِّيَاءُ »[1] . قوله : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ » . هذا من شفقته ، ﷺ ، بأمته ورحمته ورأفته بهم ، فلا خير إلا دلَّهم عليه وأمرهم به ، ولا شرَّ إلا بيَّنه لهم وأخبرهم به ونهاهم عنه ، كما قال ، ﷺ ، فيما صح عنه : « مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ... الحديث » . فإذا كان الشرك الأصغر مخوفاً على أصحاب الرسول ، ﷺ ، مع كمال علمهم وقوة إيمانهم ، وتخرجهم من مدرسة النبوة ، الذين عايشوا نزول الوحي ، وتشريع الرسول وتطبيقاته العملية ... فكيف لا يخافه ، وما فوقه ، من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب ؟ ! ... خصوصاً إذا عرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقرّ به المشركون ، الذين حاربهم الرسول ، ﷺ ، وأصحابه الكرام ، وما عرفوا كذلك معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله[2] .

---

١ ـ رواه أحمد والطبراني والبيهقي .   ٢ ـ فتح المجيد . ص ٨٠ .

جاءَ في قــرة العيون : فإذا كان يخافه ، ﷺ ، على أَصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة ، ورغبوا إليه وإلى ما أَمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به ، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم ، وما أَنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءَة من الشرك ... فكيف لا يخاف من لا نسبةَ له إليهم في علم ولا عمل ، ممّا هو أكبر من ذلك؟ وقد أَخبر ، ﷺ ، عن أُمته بوقوع الشرك الأَكبر فيهم ، بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره : « حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَــامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَــانَ » .

وقد جرى ما أَخبر به ، ﷺ ، وعمّت به البلوى في أَكثر الأَقطار حتى اتخذوه ديناً ، مع ظهور الآيات المحكمات والأَحاديث الصحيحة في النهي عنه ، والتخويف منه . كما قال تعالى : (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)[1] .

وهذا هو تحقيق التوحيد ، ومن لم تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة ، إذا تدبرها ، فلا حيلة فيه ، والنار أَولى بكل معرض عن الكتاب ، غير مبال بأَوامر الله . عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أَن الرسول ، ﷺ ، قال : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ »[2] . قال ابن القيم ، رحمه الله : النــد الشبيه . يقال فلان ندّ فلان وندّ يده أَي مثله وشبيهه . اهـ

١ ــ سورة المــائدة : ٧٢ .

٢ ــ رواه البخــاري .

قال تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . البقرة : ٢٢
قوله : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدّاً » . أي يجعل لله ندا في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به . واعلم أن اتخاذ الند على قسمين : الأول : أن يجعله لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها ، كما تقدم وهو شرك أكبر . والثاني : ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل : ما شاءَ الله وشئتَ ، ولولا الله وأنتَ . فقد ثبت أن النبي ﷺ ، لما قال رجل : ما شاءَ الله وشئتَ . قال : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدّاً ؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » . رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد . والنسائي وابن ماجــة . وفيه بيان أن دعوة غير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، شرك جليّ . كطلب الشفاعة من الأموات فإنها ملك لله تعالى وبيده ، ليس بيد غيره منها شيءٌ ، وهو الذي يأذن للشفيع فيمن لاقى الله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر .

جاءَ في كتاب قرة عيون الموحدين : من دعا ميتاً أو غائباً وأقبل عليه بقلبه ووجهه رغبة إليه ورهبة منه ، سواءً سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ، ولهذا حرم الله اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الإنكار ، لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه للشفيع في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به ، ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله

فقد أَعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى ، وذلك ينافي الإِخلاص .

ولمسلم عن جابر ، رضي الله عنه ، أَن رسول الله ، ﷺ ، قال : « مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ »[1] .

وقوله : « مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » . قال القرطبي : أَي لم يتخذ معه شريكاً في الإِلهية ، ولا في الخلق ولا في العبادة . ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أَهل السنة : إِن من مات على ذلك فلابد له من دخول الجنة ، وإِن جرت عليه قبل ذلك أَنواع من العذاب والمحنة . وإِن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ، ويخلد في النار أَبد الآباد ، من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آمـــاد[2] .

---

١ – رواه مسلم .

٢ – راجع : فتح المجيد . ومن أراد البسط والاستزادة فعليه بهذا السفر النافع الفريد . جزى الله مؤلفه عنا خير الجزاء .

مـن أسباب كفـر ابـن آدم
الغلـو في الصالحـين

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾[1] . الغلو : هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد . قال عليه الصلاة والسلام : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ . . » وسيأتي بيانه . فكل من دعا نبياً أَو ولياً من دون الله ، فقد اتخذه إلٰهاً وضاهأَ النصارى في شركهم ، وضاهأَ اليهود في تفريطهم ، فإن النصارى غلوا في عيسى عليه السلام ، واليهود عادوه وسبّوه وتنقّصوه . فالنصارى أَفرطوا واليهود فرّطوا .

وقال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾[2] .

ففي هذه الآية وأَمثالها الرد على اليهود والنصارى .

جاءَ في قرة العيون : وقد وقع الشرك في العبادة في هذه الأُمة نظماً ونثراً ، كما في كلام البوصيري والبُرَعي وغيرهما ، وفيما فعلوه من الغلو والشرك ، محادّة لله ولكتابه ولرسوله ، ﷺ ، فأَين ما وقع فيه هؤلاءِ الجهلة من قول من قال للنبي ، ﷺ: أَنت سيدنا

---

١ ـ النساء : ١٧١ .
٢ ـ المائدة : ٧٥ .

وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا . فكره ذلك ، عليه السلام ، أشد الكراهة . وقول القائل : ما شاءَ الله وشئتَ . فقال : « أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدّاً . بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » .

قال شيخ الإسلام ، رحمه الله : ومن تشبّه من هذه الأُمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أَو تفريط ، فقد شابههم . قال : وعلي ، رضي الله عنه ، حرّق الغالية من الرافضة ، فأَمر بأَخاديد خدت لهم عند باب كنـــدة[1] ـ باب من أَبواب الكوفة ـ فقذفهم فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم . لكن مذهب ابن عباس أَن يقتلوا بالسيف من غير تحريق . وهو قول أَكثر العلماءِ .

وعن عمر أَن رسول الله ، ﷺ ، قال : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . متفق عليه .

قال أَبو السعادات وغيره : أَي لا تمدحوني بالباطل ، ولا تجاوزوا الحد في مدحي . والاطراءُ هو مجاوزة الحد في المدح والكذب عليه . قوله : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . أَي لا تمدحوني فتغلوا في

١ ـ إن الغلاة المحرَّقين هم : عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه . وقالوا أن علياً إلاههم . فنهاهم . فلم ينتهوا فحرّقهم . وإنما أراد ابن سبإ بذلك إحداث فتنة ، وخلق شيع وفتح ثغرة في صفوف المسلمين . وقد حدث ما أراد هذا اليهودي الملعون . ووجد في الناس كثير ممّن أطاعه وألّه علياً وأبناءه كما عمل الشيعة وأمثالهم . وهكذا كفروا بالله ورسوله ، وعادوا علياً والمؤمنين . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مدحي كما غَلَت النصارى في عيسى ، عليه السلام ، فادّعوا فيه الإلٰه ، وإنما أَنا عبد الله ورسوله فصِفوني بذلك ، كما وصفني ربي . فقولوا : عبد الله ورسوله . فأَبى المشركون إلا مخالفة أَمره ، وارتكاب نهيه . وعظَّموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه ، وناقضوه أَعظم مناقضة وظاهروا النصارى في غلوهم وشركهم ، ووقعوا في المحظور ، وجرى منهم من الغلو والشرك ـ شعراً ونثراً ـ ما يطول عده ، وصنفوا فيه مصنفات ... ونظرة سريعة في كتب التصوف المشبوهة تؤيد قولنا .

ومن أَساطينهم في هذا الدرب البوصيري [1] وغيره من أَصحاب الترهات التي لا يقبلها عاقل أَو منصف ، أَو من كان له إلمام بأَدب أَو أَخلاق ، فضلاً عن صاحب عقيدة طاهرة . قال ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ » [2] . ولمسلم عن ابن عباس . أَن رسول الله ، ﷺ ، قال : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » . قالها ثلاثاً .

قال شيخ الإسلام : هذا عام في جميع أَنواع الغلو ، في الاعتقادات والأَعمال . وسبب هذا اللفظ العلم ، رمي الجمار ، وهو داخل فيه

---

١ ـ قال في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

هذا غلو فاضح وخروج عن تعاليم الإسلام .

٢ ـ رواه أحمد الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عباس .

مثل الرمي بالحجارة الكبار بناءً على أنه أبلغ من الصغار ، ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا ، إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به ، فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك[1] . قوله « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » . قالها ثلاثاً . قال الخطابي : المتنطع : المتعمق في الشيء ، المتكلف البحث عنه ، على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم ، الخائضين في ما لا تبلغه عقولهم.

ومن التنطع الامتناع عن المباح مطلقاً ، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز ، ومن لبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف كتنطع بعض الصوفية الأغبياء ، ويمتنع من نكاح النساء ، ويظن أن هذا من الزهد المستحب .

قال الشيخ تقي الدين : فهذا جاهل ضالٌّ . قال النووي : فيه كراهة التقعر بالكلام بالتشدق ، وتكلف الفصاحة ، واستعمال وحشي اللغة ، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم . قوله : قالها ثلاثاً . أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات ، مبالغة في التعليم والإبلاغ ، وقد بلَّغ البلاغ المبين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين[2] .

---

١ — راجع : فتح المجيد . ص ٢٢٢ وما بعدها .

٢ — المصدر نفسه ص : ٢٢٥ — ٢٣١ .

الغلو في قبور الصالحين

روى مالك في الموطإ أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ . اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » .

دل هذا الحديث أن قبر النبي ، ﷺ ، لو عبد لكان وثناً ، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه . ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها .

وقد عظمت الفتنة بالقبور لتعظيمها وعبادتها ، كما قال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه : كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ، وينشأُ فيها الصغير ، تجري على الناس يتخذونها سنَّة إذا غيّرت قيل : غيِّرتْ السنة ؟ . ا.هـ

جاء في قرة العيون : وذلك أنه ﷺ ، خاف أن يقع في أُمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارى في حق أَنبيائهم ، من عبادتهم من دون الله وذلك الغلو فيهم . كما قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)[1] .

---

١ ـ سورة المائدة : ٧٧ .

وكذلك رغب ﷺ إلى ربه أَن لا يجعل قبره وثناً يعبد . وقد عبدت القبور بأَنواع . ولخوف الفتنة نهى عمر عن تتبُّع آثار النبي ، ﷺ .

قال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس يقول : أَمر عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ . قطعها لأَن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة .

وقوله : « اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » . فيه تحريم البناية على القبور ، وتحريم الصلاة عندها وأَن ذلك من الكبائر . وفي القِرى للطبري[1] : من أَصحاب مالك عن مالك أَنه كره أَن يقول : زُرْتُ قبر النبي ، ﷺ، وعلل بقوله : « اللّٰهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ » . الحديث .

كره إِضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبُّه بفعل أُولئك سداً للذريعة .

ولا بن جرير بسنده ، عن سفيان بن منصور ، عن مجاهد : « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ[2] فَمَاتَ فَعَكَفُوا

١ ـ كتاب القرى لقاصد أُم القرى . تأليف المحب الطبري .
٢ ـ السويق : دقيق الحنطة أو الشعير . ولتّه : بلّه بالمـاء أو السمن .

عَلَىٰ قَبْرِهِ » . وكذا قال أَبو الجوزاءِ عن ابن عباس : « كَانَ يَلُتُّ السَّوِيْقَ لِلْحُجَّاجِ » .

وقوله : « كَانَ يَلُتُّ السَّوِيْقَ لَهُمْ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ » . وفي رواية : « فَيُطْعِمُ مَنْ يَمُرُّ مِنَ النَّاسِ فَلَمَّا مَاتَ عَبَدُوْهُ وَقَالُوا : هُوَ اللَّاتُ »[1] .

والمعنى أَنهم غلوا فيه لصلاحه ، حتى عبدوه ، وصار قبره وثناً من أَوثان المشركين . قال ابن خزيمة : وكذا العُزّى . وكانت شجرة عليها بناءٌ وأَستار بنخلة ، بين مكة والطائف ، كانت قريش تعظمها[2] .

وعن ابن عباس ، رضي الله عنه ، قال : لعن رسول الله ، ﷺ ، زائرات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسرج[3] .

قال محمد بن اسماعيل الصنعاني في كتابه تطهير الاعتقاد : فإِن هذه القباب والمشاهد التي صارت أَعظم ذريعة إِلى الشرك والإِلحاد وأَكبر وسيلة إِلى هدم الإِسلام وخراب بنيانه ، غالب – بل كل – من يعمرها هم السلاطين والملوك والرؤساءُ والولاة ، إِما على قريب لهم ، أَو على من يحسنون الظن فيه ، من فاضل أَو عالم أَو صوفي

١ – رواه سعيد بن منصور .
٢ – انظر : فتح المجيد . ص ٢٥٢ وما بعدها .
٣ – رواه أهـــل السنن .

أَو فقير أَو شيخ كبير .

ويزوره الناس الذين يعرفونه ، زيارة الأَموات من دون توسل به ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أَو أَكثرهم ، فيأْتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيّد عليه البناءُ وسرجت عليه الشموع ، وفرش بالفراش الفاخر ، وأُرخيت عليه الستور ، وأُلقيت عليه الأَوراد والزهور ، فيعتقد أَن ذلك لجلب نفع أَو دفع ضر . وتأْتيه السدنة يكذبون على الميت بأَنه فعل وفعل وأَنزل بفلان الضرَّ ، وبفلان النفع ، حتى يغرسوا في جبلّته كل باطل . والأَمر ما ثبت في الأَحاديث النبوية ، من لعْن من أَسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها .

وأَحاديث ذلك واسعة معروفة ، فإن ذلك في نفسه منهيٌّ عنه ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة . اهـ .

قال ابن القيم ، رحمه الله : اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر[1] . وكذلك عدّه ابن حجر الهيثمي في الكبائر أَيضاً .

---

١ ــ انظر : فتح المجيد . ص ٢٥٤ ــ ٢٥٧ .

الاستعاذة بغير الله

معنى الاستعاذة[1] : الالتجاءُ والاعتصام . ولهـذا يسمى المستعاذ به : معاذاً وملجأً . ومن الشرك الاستعاذة بغير الله . وهي من العبادات التي أَمر الله تعالى بها عباده . قال تعالى : (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[2] . وقوله : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) .

فما كان عبادة لله ، فَصَرْفُهُ لغير الله شرك في العبادة ، فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله ، جعله شريكاً لله في عبادته ونازع الرب في إلاهيته .

كما أَن من صلى لله ، وصلى لغيره ، يكون عابداً لغير الله ولا فرق.

عن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ، ﷺ، يقول : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَاكَ » رواه مسلم .

قوله : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ » . شرع الله لأَهل الإسلام أَن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أَهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . فشرع الله للمسلمين أَن يستعيذوا بأَسمائه وصفاته . قال القرطبي قيل : معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق

---

١ ــ راجع : فتح المجيد . ص ١٧٩ .   ٢ ــ سورة فصلت : ٣٦

كلام البشر . وقيل : معناه الشافية الكافية . وقيل : الكلمات هنا هي القرآن .

قال شيخ الإسلام ، رحمه الله : وقد نص الأَئمة كأَحمد وغيره على أَنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق . وهذا مما استدلوا به على أَن كلام الله غير مخلوق .

قالوا : لأَنه ثبت عن النبي ، ﷺ ، أَنه استعاذ بكلمات الله وأَمر بذلك . ولذلك نهى العلماءُ عن التعازيم[1] والتعاويذ التي لا يعرف معناها ، خشية أَن يكون فيها شرك[2] .

وقال ابن القيم ، رحمه الله : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ بالله ، وتقرب إليه بما يحبُّ ، فقد عبده ، وإن لم يسمِّ ذلك عبادة ويسمّيه استخداماً . وهو استخدام من الشيطان له ، فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدمه الشيطان . لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة ، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به . ا . هـ[3]

---

١ – إن مثل هذه التعازيم – العزائم – معروفة لدى المختصين في كتابة الحجب والسحر وغيرها من أعمال الشعوذة التي أصبحت مهنة يرتزق بها بعض صوفية هذا الزمان . ومنهم شيوخ الطرق : الخلوتية والرفاعية والشاذلية وغيرهم ، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

٢ – راجع فتح المجيد .

٣ – نفس المصدر .

اطلاع الرسل والملائكة على الغيب

لم يطلع الله تعالى أحداً من خلقه على الغيب . ولكنه سبحانه وتعالى استثنى الملائكة والرسل من هذا . وأخبر أنه أطلعهم من الغيب ما شاءَ ، سبحانه ، لهم أن يعرفوه ، بقصد تبليغ رسالاته وأوامره لا يخرج عن النطاق الذي يكون فيه مصلحة البشر ومنفعتهم .

فقال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً) [١] .

أَما خلاف ذلك فلا يحيط أَحد من خلقه بشيءٍ مما استأثر بعلمه من الغيب . حتى الرسول نفسه نفى الله عنه علمه بالغيب ، فقال تعالى : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) [٢] .

وقال سبحانه : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) [٣] .

فإذا كان الرسول ، ﷺ ـ وهو سيد البشر وأفضل المرسلين ـ نفى الله عنه علمه بالغيب إلا ما يوحيه إليه وينزل به عليه الملك

١ ـ سورة الجن : ٢٦ ـ ٢٨ .
٢ ـ سورة الأنعام : ٥٠ .
٣ ـ سورة الأعراف : ١٨٨ .

بأمـــره سبحانه[1] ، فكيف إذن يزعم الجهال والمنحرفون معرفتهم للغيب واطلاعهم على أمور المستقبل ؟ !.

الـــذبـح لغـــير اللـــه

قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ)[2] .

قال ابن كثير : يأمره الله أن يخبر المشركين ، الذين يعبدون غير الله ، ويذبحون له ، بأنه أخلص صلاته وذبيحته . لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه ، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. قال مجاهد : النسك : الذبح في الحج والعمرة .

وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير : ونسكي ذبحي . وكذا قال الضحاك .

وقال غيره : (وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي) . أي وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح . (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) : خالصاً لوجه الله . (لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ) الإخلاص (أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) . أي من هذه الأمة . لأن إسلام كل نبي متقدم[3] .

---

١ ـ راجع : صراع بين الحق والباطل .
٢ ـ سورة الأنعام : ١٦٢ .
٣ ـ راجع : فتح المجيد . ص ١٤٨ ـ ١٥٣ .

ملعـون من ذبـح لغـير الله

عن علي بن أَبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : حدثني رسول الله ﷺ ، بأَربع كلمات : « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدَثاً ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ »(١) .

قال أَبو السعادات : مُحْدَثاً : يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول . فمعنى الكسر من نصر جانياً وآواه ، وأَجاره من خصمه ، وحال بينه وبين أَن يقتصّ منه . وبالفتح : هو الأَمر المبتدع نفسه . ويكون معنى الإِيواءِ فيه الرضى بـه والصبر عليه فإِنه إِذا رضي بالبدعة وأَقرَّ فاعلها ، ولم ينكر عليه فقد آواه . منار الأَرض : معالمها وحدودها وعلاماتها .

قال الإِمام النووي : المراد بقوله : « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ » . أَن يذبح باسم غير اسم الله تعالى ، كمن يذبح للصنم ـ ومثله أَن يذبح لصاحب القبر ـ أَو نحو ذلك . وكل هذا حرام ، ولا تحل هذه الذبيحة . نص عليه الشافعي ، واتفق عليه أَصحابنا . فإِن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله ، والعبادة له ، كان ذلك كفراً . فإِن كان الذابح مسلماً قبل ذلك ، صار بالذبح مرتـداً . ذكره في

١ ـ رواه مسلم وغيره .

شرح مسلم ، ونقله كثيرون[1] . قـال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، في قوله تعالى : (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ)[2] : ظاهره أنه ما ذبح لغير الله ، مثل أن يقول : هذا ذبيحة لكذا . وإذا كان هذا هو المقصود ، فسواءٌ لفظ بـه أو لم يلفظ . وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم ، وقال فيه : باسم المسيح أو نحوه . ومعنى قوله : « لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثاً » . أي ضمه إليه وحمى . والمحدث هو الأمـر المبتدع نفسه . ومن آوى المحدث لعنه الله تعالى . ومن العجيب أن أكثر المسلمين ينذرون ويذبحون لغير الله ، وهم يفتتحون صلاتهم مرات عديدة كل يوم بقوله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[3] . ومعنى النسك هو الذبح. وهو لا يجوز إلا لله . قال تعـالى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) . فالنحر والذبح كالصلاة ، وكل منهما لا يجوز إلا لله . انتهى باختصار .

١ ــ راجع رسالة : تقاليد يجب أن تزول . تحقيق محمود مهدي استانبولي .

٢ ــ سورة البقرة : ١٧٣ .

٣ ــ سورة الأنعـام : ١٦٢ .

تعليـــق التمائم والودع والأوتار

عن عقبة بن عامر مرفوعاً : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ » . وفي رواية : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ »[1] .

قوله : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً » . أَي علقها متعلقاً بها قلبه في طلب خير أَو دفع ضر .

قال المنذري : خرزة كانوا يعلقونها ، يرون أَنها تدفع عنهم الآفات . وهذا جهل وضلالة ، إِذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى .

قال أَبو السعادات : التمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أَولادهم ، يتقون بها العين في زعمهم ، فأَبطلها الإِســـلام .

وقوله : « فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ » . دعاءٌ عليه . وقوله : « وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً » . الودعة شيءٌ يخرج من البحر يشبه الصَّدَف ، يتقون به العين . ومعنى « فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ » . أَي لا جعله في دعة وسكون . وهو دعاءٌ عليه كما قال أَبو السعادات . وقوله : وفي رواية : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ » . قال أَبو السعادات : إِنمـــا جعلها شركاً

---

١ ــ رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم . وقال : صحيح الإسناد . وأقره الذهبي . انظر فتح المجيد .

لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه .

جاء في قرة العيون : وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها ، لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه ، وهذا أيضاً ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى : (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ) . لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك ، وإن كان من الشرك الأصغر ، فهو عظيم . فإذا كان هذا خفي على بعض الصحابة ، رضي الله عنهم ، في عهد النبوة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب ، بعد ما حدث من البدع والشرك ؟ وهذا مما يبين معنى (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ) أيضاً ، فإنها نفت كل الشرك قليله وكثيره . كما قال تعالى : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . سورة آل عمران : ١٨ .

ولابن أبي حاتم ، عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمَّى ، فقطعه وتلا قوله تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)(١) .

---

١ ـ سورة يوسف : ١٠٦ .

وروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده ، فإذا فيه خيط ، فقال : ما هذا ؟ قال : شيءُ رقي لي فيه . فقطعه وقال : لو مت وهو عليك ما صليت عليك .

وبهذا يتضح أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ، كما يَشْهَدُ بذلك كلام الصحابة ، رضوان الله عليهم .

إن جاهلية القرن العشرين يعتقدون بلبس الحلق ، وغير ذلك مما كانت عليه الجاهلية الأُولى . ومنهم من يتخذ سبع أَنواع من الحبوب ، ويعلقونها في كيس مع سرة الطفل ، وأَشباه ذلك كثير فاش فيمن يتسمّون بأَسماءَ إسلامية وهم من أَجهل المشركين[1] .

جاءَ في الصحيح عن أَبي بشير الأَنصاري ، رضي الله عنه ، أَنه كان مع رسول الله ، ﷺ ، في بعض أَسفاره ، فأَرسل رسولاً أَن لا يبقينَّ في رقبة بعير قلادة من وتر ، أَو قلادة من حبل إلا قطعت[2] .

قال البغوي في شرح السنة : تأَول مالك أمره ، عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أَجل العين . وذلك أَنهم كانوا يشدُّون تلك الأَوتار والتمائم ، ويعلقون عليها العوذ ، يظنون أَنها تعصمهم الآفات ، فنهاهم النبي ، ﷺ ، وأَعلمهم أَنها لا ترد من أَمر الله شيئاً . وقال أَبو عبيد : كانوا يقلدون الإبل الأَوتار لئلا تصيبها العين

١ — راجع كتاب : فتح المجيد .   ٢ — متفق عليه .

فأَمرهم النبي ، عليه الصلاة والسلام ، بإزالتها إعلاماً بأَن الأَوتار لا ترد شيئاً[١] .

إن الذين يقومون بعمل التمائم والأَحجبة يزعمون بعملهم هذا أَنهم يعملون خيراً ، ويخدمون الإسلام وأَهله ، وأَن الذي يكتبونه من القرآن وأَسماءِ الله عندما يصنعون تلك الأَحجبة ، ما هو إلا تضليل بالقرآن وإلحاد فيه ، كيف لا يكون ذلك.؟ وهم يكتبونه على طريقة اليهود حروفاً مقطعة ، وبمداد خاص ، ويمزجونه بأَدعية جاهلية ، وبخطوط يزعمونها على صورة خاتم سليمان ، الذي كان فيه سرُّ ملكه ـ كما يزعم اليهود الذين يعتقدون كفر سليمان وأنه كان يسخر الجن بالسحر لا بمعجزة من الله ـ وعلى هذه العقيدة اليهودية يعمل الدجّالون الذين يكتبون التمائم والتولات ، ويزعمون أَن للحروف والأَسماءِ خداماً ، يقومون بما يطلب منهم من الأَعمال السحرية ، ويتخذون أَنواعاً من البخور والأَدوات المخصوصة ، التي يوحي بها شياطينهم ، وكل ذلك من الكفر العظيم[٢] .

قال الحافظ ، ويؤيده حديث عقبة بن عامر مرفوعاً : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ » . رواه أَبو داود .

وهي ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك[٣] .

١ ـ فتح المجيد بتصرف .　　　٢ ، ٣ ـ نفس المصدر .

لبس الحلقة والخيط ونحوهما

ما أَكثر الذين يصرعهم جهلهم ، فيتبعون الهوى وما يزينه الشيطان ، مما يؤدي بهم إلى ظلمات الشرك والوثنية . لقد عمَّ البلاءُ واشتد الخطب على أَبناءِ القرن العشرين ممن ينتسبون لهذه الأُمة ، فارتكبوا المحرمات وأَشركوا بالله فلبسوا الحلقة والخيط ونحوهما ، اعتقاداً منهم أَنهما يبعدان عنهم غائلة المرض ، ويخففان عنهم الخطب ، وما ذاك إلا ضرب من الانحراف عن نهج الإسلام والوقوع في الشرك الذي ينافي التوحيد الخالص .

قال تعالى : (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)[1] .

هذه الآية الكريمة وأَمثالها ، تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أَو دفع ضر ، وإن ذلك شرك بالله . وفي الآية بيان أَن الله تعالى وسم أَهل الشرك بدعوة غير الله ، والرغبة إليه من دون الله ، والتوحيد ضدّ ذلك وهو أَن لا يدعو إلا الله ، ولا يرغب إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه ، وكذا جميع أَنواع العبادة لا يصلح منها شيءٌ لغير الله كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأُمة .

---

١ ـ سورة الزمر : ٣٨ .

جاءَ في الحديث عن عمران بن حصين ، رضي الله عنه ، أَن النبي ، ﷺ ، رأى رجلاً في يده حلقة من صفر ، فقال : ما هذا ؟ قال : من الواهنة . فقال : « إِنْزَعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْناً فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً » . رواه أَحمد بسند لا بأْس به .

قال أَبو السعادات : الواهنة عرق يأْخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها . وقيل هي مرض يأْخذ في العضد . وهي تأْخذ الرجال دون النساءِ ، وإنما نهي عنها لأَنه إنما اتخذها على أَنها تعصمه من الأَلم ، وفيه اعتبار المقاصد .

جاءَ في قرة العيون : إنما نهاه عنها لأَنها تمنع عنه الداءَ أَو ترفعه ، فأَمره ، ﷺ ، بنزعها لذلك ، وأَخبر أَنها لا تزيده إلا وهناً فإن المشرك يعامل بنقيض قصده ، لأَنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه ، فإذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أَطَمُّ وأَعظم ؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد وغيرها .

ومن هذا الباب ما يفعله الجاهليون اليوم من إلباس أَولادهم خلاخيل الحديد وغيره ، يعتقدون أَن ذلك يحفظهم من الموت الذي أَخذ إخوتهم الذين ماتوا قبلهم ، ومنه لبس حلقة الفضة للبركة أَو لمنع البواسير ، ولبس خواتيم لها فصوص مخصوصة للحفظ من الجن[1] .

---

١ – فتح المجيد .

التطير (التشاؤم)

التطير أو التشاؤم ببعض الأَشياءِ من أَمكنة وأَزمنة وأَشخاص وغير ذلك من الأَوهام التي راجت سوقها - ولازالت رائجة - عند كثير من الجماعات والأَفراد ، وقديماً قال قوم صالح له : (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) . النمل : ٤٧ .

وكان فرعون وقومه إذا أَصابتهم سيئة : (يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ) . الأَعراف : ١٣١ . وكثيراً ما قال الكفار الضالون ، حينما ينزل بهم بلاءُ الله ، لدعاتهم ورسل الله إِليهم : (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) . يس : ١٨ .

وكان جواب هؤلاءِ المرسلين : (طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) سورة يس : ١٩. أَي سبب شؤمكم مصاحب لكم ، وهو كفركم وعنادكم وعتوُّكم على الله ورسله .

ونظم النبي ، ﷺ ، التطير مع الكهانة والسحر في سلك واحد : « لَيْس مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ » . رواه البزار بإِسناد جيد والطبراني بإِسناد حسن . وقال ﷺ : « الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ » . رواه أَبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

العِيافة : الخط في الرمل . وهو ضرب من التكهن لازال حتى

اليوم . أَما الجبت فهو ما عبد من دون الله تعالى . والطَّرْقُ : هو الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن أَيضاً[1] .

قال ﷺ : « لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ »[2] وزاد مسلم : « وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ » .

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى ، واعتصم بحبله المتين وتوكل على الله ، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها ، وبادر خواطرها من قبل استمكانها .

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر. فبادره بالإِنكار عليه لئلا يعتقد تأْثيره في الخير والشر .

١ – راجع كتاب : الحلام والحرام في الإسلام .

٢ – قال الفراء : الهامة طير من طيور الليل . كأنه يعني البومة . قال ابن الأعرابي : كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم ، ويقول : نعت إليَّ نفسي ، أو أحداً من أهل داري . فجاء الحديث مبطلاً ذلك ونافيه . ولا صفر : قيل هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس . وهي أعدى من الجرب عند العرب . والمراد بها نفي ما كان عليه العرب من اعتقاد في العدوى . وقال آخرون : المراد به شهر صفر وكان الجاهلية يقولون عنه : إنه شهر مشؤوم . فأبطل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ذلك . . . ونظيره المنهي عنه التشاؤم بالأيام والأشخاص والمنازل وغيرها .
ولا غول : اسم جمع أغوال وغيلان . هو جنس من الجن والشياطين تزعم العرب أنها تتلوّن تلوناً في صور شتى ، تهلك وتضل الناس ، فأبطل صلى الله عليه وسلم ،عادة العرب هذه .

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر ، فصاح غراب فقال الرجل : خير . فقال طاوس : وأي خير عند هذا ؟ لا تصحبني[1]

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَلٰكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ » . رواه أبو داود والترمذي .

وجعل آخره من قول ابن مسعود[2] . قال في شرح السنن : وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبها[3] . فكأنهم أشركوا مع الله تعالى .

---

١ ــ راجع فتح المجيد . ص ٣١٥ ، ٣١٦ ٢ ــ نفس المصدر : ص ٣٢٠ .
٣ ــ انظر المصدر السابق نفسه .

الحلف بغير الله

ومما يُدخل الإنسان في دائرة الشرك ، الحلف بغير الله . سواءٌ كان هذا الغير المحلوف به نبياً أو ولياً أو ملكاً أو أباً أو أُماً ، أو مقبرة ميت أو الشرف أو كلمة الطلاق ، أو أي شيءٍ آخر يكون عزيزاً جداً عند الحالف . وقد نهانا الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، عن الحلف بغير الله بقوله : « إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ » . متفق عليه .

وقال : « لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ » . رواه أبو داود.

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » . رواه الترمذي وحسنه .

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً يعتبر ذنباً ، يغفره الله لصاحبه إذا استغفر وتاب وأناب . أما الحلف بغير الله فهو شرك والله لا يغفر الشرك . لقوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) . سورة النساء : ٤٨ . وما دون ذلك: هو الذنب.

ومن هذه الأحاديث المشرقة بنور التوحيد الخالص ، نعلم أن الإنسان يجب أن يحلف بالله وحده ، ولا يحلف بغير الله ، مهما كانت منزلة المحلوف به ، حتى لا يدخل في عداد المشركين المغضوب

عليهم . من : صراع بين الحق والباطل .

ومن حلف بغير الله وجب عليه أن يعود إلى الإسلام بقوله : (لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ) .

يخافون من النـــاس ولا يخافو ن من الله

وترى أَحدهم يحلف بالله كاذباً ، لاعتقاده أَن الله سيغفر له ذنبه في الحلف الكاذب . وحجته : (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . ولكنه لا يستطيع الحلف بالولي أَو الزعيم كاذباً ، مثلاً ، لخوفه من أَن الولي أَو الزعيم سيؤذيه في ماله أَو أَرضه أَو ولده أَو عمله ... ولذلك فإن جميع الذين يدينون بالحب والتعظيم لأَوليائهم الموتى ، أَو لرؤسائهم أَو زعمائهم ، لا يمكن أَن يحلفوا بهم إلا صادقين... وكذا المحلوف له يسرع إلى تصديق الحالف مادام المحلوف به عزيزاً محبوباً لديه وله في قلبه كل تقديس وإجلال . وهكذا نجد المحلوف قد قدس وأَحب غير الله بينما لم يعـــد في قلبه مكان لحب ورجاءٍ وخوف للخالق سبحانه . وهكذا انقطعت صلته بالله وفقد الشعور بعظمته . وقد كانت الجاهلية الأُولى تحب اللات والعزّى وغيرهما ، من الأَصنام التي كانـــوا يعظمونها ويخشون بأْسها ... واليوم تصنع الجاهلية الثانيـــة نفس عمـــل الأُولى ، فتحلف بالرئيس أَو الملك والبدوي والدسوقي وغيرهم من الأَحياءِ والموتى المؤلهين من دون الله تعالى . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إبليس لم يحلف بغير الله

ويتملكنا العجب إذا عرفنا أَن الناس ـ قديماً وحديثاً ـ أَحبوا غير الله وعظموهم وحلفوا بهم ، توكيداً للحب وإظهاراً للتعظيم . بينما إبليس نفسه ـ لعنه الله ـ حلف بالله حين خاطب المولى : قَالَ (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) . سورة ص : ٨٢ .

إبليس الذي يزين للناس سوءَ أَعمالهم ، ليضلهم ويفسد عليهم حياتهم ، ويقودهم إلى الشقاءِ والهلاك ، لم يشرك بالله حين حلف ليؤكد لله تعالى أنه سيغوي الناس ويضلهم ! ! وابن آدم الذي كرمه الله ، وأَمر الملائكة بالسجود له ، لا يحلف بالله ولا يعظمه ولا يخاف منه ، بل يعظم غيره ، من المخلوقين ويحلف بهم[1] ! ! .

قال ابن تيمية[2] : من أَيمان الشرك ؛ أَن يحلف المرءُ بتربة أَبيه أَو بالكعبة ، أَو بنعمة السلطان أَو بحياة الشيخ أَو غيره من المخلوقات ، فهذه أَيمان غير منعقدة ، ولا كفارة فيها بالحنث باتفاق أَهل العلم . أَقول : إنها خطرة على الدين والدنيا فضلاً عن أَنها وسائل شركية مهلكة .

---

١ ـ صراع بين الحق والباطل .

٢ ـ الفتاوى الكبرى . جـ ٣ ص ٤ .

النـــذر لغـــير اللـــه

النذر كما يقول اللغويون : ما كان وعداً على شرط . كما في القاموس للفيروزابادي . أو أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر . كقول الراغب في المفردات .

فالنذر لغير الله هو من الشرك الذي يحبط سائر الأعمال . والإنسان حين ينذر لله ؛ إن شفي له مريضاً ، أو قضى له حاجته ، أو رزقه مالاً أو أعطاه ولداً ليفعلن كذا من صدقةٍ أو صوم أو حج أو غير ذلك من ألوان الطاعات ، فهذا الفعل شكر لله على نعمه ، وهو إنما يفعل ذلك طاعة لله وعبادة لله ... فكيف إذن يوجه الإنسان هذه الطاعات والعبادات لغير الله ؟ فالأموال والهدايا والذبائح والأطعمة التي تحمل إلى أضرحة المشايخ بقصد الوفاء بالنذر ، هي عمل باطل وفيه معصية لله ، ولا يجب الوفاءُ بهذا النذر لأن الرسول ، ﷺ يقول : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ». رواه البخاري .

وقد روى أبو هريرة أن الرسول ، ﷺ ، قال : « لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ وَلٰكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَىٰ الْقَدَرِ وَقَدْ قُدِّرَ لَهُ فَيَسْتَخْرِجُ اللهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ » . رواه البخاري .

ففي هذا الحديث ينفي الرسول ، ﷺ، أَن النذر يجر للناذر نفعاً أَو يصرف عنه ضراً ، أَو يرد له قضاءً أَو يمحو شيئاً جرى به القدر عليه . أَما ما يتحقق للناذر من خير بعد نذره ، فهو في الحقيقة ما كان مقدراً له من قبْل النذر[1] .

وحكمة الله في النذور ، هي أَن يستخرج به من البخيل – بنذره – ما لم يكن يخرجه لله من قبل النذر ، رحمة بالفقراءِ والمساكين ، كما يقول الرسول ، ﷺ : « النَّذْرُ لَا يُقَدِّمُ شَيْئاً وَلَا يُؤَخِّرُ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ » . رواه البخاري .

ولكن المسلمين حين انصرفوا عن دينهم الحق ، وغفلوا عن حكمة الله في النذور ، اندفعوا في سبيل الضلال ، فكان ظنهم أَن ما وجدوه من الخير بعد النذر هو جزاءٌ لهذا النذر .

كل ذلك إِذا كان النذر خالصاً لله تعالى ، وفي طاعته وليس في معصيته ، فما ظنك بالذي يقدم نذوره لغير الله ؟ معتقداً أَن الموتى الذين يحمل لهم النذر يملكون رد القضاءِ ، ويستطيعون تبديل الأَشياءِ والتصرّف في أَمور العباد ؟ ! .

ولقد كان الجاهليون الأَولون يحملون النذور لأَصحاب الأَضرحة ويوقفون الأَراضي والعقارات باسم الموتى ، فلا يذبحونها ولا ينتفعون

١ – صراع بين الحق والباطل .

بهـا في حياتهم وأعمالهم . ومـا كان يحدث بالأمس يحدث عندنا اليوم ، فكم من العقارات وكم من الأراضي وكم من المحاصيل والثمار الزراعية ، والمساكن والأنعام موقوفة في طنطا باسم البدوي؟ . ومثل ذلك موقوف في دسوق باسم إبراهيم الدسوقي . ومثله لأصحاب الطريقة الصوفية المسماة بالطريقة الخلوتية [1] ، التي لها أوقاف باسم شيوخ هذه الطريقة ، التي انتشرت وكثر أتباعها في فلسطين وغيرها ، وقد أوقفت كثير من القرى والمدن أوقافاً باسم شيوخ هذه الطريقة ، لاسيما في مدينة الخليل وزيتا وبيت أولا ونوبا ، وغير ذلك من المواطن التي يوجد فيهـا ضريح لشيخ ميت ومعبود من دون الله ! ! .

وهكذا تحدث صور الوثنية ، واتحدت مع أعمال الشرك في النذور عند الناس اليوم في الجاهلية الثانية ، وبالأمس في الجاهلية الأولى . وقد قال الله في أهل الجاهليتين : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ . النحل : ٥٦ .

١ – إن أتباع هذه الطريقة ، الذين غالبيتهم العظمى من العوام وأشباههم ، يعرفون باسم الدراويش . ويعتقد هؤلاء في شيخهم ، ولا يتصرفون في أمر إلا بعد استشارته . ومن إخلاصهم له وقف الأطيان والبيوت عليه وعلى خلفائه ، كما يرسلون زكاة أموالهم ومواشيهم وصدقة فطرهم إليـه ، فيقوم بدوره بإعداد التكايا والزوايا لأتباعه ومريديه، وكما تهوى نفسه . وهكذا تصبح إحدى شعائر الإسلام معطلة، وهي فريضة الزكاة ، التي فرضها الله للمستحقين من أبناء المسلمين ، لا أن تقام بها الزوايا والأضرحة كما يزعمون ! ! .

يقولون إن الذبائح والأطعمة والهدايا المنذورة ، التي تحمل إلى الأضرحة ، لا يأخذها الولي أو الشيخ ، إنما يأخذها الفقراءُ والمحتاجون ، الذين ينتظرون بفارغ الصبر تلك الموالد المباركة والمواسم الكريمة ، ليحصلوا منها على أرزاقهم وحاجتهم .

ونرد عليهم فنقول : لقد نهانا الشرع أن نحمل النذور إلى مكان فيه صنم ، أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ؛ كالموالد التي تقام اليوم لأصحاب الأضرحة . فقد ورد في السنة عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل في عهد رسول الله ، ﷺ، أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي ، ﷺ ، فقال : إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة . فقال النبي ،ﷺ: « هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ » ؟ قالوا : لا . قال : « هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ » ؟ قالوا : لا . قال رسول الله ،ﷺ: « أَوْفِ بِنَذْرِكَ إِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ » . رواه أبو داود .

فالرسول الكريم لم يبح للناذر أن يوفي بنذره – مع أنه خالص لله – إلا بعد أن تأكد أن بوانة لم يكن بها وثن ، ولم يقم بها مولد أو عيد من أعياد الجاهلية ، حتى لا يضيع عمل الرجل بإيقاعه في مكان كان يعصى الله فيه . الخ الحديث . رواه مسلم .

والنذور التي تحمل إلى الأضرحة لا يأخذها كلها الفقراءُ والمحتاجون ، بل يأخذها شيوخ المساجد وخدامها وسدنة الأضرحة

الذين رضوا بحياة الكسل والبطالة . والناذر حين ينذر للشيخ إنما يريد إرضاءَ الشيخ لا إرضاءَ الله تعالى ، فهو يذهب إلى الشيخ حاملاً له النذر ، ليدفع عن نفسه ما رسخ في اعتقاده ، من أَن الشيخ أَو الولي سيصيبه في مكروه ، في نفسه أَو ماله أَو أَهله إذا لم يوف له بنذره .

والأَجدر بالناذر لله أَن يبحث عن الفقراءِ من أَهله وجيرانه بعيداً عن الموالد وأَعياد الجاهلية . فهذا الفقير من معارفك أَولى بنذرك وصدقتك . ومن مغبة النذر لغير الله وإثمه أَنك تطعم الفقراءَ ما لا يذكر اسم الله عليه ، بقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ [1] . أَما هؤلاءِ الذين يسكنون التكايا من الصوفية بحجة العبادة ، والذين يستعطون بالمساجد ، هؤلاءِ جميعاً لا يصح أَن تعطى لهم النذور . وقد بيَّنت الشريعة السمحة أَن السؤال محرم في الإِسلام إلا للضرورة [2] . جاءَ في الحديث : « الْمَسْأَلَةُ لَا تَحِلُّ إلاَّ لِثَلَاثٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ ». وكما جرَّت المغالاة في تعظيم أَصحاب القبور إلى مفاسد جمة وانحراف عن طريق الإِسلام ، والوقوع في غائلة الشرك والوثنية ، جرَّت أَيضاً إلى أَمر جلل وعمل خطير ، له مساس كبير بعقائد الناس

١ — سورة الأنعام : ١٢١ .

٢ — راجع كتاب : صراع بين الحق والباطل .

وعباداتهم ، فدعت بعض ضعفاءِ الإيمان ، ومن تعرّوا من سلطان الدين ، إلى النذر لغير الله . فقدموا الطعام وذبحوا الذبائح ونذروا الشموع قرباناً لمشايخهم ، وفرضوها على أنفسهم معتقدين أن عدم الوفاءِ بها ينتهي بهم إلى شر مستطير .وفات هؤلاءِ الجهلة أن النذر الشرعي إيجاب الشخص على نفسه طاعة من الطاعات ، تقرباً إلى الله تعالى ، لا تقرباً إلى غيره. وأنه عبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله الواحد القهار . قال تعالى ، يمتدح المؤمنين الصادقين : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً)[1] . وفي الحديث الصحيح : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ » .

وعلى هذا فالنذر للمشايخ والأضرحة ليس قربة ، ولا يصح الوفاءُ به لو نذره . فعلى المسلم أن يتجه بأعماله كلها وقرباته جميعها إلى الله تعالى[2] .

والذي أُريد أن أُنبِّه عليه : إن النذر لغير الله - على الرغم مما فيه من الشرك والوثنية ، لأنه عبادة ، والعبادة لله وحده - هو مسخ للدماغ وإهانة للعقل ، وذلك بسبب الاعتقاد بأن الميت الذي لا يستطيع أن ينفع حتى نفسه ، يلجأُ إليه ضعاف العقول - كبعض المتصوفة والمبتدعة المحسوبين على أُمة الإسلام - فيطلبون منه الشفاءَ

١ - سورة الدهـــر : ٧ .

٢ - راجع رسالة تقاليد يجب أن تزول . تحقيق وتعليق محمود مهدي استانبولي

وقضاءَ الحاجات وردَّ الغائب ، وما شاكل ذلك ، فتلك من أَنواع العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، ومن صرفها لأَحد من البشر أَو الملائكة أَو الأَنبياءِ ، كائناً من كان ، فقد أَشرك بالله . فضلاً عن كون هؤلاءِ مجتمعين لا يقدرون على قضائها أَو تحقيقها لطالبيها ، لأَنها من خصائص الأُلوهية المحضة .

فإلى الله المشتكي من أَهل الغواية والضلالة ، الذين يزيِّن لهم شياطينهم سوءَ أَعمالهم هذه ، التي تنقلب عليهم غصصاً وحسرات يتجرعونها . وكفى بجهنم سعيراً .

الاستغاثة بغير الله ودعاء غيره

قال شيخ الإسلام ، رحمه الله : الاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة كالاستنصار أي طلب النصر ، والاستعانة طلب العون .

إن الدعاءَ والاستغاثة هما من أَنواع العبادة التي تعبدنا الله بها فمن دعا أَحداً أَو استعان بغير الله فقد أَشرك بالله ، لأَنه صرف العبادة لغير الله تعالى .

قال تعالى : (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ)[1] .

قال ابن تيمية[2] : طلب الدعـاءِ مشروع من كل مؤمن لكل

١ – سورة يونس : ١٠٦ . ٢ – التوسل والوسيلة . ص ١٣٤ . والقاموس المحيط .

مؤمن ، حتى قال الرسول ، ﷺ ، لعمر لما استأذنه في العمرة : « لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ » . إن صح الحديث . وحتى أَمر النبي ﷺ ، أَن يطلب من أُويس القرني أَن يستغفر للطالب ، وإن كان الطالب أَفضل من أُويس بكثير . وقد قال النبي ﷺ ، في الحديث الصحيح : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذٰلِكَ الْعَبْدُ ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . مع أَن طلبه من أُمتة الدعاءَ ليس هو طلب حاجة من المخلوق ، بل هو تعليم لأُمته ما ينتفعون به في دينهم ، وبسبب ذلك التعليم والعمل بما عليهم يعظم الله أَجره ، فإنا إذا صلينا عليه مرة صلى الله علينا عشرة ، وإذا سأَلنا الله له الوسيلة ، حلت علينا شفاعته يوم القيامة .

قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً)[1] . وقال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[2] . وجاءَ في الحديث الصحيح : « ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ » .

---

١ ـ سورة الاسراء : ٥٦ .　　٢ ـ سورة المؤمن : ٦٠ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون الملائكة والأَنبياءَ فقال الله تعالى : هؤُلاءِ الذين تدعونهم هم عبادي كما أَنتم عبادي ، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، ويتقربون إلي كما تتقربون إلي.

فنهى سبحانه عن دعاءِ الملائكة والأَنبياءِ ، مع إخباره لنا أَن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون ، ومع هذا فليس لنا أَن نطلب ذلك منهم . وكذلك الأَنبياءُ والصالحون ـ وإن كانوا أَحياءً في قبورهم وإن قدر أَنهم يدعون للأَحياءِ ، وإن وردت به آثار ـ فليس لأَحد أَن يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك أَحد من السلف ، لأَن ذلك ذريعة إلى الشرك ، وعبادتهم من دون الله تعالى ، بخلاف الطلب من أَحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك ، ولأَن ما تفعله الملائكة ويفعله الأَنبياءُ والصالحون بعد الموت هو بالأَمر الكوني ، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين ، بخلاف أَحدهم في حياته ، فإنه يشرع إجابة السائل ، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم[1] .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

---

١ ـ التوسل والوسيلة : ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

٢ ـ سورة آل عمران : ٨٠

فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر ولو كان من أعبد الناس ، ومهما ادعى أنه من أصحاب الخير والقربات .

والذي يجب التنبيه عليه ، وأن لا يفعله المسلم ؛ أنَّ ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، لا يجوز إلا أن يطلب منه سبحانه . فلا يطلب ذلك من الأنبياء ، ولا من الملائكة ولا من الصالحين وغيرهم . ولا يجوز أن يقال لغير الله : اغفر لي . واسقنا الغيث ، وانصرنا على القوم الكافرين أو اهدِ قلوبنا ، أو نحو ذلك . ولهذا روى الطبراني في معجمه أنه كان في زمن النبي ، ﷺ ، منافق يؤذي المؤمنين . فقال الصديق : قوموا نستغث برسول الله ، ﷺ ، من هذا المنافق . فجاؤوا إليه فقال : « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ » . وهذا في الاستعانة مثل ذلك .

وكان أمير المؤمنين عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[1] .

وفي دعاء موسى ، عليه السلام : اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى وَبِكَ المستغاث وأنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

---

١ – التوسل والوسيلة : ص ١٣٩ .

وقال أَبو يزيد البسطامي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق .

وقال أَبو عبد الله القرشي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون[1] .

الاشتغال بالسحر وتصديقه

ومن الشرك ، الاشتغال بالسحر وتصديق من يشتغل به . وقد عرفه المفسرون واللغويون على معان كثيرة . قال ابن فارس في معجمه : السحر . قال قوم : هو إخراج الباطل في صورة الحق . ويقال : هو الخديعة .

وقال الراغب في المفردات : والسحر على معان :

الأول : الخداع وتخيلات لا حقيقة لها . نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأَبصار عما يفعله ، لخفة يده ، وما يفعله النمّام بقول مزخرف عائق للأَسماع . وعلى ذلك جاءَ في القرآن الكريم : (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ)[2] .

الثاني : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه . كقوله تعالى : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)[3] . وعلى ذلك قوله تعالى : (وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

---

١ — التوسل والوسيلة : ص ١٣٦–١٣٧ .

٢ — سورة طـه : ٦٦ .

٣ — سورة الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٢ .

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)[١] .

والثالث : ما يذهب إليه الأغتام – الجهلة والدهماءُ – وهو اسم لفعل . يزعمون أنه من قوته يغيِّر الصور والطبائع ، فتجعل الإنسان حماراً ، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين . هذا هو المعنى الصحيح لحقيقة السحر وكنهه . ولكن الناس انخدعوا ببريق السحر الفاتن ، ففهموه بخلاف حقيقته ، فصدقوه وآمنوا به .

وقد حذرنا الله من الاشتغال بالسحر ، لأن الشياطين يعلمونه للناس عن طريق الوسوسة إليهم ، ويعرفونهم كيف يثيرون الفتن ويوقدون نار العداوة بين الزوج وزوجه بالوشاية ، وفي هذا العمل قطع للأرحام وخراب للبيوت . قال تعالى : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ)[٢] .

وقد ذم الله عمل الساحر ، ووصم ما يفعله بالخسران ، في قوله تعالى : (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ)[٣] .

كما أن الرسول ، ﷺ، يقول عن السحر والساحر : « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ وُكِلَ إِلَيْهِ »[٤] .

---

١ – سورة البقرة : ١٠٣ .
٢ – سورة البقرة : ١٠٢ .
٣ – سورة طـه : ٦٩ .
٤ – رواه النسائي .

ويقول أَيضاً : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » . قالوا : يا رسول الله ما هن؟ قال : « الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ » . رواه الشيخان .

عن جندب مرفوعاً : « حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ » . رواه الترمذي وقال : الصحيح أَنه موقوف . وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب أَن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر . وصح عن حفصة ، رضي الله عنها ، أَنها أَمرت بقتل جارية سحرتها فقتلت . ويلحق بالسحر ما في معناه من العرافة والعيافة ، التي هي زجر الطير ، والطرْق بالحصى وخط الرمل ، ونحو ذلك مما يدعي أَصحابه أَنهم يعلمون الغيب بواسطته[1] .

٧ ـ راجع : صراع بين الحق والباطل .

ما جاء في النشرة (فك السحر)

قال أَبو السعادات : النُّشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من يظن أَن به مسّاً من الجن . سميت نُشرة لأَنه ينَشَّر بها عنه ما خامره من الداءِ ، أَي يكشف ويزال .

قال الحسن : النشرة من السحر . وقد نشّرت عنه تنشيراً . ومنه الحديث : « فَلَعَلَّ طَبّاً أَصَابَهُ » . ثم نشره بـ : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ). أَي رقـاه .

وقال ابن الجوزي : النُّشرة : حلُّ السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر . عن جابر أَن رسول الله ﷺ ، سئل عن النشرة ، فقال : « هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ »[1] .

وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طَب أَو يؤخذ عن امرأَته ، أَيحلُّ عنه أَو ينشر ؟ . قال : لا بأْس به إنما يريدون به الإصلاح ، فأَما ما ينفع فلم ينه عنه . اهـ .

وقد سئل الإمام أَحمد عن النشرة فقال : ابن مسعود يكره هذا كله . وقد أَراد أَحمد ، رضي الله عنه ، بهذا ، أَن الصحابي الجليل ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان ، كما يكره التمائم مطلقاً[2] .

---

١ – رواه أحمد بسند جيد .

٢ – انظر : تيسير العزيز الحميد . وفتح المجيد .

وروي عن الحسن أنه قال : لا يحلُّ السحر إلا ساحر .

قال ابن القيم : النشرة حلُّ السحر عن المسحور . وهي نوعان :

أحدهما : حله بسحر مثله . وهو الذي من عمل الشيطان . وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعويذات والأدوية والدعوات المباحة هذا جائز[1] .

وكذلك فالنشرة بالتعويذ والرقى بأسماءِ الله وكلامه من غير تعليق ، فلا أعلم أحداً كرهه[2] .

وقد قال ﷺ : « عِبَادَ اللهِ تَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ » .

وقال : « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَقَاطِعُ الرَّحِمِ وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ »[3] .

اللهم إنا نبرأُ إليك من السحر وأهله ، والذين يتعيشون به ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

١ ـ تيسير العزيز الحميد .

٢ ـ المرجع السابق .

٣ ـ رواه أحمد وابن حبان في صحيحه . انظر : تيسير العزيز الحميد . ص ٤٤٩ .

بدعة الزار الشركية

ومن الشرك الملعون ، الإيمان بالزار ، واتخاذه لعلاج بعض الأمراض .

والزار عادة مذمومة وبدعة قديمة . وهو عبادة لغير الله ، لأن المؤمنين به يقدمون فيه القرابين باسم الجانّ ، وينحرون الذبائح دفعاً لأذاهم ، واستعانة بهم في شفاءِ الأمراض العصبية .

وقد حكى لنا الله ما كانت تفعله عصور الجاهلية الماضية من عبادتهم للجان واستخدامهم في أغراض باطلة . فقال تعالى : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) . سورة الجن : ٦ .

وقال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) . سبأ : ٤٠ ــ ٤١ .
وليست طبقة الجهلة والدهماءِ وحدها هي التي تؤمن وتعرف بدعة الزار[١] ، بل يوجد قوم ممن يزعمون أنهم نالوا قسطاً وافراً من التعليم والثقافة يؤمنون ببدعة الزار أيضاً ، ويعربدون في حفلاته .

عندما تشكو المرأة بألم أو مرض اصابها ، فلا تهتم بالذهاب إلى

١ ــ صراع بين الحق والباطل .

طبيب مختص . بل تجري إلى شيخة زار تسألها الفتوى في مرضها . ولا تلبث شيخة الزار ـ أو شيطانة الزار ـ أن تتلقفها وتوقعها في شباكها وتسكب في أُذنيها نغماً جميلاً تدخل به في روع المريضة أن سبب مرضها هو أن الجن يحتل جسمها . وتنخدع المريضة بالقول المعسول ، وتوافق على إقامة حفلة زار ، عندما تسمع بأن العلاج الوحيد لهذا المرض هو إقامة حفلة زار لكي يخرج الجن من جسمها .

أما زوجها فسرعان ما يستسلم لرغبات الزوجة ، ويلبي مطالب حفلة الزار الباهظة . فيذهب ليقترض المال ـ إن لم يكن معه ـ من أجل إقامة حفل الاحتيال ، الذي يقام باسم الزار . وكثيراً ما تحدث مشاجرات بين الزوجين تنتهي بالطلاق ، ويكون سبباً في هدم كيان الأُسرة . والحق أن الزوج لو لم يكن عبد هواه ، ما سمح لزوجته أن تذهب لشيخة الزار ، ولا أن تحضر حفلاته ، ولا تجتمع مع رجل أجنبي لترقص معه في الزار ، بصورة منافية للأدب ، مجافية لخلق الإسلام . ولو كان الزوج مؤمناً بالله ، وبسنته الكونية في الحياة ، للجأ للوسائل الشرعية في المعالجة . وإني لأعجب أن تشيع بدعة الزار بين النساء المسلمات وحدهن ، بينما لا يؤمن النساءُ غير المسلمات بهذه الخرافة المنكرة ، التي شقي بسببها مجتمعنا العربي الإسلامي ، وكأنَّ الجن يخشى النساءَ الغربيّات ، أما نساؤنا فإنه

لا يهابهن ، بل يعرف طريقه إليهن ، ويحتل أجسامهن ويعبث بهن هذا العبث الفاضح[1] .

قال الإمام محموت شلتوت ، رحمه الله : غرس المشعوذون الأوهام في النفوس ، واستغلوا بها ضعاف العقول والإيمان ، ووضعوا في نفوسهم أن الجن يلبس جسم الإنسان ، وأن لهم قدرة على استخراجه ومن ذلك كانت بدعة الزار وكانت حفلاته الساخرة المزرية ، ووضعوا في نفوسهم أن لهم القدرة على استخدام الجن ؛ في الحب والبغض والزواج والطلاق ، وجلب الخير ودفع الشر ، وبذلك كانت التحويطة والمندل وخاتم سليمان . استخدموهم في إظهار الغيب من مسروق ضائع أو مستقبل مخبوءٍ واستخدموهم في العلاج ... استغلوهم بكل ذلك في كل شيءٍ ، وصارت لديهم مهنة ، منها يتعيشون وللمال يجمعون وبالعقول يعبثون ، وقد ساعدهم على ذلك طائفة من المتسمين بالعلم والدين ، وأيدوهم بحكايات وقصص موضوعة ، أفسدوا بها حياة الناس وصرفوهم عن السنن الطبيعية في العلم والعمل ، عن الجد النافع المفيد[2] .

---

١ ــ صراع بين الحق والباطل .

٢ ــ راجع كتاب الفتاوى . للإمام الأكبر محمود شلتوت . ص ٢٧ .

شرك الكهان والعرافين

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ، ﷺ، عن النبي ﷺ، قال : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةُ أَرْبَعِينَ يَوْماً » . وعن أَبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ أَتَىٰ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » . رواه أَبو داود .

وللأَربعة والحاكم – وقال : صحيح على شرطهما – عن النبي ﷺ ، أنه قال : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » . قال البغوي : العراف الذي يدَّعي معرفة الأُمور ، بمقدمات يستدل بها على المسروق ، ومكان الضالة ونحو ذلك .

قيل : هو الكاهن . والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير . وقال أَبو العباس بن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمَّال ونحوهم ، ممن يتكلم في معرفة الأُمور بهذه الطرق . أَو كمن يدعي علم الغيب أَو يدعي الكشف .

وقال الإمام أَحمد : العرافة طرف من السحر ، والساحر أَخبثه .

وفي هذه الأَحاديث النهي عن إتيان الكهان والعرافين ونحوهم[1]

قال القرطبي : يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغير ذلك ، أَن يقيم من الأَسواق من يتعاطى شيئاً من ذلك ، وينكر عليهم أَشدَّ النكير . وعلى من يجيءُ إليهم أَلا يغتر بصدقهم في بعض الأُمور ، ولا بكثرة من يجيءُ إليهم ممن ينتسب إلى العلم ، فإنهم غير راسخين في العلم ، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحظور .

قال ابن القيم ، رحمه الله : المقصود من هذا معرفة أَن من يدعي معرفة علم الشيء من المغيبات ، فهو إما داخل في اسم الكاهن ، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به . وذلك أَن إصابة المخبر ببعض الأُمور الغائبة – في بعض الأَحيان – يكون بالكشف ، ومنه ما هو من الشياطين . ويكون بالفأْل والزجر والطيرة ، والضرب بالحصى والخط في الأَرض ، والتنجيم والكهانة والسحر ، ونحو هذا من علوم الجاهلية ، فمن أَتاهم فصدقهم بما يقولون ، لحقه الوعيد .

موقف الاسلام من مصدقي العرافين والكهان

يحذرنا الرسول ، ﷺ ، من الذهاب إلى العراف أَو الكاهن والإيمان والتصديق بما يقول عن علم الغيب . لأَن هذا يعتبر كفراً بالرسول ، ﷺ ، وخروجاً عن سنته وهديه . فيقول الرسول ، ﷺ

---

١ – هذه المعلومات وما بعدها مستقاة من كتاب : فتح المجيد . ص ٣٠٠ – ٣٠٥ .

في هذا التحذير : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ »[1] . والأَحاديث في هذا المعنى كثيرة .

فالواجب على المسلمين الحذر من سؤال الكهنة والعرافين ، وسائر المشعوذين المشتغلين بالإخبار عن المغيبات والتلبيس على المسلمين سواءٌ كان باسم الطب أَو غيره ، لما تقدم من نهي الرسول ، ﷺ ، عن ذلك وتحذيره .

ويدخل في ذلك ما يدعيه بعض الناس باسم الطب من الأُمور الغيبية؛ إذا شم عمامة المريض أَو خمار المريضة ونحوهما ، فهو دلالة على فعل كذا وصنع كذا ، من أُمور الغيب التي ليس في شم عمامة المريض ونحوها دلالة عليها . وإنما القصد من ذلك التلبيس على العامة ، حتى يقولوا : إنه عارف بالطب وعارف بأَنواعه وأَسبابه . وربما أَعطاهم شيئاً من الأَدوية ، فصادفوا الشفاءَ بقدر الله ، فظنوا أَنه بأَسباب دوائه . وربما كان المرض بأَسباب بعض الجنّ والشياطين الذين يخدمون ذلك المدعي للطب ، ويخبرونه عن بعض المغيبات التي يطلعون عليها ، فيعتمد على ذلك ويرضي الجن والشياطين بما يناسبهم من العبادة ، فيرتفعون عن ذلك المريض ، ويتركون ما قد تلبسوا به معه من الأَذى .

---

١ - رواه أحمد وأبو داود .

وهذا شيءٌ معروف عن الجن والشياطين ومن يستخدمهم . فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك ، والتواصي بتركه ، والاعتماد والتوكل على الله سبحانه في كل الأُمـور[1] . ولا بأْس بتعاطي الرُّقى الشرعية ، والأَدوية المباحة ، والعلاج عند الأَطباءِ المختصين بالكشف على المريض ، والتأَكد من المرض بالأَسباب الحسية المعقولة . وقد صح عن النبي ، ﷺ، أَنه قال : « مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً . عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ » . وقال : « عِبَادَ اللهِ تَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ » .

والأَحاديث في هذا المعنى كثيرة ، نسأَل الله أَن يصلح أَحوال المسلمين ، وأَن يطهر قلوبهم من غوائل الفساد والشرك إنه أَكرم مسؤول وخير مأْمول .

واجب المسلمين نحو العرافين والمنجمين وأشباههم

إن مهمة الإسلام الأُولى هي تقوية الروح الإنسانية ، والسمو بهـا والقضاءُ على نوازع الشر والفساد . قال شارح الطحاوية[2] : والواجب على ولي الأَمر وكل قادر ، أَن يسعى في إزالة هؤُلاءِ

١ ـ راجع رسالة الشيخ عبدالعزيز بن باز : إقـامة البراهين . إن شيخنا ابن باز من العلماء القلائل الذين يقفون في وجه تيارات الإلحاد والشرك ولا يزالون . فجزاه الله خيراً.

٢ ـ شرح العقيدة الطحاوية . ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

المنجمين والكهان والعرافين ، وأَصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات ، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات أَو يدخلوا على الناس في منازلهم[1] لذلك .

ويكفي من يعلم تحريم ذلك ، ولا يسعى في إزالته ، مع قدرته على ذلك ، قوله تعالى : (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) . سورة المائدة : ٧٩ . وهؤلاء الملاعين يقولون الإِثم ويأْكلون السحت بإِجماع المسلمين .

وثبت في السنن عن النبي ، ﷺ ، برواية الصديق ، رضي الله عنه ، أَنه قال : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ »[2] .

١ ـ يتجول الرجال وبعض النسوة في المدن والقرى حيث يقومون ببعض أعمال الدجل والشعوذة ، كالفتح في الفنجان ومعرفة الخطوط ، وفك السحر وحله وكشف السرقة وغير ذلك من الأعمال الشيطانية ، التي يحصل من جرائها أكل أموال الناس بالباطل وارتكاب جرائم خلقية ، وهتك الأعراض وتخريب البيوت وفساد القيم . وكذلك ما يقوم به بعض مدعي العلم والدين والمتمشيخين ، الذين يطلقون لحاهم تمويها على العـامة ، كما يفعل بعض المبتدعة والمنحرفين ورجال التصوف المدلسين ، الذين يتكسبون من الحجب والسحر وسائر أنواع الشعوذة ، ويدعون أنهم على اتصال مع الجن ، واطلاع على الغيب ، ويشفون المرضى والمجانين وغيرهم . فبهذه الأعمال الشيطانية يبتزون أموال الناس ، ويتكسبون على حساب الدين ، بنهب أموال البسطاء وعامة المسلمين .

٢ ـ حديث صحيح . وهو مخرج في المشكاة ٥١٤٢ .

وهؤلاءِ الذين يفعلون هذه الأَعمال ، الخارجة عن كتاب الله والسنة ، أَنواع : نوع منهم : أَهل تلبيس وكذب وخداع . الذين يظهر أَحدهم طاعة الجن له ، أَو يدعي الحالة من أَهل المحال من المشايخ والنصابين ، والفقراءِ والكاذبين والطرقية المكارين .

فهؤلاءِ يستحقون العقوبة البليغة ، التي تردعهم وأَمثالهم عن الكذب والتلبيس . وقد يكون في هؤلاءِ من يستحق القتل ، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات ، ويطلب تغيير شيءٍ من الشريعة ونحو ذلك . ونوع يتكلم في هذه الأُمور على سبيل الجد والحقيقة بأَنواع السحر . وجمهور العلماءِ يوجبون قتل الساحر ، كما هو مذهب أَبي حنيفة ومالك وأَحمد ، في المنصوص عليه . وهذا هو المأْثور عن الصحابة ، كعمر وابنه وعثمان وغيرهم . ثم اختلف هؤلاءِ هل يستتاب أَم لا ؟ وهل يكفَّر بالسحر أَم يقتل لسعيه في الأَرض بالفساد ؟ . وقالت طائفة : إن قَتل بالسحر يُقتل ، وإلا عوقب بدون القتل إذا لم يكن في قوله وعمله كفرٍ . وهذا هو المنقول عن الشافعي . وهو قول في مذهب أَحمد ا . هـ.

وهكذا فدور الأُمة دور طليعي وبنَّاءٌ ، يتوقف عليه مصير أَبنائها وبقاؤهم . فعليها مطاردة الاعداءِ وقلع الأَشواك الضارة ، وكلما يعرقل مسيرتها . وبهذا تسلم من الفساد والانحراف وكل ما يشوِّه معالم الحياة .

فرسالة المسلم هي حفظ مصالح الأُمة ، بالسهر الدائب لحفظ كيانها ، وكشف أَعدائها ، لتسود الطمأْنينة ويعم الرخاءُ . وبالتالي يسعد المجتمع .

وصفوة القول : فلابد من قيام الجمهور بدوره الحاسم لتخليص الأُمة من الرواسب الفاسدة ، والبدع والآراءِ الضالة والعقائد الزائغة ، والإِشاعات الكاذبة ، التي تخل بعقول أَبناءِ الأُمة وتفسدها ، وتعرض مقدراتها للهلاك والضياع ، فتفسد حياتها وتضيع كرامتها وقيمها . فلابد أَن يتحمل كل فرد تبعاته ـ ليعم الرخاءُ والطمأْنينة ـ تمشياً مع حديث رسول الله ، ﷺ، « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » . رواه مسلم .

أُناشد أَبناءَ أُمتي ، وعلى كافة المستويات ، أَن يتحمل كل مسؤوليته ، وأَن يبذل كل ما لديه من طاقة في سبيل الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تلك الفريضة العظيمة التي بها صلاح المجتمع وسعادة أَبنائه .

إن أَدعياءَ علم الكهانة والعرافة والسحر والضرب بالرمل والحجابين وكافة المشعوذين ، الذين يتعاطون هذه الأَعمال الشركية ـ التي ما أَنزل الله بها من سلطان ـ يفسدون العقول ويخربون العقيدة

ويأكلون أموال الناس بالباطل . هؤلاء بمجموعهم بؤر للمفاسد وتشويه للحياة ، وتعطيل للمسيرة .. فلا صلاح للأمة إلا بتطهير المجتمع من آثارهم ، وبهذا يعود للأمة عزها وكرامتها .

الأحجبة والتمائم والرقى

ومن الشرك ؛ عمل الأحجبة والتمائم ... وقديماً عرف الجاهليون التمائم والأحجبة ، مدفوعين باعتقادات وهمية باطلة . فجاء الإسلام وقضى على هذا العمل ، لما فيه من الفساد والشرك . قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ » . رواه أحمد وأبو داود[1] . ويعتنق كثير من المسلمين اليوم عقيدة الجاهلية المشركة فهم يعتقدون أن الأحجبة تعمل خلاف ما هو مسجل عند الله ، فتشفي بعض أمراض الأبدان ، وتطيل الأعمار أكثر مما قدر الله لها ، وتحيل الشقاء إلى سعادة ، والكراهية إلى محبة ... ومن وراء هذه العقيدة الفاسدة الخاطئة يعيش قوم من المشايخ الدجاجلة ، استغلوا البسطاء من الناس ، فلعبوا بعقيدتهم وزينوا لهم الباطل ، وسطروا لهم الأحجبة . بذلك تمكنوا من سرقة أموالهم بل وأعراضهم . وقد

١ – الرقى : جمع رُقية . وهي دعاء يقرأ للمريض .
التمائم : جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على الأولاد لرد العين عنهم .
التولة : شيء يضعه الناس ليحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجته . انظر فتح المجيد .

حدث ذلك فعلاً . وترفعاً عن مثل هذه الدنايا نتوقف هنا . ومن أَمثلة ذلك : أَن مريضاً استحوذ الجهل على أَهله ، فدلهم شيطان من الإنس على شيخ ليعرضوا مريضهم عليه . فيذهبون لهذا الشيخ فيزعم لهم أَن مريضهم مسٌّ من الجن ، فسطر له ورقة يدون بها عبارات خرافية مع بعض الآيات القرآنية ليستر به دجله ،ويعطيها للمريض فيعلقها في جزءٍ من جسمه ليشفيه . ويحدث أَن يشفي الله المريض برحمته ، تعالى ، فيؤمن أَهل المريض إيماناً جازماً بهذا الدجال ، ويعتقدون أَن الحجاب هو الذي شفي المريض ، أَما الله الذي خلق المريض ويعلم أَوجاع المريض ، وبيده وحده الشفاءُ ، فلا يشكرونه ولا يؤمنون بقدرته ! ! أَليس الله الذي خلق مريضهم وخلقهم ، قادراً على أَن يشفي المريض والناس أَجمعين[1] ؟ ! .

أَلم يقرؤوا قول إبراهيم ، عليه السلام ، حين قال : (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[2] .

هل آمن إبراهيم ، عليه السلام ، بشيخ من الشيوخ والدجاجلة وقال : وإذا مرضت فالشيخ يصنع لي حجَاباً ويشفين ؟ ! . كلا فإن إبراهيم الخليل آمن بربه اللطيف بعباده الرحيم بهم ، وعرف

١ – من أراد بسطاً في هذا المقام فليرجع إلى كتاب صراع بين الحق والباطل .
٢ – سورة الشعراء : ٧٨ – ٨٠ .

أَن بيده وحده الشفاءَ والعافية . ولذلك وكل أَمر الشفاءِ إِلى الله وحده.

وقد قال عليه الصلاة والسلام ، في التداوي بالطب : « إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً ، فَتَدَاوُوا . وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ » . رواه أَبو داود .

بهذا أَرشدنا الرسول ، ﷺ ، إِلى الأَخذ بسنن الله في الحياة وهي التداوي بالعقاقير الطبية ، التي يقررها الطبيب بعد الكشف . أَما أَمر الشفاءِ فهو موكول إِلى الله الرحيم بعباده العليم بآلامهم .

وكذلك نرى امرأَة أُخرى تذهب بولدها إِلى دجّال آخر ليكتب له حجاباً ليطيل عمره ، لأَن كل من أَنجبتهم قبله يموتون أَطفالاً أَو تراها تحمل ولدها وتطوف به في الشوارع ، وتجمع الأَموال من المارة ليعيش ويكبر .

وهؤلاءِ الناس جاهلون بسنة الله في الإِنسان ، فإِن حياة الإِنسان لا يمكن أَن تطول أَبداً – ثانية واحدة – بعد انتهائها . . . ولا يمكن أَن تنتهي قبـل الوقت المقدر لانتهائها ، بثانية واحـدة . وذلك كما بيَّن الله تعالى في قوله : (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) سورة الأَعراف : ٣٤ . وترى من الناس من يقلُّ ربحه ، أَو يركد سوق بضاعته ، فيستعين بدجال ليصنع له حجاباً يجلب له الزبائن ، ويغمره بالكسب الوفير ! ! .

ويقيني أَن هؤلاءِ الناس لو كانوا يؤمنون بالله ، معطي الأَرزاق والمال ، ما لجؤوا إلى الشيوخ ليحتالوا عليهم ، ويصنعوا لهم الأَحجبة باسم الدين . فلا الحجاب ولا الرُّقى أَو غير ذلك[1] مما يجلب النفع أَو الضرر لإنسان ، ما لم يكن لله فيه إرادة ... والله تعالى يطمئن العبد الصالح من عمل غيره أَو كيده ، بتلك الوسائل الشيطانية بقوله : (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا) . التوبة : ٥١ .

ويؤكد الصادق المصدوق ، ﷺ ، في حديث صحيح بقوله : « وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بَشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ... »[2] .

جاءَ في الحديث الشريف عن أَبي بشير الأَنصاري ، رضي الله عنه أَنه كان مع رسول الله ، ﷺ ، في بعض أَسفاره ، فأَرسل رسولاً : « أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ إلاَّ قُطِعَتْ » . متفق عليه .

كان أَهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أَبدلوه بغيره ، وقلَّدوا به الدواب . اعتقاداً منهم أَنه يدفع عن الدابة العين . ومثل ذلك ما

١ ـ مثل ما يعلق في عنق الدابة لمنع العين . أو ما يضعه بعضهم على السيارات من صور حيوانات أو خرزات وغيره ، مما يوضع على مداخل البيوت والحوانيت . راجع كتاب صراع بين الحق والباطل .

٢ ـ من حديث طويل رواه الترمذي .

يعلقه بعض الناس اليوم على السيارات من صورة قرد ونحوه ، وما يضعه بعضهم على أَبواب البيوت والحوانيت من حدوة حمار أَو حصان وتعليق سنابل من الحنطة أَو غير ذلك ، كله من عمل الجاهلية[1] .

النياحة ولطم الخدود عادة جاهلية

أَمر الإِسلام أَتباعه بالتخلق بآدابه الفاضلة ، والعمل بأَحكامه الهادية ، كما دعا إِلى ترك تقاليد الجاهلية ومفاسدها ؛ كالنياحة على الموتى وضرب الخدود ، والغلو في الأَحزان والتسخط أَمام قضاء الله في مخلوقاته .

إِن الإِسلام يدعو إِلى الصبر والإِنابة إِلى الله تعالى ، والتذلل إِليه والاصطبار على المكاره والمحن ، واحتساب ذلك عند الله ، الذي بيده ملكوت كل شيءٍ . ومن المعلوم أَن المصائب والآلام مكفرات للخطايا والذنوب ، وهذه نعم ورحمات يسبغها المولى ، جلت قدرته ، على خلقه المؤمنين بقضائه ، المفوضين الأَمر لله رب العالمين.

أَما ما يقدم عليه الجاهلون وأَضرابهم ، عند وقوع مصيبة أَو حدوث نازلة ، من نياحة مفرطة وعويل شديد ، وشق للجيوب وتقطيع للملابس ، فهذا كله منكر حرام ، يتنافى وشرع الإِسلام . وقد تبرأَ رسولنا ، صلوات الله عليه وسلامه ، من هذه الأَعمال

---

١ – فتح المجيـــد .

المنكرة القبيحة ، فقال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ »[١] .

وفي صحيح مسلم عن أَبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ: « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ . الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ »[٢] . ففي الحديث الأَول نرى أَن الرسول ، ﷺ ، قد تبرأَ من الذين يضربون خدودهم ، ويشقون جيوبهم عند المصيبة وفقدان العزيز . لأَن ذلك ينافي الإِيمان الصادق ويدل على التسخط وعدم الرضى بقضاءِ الله تعالى وقدره .

قال ابن القيم : الدعاءُ بدعوى الجاهلية ، كالدعاءِ إِلى القبائل والعصبية للإِنسان ، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية ، وكونه منتسباً إِليه يدعو إِلى ذلك ويوالي عليه ، ويعادي ويزن الناس به ، فكل هذا من دعوى الجاهلية[٣] .

وقد لعن رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، الذين يتسخطون للنوازل ، ولا يصبرون على قضاءِ الله وقدره . ففي الحديث الذي رواه أَبو أُمامة ، أَن رسول الله ، ﷺ: « لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا وَالشَّاقَّةَ

١ ــ رواه البخاري ومسلم .

٢ ــ رواه مسلم .

٣ ــ انظر : تيسير العزيز الحميد . ص ٥١٥ .

جَيْبَهَا وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ »[1] . في هــذا الحديث الشريف دلالة واضحة على أَن فعل هذه الأُمور المنكرة من الكبائر ، لاشتمالها على التسخط على الرب ، وعدم الصبر الواجب حال وقوع النازلة والبـــلاءِ .

قال شيخ الإسلام : البكاءُ على الميت على وجه الرحمة حسن ومستحب ولا ينافي الرضى بقضاءِ الله ، بخلاف البكاءِ عليه لفوات حظه منه[2] .

ويؤَكد ذلك قوله عليه السلام ، لما مات إبراهيم ، كما جاءَ في الحديث الصحيح : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إلاَّ مَا يُرْضِي الرَّبَّ وَإنَّا بِكَ يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ »[3] .

وعن أَبي مالك الأَشعري ، رضي الله عنه ، أَن رسول الله ﷺ ، قال : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ ؛ الْفَخْــرُ بِالْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ بِالْأَنْسَابِ ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ »[4] .

وقال : « النَّائِحَةُ إذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

١ – رواه ابن ماجة . وصححه ابن حبان .

٢ – تيسير العزيز الحميد . ص ٥ – ٦ .

٣ – رواه البخـــاري .

٤ – الفخر بالأحساب : التعاظم على الناس بالآباءِ ومآثرهم . وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى . الطعن في الأنساب : الوقوع فيها بالتنقص والعيب .
الاستسقاءُ بالنجوم : نسبة المطر إلى النوءِ . وهو سقوط النجم .
النياحة : رفع الصوت بالندب على الميت .

وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ »[1] .

وروي عن ابن عباس : أن القطران هو النحاس المذاب[2] .

ومما يتصل بهذا الموضوع ؛ لُبْس السواد من الثياب ، وجعل فرش المنزل كله أسود عند حدوث مصيبة أو نزول كارثة ، فتلك عادات جاهلية واعتقادات فاسدة ، وبدع منكرة لا أصل لها في السنة المطهرة . وإنما السنة لبس الثياب البيض في حال الشدة والرخاء والحياة والموت . ففي الحديث عن ابن عباس ، رضي الله عنهما أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « الْبِسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ »[3] .

---

١ – رواه مسلم . قال القرطبي : السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص . يعني أنهن يلطخن بالقطران ، فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ، ورائحتهن أنتن وألمهن بسبب الجرب أشد .

٢ – انظر فتح المجيد . ص ٣٣١ .

٣ – رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح . راجع : الإبداع في مضار الابتداع ص ٤١٧ .

الاستسقاء بالأنواء[1]

قال تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)[2] .

وعن أَبي مالك الأَشعري ، رضي الله عنه ، أَن رسول الله ، ﷺ قال : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ؛ الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ » .

وقال : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » . رواه مسلم .

وعن جابر السوائي قال : سمعت رسول الله ، ﷺ، يقول : « أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثاً ؛ اسْتِسْقَاءً بِالنُّجُومِ وَحَيْفَ السُّلْطَانِ وَتَكْذِيباً بِالْقَدَرِ »[3] . أَي نسبة المطـر إلى النوءِ ، وهو سقوط المطر . فإذا قال قائلهم : مطرنا بنجم كذا ، أَو بنوءِ كذا . فلا يخلو إما أَن يعتقد أَن له تأْثيراً في إنزال المطر ، فهذا شرك وكفر . وهو الذي يعتقده أَهل الجاهلية . كاعتقادهم أَن دعاءَ الميت والغائب يجلب لهم نفعاً أَو يدفع عنهم ضراً ، أَو أَن يشفع بدعائهم إياه . فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله ، ﷺ، بالنهي عنه ، وقتال من فعله . كما قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)[4] . والفتنة شرك .

---

١ ــ الأنواءُ جمع نَوْءٍ وهي منازل القمر .

٢ ــ سورة الواقعة : ٨٢ .

٣ ــ أخرجه أحمد وابن جرير .

٤ ــ سورة الأنفال : ٣٩ .

قوله : « وَالنِّيَاحَةُ » أي رفع الصوت بالندب على الميت ، لأنها تسخط بقضاءِ الله ينافي الصبر الواجب ، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة . فلا يجوز شق الجيوب وضرب الخدود والدعاءُ بدعوى الجاهلية ، حيث تبرأ ، ﷺ ، ممن يفعل ذلك[1] .

جاءَ في صحيح مسلم عن أبي هريرة ، أن الرسول ، ﷺ ، قال : « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ » .

والناس في هذا الزمان إذا فقدوا عزيزاً أو ألمت بهم مصيبة نراهم يشقون ثيابهم ويصرخون ويندبون . وخاصة النساءُ حيث يرتكبن المحظور ، ويقعن في الوعيد الشديد والبلاءِ ، لتشبههن بأعمال الجاهلية ، حيث جاءَ الإسلام وأبطل عاداتهم الذميمة .

علماً أن الجزع والبكاءَ والنياحة لا ترد القضاءَ ، فالصبر فيه الخير والثواب العظيم والأجر الأوفى ، الذي أعده الله لعباده الصابرين . (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[2] .

---

١ – راجع فتح المجيد .

٢ – سورة الزمر : ١٠ .

مشــرك من جعــل لله نـــــداً

قال تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[1] .

الند : المثل والنظير . وجعلُ الند لله : هو صرف أَنواع العبادة أَو شيءٍ منها لغير وجه الله . كحال عبدة الأَوثان ؛ الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أَن ينفعهم ، ويدفع عنهم ويشفع لهم .

قال أَبو العالية : (لَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً) . أَي عدلاءَ وشركاءَ .

وعن قتادة ومجاهد : (لَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً) . قال : أَكفاءَ من الرجال ، تطيعونهم في معصية الله .

قال ابن عباس في الآية : الأَنداد هو الشرك ، أَخفى من دبيب النمل على صفاة سوداءَ في ظلمة الليل . وهو أَن تقول : واللهِ وحياتك يا فلانة . وحياتي . وتقول : لولا كليبه هذا لأَتانا اللصوص . ولولا البط في الدار لأَتانا اللصوص .

وقول الرجل لصاحبه : ما شاءَ الله وشئتَ . وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلاناً . هذا كله به شرك[2] .

بيَّن ابن عباس ، رضي الله عنهما : أَن هذا كله من الشرك . وهو الواقع اليوم على أَلسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك . فتنبه لهذه الأُمور ، فإِنها من المنكر العظيم ، الذي يجب النهي عنه

---

١ ــ سورة البقرة : ٢٢ .

٢ ــ انظر كتاب : فتح المجيـــد .

والتغليظ فيه ، لكونه من أكبر الكبائر . وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما ، تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى .

وعن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أن الرسول ﷺ ، قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ »[1] .

قال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً خير من أن أحلف بغير الله صادقاً . لأن الحلف بالله كاذباً ، كبيرة من الكبائر . لكن الشرك من أكبر الكبائر . فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار ؟ ! . كدعوة غير الله والاستغاثة به ، والرغبة إليه وإنزال حوائجه به . كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها ، من تعظيم للقبور واتخاذها وسائل ، والبناء عليها واتخاذها مساجد ،وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه ، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال . وقد تعاظمت البلوى بهذا الشرك الذي لا يغفره الله ، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه .

وقال ﷺ : « لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلٰكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ »[2] .

---

١ — رواه ابن أبي حاتم .

٢ — رواه أبو داود بسند صحيح .

إن تسوية المخلوق بالخالق شرك . إن كان في الأَصغر - مثل هذا - فهو أَصغر ، وإن كان في الأَكبر فهو أَكبر[1] . بخلاف المعطوف بثم فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة . فلا محذور لكونه صار تابعاً .

قوله : وعن ابراهيم النخعي أَنه يكره أَن يقول الرجل : أَعوذ بالله وبك . ويجوز أَن يقول : بالله ثم بك . قال: ويقول : لولا الله ثم فلان لا تقولوا : لولا الله وفلان[2] .

---

١ - كما قال تعالى ، عن المشركين في الدار الآخرة : (تَاللهِ إنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

٢ - راجع : فتح المجيد ص ٤٢٧ .

الريـــــاء

قال تعالى : (قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَــداً)[1] .

وعن أبي هريرة مرفوعاً ، قال الله تعالى : « أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » . رواه مسلم .

قال ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، في الآية : أي كما أن الله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له . فكما تفرد بالأُلوهية يجب أن يفرد بالعبودية . فالعمل الصالح هو الخالص من الرياءِ المقيــد بالسنة .

قوله تعالى : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي » أي من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه .

إرادة الانسان بعمله الدنيا ، شرك .

إن الذين يعملون ويكدحون على هذا الكوكب ، وليس لهم من هدف مقابل أعمالهم سوى الدنيا والتلذذ بخيراتها ، ونسوا الآخرة وسعادتها ، فهم بذلك مشركون .

---

١ ــ سورة الكهف : ١١٠ .

قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[١] .

قال قتادة : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) . أي من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاءً . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة[٢] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ ، « تعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لم يُشَفَّعْ »[٣] .

والمراد هنا بقوله : « تَعِسَ » أَي هلك . وهو ضد سعد . أي شقي . وهو دعاءٌ عليه بالهلاك . وقوله : « تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ » . قال

---

١ – سورة هود : ١٥ – ١٦ .

٢ – ذكره ابن جرير بسنده .

٣ – رواه البخاري .

أَبو السعادات : هي ثوب خز أَو صوف معلم .

وقوله : « تَعِسَ وَانْتَكَسَ » قال الحافظ : عاوده المرض . وقال أَبو السعادات : أَي انقلب على رأْسه . وهو دعاءٌ عليه بالخيبة .

وقوله : « وإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ » . أَي إِذا أَصابته شوكة فلا يقدر على إِخراجها [1] .

قال شيخ الإِسلام : فسماه النبي ، ﷺ ، عبد الدينار ، وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة . وذكر ما فيه ما هو دعاءٌ بلفظ الخبر . وهو قوله : « تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ » . وهذه حال من إِذا أَصابه شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه . وهذه حال من عبد المال . وقد وصف ذلك بأَنه : « إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ مُنِعَ سَخَطَ . . . » .

فعبد هذه الأُمور هو الذي إِذا أُعطي رضي وإِذا مُنِعَ سَخَطَ .

أَما عبد الله فهو الذي يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أَحبه الله ورسوله ، ويوالي أَولياءَ الله ويعادي أَعداءَ الله . فهو الذي استكمل الإِيمان [2] . ويحصل الشرك من الرياءِ

---

١ ـ قاله أبو السعادات . راجع : فتح المجيد .

٢ ـ بإيجاز شديد عن : فتح المجيد ص ٣٨٢ ـ ٣٩٢ . ثم انظر كتاب : دعوة التوحيد ورسالة العبودية لابن تيمية .

حيث يعمل الرجل العمل في الأُمور التعبدية ، وهو يظن أَنه لم يرتكب محظوراً . مثل : الصلاة أَو الصدقة أَو الجهاد ، لا يبتغي به وجه الله تعالى بل ليراه الناس ، فيعظم في أَعينهم ويعتقد فيه الصلاح وحسن الخلق ... فإِذا قام أَحدهم ليصلي ، نراه يزين صلاته ويطيل فيها ، مبدياً خشوعه وأَدبه لما يرى من نظر الناس إِليه ، وهو بذلك يريد أَن يظهر ورعه وتقواه مراءَاة للناس ، وهو بذلك يرتكب ما نهى عنه رسولنا ، ﷺ ، وتحذيره الأُمة من الوقوع في ذلك . وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ . قِيلَ:وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ . قَالَ : الرِّيَــاءُ » . ومنها كذلك : العطف على اسم الله ، عز وجل ، بما يوهم النّدية ، كقول القائل : باسم الله وفلان . أَو : أَنا في حمى الله وفلان . ونحو ذلك[1] ... فإِن العطف بالواو هنــا يفيد مساواة المعطوف بالمعطوف عليه بالحكم ، وتلك هي النّدية المنهي عنها . وللتخلص من ذلك يضع كلمة ثُمَّ بدلاً من الواو . فيقول : باسم الله ثم فلان . وبهذا يتلافى الإِنسان الوقوع في المحظور ويسلم من العاقبة ويأْمن مغبّة الفتنة ، ويحسم ذريعة الشرك .

---

١ – راجع كتاب دعوة التوحيد .

عاقبــة المصورين

عن أَبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي . فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً »[1] .

وعن عائشة ، رضي الله عنها ، أَن رسول الله ، ﷺ ، قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ » . متفق عليه .

وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ . يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّـــمَ »[2] .

وعن أَبي الهياج قال : قال لي علي : أَلا أَبعثك على ما بعثني عليه رسول الله : « أَلاَّ تَدَعْ صُورَةً إِلاَّ طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلاَّ سَوَّيْتَهُ »[3] .

ذكر النبي ، ﷺ ، العلة التي من أَجلها تحل عقوبة الله وعذابه الشديد بالمصورين ، هذه العلة هي المضاهاة بخلق الله ، لأَن الله تعالى له الخلق والأَمر ، فهو رب كل شيءٍ ومليكه ، وهو خلق كل شيءٍ

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ متفق عليه البخـــاري ومسلم .

٣ ــ رواه البخـــاري .

وهو الذي صوَّر جميع المخلوقات وجعل فيها الأَرواح ، التي تحصل بها الحياة . كما قال تعالى : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ)[1] .

فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة ، صار مضاهئاً لخلق الله . فصار ما صوره عذاباً له يوم القيامة ، لأَن ذنبه أَكبر الذنوب[2] . فإذا كان هـذا فيمن صور صورة على مثال خلقه تعالى من الحيوان ، فكيف بحال من سوى المخلوقات برب العالمين ؟ وشبهه بخلقه ، وصرف له شيئاً من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده ، بما لا يستحق غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه . فتسوية المخلوق بالخالق ؛ بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه ، وجعله شريكاً له فيما اختص به تعالى وتقدس ، هو أَعظم ذنب عُصي الله تعالى به . ولهذا أَرسل رسله ، وأَنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه ، وإخلاص العبادة بجميع أَنواعها لله تعالى . فنجّى الله تعالى رسله ومن أَطاعهم ، وأَهلك من جحَد التوحيد واستمر على الشرك والتنديد ، فما أَعظمه من ذنب.

١ ــ سورة السجدة : ٧ ــ ٩ .

٢ ــ انظر : فتح المجيـــد .

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[1] .

قوله : ألا أَبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: « أَنْ لَا تَدَعْ صُورَةً إِلاَّ طَمَسْتَهَا ... الخ الحديث » ، فيه تصريح بأَن النبي ﷺ ، بعث علياً لذلك ، أما الصور فلمضاهاتها لخلق الله . وأما تسوية القبور فلما في تعليقها من الفتنة بأَربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، فصرف الهم إلى هذا وأَمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته . ولما وقع التساهل في هذه الأُمور ، وقع المحظور وعظمت الفتنة بأَرباب القبور ، وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها ، فصرفوا لها جلَّ العبادة من الدعاءِ والاستغاثة والذبح لها والنذور[2] ، وغير ذلك من الشرك المحظور . فسبحان من أَعمى القلوب التي في الصدور .

معبودات جديدة

لقد جاءَ الإِسلام بتوجيهاته ومبادئه الأَخلاقية السامية ، التي هي حجارة الأَساس التي يقوم عليها أَساس التعبد ، كما أَنها الصرح المتين الذي تقوم عليه شعائر الإِسلام .

ومن واجبنا ونحن نبين تحذير المسلمين من الشرك بكل صوره

١ — سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦ .

٢ — راجع : فتح المجيد . ص ٤٩٢ — ٤٩٣ .

أَن ننبه على أَوثان ومعبودات جديدة ، غزت عقيدة التوحيد الخالص في هذا العصر - القرن العشرين - عصر التمدين والذرة وارتياد الفضاء .

إن بعض السطحيين من المتمدينين أَنفسهم ، يحصرون الشرك وعبادة غير الله في صورة واحدة ؛ هي الوثنية التقليدية التي تتمثل في عبادة إِلٰه أَو آلهة مجسَّمة أَو منظورة ، تقدَّم الصلوات والقرابين إِليها ، وتُلتمس المنافع والبركات من بين يديها .

ونسي هؤلاءِ أَن الشرك مراتب وأَنواع ، وأَن الأَصنام منها ما يرى ومنها ما لا يرى . وأَن العبادة منها التقليدي وغير التقليدي ؛ من شرك أَكبر وأَصغر ، ومنه جلي وخفي ، بل ومنه ما هو أَخفى من دبيب النمل على الصفاة[1] .

ومن الأَوثان ما يعبده الناس ويقدمون له الولاءَ ، وإِن لم يسمّوه وثناً أَو إِلٰها أَو رباً ، ولم يسموا ما يقدمونه إِليه عبادة ، ولكن العبرة بالمقاصد لا بالأَلفاظ ، وبالمسميات لا بالأَسماءِ .

لهذا حذر الإِسلام من الشرك كله ، أَكبره وأَصغره ، وجليِّه وخفيِّه . وأَغلق كل المنافذ التي تهب منها ريحه السموم ، حماية لحمى التوحيد ، حتى رأَينا النبي ، ﷺ ، يعد الرياءَ شركاً ، ويعتبر القسم بغير الله شركاً ، وينهى أَن يقول المسلم : هذه لله وللرحمة .

---

١ - انظر : فتح المجيد .

أَو لوجه الله وفلان . فإن الله لا يقبل الشركة ، وإنه لأَغنى الأَغنياء عن الشرك كما عد ، ﷺ ، تقديس المقابر والأَضرحة ضرباً من الوثنية ، وهذا ما جعله يدعو ربه فيقول : « اللّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ » .

بل رأَينا القرآن الكريم يلفتنا إلى وثن أَو إلٰه خطير ، يتعبد له الملايين وهم لا يشعرون ، ذلك هو الهوى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ)[1] . (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)[2] .

وفي هذا العصر ظهرت أَوثان ومعبودات شتى ، أَصبحت تمتلك قلوب الناس ومشاعرهم وولاءهم ، بذكرها يهتفون وباسمها يقسمون وفي سبيلها يجاهدون ويستشهدون ، تلك هي أَوثان القومية والوطنية والاشتراكية والحزبية وما شاكلها .

نقرأُ الصحف والمجلات ، ونسمع برامج الإِذاعات ، ونشهد المؤتمرات ، فلا تكاد تسمع لله ذكراً أَو تجد له مكاناً ، وإنما تجد معبوداً آخر ، تدور حوله كل الأَفكار والمشاعر والأَعمال إلا القليل... إنه الوطن أَو القومية . العروبة مثلاً أَو المجتمع أَو الحزب أَو الشيخ أَو غير ذلك من أَصنام هذا العصر . ومن السائد المنتشر الآن البداءة باسم الوطن أَو الحزب أَو الشعب ، وإن تكرم فباسم الله وباسم

١ ــ سورة الجاثية : ٢٣ . ٢ ــ سورة الفرقان : ٤٣ .

الشعب ، والحلف باسم الشعب أَو الوطن : ـ أَقسمت باسمك يا بلادي ـ والجهاد في سبيل الوطن أَو العروبة ، فإِن قتل فهو شهيد الوطن . وهذا هو أَحط أَنواع الشرك ، التي دخلت على المسلمين من حيث لا يشعرون ، وسجلها الدارسون الأَيقاظ بوصفها ظاهرة جديدة في حياة المسلمين .

يقول الأُستـــاذ برنارد لويس[1] : كل باحث في التاريخ الإِسلامي يعرف قصة الإِسلام الرائعة في محاربته لعبادة الأَوثان منذ بدءِ دعوة النبي ،ﷺ. وكيف انتصر النبي ،ﷺ، وصحبه وأَقاموا عبادة الإِله الواحد ، التي حلت محل الديانات الوثنية لعرب الجاهلية .

وفي أَيامنا هذه تقوم معركة مماثلة أُخرى لكنها ليست ضد اللات والعزى وبقية آلهة الجاهلية ، بل ضد مجموعة جديدة من الأَصنام اسمها الدولة ، العنصر والقومية ... وفي هذه المرة يظهر أَن النصر حتى الآن هو حليف الأَصنام . فإِدخال هرطقة القومية العلمانية ، أَو عبارة الذات الجماعية ، كان أَرسخ المظالم التي أَوقعها الغرب على الشرق الأَوسط ، ولكنها مع ذلك كانت أَقل المظالم ذكراً وإِعلاناً[2] .

---

١ ـ من كتاب الغرب والشرق الأوسط ، نقلاً عن كتاب : العبادة في الإسلام .
٢ ـ راجع كتاب : العبادة في الإسلام . ص ١٤٥ وما بعدها . بتصرف .

الامتثال لأمر العلماء والحكام الضالين ، عبادة لهم

قال تعالى : (اتَّخَذُو أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ)[1] .

جاءت هذه الآية رداً على اليهود والنصارى وكل من فعل فعلهم ، فالآية حجة عليه . وجاء تفسيرها في الحديث الشريف عن عدي بن حاتم ، رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ، ﷺ ، يقرأ هذه الآية ، فقال للنبي ، ﷺ : إنا لسنا نعبدهم . قال عليه السلام : « أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّون مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ ؟ » فقلت : بلى . قال : « تِلْكَ عِبَادَتُهُمْ »[2] .

وكذلك حال من يعمل بأوامر الحكام والزعماء والشيوخ ، حيث يحل به ما حل بأُولئك السابقين الذين يتلقون التحليل والتحريم من غير الله ، مصدره الشرعي .

فتفكر أَيها القارىءُ في معنى هذه الآية ، فإنها عبرة لكل من اتبع سادته وشيوخه وعلماءه وحكامه وزعماء حزبه - إن كان تابعاً لحزب - وغيرهم في كل حدث باطل ، فإنه لابد من التفقه في الدين ، وعبادة الله على علم وبصيرة ، وكما بين ذلك رسولنا ﷺ ، وعلَّم ذلك لأُمته . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . وهو نظير قوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ

---

١ - سورة التوبة : ٣١ .　　٢ - رواه أحمد والترمذي .

اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)[1] . أي يفهمه أُمور دينه الذي هو أَساس سعادته وغاية غاياته . فإذا فهم المسلم أَمر دينه يستطيع أَن يفرق بين السنة والبدعة ، وبين الشرك والتوحيد ، وبين الهدى والضلال .

قال تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)[2] . والمعنى : أَن الله تعالى يجعل على قلب هذا الضالِّ المنحرف أَكنَّة وغشاوة ، فلا يقبل شيئاً من أُمور الدين ، وما جاءَ به الإسلام الحنيف ، الداعي لخير الإنسانية وسعادتها في الدارين .

ولنسمع لقوله تعالى ، حيث الحجة والبيان ، والتحذير من مخالفة الحاكم الديان : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا)[3] . لا شك أَن كل من يتحاكم إلى غير الله ورسوله ، أَو يعبد أَحداً من دون الله ، أَو يتبعه على غير بصيرة من الله ، أَو يطيعه فيما لا يعلم أَنه طاعة لله ، فلا شك أَن هؤلاءِ قد اتخذوا لهم معبودات ، استبدلوا ولاءَهم لها من دون الله .

جاءَ في : فتح المجيد : وأَما طاعة الأُمراءِ الحكام ، ومتابعتهم

١ ــ سورة الأنعام : ١٢٥   ٢ ــ سورة الأنعام : ١٢٥ .

٣ ــ سورة الأحزاب : ٦٦ .

فيمايخالف ما شرعــه الله ورسوله ، فقد عمت بها البلوى قديماً وحديثاً في أكثر الولاة بعد الخلفاءِ الراشدين . وهلم جراً . وقد قال تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[1] .

وعن زياد بن حدير قال : قال عمر ، رضي الله عنه : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ . قلت : لا . قال : يهدمه زلة العالِم وجدال المنافق للقرآن ، وحكم الأَئمة المضلّين[2] .

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ... الآيات)[3] .

قال العماد ابن كثير ، رحمه الله تعالى : والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت ههنا ، وأَنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أَو متبوع أَو مطاع . فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فقد حاكم إلى الطاغوت ، الذي أَمر الله تعالى عباده المؤمنين أَن يكفروا به . فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله

١ — سورة القصص : ٥٠ . ٢ — رواه الدارمي .
٣ — سورة النساءِ : ٦٠ .

ﷺ ، ومن كان يحكم بهما . فمن تحاكم إلى غيرهما[1] فقد تجاوز به حده ، وخرج عما شرعه الله ورسوله ، ﷺ ، وأنزله منزلة لا يستحقها . وكذلك من عبد شيئاً دون الله ، فإنما عبد الطاغوت . فإن كان المعبود صالحاً صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها .

كما قال تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ)[2] .

يقول سبحانه : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)[3] .

قال أبو العالية في الآية : يعني لا تعصوا في الأرض ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله ، فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء إنما بطاعة الله ورسوله .

وقال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[4] .

---

١ – كما هو الحال لدى كثير من أبناء هذه الأمة الذين يحتكمون لرؤسائهم وزعمائهم وشيوخهم ، لفض نزاعاتهم وخلافاتهم ، دون الالتجاء إلى حكم الله ، سبحانه وتعالى. وعندهم رأي الحزب أو الشيخ أو الحاكم هو المرجع الذي عليه المعول في حل الخلافات ، ونظير ذلك طوائف الصوفية الذين يحتكمون لشيخهم ولو خالف الشرع .

٢ – سورة يونس : ٢٨ . ٣ – سورة البقرة : ١١ . ٤ – سورة المائدة : ٥٠ .

قال ابن كثير ، رحمه الله : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى ، المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل به سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان ، الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ؛ من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام ، أخذها عن مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة . فمن فعل ذلك فهو كافر ، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم بسواهما في قليل ولا كثير(١) .

وفي الآية تحذير من حكم الجاهلية ، واختياره على حكم الله ورسوله . فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن — وهو الحق — إلى ضده من الباطل(٢) .

١ — من كلام الفرنجة : القوانين الوضعية . قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ومثل هذا وشر منه ؛ من اتخذ العادات العشائرية ، على طريقة شيوخ القبائل في التحاكم ، وهذا تقديم على كتاب الله وسنة رسوله . فمن اعتقد بالتحاكم إلى غير الكتاب والسنة وما يوافقهما ، فلا شك أنه كافر مرتد ، إذا ما أصر على ذلك واعتقده بأنه الحكم الفيصل ، ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله . ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوهما .

٢ — من أراد الاستزادة فعليه مراجعة كتاب : فتح المجيد . ففيه شفاءُ الغليل .

وصدق الله العظيم : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[1] .

الشفـــاعـــة

مدلول الشفاعة اللغــوي :

الشفاعة لغة هي من الشفع ، والشفع ضم الشيء إلى مثله والشفاعة الانضمام إلى آخر ، للخير أو للشر ، للحق أو للباطل . والشافع هو من يتدخل في أمر من الأمور ، ليكون عوناً لشخص فيجلب له الخير ، أو عوناً عليه فيجلب عليه الشر . وتنقسم الشفاعة إلى قسمين : شفاعة الدنيا ، وشفاعة الآخرة . وشفاعة الدنيا تنقسم إلى قسمين : وهما خاصتان بالعباد ، وتقع لبعضهم من بعض لأنهم يملكونها وتدخل في قدرتهم .

القسم الأول من شفاعة الدنيا : هذا القسم يسمى شفاعـــة حسنة . فمثلاً إذا ظلمك شخص وتدخل آخر وانضم إليك ، فأظهر الحق وأزال عنك الضرر ، فهذه تسمى شفاعة حسنة . وهذه الشفاعة ينال عليها فاعلها الثواب من الله . ويقول الله تعالى في هذه الشفاعة : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا)[2] .

القسم الثاني من شفاعة الدنيا : وهذا القسم يسمى شفاعـــة سيئة .

---

١ ــ سورة المـــائدة : ٤٥ .   ٢ ــ سورة النساء : ٨٥ .

وهي أَن ينضم شخص إلى عدو لك ليعينه على وقوع الشر بك أَو إبعاد الخير عنك . وهذه الشفاعة السيئة ، يكون لصاحبها أَثر منها . ويقول الله تعالى في هذه الشفاعة : (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) . سورة النساءِ : ٨٥ .

شفـــاعــة الآخـــرة :

إنها خاصة بالله وحده ، ولا يملكها إلا هو ، سبحانه وتعالى . ولا يستطيع أَي مخلوق مهما عظم شأْنه أَن يملك الشفاعة الأُخروية لأَنها تتصل بحقوق الله وحده . كما لا يستطيع أَحد أَن يجبر الله عليها لينالها آخر . فالإِنسان الذي عصى الله ورسوله ، وأَبى أَن يعبده وحده ، واتجه إلى غيره من المخلوقين الضعفاءِ ، فاستحق بذلك غضب الله في الدنيا وفي الآخرة ، هذا الإِنسان لا تنفعه شفاعة شافع ، فالله عادل حكيم ، وعدله وحكمته يقتضيان مجازاة الكافر المغضوب عليه ، بعد أَن أَنذره وحذره بما أَنزل له من كتاب ، وأَرسل له من رسول[1] .

وحدة الغاية عند المشركين في كل زمان

إن ما يزعمه المستشفعون على الله اليوم بالموتى ، هو عين ما كان يزعمه المشركون قديماً ؛ كانوا يعتقدون أَن للوجود رباً خالقاً رازقاً

١ – صراع بين الحق والباطل . ص ٧٢ وما بعدها .

مدبراً بيده ملكوت كل شيءٍ ... وفي ذلك يقول الله تعالى عنهم : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ . سورة يونس : ٣١ .

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ . سورة الزخرف : ٨٧ .

هكذا شهد المشركون الأولون بألوهية الله الواحد القهار ، وأقروا بصفات الربوبية كلها ، من خلق ورزق وإحياءٍ وإماتة وإجارة وتدبر وتصريف في ملكوت كل شيءٍ ، ولما سئلوا عن سبب استغاثتهم بالموتى ودعائهم كان جوابهم : ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . سورة يونس : ١٨ . أي ما نقصدهم وما نعظمهم وما نقيم لهم الموالد كل عام ، ولا نطوف حول قبورهم وما نقدم لهم القرابين ، إلا ليكونوا وسطاءَ بيننا وبين الله ، لقضاءِ حوائجنا من جلب نفع أَو دفع ضر .

من ذلك يتبين أنه لا فرق بين دعوى الجاهلية الأُولى ودعوى من ينتسبون إلى الإسلام اليوم بالإسم فقط ، فغاية الجميع إذن واحدة لأَن العقيده واحدة[1] .

---

١ – صراع بين الحق والباطل .

حـال المستشفعين على الله يوم القيامـة

عندما يضل الشفعاءُ عمن يشركونهم مع الله في الدنيا ، نجد الحقيقة المفجعة قد ظهرت على لسان هؤلاء المشركين ، حين يتبين لهم أنهم كانوا يدعون من لا يملكون الشفاعة حتى لأنفسهم فيصرخون في حسرة وألم : (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ) . سورة الشعراء : ٩٧ — ١٠١ .

كفـر الشفعـاء بالمشركـين

أَما الشفعاءُ فإنهم سيعلنون براءتهم من المشركين يوم القيامة ويخاصمونهم . استمع إلى قول الله في هذا : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) . سورة فاطر : ١٣ ، ١٤ .

وقوله تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) . الأَحقاف : ٥ ، ٦ .

الرسـول لا يملك لنفسـه شيئـاً

والرسول ، ﷺ ، لم يكن يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، مع أنه

سيد البشر . لهذا قال له ربه سبحانه : (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) . سورة الأَحقاف : ٩ .

وورد في السنة أَن الرسول ، ﷺ، قال : « وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي » رواه البخاري ومسلم .

وثبت أَيضاً أَنه قال : « لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ » . قالوا : حتى أَنت يا رسول الله ؟ . قال : « حَتَّىٰ أَنَا . إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » .

الرسول لا يملك لأحد شيئاً

كما أَنه عليه السلام ، لم يكن يملك لغيره شيئاً ينفعه أَو يضره وهو حي يرزق ، فكيف يتصور البعض أَن الرسول ، ﷺ، يملك شيئاً لمن جاؤوا بعد موته ؟ وهو الذي قال له ربه ، سبحانه وتعالى : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) سورة الغاشية : ٢١ - ٢٢ .

وقال تعالى أَيضاً :(قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً) . سورة الجن : ٢١ . حتى أُولي رحمه لم يكن يملك لهم شيئاً . فقد سأَله العباس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله : هلا نفعت أَبا طالب بشيءٍ فإِنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ . فقال « نَعَمْ .

هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[1] مِنْ نَارٍ وَلَوْلاَ أَنَـا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » . رواه مسلم .

ولما نزل قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) . الشعراء : ٢١٤ . دعا قريشاً وقال ، في الحديث الطويل : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ . . . اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ فَإِنِّي لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً . . يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ . لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً » . رواه مسلم .

فإذا كان الرسول لا يستطيع أن يغني عن فاطمة – وهي بضعة منه – من الله شيئاً ، فكيف يزعم الجاهلون أن الرسول ، ﷺ ، سيغني عنهم شيئاً ، وهم بعيدون كل البعد عن سنته وهديه ، وحياتهم تخالف حياته ، ﷺ .

الرسـول لا يشفع في المفسديـن

وإن مجرد انتسابنا للرسول ، ﷺ ، محال أن يكون سبباً في شفاعة الرسول لنا ، فهذا وهْم باطل . وكم في أُمة الرسول ، ﷺ من أُناس فسقوا وضلوا عن سبيل الله الذي دعا إليه الرسول ، وأَمر أُمته باتباعه ؟ .

فالذين بلغهم قوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

١ – الضحضاح : ماءٌ قليل العمق . راجع : صراع بين الحق والباطل .

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) . سورة الحشر : ٧ . وقوله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)[١] . وبلغهم قول رسول الله ﷺ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ » . رواه مالك في الموطإ .

الذين بلغتهم هذه الآيات والأحاديث ، ثم هجروا كتاب الله ونبذوا سنة رسوله الأمين ، وأعرضوا عما فيهما من الهدى والحق وجروا وراءَ التقاليد والبدع والشرك والأهواءِ ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، كيف تتحقق لهم الشفاعة ؟ وهل في وسع الرسول أن يشفع فيمن قال الله تعالى في محكم كتابه عنهم : (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ . أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) . ؟ سورة الزمر : ١٩ .

ثم إن الجزاءَ في الآخرة معلق على الأعمال والمقدمات ، لا على الشفاعات والمحسوبيات والأنساب والأحساب ، كما قال تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)[٢] .

شفاعة الرسول لأمته

ولا جدال في أن النبي ، ﷺ ، سيشفع لأمته يوم القيامة . ولكن من الذي سيحظى بهذه الشفاعة ؟ ! هل ستتناول جميع

---

١ – سورة طـه : ١٢٤ .

٢ – سورة المؤمنون : ١٠١ .

الناس - كما يعتقدون - وتدخلهم الجنة بـــلا حساب[1] ؟ وهل ستكون الشفاعة ملكاً لأَحد يتصرف فيها كما يشاءُ ؟ ! وهو صاحب الأَمر يومئذ ، ولن يكون شيءٌ إلا بإذنه وأَمره (مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) . سورة يونس : ٣ . وقوله : (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) . سورة سبإٍ : ٢٣ .

هذه الآيات الصريحة تقطع على القبوريين أَطماعهم . إن الشفاعة ليست كما يدعون ، فلن ينالها كل من دنَّس نفسه بالشرك ووصم بعبادة المخلوقين من دون الله . وإنها لن تكون إلا لكل مسلم عاش ومات على التوحيد ، وذلك بعد استيفائه العقاب جزاءَ ما ارتكب من ذنوب[2] .

---

١ - إن عشم هؤلاءِ في شفاعة الرسول ، هو كما يقول العامة : عشم إبليس في الجنة .

٢ - هذه مقتطفات استقيناها من الكتاب القيم : صراع بين الحق والباطل . فليراجع . جزى الله مؤلفه عنا خير الجزاء .

التوســــــــل

أقــول أئمــة اللغــة في الوسيلة :

١ - جاءَ في لسان العرب : الوسيلة : القربة . ووسل فلان إلى الله وسيلة : إذا عمل عملاً تقرب به إليه . وتوسل إليه وسيلة : إذا تقرب إليه بعمل[1] .

٢ - وقال الفيروزابادي في القاموس المحيط : ووسل إلى الله توسيلاً: عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل .

٣ - وقال الراغب في المفردات القرآنية : حقيقة الوسيلة إلى الله : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري أَحـكام الشريعة .

٤ - وفي المصبــاح المنير : وتوسل إلى ربه بوسيلة : تقرب إليه بعمل.

هذه أَقوال اللغويين في كلمة الوسيلة . فلم يقل أَحد منهم أَن معناها التقرب إلى الله بذوات الأَشخاص أَو اللجوءِ إلى الموتى . بل قالوا : إنها التقرب إلى الله بعمل . ثم إليك الدليل الثاني في معنى الوسيلة من أَقوال أَعلام التفسير .

أقــوال المفسرين في الوسيــلة :

١ - قال ابن جرير الطبري في تفسير آية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) . يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل

---

١ - صراع بين الحق والباطل . ص ٥٩ - ٦٤ . بتصرف .

بما يرضيه . والوسيلة هي الفعيلة من قول القائل : توسلت إلى فلان بكذا . بمعنى : تقربت إليه .

٢ ـ وقال البيضاوي في تفسير الآية المذكورة : ما يتوسلون به إلى ثوابه والزلفى ، من فعل الطاعات وترك المعاصي .

٣ ـ وقال أبو السعود : هي فعيلة . بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي .

٤ ـ وقال صاحب تفسير المنار : الوسيلة إليه : هي ما يتوسل به إليه . أي ما يرجى أن يتوصل به إلى مرضاته ، والقرب منه واستحقاق المثوبة في دار كرامته[١] .

وهذا تفسير الوسيلة معنى ، كما جاء على لسان أعلام المفسرين وهو لا يفيد أن التوسل هو الاستغاثة بالموتى والتزلف بهم إلى الله ، بل قال الجميع : إن التوسل هو التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة .

لقد ذهب سدنة القبور يروّجون للتوسل بالموتى ، ويؤوّلون الآيات والأحاديث ، ويطوعونها لأهوائهم وشهواتهم للحصول على مال زائل وحطام فان ، والعامة مشوا وراءهم يصدقون ما يقال لهم افتراءً وكذباً عن التوسل ، فقلدوا وضلوا[٢] .

١ ـ من أراد الاستزادة فعليه « بقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ذلك الكتاب القيم الذي يوضح السبيل ويشفي الغليل .

٢ ـ انظر : التوسل والوسيلة ، و : صراع بين الحق والباطل .

إنـــك ميت وإنهـــم ميتـــون

والقول أَن الأَولياءَ أَحياءُ في قبورهم يصِلون ، كلام غير مقبول . فلا الأَولياءُ ولا غيرهم من الموتى يملكون أَن يصِلوا أَحداً بعد أَن ماتوا وانقطعت أَعمالهم ، وأَصبحوا غير قادرين على فعل شيءٍ . والله تعالى يقول في كتابه العزيز : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) .

ومن نتائج الموت شل الحركة ، ووقف أَعضاءِ الجسم عن العمل وفقدان الحواس ، ثم بعد ذلك يتحلل الجسد طعاماً للدود ، وتصير عظامه طعاماً للسوس .

ولا يمكن لإِنسان يتمتع بذرة من العقل السليم أَن يقرر أَن الذي مات وفقد حركته وتعطلت جوارحه ، يستوي هو والذي مازالت تدب فيه الروح وتمده بالشعور والفكر . وكل مظاهر الحيـــاة . . . وكيف يستوي الحي والميت ؟ ! والقرآن الكريم يقرر عدم إِمكان هذا ، في قوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ) . سورة فاطر : ١٩ ـ ٢٢ .

كما أَن الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، ينفي قدرة الميت على فعل أَي شيءٍ بعد مماته . فيقول : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ

إلاَّ مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » . حديث صحيح .

وهذه الثلاث من سعيه وعمله وكسب يده قبل مماته .

أنـواع من التوسـل المشروع [1]

١ ـ كالتوسل بحمد الله ، والصلاة على رسوله . كما جاءَ في حديث أُبيٍّ بن كعب ، رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله إني أُكثر الصلاة عليك . فكم أَجعل لك من صـلاتي ؟ ! قال : « مَا شِئْتَ » . قال : قلت الربع ؟ . قال : « مَا شِئْتَ وإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قلت : النصف ؟ قال : « مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قال : قلت : الثلثين ؟ قال : « مَا شِئْتَ وإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . قلت : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟ قال : « إِذاً يُكْفَىٰ هَمُّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ » . رواه أَحمد والترمذي .

ومصداق ذلك ما ورد في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [2] .

٢ ـ والتوسل بأَسماءِ الله وصفاته ، كما قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [3] .

١ ـ انظر : التوسل والوسيلة ، وصراع بين الحق والباطل . ص ٦٤ ـ ٦٦ .
٢ ـ الأحزاب : ٥٦ .   ٣ ـ الأعراف : ١٨٠ .

٣ - والتوسل بالأدعية الواردة في السنة . نحو : « اللّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ » . وغير ذلك من الأدعية .

٤ - والتوسل بالدعاءِ . كما حدث عندما استسقى المسلمون بدعاءِ النبي ، عليه السلام ، أيام القحط .

٥ - والتوسل بالصلاة . كصلاة الاستخارة .

٦ - والتوسل بأداءِ الفرائض والنوافل ، وجميع أعمال الطاعات والقربات .

هذه بعض أنواع من التوسل ، الذي شرعه الله لعباده ، وبينته سنة رسوله ، ليستطيع الإنسان التقرب إلى الله مباشرة . وهذه التوسلات كما ترى ليس فيها استغاثة بالموتى ولا هتاف بالمقبورين ولا لجوءٌ إلى غير الله .

والله تعالى يرشد عباده للطريق الصحيح لسؤاله ، فيقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[1] . ويقول أيضاً : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] .

---

١ - سورة ق : ١٦ .

٢ - سورة غافر : ٦٠ .

هــل يسمع الميت الدعــاء ويستجيب[1] ؟

إن الميت لا يمكنه سماع من يدعوه ، ويطلب منه قضاءَ شيءٍ مهما أَطال في الدعاءِ وأَكثر منه . وقد أَخبر الله تعالى عن ذلك فقال سبحانه : (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَااسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)[2] .

ويقول تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)[3] .

الالحــاد في الأسمــاء والصفــات

قال تعالى : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)[4] . سبب نزول هــذه الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها . وهو أَن مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عنــاداً .

وقال تعالى : (قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)[5] . (والرحمٰن) اسمه وصفته ، دل هــذا الإِسم

١ — راجع : صراع بين الحق والباطل . ص ٦٧ .

٢ — سورة فاطر : ١٣ — ١٤ .

٣ — سورة الأحقاف : ٥ .

٤ — سورة الرعد : ٣٠ .

٥ — سورة الإسراء : ١١٠ .

على أَن الرحمة وصفه سبحانه . وهي من صفات الكمال . فإذا كان المشركون جحدوا اسماً من أَسمائه تعالى ـ وهو من الأَسماءِ التي دلت على كماله سبحانه وبحمده ـ فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأَسماءِ يكون كذلك ، فإن جهم بن صفوان ومن تبعه يزعمون أَنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى . وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأَشاعرة وغيرهم ، فلهذا كفَّرهم كثيرون من أَهـل السنة[1] .

إن هؤلاءِ الجهمية ، ومن وافقهم على التعطيل ، جحدوا ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله ، وبنوا هذا التعطيل على أَساس باطل أَصَّلوه من عند أَنفسهم فقالوا : هذه الصفات هي صفات الأَجسام ، فيلزم من إثباتها أَن يكون الله جسماً ... وهذا منشأُ ضلال عقولهم ، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين ، فشبهوا الله في ابتداءِ آرائهم الفاسدة بخلقه ، ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات ، فشبهوا أَولاً وعطلوا ثانيا وشبهوه ثالثـاً بكل ناقص ومعدوم ، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة ، من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته .

---

١ ـ هذه المعلومات وما بعدها مستقاة من كتاب : فتح المجيـد . ص ٤١٢ ـ ٤١٤ .

وهذا هو الذي عليه سلف الأُمة وأَئمتها . فإنهم أَثبتوا لله ما أَثبته لنفسه ، وأَثبته له رسوله ﷺ ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل . فإن الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أَن هؤلاءِ المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات ، فأَهل السنة يقولون ذلك ، ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ، من صفات كماله ونعوت جلاله ، لا تشبه صفاته صفات خلقه ، فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولم يتناقضوا .

فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل ، ولله الحمد والمنة ، وإجماع أَهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأَئمة المسلمين .

وفي صحيح البخاري قال علي : حدثوا الناس بما يعرفون أَتريدون أَن يكذب الله ورسوله ؟ .

وقد كان أَمير المؤمنين معاوية بن أَبي سفيان ينهى القُصَّاص عن القصص ، لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك ، ويقول : لا يقص إلا أَمير أَو مأْمور . وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم ، علماً وعملاً ونية وقصداً وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها . والله الموفق للصواب .

قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)[1] .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةٌ إِلاَّ وَاحِداً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ » . متفق عليه .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى[2] : (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) .

قال : اشتقوا اللات من الله ، واشتقوا العزى من العزيز .

وقال قتادة : يلحدون : يشركون .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الإلحاد : التكذيب .

قال ابن القيم ، رحمه الله : وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشراك والتعطيل والنكران ، وأسماءُ الرب تعالى كلها أسماءٌ وصفات تعرَّف بها تعالى إلى عباده ، ودلت على كماله جل وعلا .

وقال رحمه الله : فالإلحاد ؛ إما بجحدها وإنكارها ، وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق والتأويلات ، وإما أن يجعلها أسماءً لهذه المخلوقات .

١ – سورة الأعراف : ١٨٠ .

٢ – راجع : فتح المجيد ص ٤٥٨ – ٤٦٠ .

كإلحاد أهل الاتحاد ؛ فإنهم جعلوها أسماءَ هذا الكون ، محمودها ومذمومها . حتى قال زعيمهم : هو المسمي بمعنى كل اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعُرفاً ، وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعُرفاً ... تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . اهـ .

والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة كما تقدم : إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ، على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال الله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)[1] . فمن جحد شيئاً ممـا وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه ، فهو جهمي قد اتبع غير طريق المسلمين . كما قال تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)[2] .

---

١ ـ سورة الشورى : ١١ .

٢ ـ سورة النساء : ١١٥ .

اتخـــاذ القبـــور مساجـــد

لقد حرم الإسلام بناءَ المساجد على القبور ، ونهى عن ذلك أشد النهي وأغلظه ... والأَصل في تحريم بناءِ المساجد على القبور هو خشية تعظيم الميت ، لدرجة تجعل الإِنسان يعطي ما يجب أَن يكون لله - من الحب والتعظيم والخشية والرجاءِ والتقديس - لهذا الميت ، معتقداً أَن الميت بيـده الضر والنفع . فالتعظيم والخشية والرجاءُ والذل يجب أَن يكون لله وحده ، لأَنه الرب الحي الخالق الرازق ، المانع المعطي المالك لكل شيءٍ في الوجود ... أَما المقبور الذي يدعوه الإِنسان ويسأَله ، فهوعبد ميت لا يخلق ولا يرزق ، ولا يعطي ولا يمنع ولا يعز ولا يذل ، بل هو فقير محتاج كالذي يدعوه تماماً .

وقال تعالى لمن يرتادون مساجد الأَضرحة : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)[1] . أَي أَن الله يأْمرنا بالاستقامة فيما نتوجه به إِليه من الأَعمال ، وأَن نخلص له العبادة لتكون موافقة لما بيَّن رسول الله ، وأَمر الناس به . والله تعالى يقول : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)[2] . أَي : اجعل المسجد لعبادة الله وحده ، فلا تضع فيه ميتاً ، يصرفك - بتعظيمك وحبك إِياه - عن عبادة الله وحده . وقد حذر الرسول

---

١ - سورة الأعراف : ٢٩ .   ٢ - سورة الجن : ١٨ .

ﷺ، أمته من اتخاذ القبور مساجد ، وأخبر بأن الفاعل – فاعل ذلك – ملعون من الله : « لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ[1] » . وقال الرسول ﷺ: « شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ »[2] .

وفي هذه الأيام نجد أن صاحب كل ضريح يحظى بحب أهل جهته ، فهم يحلفون به ويستبشرون بوجوده في منطقتهم ، ويعتقدون أنه يدفع عنهم الأذى ويجلب لهم الخير ... ولذلك نجد أهالي كل حي يساهمون مساهمة فعالة في مولد وليهم ، فيتسابقون في إقامة الزينات ، وإحياءِ الليـالي الساهرات وإقامة الحفلات إظهاراً وتوكيدا لحبهم لوليهم ، ويبلغ بهم فرط حبهم له أنهم يحرصون أن يحلفوا به صادقين ، بينما لا يخشون أن يحلفوا بالله كاذبين هازلين[3] .

---

١ – رواه أبو داود والترمذي .
٢ – رواه أحمد وابن ماجة .

٣ – حصلت مجاعة أثناءَ الحرب العالمية الثانية ، فذهب بعض الناس إلى وكيل شيخ الطريقة الخلوتية ، والتي يعرف مريدوها – أتباعها – باسم الدراويش ، حيث كان يقيم وكيل شيخهم آنذاك في محافظة الخليل بفلسطين ، فطلبوا منه أن يبيعهم كمية من الحنطة لأبنائه الجياع ، ولكن الطلب رفض رغم الأقسام المغلظة والحلف عليه بالله ، ومع الأسف لم يفلحوا . وأخيراً – وبقدرة قادر – استجيب الطلب بعد أن أقسموا عليه بشيخه ! ! وهكذا عظمت منزلة الشيخ لدى مريديه وتجاوزت منزلة الأُلوهية ! ! .

وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ)[1] . ومن المؤسف حقاً أن أهل القبور ينفقون عليها نفقاتهم ، ويتقربون إليها بصدقاتهم التي تكلفهم نفقات باهظة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، هؤلاء الذين ينساقون وراءَ شهواتهم ، وما تزينه لهم شياطينهم ، جرياً وراءَ الهوى وبلا دليل أَو برهان ، فبئست أَفعالهم تلك ، وإن هذه المواقف الشاذة ما هي إلا دليل على انحرافهم وفساد معتقداتهم . فلو طلبت منهم المال لنشر العلم أَو إزالة المنكر أَو إغاثة المنكوب ؛ لبخلوا عن مواقع الإنفاق في سبيل الله . فسبحان الله ما أَكثر الأَشقياءِ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من نصيب .

إقامة الموالد للأولياء والمشايخ

ومن الشرك أَن نقيم الموالد والأَعياد للأَولياءِ والصالحين وغيرهم من سكان الأَضرحة ، وطلب الحوائج منهم ، والاستغاثة بهم والتوجه إليهم . إن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عمن استغاث به أَو سأَله ليشفع له إلى الله تعالى[2] .

إن هؤلاءِ الذين يقيمون الموالد ، أَياماً وليالي ، لإحياءِ العادات

١ – سورة البقرة : ١٦٥ .

٢ – راجع كتاب : صراع بين الحق والباطل .

الشركية ، ودعاءِ ساكني الأَضرحة وهم عنهم غافلون ، ولندائهم لا يسمعون ، أُولئك كالأَنعام وأَضل سبيلاً .

والله وحده هو القريب والسميع للشكوى ، والقادر على الاستجابة وهو على كل شيءٍ قدير . وقد نهى الرسول ، ﷺ ، عن اتخاذ القبور أَعياداً ، كما جاءَ في الحديث الشريف عن أَبي هريرة ، رضي الله عنه قال رسول الله ، ﷺ: « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً » . رواه أَبو داود .

كيف عبدت القبور

أَمر الشارع الحكيم بزيارة القبور للاتعاظ والاعتبار ، وفي ذلك خير وإحسان للأَحياءِ والأَموات . ولم تشرع الزيارة لمناجاة أَهل القبور ودعائهم لقضاءِ الحوائج ، كما يفعل الجهلة والمبتدعة والمنحرفون . ولكنها شرعت للاستغفار والدعاءِ للميت ، والعبرة للحي ليستعد لرحلة الأَبد ـ الموت ـ الواقعة لا محالة . ومما يؤسف له أَن يقع بعض أَبناءِ أُمتنا أَسرى للهوى والضلال وتنطلي عليهم دسائس المبتدعة وأَهل الكتاب وأَشباههم فيقلدونهم كما تستحوذ عليهم الخرافات وحبال الأَباطيل ، فينساقون طائعين مختارين ، مما أَفسد معتقداتهم ، فالتقوا مع عبدة الأَوثان ، وأَصبحوا عبيداً

للأهواءِ والشيطان . وهكذا صرعتهم ضلالاتهم فباؤوا بالويل والخسران .

ولا شك أن السبب الأعظم ، الذي نشأ منه الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها بأكمل تحسين . فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور ، قد بنيت عليه قبة فدخلها ، ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلألئة ، وقد سطعت حوله مجامر الطيب ... فلا شك ولا ريب أنه يمتلئُ قلبه تعظيماً لذلك القبر ، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية - التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين ، وأشد وسائله إلى إضلال العباد - ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً ، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، فيصير في عداد المشركين . وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر ، الذي صار في تلك الصفة ، فعند أول زورة له لابد أن يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياءِ بمثل هذا الميت ، لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه ، إما دنيوية أو أخروية ، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماءِ زائراً لذلك القبر ، وعاكفاً عليه ومتمسكاً بأركانه[1] .

---

١ - هذه المعلومات وما بعدها مستقاة من رسالة : شرح الصدور بتحريم رفع القبور . للإمام الشوكاني .

وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه - من بني آدم - يقفون على ذلك القبر ، ويخادعون من يأْتي إليه من الزائرين ، يهولون عليهم الأَمر ، ويصنعون أُموراً من أَنفسهم ، وينسبونها إلى الميت على وجه لا يفطن له من كان من المغفلين ، وقد يصنعون أَكاذيب مشتملة على أَشياءَ يسمونها كرامات لذلك الميت ، ويبثونها في الناس ، ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس فتشيع وتستفيض ، ويتلقاها من يحسن الظن بالأَموات ، ويقبل عقله ما يروى عنهم من الأَكاذيب ، فيرويها كما سمعها ، ويتحدث بها في مجالسه ، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد الشركي وينذرون على ذلك الميت بكرائم أَموالهم ، ويحبسون على قبره من أَملاكهم ما هو أَحبها إلى قلوبهم ، لاعتقادهم أَنهم ينالون - بجاه ذلك الميت - خيراً عظيماً وأَجراً كبيراً .

ويعتقدون أَن ذلك قربة عظيمة ، وطاعة نافعة وحسنة متقبلة فيحصل بذلك مقصود أُولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم ، على ذلك القبر . فإنهم إنما فعلوا مثل تلك الأَفاعيل وهوَّلوا على الناس بتلك الأَهاويل ، وكذبوا تلك الأَكاذيب لينالوا جانباً من الحطام من أَموال الطغام ، وما يقدمه الجهلة من أَبناءِ العوام . وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية ، تكاثرت الأَوقاف

على القبور . ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة ، لأغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء ، أو لسد حاجات الأمة من السلاح والعتاد ، التي هي بحاجة ماسة إليه ، لصد العدوان والدفاع عن حياض أمة الإسلام . . . ولكنها من النذور في معصية الله . وقد صح عن الرسول ﷺ ، أنه قال : « لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ » . وهي أيضاً من النذور التي لا يبتغى بها وجه الله تعالى ، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه ، لأنها تفضي بصاحبها إلى ما يفضي به اعتقاد الألوهية في الأموات ، وبذلك يتزازل قدم الدين ، من ذلك التقديس والتعظيم لذلك القبر وصاحبه . وهذا نوع من أنواع العبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى . نعوذ بالله من الخذلان .

فانظر إلى أين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاءِ ؟ وكيف رمى بهم في هوة بعيدة القعر ، مظلمة الجوانب ؟ فهذه مفسدة من مفاسد رفع القبور وتشييدها ، التي أوقعت الكثيرين من الجمهور في كبيرة وذنب غير مغفور ، إنه الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار فياله من خزي وعار ، ينتظر المبتدعة الأشرار ، ومن كان على شاكلتهم ، من شياطين الصوفية الأغرار ، الذين وقعوا على أم رؤوسهم ، فسحقاً لهم وحسبهم جهنم ولبئس القرار .

مـــن أفعـــال القبوريين الشنعـــاء

جاءَ في العقائد السلفية[1] : القبوريون اليوم ـ وقبــله بقرون عديدة ـ وقعوا فيما وقع فيه المشركون السالفون ، بصرفهم جل العبادات للقبور المقدسة لديهم ؛ كالنحر لها والطواف حولها والاستغاثة بها والتبرك بترابها ، وطلب الشفاءِ منها وشد الرحال إليها .

لقد صرفت الأَموال الباهظة من أَجل القبور ، وعفروا على أَعتابها الخدود ، وكثرت الاستغاثات وطلب قضاءِ الحاجات من الغائبين والأَموات ، وفي بعض الجهات قدم الجهلاءُ عرائض الشكوى وطلب الحاجات إلى أُولئك المقبورين الرفات، وهكذا يتقــدمون بعرائضهم وتضرعاتهم وتوسلاتهم التي لا يجوز ان تصرف لغير الله . فمن هذه الأَقوال : ـ

أُريد أَيها الشيخ ولداً ، ويريد الآخر وظيفة ، وذلك يستغيث من ظالم ظلمه ، وتلك تريد ولداً أَو زوجاً أَو غيره . وهكذا دواليك .

ولا أَدري أَيعتقدون أَن الله لا يعلم بحاجاتهم ؟ أَو لا يجيب دعواتهم ؟ أَو أَنه وكل هؤلاءِ الموتى بقضاءِ حوائج السائلين ؟ ! أَما قرع سمعهم قوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ)[2] . وقوله تعالى : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

---

١ ـ الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي . العقائد السلفية ج ١ ص ٣٤ ـ ٣٦ .
٢ ـ سورة البقرة : ١٨٦ .

لَكُمْ)[1] . ولم يقل : ادعوا أَوليائي وأَنبيائي ؟ ! . أَما سمعوا قوله تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)[2] ؟ ! .

أَما فهموا أَن الله لم يرسل الرسل - وأَفضلهم سيدنا محمد - ﷺ إلا لمحو الوثنية من الأَرض ، وإقامة صرح التوحيد ؟ ! أَما كان كل رسول يقرع أَسماع قومه أَول مرة : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ)[3] . ؟ أَما أَبطل الله عبادة المسيح وسفه أَحلام عابديه؟ ! أَما قال : (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[4] ؟ ! .

القبوري مشرك ولو نطق بالشهادتين

إن قول بعض الجاهلين أَن هؤلاءِ القبوريين يقرون بالخالق ويعتقدون بشرائع الإِسلام وبيوم الجزاءِ ، ويتسمون بأَسماءِ المسلمين ويتمسكون بعوائدهم وأَعرافهم ويصلون لله تعالى ... وغاية ما هنالك أَنهم يتوسلون بهؤلاءِ الصالحين في قبورهم ، ويتقربون إليهم ولا يرضون بلقب الشرك ، بل ينفرون منه ... فكيف يمكن أَن أَن يقال بأَنهم مشركون ؟ ! .

---

١ - سورة غافر : ٦٠ .
٢ - سورة النمل : ٦٢ .
٣ - سورة الأعراف : ٥٩ .
٤ - سورة آل عمران : ٨٠ .

فالجواب عن تسميتهم مشركين : أَن الكفر والشرك شُعب وأَنواع ، كما أَن الإِيمان له شُعب ، فإِذا أَتى بكثير من شعب الإِيمان وأَتى معه بشيءٍ من شعب الشرك ، فيقال له مشرك . مثلا : لو صام وصلى ، واعتقد بالرسالة والقيامة ، واتصف بالزهد ومكارم الأَخلاق ولكنه اعتقد في كوكب بأَن له تأْثيراً ، أَو اعتقد في ملَك أَو رسول أَن بيده نفعاً أَو ضراً ، فنسميه مشركاً ، وإِن أَتى بتلك الأَعمال الصالحة لأَنه اعتقد فيما لا يجوز اعتقاده إِلا في الله ، بصرفه هذا الاعتقاد لغيره ، وهو من خصوص الأُلوهية . وإِلا فما معنى كتاب الردة ؟ ولا يلزم أَن لا يحكم على أَحد بكفر أَو شرك إِلا إِذا أَتى بجميع خصاله وأَنواعه ! ! فتوسلهم شرك لاعتقادهم بأَنهم مذنبون ، وهؤلاءِ أَقرب عند الله ، فيوسطونهم بينهم وبين الله[1] .

هذا وما أَكثر الذين ينساقون وراءَ أَهوائهم ، فيضلون ويُضلون غيرهم ، علماً بأَن إِبليس اللعين قد تكفل بإِغواءِ الناس ، فكثر أَتباعه بفضل ما زينه لهم من الضلالات وسوءِ الأَعمال . ومن المعلوم أَن القبوريين هم من أَولياءِ الشيطان ، الذين سيلقون على أُم رؤوسهم في الجحيم ، وهذا شأْن كل مشرك ، استحل محارم الله ، بصرف العبادة ـ التي هي من خصوصياته ـ لغيره .

١ ـ العقائد السلفية جـ ١ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

ومن المعلوم أيضاً أن الإنسان إذا نطق بالشهادتين ، في حال تلبسه بالأعمال المناقضة لشروطهما ، كحال القبوري مثلاً ، فإن نطقه بالشهادتين لا يفيده شيئاً ، لأن أعماله الشركية - كالتقرب للأموات والنذر لهم - تنافي ذلك وتنقضه كالحدث بعد الوضوء .
اللهم إنا نعوذ بك من الشرك وأهله ، ونلجأ إليك بالشكوى ، فأنت الناصر والمنقذ ، وأنت المجيب لدعوة الداعي إذا دعاك ، وبيدك الخير إنك على ما تشاءُ قدير .

إخلاص مشركي الأمس في الشدة بخلاف أهل زماننا

قال تعالى : (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)[1] .

لما كان يوم الفتح فر عكرمة بن أبي جهل ، فركب البحر فأصابتهم عاصفة ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً . فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ، ما ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك عهداً

١ - سورة يونس : ٢٢ - ٢٣

إن أَنت عافيتني مما أَنا فيه أَن آتي محمداً حتى أَضع يدي في يده فلأَجدنه عفواً كريماً . قال : فجاءَ فأَسلم[1] .

وظاهر الآية أَنه ليس المراد تخصيص الدعاءِ فقط به سبحانه بل تخصيص العبادة به تعالى أَيضاً ، لأَنهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين ، وأَيّاً ما كان فالآية دالة على أَن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحــال .

وأَنت خبير بأَن الناس اليوم إذا اعتراهم أَمر خطير وخطب جسيم ، في بر أَو بحر ، دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يدعو الخضر وإلياس ، ومنهم من ينادي الخميس والعباس والبدوي وعبد القادر ، وغيرهم من الأَموات . ومن هذا الطراز من يستغيث بأَحد الأَئمة ، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأُمة ولا ترى فيهم أَحداً يخص مولاه بتضرعه ودعاه ، فسبحان الله الذي أَعمى قلبه وأَشقاه ! ! .

فمن هؤلاءِ الذين لا يكاد يخطر أَو يمر له ببال ، أَنه لو دعا الله وحده ، ينجو من هاتيك الأَهوال ، فبالله تعالى عليك قل أَي الفريقين من هذه الحيثية أَهدى سبيلاً ؟ . وأَي الداعين أَقوم قيلاً ؟ وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ، وتلاطمت

١ ـ راجع : غاية الأماني . ج ٢ . ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .

أَمواج الضلالة ، وخرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجـاة ذريعة ، وتعذر على العارفين الأَمر بالمعروف ومات دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف .

قال العلامة محمود شكري الآلوسي : ... وقلت يوماً لرجل يستغيث في شدة ببعض الأَموات ، وينادي : يا فلان أَغثني . فقلت له: قل : يا الله . فقد قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1] . فغضب . وبلغني أَنه قال : إن فلاناً منكر على الأَولياء .

وسمعت عن بعضهم أَنه قال : الولي أَسرع إجابة من الله عز وجل . وهـذا من الكفر بمكان[2] . نسأَل الله أَن يعصمنا من الزيغ والطغيان .

تفنيد قول شائع

لقد شاع الحديث عن مقالة : تتبدل الأَحكام بتبدل الأَزمان. وسيقف القارىءُ على بطلان هذه المقالة فيما سنبسطه في الفقرات التاليـة :

إن هذا القول أَصبح شائعاً ودارجاً على الأَلسنة ، تردده وتشيعه في الحل والترحال ، دونما تدبر أَو فهم لمقتضياته ، وكأَن لسان حال

١ — سورة البقرة : ١٨٦ .
٢ — انظر : غاية الأماني ج ٢ .

هؤلاءِ المرددين له يقول ، وكما يتبادر لذهن كل سامع : هذه الأَحكام والمقاييس والتشريعات المستنبطة من القرآن والسنة ، تخضع لسلطان الزمن وتقلبات الأَحــوال والأَعراف ، التي هي السلطان المهيمن على روح النصوص والأَحكــام .

إن الذين أَطلقوا هذه الكلمة أَرادوا بها معنى غير المتبادر منها وهو : أَن الأَحكام التي ربطها الشارع بأَعراف الناس وعاداتهم ، ينبغي أَن تدور مع هذه الأَعراف والعادات ، بناءً على ضرورة اتباع حكم الله في ذلك . وواضح أَن هذا ليس إلا استمرار للحكم ، وليس ما قد يبدو من التغيير فيه ، عند تغير متعلقاته ، إلا ممارسة حقيقية له . كما لو قلنا بوجوب استعمال الماءِ في رفع الحدث عند التمكن من استعماله . وبوجوب التيمم عند عــدم التمكن من ذلك[1] . وهكذا نرى أَنه لا يجوز أَخذ هذه القاعدة على ظاهرها ، لأَن ما ثبت بدلالة الكتاب أَو السنة أَو القياس عليهما ، باق ما بقي الكتاب والسنة . ولو كان لتبدل الأَزمنة سلطان على الأَحكام ، وقدرة على تبديلها ، لانمحت معالم التشريع وأَحكامه منذ عهد بعيد .

لقد قيض الله لهذا الدين من ينافح عنه ، ويرد عنه كيد الموتورين والمشوهين والمبتدعين ، من الجهلة والفاسقين . وكما هو

١ – لتفصيل القول في هذه القاعدة الكلية انظر : أعلام الموقعين لابن القيم وضوابط المصلحة د . محمد سعيد رمضان البوطي .

معلوم أَن المسلم يجب أَن يكون فطناً ويقظاً وأَلا يسلم للأَهواءِ ، وأَن يكون على حذر لما يراد به من الأَعداءِ ، وأَن يزن الأُمور بميزان الشرع ، لا العادات والأَعراف الموروثة . والله يقول : (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً)[1] .

رد مقالة : أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم

قال شيخ الإسلام ، بعد كلامه عن خير أُمة وأَفضل قرن[2] :

ولا يجوز أَيضاً أَن يكون الخالفون أَعلم بالله من السالفين ، كما قد يقول بعض الأَغبياءِ ، ممن لم يقدِّر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به ، حقيقة المعرفة المأْمور بها ، من أَن طريقة السلف أَسلم وطريقة الخلف أَعلم وأَحكم . فإِن هذا القول إِذا تدبره الإِنسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة . ظنوا أَن طريقة السلف هي مجرد الإِيمان بأَلفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأُميين ، وأَن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأَنواع المجازات وغرائب اللغات .

فهذا الظن الفاسد أَوجبه اعتقاد أَنهم كانوا أُميين ، بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا

---

١ – سورة الأحزاب : ٣٥ .

٢ – العقيدة الحموية . مجموعة الرسائل الكبرى . ص ٤٢٧ وما بعدها .

لدقيق العلم الإلٰهي . وأن الخلف الفضلاءَ حازوا قصب السبق في هذا كله ، كيف يكون هؤلاءِ المتأَخرون ؟ لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين ، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أَقدامهم ، بما انتهى إليه من مرامهم . حيث يقول الإمام فخر الرازي : لعمري لقد طفت المعاهد كلها ، وسيرت طرفي بين تلك المعالم ، فلم أَر إلا واضعاً كف حائر على ذقن ، أَو قارعاً سن نادم . ويستطرد شيخ الإسلام قائلا : ثم إذا حق عليهم الأَمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ، ولا وقعوا مِن ذلك على عين ولا أَثر . كيف يكون هؤلاءِ المنقصون المحجوبون ، المفضولون الحيارى المنهوكون ، أَعلم بالله وآياته من السابقين الأَولين ؟ من المهاجرين والأَنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، من ورثة الأَنبياءِ ، وخلفاءِ الرسل ، وأَعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا الذّين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أَتباع الأَنبياءِ ، وأَحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق ، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ! ! ! .

ثم كيف يكون خير قرون الأُمة أَنقص في العلم والحكمة

لاسيما العلم بالله وأحكام أَسمائه وآياته ، من هؤلاءِ الأَصاغر بالنسبة إليهم ؟ أَم كيف يكون أَفراخ المتفلسفة وأَتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين ، وضُلاَّل اليهود والنصارى والصابئين وأَشكالهم وأَشباههم ، أَعلم بالله من ورثة الأَنبياءِ وأَهل القــرآن والإِيمــان[1] ؟ ! .

وإنما قدمت هذه المقدمة ، لأَن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أَين هو في هذا الباب وغيره ، وعلم أَن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأَخرين ، بنبذهم كتاب الله وراءَ ظهورهم ، وإِعراضهم عمــا بعث الله به محمداً ﷺ ، من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين ، والتماسهم معرفة الله ممن لم يعرف الله ، بإقراره على نفسه ، وبشهادة الأُمة على ذلك وبدلالات كثيرة . انتهى باختصار .

---

١ ــ انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني .

أخــذ هــذه الأمــة مأخــذ الأمم من قبلها

وردت عدة أَحاديث في أَن هذه الأُمة لابد أَن تـأْخذ مأْخذ الأُمم السالفة . منها ما في الصحيحين : عن أَبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أَن رسول الله ، ﷺ ، قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ[1] مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » قالوا : يا رسول الله ، اليهـود والنصارى[2] ؟ قـال : « فَمَنْ ؟ » . وفي حديث آخر : « ... حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ » . وروى أَبو داود بسنده إلى أَبي قلابة عن أَبي أَسماءَ عن ثوبان ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ – أَوْ قَالَ – إِنَّ رَبِّي زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا[3] . وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَـرَ وَالْأَبْيَضَ . وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ . وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ . وَإِنَّ رَبِّي قَـالَ : يَا مُحَمَّدُ . إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَـاءً

١ – أي : طريق من كان قبلكم . قال المهلب : الفتح أولى : حذو القذة . بنصب حذو على المصدر ، وبضم القاف . واحدة القذو وهو ريش السهم . أي : لتتبعن طريقتهم في كل ما فعلوه وتشبهونهم في ذلك ، كما تشبه قذة السهم القذة الأُخرى .

٢ – أي : أهم اليهود والنصارى ، الذين نتبع سننهم ؟ وقول : « فَمَنْ » ؟ استفهام إنكاري . أي : فمن غير أُولئك ؟ .

٣ – وحاصله : أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كفافي مرآة ينظرها .

فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ . وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ . وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا ـ أَوْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا [1] ـ حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً . وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ . وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ ... وورد : حَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ ... » . الحديث .

وهكذا تعود قبائل وعشائر ممن كان منتسباً إلى الإسلام إلى الشركية وعبادة الوثنية ، ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك ، وتتحقق نبوءة الصادق المصدوق ، ﷺ [2] .

وفي هذا ، الرد على من قال بخلافه ، من عبّاد القبور الجاحدين وغيرهم، من الذين لأوامر أشياخهم ورؤسائهم منفذين ولو كان ذلك مخالفاً لنواميس الكون ومعطلاً لما جاءَ به الرسول الأَمين .

إن هؤلاءِ يقع منهم الشرك بالله لعبادتهم الأَوثان ، كمناجاتهم

---

١ ـ أي معظمهم وجماعاتهم .

٢ ـ العقائد السلفية ج ١ ص ٤٠ بتصرف .

للأَموات ، ودعائهم لتفريج الكربات والتمسك بأَوامر الرؤساءِ والشيوخ وقادة الأَحزاب ، والعمل بموجبها ولو كانت مخالفة لشرع الله ، الذي جاءَ به الرسول الكريم ، ليكون السراج المنير والمرجع الوحيد الذي يتحصن به ويلتجيءُ إليه من كان له رأْي سديد .

إن الوقوع في هذا البحر المظلم لهو شر ما بعده شر ، وهلاك لا يعدله هلاك . والذين أَصابهم غباره ولحقت بهم أَمواجه وأَغلقت بصائرهم أَدرانه ، هؤلاءِ غالبيتهم يجهلون حقيقة التوحيد ، وما يناقضه من الشرك والتنديد . فالتوحيد هو أَعظم مطلوب والشرك أَعظم الذنوب .

فليعرف ذلك المؤمن وليدعو غيره لاجتنابه ، وينقذ أُمته من بلائه الذي عم وطم في هذه الأَيام ، حتى أَصبح دعاة الشركية لهم المقام الرفيع والمنزلة العلية لدى الحكام والأُمراءِ والعلماءِ الانتهازيين والمرتزقة الذين هم شر البرية .

صوفي يضمن الجنة لمن يطعمه

يزعم طاغوت التيجانية الأَول ما يأْتي : أَخبرني سيد الوجود بيقظة لا مناماً : كل من أَحسن إليك بخدمة أَو غيرها ، وكل من أَطعمك ، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب . فسأَلته : لكل من أَحبني ؟ ولكل من أَحسن لي بشيءٍ ، من مثقال ذرة ، ومن أَطعمني

طعامه ، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ؟. وسأَلته لكل من أَخذ عني ذكراً ، أَن يغفر لهم جميع ذنوبهم ، ما تقدم منها وما تأَخر ، وأَن يرفع الله عنهم محاسبته في كل شيءٍ ، وأَن يكونوا آمنين من عذاب الله ، من الموت إلى دخول الجنة ، وأَن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي . فقال لي النبي ، ﷺ: ضمنت لهم ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أَنت وهم في عليين[1] . والله سبحانه وتعالى يقول لمحمد : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)[2] .

ويقول محمد ، ﷺ ، لابنته فاطمة : «اعْمَلِي فَإِنِّي لَنْ أُغْنِيَ عَنْكِ شَيْئاً » . وتشهد امرأَة جليلة لصحابي عند موته بقولها : أَشهد أَن الله قد أَكرمك . فيقول لها رسول الله معاتباً ، يضع الصواب مكان الخطإِ : « وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وإِنِّي لَرَسُولُ اللهِ ، وَلٰكِنِّي لَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي غَداً » . أَما التيجاني فقد قرأْتَ قوله ، فبم تحكم عليه ؟ ! ! .

غير أَني أَضع إصبعك على قوله : وكل من أَطعمك ! ! . لأُريك مبلغ حرص الصوفية على انتهاب أَقوات الناس ! . ومن بينها الزكوات ، فهذه أَصبحت نهباً لهم يستغلونها لصالحهم ، وإقامة

---

١ – جواهر المعاني ج ١ ص ٩٧ . « هذه هي الصوفية » .

٢ – سورة القصص : ٥٦ .

الموالد والحفلات داخل السراديب والخلوات غير المشروعات وغير ذلك من الطامات ... والعياذ بالله .

البهـــائيـــة

من ذيول الباطنية طائفة فارسية الأَصل - توجد الآن بجهة الشام ، ولها دعاة متفرقون بين شعوب الأَرض - تدعى [البهائية والبابية] نسبة إلى [بهاءِ الله ميرزا حسين علي] أَو إلى [الباب ميرزا علي محمد الشيرازي][1] وهما فارسيان . ظهر الثاني منهما بشيراز جنوب فارس ، وكان تاجراً ثم أَعلن دعوته ، التي تستقي من معين الباطنية ، سنة ١٢٦٠ هـ . فأَعدمته الحكومة الإِيرانية سنة ١٢٦٥ هـ .

وخلفه الأَول [بهـاءُ الله ميرزا حسين] سجنته الحكومة ثم نفته إلى بغداد سنة ١٢٦٩ هـ . فلما تمادى في ضلالته نفته الدولة العثمانية إلى أَدرنة ، ثم إلى عكا بفلسطين . وهلك بها سنة ١٣٠٩هـ. فخلفه ابنه [عبد البهاءِ عباس][2] .

الأساس الذي قامت عليه البهائية :

هي نحلة قامت على أَساس أَنه ليس لله وجود مطلق بأَسمائه

١ - لقد ادعى هذا اللعين أنه المهدي المنتظر ، ثم أتبعها بدعواه الباطلة الأخرى بالنبوة وأنه نبي مرسل .

٢ - انظر : « الفرق الإسلامية » للأستاذ محمود البشيشي .

وصفاته ، التي وصف بها نفسه في كتب أنبيائه - ولاسيما خاتمهم محمد ، ﷺ ، - بل أن وجوده تعالى مفتقر إلى مظاهر أمره ، الذين جاؤوا - بزعمهم - ليبشروا بمظهره الأبهى الذي لقبوه : ببهاءِ الله .

فبهاءُ الله هو الرب الذي بشرت به الديانات كلها ، وهو المشرع الأعلى الذي تنبأت بظهوره البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام ، وكل هذه الديانات وغيرها كانت - بزعمه وزعمهم - مقدمات لظهوره .

والبهاءُ هو مظهر صفات الله ، فهو المتصف بها من دون الله وهو مصدر أفعال الله ، فهو فاعلها من دون الله ... وهو المعني بالقيامة وبالساعة الكبرى ، وهو وجه الله ، وهو جمال الله البهي الأبهى ، وهو الموعود في البشارات التي سبقت في كل الأديان ولا إلٰه إلا هو ، ولا قيامة إلا قيامته ، ولا آخرة إلا بدايته ، ولا دين إلا دينه ...

وكما أن الإسلام نسخ الديانات السابقة ، فالبهائية نسخت الإسلام . وكل الأديان كانت ناقصة وبدائية ، وإنما جاءَت لتكمل بدين البهاءِ الكامل ... ومع ذلك فإن البهاءَ يتظاهر باحترام الأديان الأخرى ، ليقول لأتباعها : إن دياناتكم جاءَت لتبشر بقيامي[1] ! !.

١ - راجع « البهائية » ص ٣ . للكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب .

وبعد أن أسقط البهائيون أركان الإسلام ، وباقي الأحكام الشرعية ادعى البهاءُ النبوة . ثم تجاوزها إلى حد ادعاءِ الأُلوهية ، كما ادعاها سلفه [الباب] من قبل .

ومن المعلوم أن الفاطمي المجنون ـ الحاكم بأمر نفسه ـ ادعى الأُلوهية ، كما ادعاها بعض غلاة الشيعة للإمام علي ، رضي الله عنه. وهي صفة من صفات دعوات الباطنية الخبيثة .

إن هؤلا المجانين يدعون أن الله تعالى يتشخص في البشر . وكذلك فعل البهاءُ حسين ، فقد جاءَ ذلك صريحاً في كتابه [الأَقدس] إذ قال : يا ملأَ الانشاءِ اسمعوا نـداءَ مالك الأَسماءِ ، إنه يناديكم من شطر سجنه الأَعظم : أَنه لا إلـه إلا أَنا المقتدر المتكبر المسخِّر المتعالي العليم الحكيم[١] .

وقد حذر الرسول ، ﷺ، من أَصحاب الدعوات الكاذبة في أَحاديث عديدة ، حتى لا ينساق الناس وراءَ أَهل الباطل من المبتدعة والأَدعياءِ . والله تعالى يقول : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ)[٢] . وثبت أَن الرسول ، ﷺ ، قال : « ... وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ

١ ــ البابية والبهائية في الميزان . للأستاذ مصطفى الطير .

٢ ــ سورة الأحزاب : ٤٠ .

أَنَّهُ نَبِيٌّ . وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي »[1] .

وفي صحيح مسلم ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي ﷺ ، يقول : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ » .

لقد وردت عـدة فتاوى تؤكد كفـر هذه النحلة وخروجها عن دين الله ، فعلى المسلمين أن يكونوا على حذر من أعداءِ الإسلام في كل وقت ، لاسيما في هذا الوقت الذي كثر فيه الإلحاد والخروج على شرع الله الحنيف .

وعلى الجملة : فبدعة البهائية المشركة ، وضلالاتها المكشوفة وارتباطها مع الاستعمار والصهيونية ، يؤكد على أنها دين استعماري جاءَ به الإلحاد ودعاته ، للكيد للإسلام والطعن في عقائد المسلمين .

وقد صدرت عدة فتاوى وأحكام قضائية بتكفير معتنقي هذه البدعة والضلالة .

فقد أفتى شيخ الأزهر ، فضيلة الشيخ سليم البشري ، رحمه الله علاَّمة زمانه ، عندما سئل رأْيه في زعيمهم الميرزا عباس ، فأَجاب بقوله : إنه كافر[2] . وقد صدرت هذه الفتوى في جريدة مصر الفتاة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ . عدد ٦٩٢ . فعلى المسلمين

---

١ ــ رواه البرقاني في صحيحه وأبو داود .

٢ ــ انظر البابية والبهائية في الميزان .

الحذر واليقظة من أتباع هذه النحلة الدسيسة وأوهامها وضلالها كما أن على المسلمين وعلمائهم خاصة ، كشف أعداءِ الأُمة ، والتحذير من الوقوع في شراك مكائدهم المستمرة .

القـاديـانيـة

ولد غلام أحمد سنة ١٢٥٢ هـ . في الهند ناحية البنجاب ، وهو مؤسس فرقة القاديانية ـ النحلة الضالة المبتدعة ـ وقد استوطن أبوه [قاديان] وتوفي سنة ١٣٢٦ هـ . في لاهور ، ثم نقل إلى [قاديان] ودفن بها .

زعم غلام أحمد أنه نزل عليه الوحي . ومما قاله في الخطبة الإلهامية : هذا هو الكتاب الذي أُلهمت حصة منه ، من رب العباد في يوم عيد من الأعياد . ثم قال : بل هي حقائق أُوحيت إلي من رب الكائنات . ثم قال : وقد أُوحي إلي من ربي قبل أن ينزل الطاعون : أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا[1] .

وقد صرح الميرزا غلام أحمد ـ المسيح الموعود ـ حسب زعمه كما جاءَ في كتبه ، بدعواه الرسالة والنبوة . كما كتب : دعوانا أنَّا رسول ونبي[2] . ومن أقوال القاديانيين : وبما أننا نؤمن بنبوة

١ ـ رسالة : « طائفة القاديانية » ص ٦٥ . للشيخ محمد الخضر حسين .
٢ ـ راجع عدد « البدر » الصادر في سنة ١٩٠٨ . المسألة القاديانية . للمودودي .

ميرزا ، عليه السلام ، وغير الأَحمديين لا يؤمنون بها ، فكل رجل من غير الأَحمديين كافر ، بحسب ما جاءَ في القرآن ؛ إذ أَن الكفر ولو بنبي واحد هو الكفر[1] .

ذكر الشيخ ثناءُ الله جُملاً صدرت من غلام أَحمد ، مأْخوذة من كتبه ـ وله مؤلفات كثيرة بالأُوردية والفارسية وغيرهما ـ ومن هذه الجمل قوله : اتركوا ذكر ابن مريم فإِن غلام أَحمد خير منه . ومنها قوله : ما أَعطاه الله لكل نبي واحداً واحداً أَعطاه لي جميعاً[2] .

إِن دعوة هذه الفرقة الملحدة مبثوثة في أَرجاءِ العالم ، وخاصة في الصين والهند والعراق وجدة وسوريا وفلسطين ومصر وأَفريقيا وأَمريكا وأَوروبا . وهي تمثل إِسفيناً دفيناً في قلب الأُمة الإِسلامية وهذا من صنع الاستعمار الغربي ، زرعه في معاقل الإِسلام لتدمير العقيدة الإِسلامية ، وتشويه سمعة المسلمين .

لقد دعا الأَحمديون ـ القاديانيون ـ بتكفير من لم يدخل في نحلتهم ، كما حاربوا دعوة الجهاد .

وبما أَنهم من صنع بريطانيا ، فقد التزموا بكل ما طلبته منهم وخاصة ما يتعلق بدعوة الجهاد ، حيث وقفوا في وجهها ، ودعوا

---

١ ـ بيان ميرزا بشير الدين محمود أحمد . عدد الفضل الصادر سنة ١٩٢٢ . المسألة القاديانية .

٢ ـ طائفة القاديانية .

إلى عدم التمسك بها ، خدمة لمصالح الاستعمار وأهدافه الشريرة .

قال الشيخ محمد أبو زهرة : هذه هي القاديانية ـ بعد حديث له عنها ـ كما تنطق بها كتبهم . قد كتبناها كما ينتحلونها لا نتزيد عليها ، ونصورها كتفكيرهم .

والآن أهي تعد فرقة إسلامية ؟ ! . لا شك أنها تخالف ما أجمع عليه المسلمون ، من عهد النبي ، ﷺ، من أنه آخر جزءٍ في صرح الرسالة الإلٰهية ، وما صرح به ، ﷺ ، من أنه لا نبي بعده ، وفوق هذا قد جاءت آراءُ إمامهم بما هو غريب جداً من ادعاءٍ أنه المسيح أو أن روح المسيح تقمصته ، إلى آخر ما جاءَ في كتبهم . وكل هذه الدعاوى ، من نبوة أو تقمصّ للمسيح ، لا دليل عليها قط وأقصى ما ادعوه له من معجزة هو تنبؤه بالخسوف والكسوف قبل وقوعهما . وإن ذلك يقع من علماءِ الفلك والأرصاد ، ويتكرر وقوعه . وليس ما ادعوه نبوة ولا رسالة ، لأنه العلم والإدراك البشري وخصوصاً أنه جاءَ بعد أن تكامل نمو هذا العلم ، فقد كانت دعوته الجريئة في آخر القرن الماضي وأول هذا القرن الميلادي .

وإن هذا ليس إلا أقوالاً لا دليل عليها من جهة ، ولا تتفق مع المقررات التي قام عليها الدليل من جهة ثانية ، وهي تُخرج صاحبها عن الإسلام . فإن النبي ، ﷺ ، تركنا على « الْمَحَجَّةِ

الْبَيْضَاءِ الَّتِي لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا » . وإن كان هو متمسك بحديث : « إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةٍ سَنَةٍ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلاً يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا » .

فإن المجددين قبله لم يدَّعوا نبوة ، ولا أن معهم آيات تثبت نبوتهم ، فلماذا يكون هو شاذاً بينهم ؟ ! .

وفي الحق إنه يتقارب من أئمة الشيعة ، فإنهم يدَّعون أن أئمتهم معصومون ملهمون ، وتجري على أيديهم المعجزات ، ولكن لا يدَّعون لهم الوحي ، ولا أنهم يكلمون الله ، فتعاليمه ليست من الإسلام في شيء[1] .

لقد صدر قرار تاريخي باعتبار الفرقة القاديانية الضالة أقلية غير إسلامية . حيث أصدرت حكومة الباكستان ذلك القرار التاريخي الحكيم ، بعد أن اتضح أمر خيانتها ومؤامرتها على الإسلام وعقيدته ، وارتباطها بالاستعمار وأعداء الإسلام . والحمد لله على ذلك[2] . وبعد : فعلى المسلمين الحذر من الأعداء المتربصين بهم ليكونوا في مأمن من الأخطار المحدقة بهم ، والله كفيل بهزيمة أعدائه ونصر أوليائه ، المتمسكين بكتابه والعاملين بهديه . اللهم

---

١ ـ راجع تاريخ المذاهب الإسلامية . جـ ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

٢ ـ نشر ذلك القرار جريدة « أخبار العالم الإسلامي » وغيرها من الصحف .

اجمع شمل المسلمين ووحد كلمة الموحدين ، واقطع دابر الخونة والدساسين واهزم اعداءك اعداءَ الدين من الكفرة والمشركين .

كلام نفيس لابن القيم حول أهل الشرك والبدع

لا شك أَن التنبيه على الشرك والبدع أَمر واجب على أَهل العلم حتى يبقى المجتمع طاهراً من المفاسد والظلمات .

يقول العلامة ابن القيم الجوزية[1] : والمقصود أَن الشرك لما كان أَظلم الظلم ، وأَقبح القبائح وأَنكر المنكرات ، كان أَبغض الأَشياءِ إِلى الله تعالى ، وأَكرهها له وأَشدها مقتاً لديه . ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه . وأَخبر أَنه لا يغفره ، وأَن أَهله نجَس ، ومنعهم من قربان حرمه ، وحرَّم ذبائحهم ومناكحتهم ، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، وجعلهم أَعداءً له سبحانه ولملائكته ولرسله وللمؤمنين ، وأَباح لأَهل التوحيد أَموالهم ونساءَهم وأَبناءَهم ، وأَن يتخذوهم عبيداً . وهذا لأَن الشرك هضم لحق الربوبية ، وتنقيص لعظمة الإِلٰهية ، وسوءُ ظن برب العالمين .

كما قال تعالى : (وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ

١ — إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . جـ ١ ص ٧٥ — ٧٨ .

عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)[1] .

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك . فإنهم ظنوا به ظن السوءِ حتى أشركوا به ، ولو أحسنوا به الظن لوحَّدوه حق توحيده . ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول قوله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)[2] .

والموضع الثاني : (مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[3] .

والموضع الثالث : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[4] .

وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلاً ونداً ؛ يحبه ويخافه ويرجوه ، ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر من مرضاته ؟ ! قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ)[5] .

وقال تعالى : (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ

---

١ – سورة الفتح : ٦ .
٢ – سورة الأنعام : ٩١ .
٣ – سورة الحج : ٧٤ .
٤ – سورة الزمر : ٦٧ .
٥ – سورة البقرة : ١٦٥ .

الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)[1] .

أي يجعلون له عدلاً في العبادة والمحبة والتعظيم . وهذه التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم ، وعرفوا وهم في النار أنها كانت ضلالاً وباطلاً ، فيقولون لآلهتهم ، وهم في النار معهم : (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[2] .

ومعلوم أنهم ما سوّوهم به في الذات والصفات والأفعال ، ولا قالوا أن آلهتهم خلقت السموات والأرض ، وأنها تحيي وتميت وإنما سوّوها به في محبتهم لها وتعظيمهم لها وعبادتهم إياها ، كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلى الإسلام .

ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين . وما ذنبهم إلا أن قالوا : إنهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . وإنهم لا يشفعون للعائذين بهم أبداً ، بل قد حرم الله شفاعتهم لهم ، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن من الله لهم في الشفاعة فليس لهم من الأمر شيءٌ ، بل الأمر كله لله والشفاعة كلها له سبحانه ، والولاية له فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع .

١ — سورة الأنعام : ١ .

٢ — سورة الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ .

فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى . وهذا قول إبراهيم إمام الحنفاء لخصمائه من المشركين : (أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ.فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [1] . وإن كان لمعنى ما ظنكم به : أن يعاملكم ويجازيكم به ، وقد عبدتم معه غيره ، وجعلتم له نداً ؟. فأنت تجد تحت هذا التهديد : ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره ؟ ! ! فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه ؛ من وزير أو ظهير أو عون وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه بذاته ، وإما أن يظن أن الله سبحانه وتعالى إنما تتم قدرته بقدرة الشريك ، وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يُعلِمه الواسطة ، أو لا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم ، أو لا يكفي عبده وحده ، أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة ، كما يشفع المخلوق عند المخلوق ، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع ، وانتفاعه وتكثره به من القلة ، وتعززه به من الذلة ، أو لا يجيب دعاءَ عباده حتى يسألوا الواسطة أن ترفع تلك الحاجات إليه ، كما هو حال ملوك الدنيا . وهذا أصل شرك الخلق .

أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم ، حتى يرفع الوسائط

---

١ — سورة الصافات : ٨٦ ، ٨٧ .

إليه ذلك . أو يظن للمخلوق عليه حقاً ، فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ، ويتوسل إليه بذلك المخلوق ، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته . وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها ، ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله تعالى ، وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، والإنابة إليه . من قلب المشرك ، بسبب قسمته ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به فينتقص ويضعف، أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاءُ بسبب صرف النظر - أكثره أو بعضه - إلى من عبده من دونه لكفى في شفاعته .

فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه ، والتنقص لازم له ضرورة ، شاءَ الشرك أم أبى . ولهذا اقتضى حمده سبحانه ، وكمال ربوبيته ، أن لا يغفره وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ، ويجعله أشقى البرية ... فلا نجد مشركاً قط إلا وهو متنقص لله سبحانه وإن زعم أنه يعظمه بذلك .

كما أنك لاتجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول ، ﷺ ، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة . فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب ، أو يزعم أنها هي السنة وإن كان جاهلاً مقلداً وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاقّ لله ورسوله .

فالمتنقصون المنقوصون عند الله تعالى ورسوله وأوليائه ، هم أهل الشرك والبدعة ، ولاسيما من بنى دينه ، على أن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد اليقين والعلم شيئاً .

فيا لله للمسلمين أي شيءٍ فات من هذا التنقص ؟ ! وكذلك من نفى صفات الكمال عن الرب تعالى خشية ما يتوهمه من التشبيه والتجسيم ، فقد جاءَ من التنقص بضدّ ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه من الكمال .

والمقصود : أن هاتين الطائفتين هم أهل التنقص في الحقيقة بل هم أعظم الناس تنقصاً ، لبَّس عليهم الشيطان حتى ظنوا أن تنقصهم هو الكمال . ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك في كتاب الله تعالى ، وقد قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) . سورة الأعراف: ٣٣ . فالإثم والبغي قرينان ، والشرك والبدعة قرينان .

قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ) . سورة المائدة : ٥٩ .

وهكذا المشرك : إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد ، وأنه لا يشوبه بالإشراك .

وهكذا المبتدع ؛ إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول وأَنه لم يشُبْها بآراءِ الرجال ولا بشيءٍ مما خالفها . فصبر الموحد المتبع للرسول ، على ما ينقمه عليه أَهل الشرك والبدعة ، خير له وأَنفع ، وأَسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله عليه من موافقة أَهل الشرك والبدعة . ا . هـ.

سلطان العــادات والتقاليــد

ورثت أُمتنا الإِسلامية تقاليد وأَعرافاً وعادات الآباءِ ومخلفات الأَجداد ، كما أَخذت عن أُمم العالم وشعوبها كثيراً من التقاليد والعادات ، وأَدخلتها على تقاليدها وامتزجت بها ، وشكلت بذلك مزيجاً من هذه الأَعراف والتقاليد، التي أَصبحت فيما بعد ذات طابع مميز في تراثها وحضارتها المتوارثة .

ويجب أَن لا يغيب عن البال أَن حماية التوحيد والعقيدة أَول مطلب يسعى إِليه الإِسلام في تشريعه وإِرشاده ، فضلاً عن شنٍّ حرب طاحنة للقضاءِ على المعتقدات والخرافات الفاسدة ، وسائر التقاليد ورواسبها الفتاكة ، ليصبح المجتمع مجتمعاً إِسلامياً طاهراً من شوائب التقاليد والضلال .

ومما يجدر ذكره أَن معظم تقاليدنا وعاداتنا تعارض أَحكــام الإِسلام ، ولا تتفق مع روحه السمحة ، التي تهدف إِلى إِصلاح

البشر وإسعادهم في الدارين . وهذه هي الغاية المتوخاة من رسالات السماء ، التي أنعم الله بها على خيرة خلقه ، فكانوا منار هدى وقوارب نجاة للعالمين .

ومن أمثلة هذه العادات والتقاليد ، التي ارتضاها المسلمون وأصبحت دينا عند بعضهم ، يعملون بها ويطبقونها في دنيا الواقع ويدينون بها ويحتكمون إلى سلطانها ، مخالفين بذلك شرع الله ، الذي لا خير ولا سعادة إلا بتطبيقه . فمن هذه الأمثلة : العادات العشائرية[1] التي أصبحت المرجع الأساسي والمصدر الوحيد الذي يلجأ إليه الناس في هذا الزمان ، لحل مشاكلهم وقضاء مصالحهم . فالحكام العشائريون الذين يتولون حل قضايا ومشاكل أبناء الأمة ، لا يتقيدون بأحكام الشريعة ، ولكنهم يلجؤون إلى تحكيم الأهواء والنفوس ، وما ورثوه عن آبائهم وعاداتهم التي اعتادوها ، فأصبحت مع الزمن تشريعاً يحفظونه ويطبقونه ويعتد به ، كقانون له قدسيته وسريان مفعوله ، يتوارثونه فيما بينهم رغم مصادمته لشرع الاسلام وتعطيله حقوق العباد في معظم الأحيان .

١ – تعمد بعض الدول التي تتواجد فيها قبائل وعشائر البدو ، إلى تأليف لجان من شيوخ ووجوه هذه القبائل والعشائر ، يسند إليها حل مشاكل أبنائها وفق قوانين وأنظمة عشائرية متوارثة تخالف شريعة الاسلام ، ويكون للأحكام والقوانين التي تصدرها مجالس العشائر هذه القبول وسريان المفعول لدى الدول والقبائل . وهكذا تضيع الحقوق وتفسد مصالح العباد في غياب شرع الله .

ومن مساوىء العوائد والأحكام العشائرية ، التي ارتضاها الناس دستوراً لهم : تعطيل شرع الله . وفي غيابه تفسد أحوال العباد وتضيع حقوقهم ، لاسيما الضعفاء والفقراء منهم خاصة ، كما يحدث في مسائل القتل وحوادث السيارات ، حيث تجري مراسيم الصلح ـ عطوة ـ وغالباً ما ينجم عن تلك الحوادث ، التي يذهب ضحيتها القتلى ، الذين يتركون وراءهم أطفالاً صغاراً ورضعاً وقاصرين ، فيتدخل هؤلاءِ الحكام العشائريون لإجراءِ الصلح ، بدعوى إصلاح ذات البين وحسم الخلاف .

ولكنهم ـ وعلى عاداتهم ـ يكلفون بهذه القضية الوجوه والجاهات فيتنازل بعض أولياءِ أمر المغدور ـ المقتول في الحادث ـ عن كافة الحقوق والواجبات إكراماً للجاهة والوجوه وزعماءِ البلاد وشخصياتها ـ كعادتهم في معظم الأحوال ـ ومن ثم ينسون أُولئك الأطفال الذين تركهم أبوهم المقتول ـ الضحية ـ فيصبحون نهباً للجوع والفاقة[1] .

---

١ ـ وكما هو معلوم فقد حفظ الإسلام حقوق ورثة الميت قتلاً . قال تعالى : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا) . وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ألا إن في قتل عمد الخطأ السوط والعصا والحجر مائة من الإبل » . ولنا أمل كبير في أن يسارع حكام المسلمين بإلغاء قانون العشائر المعمول به في بعض بلاد الإسلام مما سيحفظ للمسلمين حقوقهم كاملة .

وهكذا يذهب هؤلاءِ الأَطفال الأَبرياءُ ضحية هذه العوائد والتقاليد الفاسدة ، التي تعارض نصوص القرآن وما جاءَ به رسول الله ، عليه الصلاة والسلام .

فكم من بيوت خربت ؟ . وكم من حقوق وقيم هدرت ؟ . وكم من أَطفال وأَرامل شردت ، دونما ذنب ارتكبت ، أَو إِثم اقترفت ؟ . وأَصبحت عالة على المجتمع . فاقدة لقيمها وكرامتها من جراءِ هذه العادات والأَعراف الذميمة ، التي تخالف شريعة الإِسلام ، الحريصة على مصالح الناس وحقوقهم ، وضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة .

ومن الأَمثلة الأُخرى ، التي تتدخل فيها مجالس العشائر ـ العرف والعادة ـ وما يتعلق بالقيم والأَخلاق ؛ كمشاكل الأَعراض وغيرها من الجرائم الخلقية ، فتسوّيها وتحلها على حساب الشرف والدين بعد أَن تأْتي بأَدلة وحيل شيطانية ، باسم العرف والعادة وتحت شعار إِصلاح ذات البين ، هذا الشعار الذي تتستر وتتقنع به لجنة مجالس العشائر ، الذين يموهون على عامة الناس وبسطائهم . وهكذا تنطلي خدعهم وحيلهم ، وتأْخذ مجراها وتصبح أَمراً مسلماً به كأَنه وحي نزل من السماءِ .

وهكذا تضيع حقوق الناس ـ والمستضعفين منهم بشكل خاص ـ

أَمام سطوة العرف والعادة وأَصحاب الجاه والمناصب . يحدث كل ذلك دونما معارضة أَو مخالفة في غيبة حكم الشرع العادل وهيمنة سلطان العقائد العفنة والعادات الجاهلية ، التي ينسجها التخيل الفاسد ، النابت تحت ركام الأَوهام والخرافات .

إنني أُذكِّر بأَن الحصن الأَمين ، والملجأَ الفريد للضعفاءِ والقاصرين والذي يعيد الحق إلى أَصحابه كاملاً غير منقوص ، هو التفيُّؤُ بظلال الإسلام الحنيف ، الذي هو بمثابة قارب النجاة ، فمن اعتصم به نجا ، ومن فارقه ضل سعيه وتردى .

ولا يفوتني أَن أَنوه عن عادات وتقاليد بالية ، لازالت محتفظة بقدسيتها عند كثير من أَبناءِ هذه الأُمة ، الذين يرثون عوائدهم وعاداتهم وحتى عباداتهم ، التي اختلطت مع تقاليدهم ، فأَصبحوا في حيرة لا يعرفون العادة من العبادة ، هكذا اختلط عليهم الأَمر فاستسلموا لطغيان التقاليد والعادات .

فمن هذه : تقاليد المآتم ومواسم الأَعياد والأَفراح ، وتقاليد الزيارة وإقامة السهرات المختلطة والمجالس العامة ؛ كالتعليم المختلط وحضور الندوات والحفلات والمعارض ، والعمل في المصانع والرحلات ومسائل الخطبة ورفع مهور البنات ، وزيارة القبور وتقديم النذور للضرائح ، كما يعمل بعض الصوفية والمبتدعة وأَصحاب الفجور.

كل هذه الأُمور تقام في وسط البلاد وعرضها وعلى أَعين الجميع فلا منكر عليها ولا نكير ، رغم تحديها للقيم والأَخلاق التي يأْباها الدين ، وتخالف الهدي المبين الذي جاءَ به الرسول الأَمين .

إن هذه العادات والتقاليد والأَعراف أَصبحت سوقها رائجة وستستمر إذا لم يضطلع أُولو الأَمر بمسؤولياتهم . ولا يخفي أَن كل فرد من أَبناءِ الأُمة ، وضمن إطار هذا المجتمع ، تقع عليه مسؤولية القيام بواجبه ضمن حدوده . والرسول الكريم يقول : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَــانِ »[1] .

فالأَب مسؤول عن أُسرته ، والعالم والمفكر والأَديب والمدرس والتاجر والعامل ، ووسائل الإعلام وغير ذلك ؛ يتوجب عليهم مسؤولية إصلاح المجتمع وأَفراده ، بالكلمة الطيبة والدعوة المخلصة والقدوة الحسنة ، والتأَسي بخاتم النبيين ، ﷺ ، القائل : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... »[2] .

أَما مسؤولية الحكام فهي مسؤولية كبيرة ، والأُمة أَمانة في أَعناقهم . فعليهم تقع المسؤولية الجسيمة ، فليتحملوا تبعاتهم ؛ ومنها إصلاح مجتمعهم والضرب بقوة على أَيدي المنحرفين والعابثين

١ ـ حديث صحيح . رواه مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري .

٢ ـ فقرة من حديث طويل . رواه الإمام البخـــاري .

وأَصحاب الضلالة والغواية والمبتدعة ، وكل من تسول له نفسه أَن يعبث داخل حصون المسلمين ومعسكر الموحدين . وسيعلم الذين ظلموا أَي منقلب ينقلبون .

ولما كانت هذه العوائد والأَعراف قد امتدت إلى دائرة العقيدة والحلال والحرام ، وكافة مقدرات الأُمة ومصيرها ، فإن الواجب يدعو إلى عمل جاد مخلص سريع لتشخيص هذه الآفات ، وقلع كافة الأَشواك والمعاول الهدامة ، لتطهير المجتمع من هذه الأَمراض الخطيرة التي شوهت معالم الإسلام وحضارته الخالدة ، ذات الآثار النادرة . فبالنظرة المؤمنة تعرض هذه الأَعراف والعادات على ميزان الحق والعدل ، وهو كتاب الله وسنة رسوله ، ﷺ ، وهو المعيار الحقيقي والمقياس الوحيد الذي توزن به الأُمور ، فتعرف بذلك حقائق الأَشياء ، فما وافق ميزان الشرع يبقى على حاله ، وما كان مخالفا له يهمل ويهجر ويطوى ، ويحرم العمل به لمجافاته روح الإسلام الذي أَراده الله منقــذاً لأَبنائه ومهيمناً على تقاليد العبــاد . قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »[1] . أَي مردود على صاحبه .

وهكذا نأْخذ بيد الأُمة إلى السبيل القويم ، الذي يحفظ لها

١ - رواه البخــاري ومسلم وغيرهما .

قيمتها وكرامتها وشخصيتها المستقلة ، ويرفع من قدرها ، لتتبوأ مكانتها القيادية تحت الشمس .

وعلى الجملة فلا خلاص لهذه الأُمة من عثراتها وكبواتها المتتابعة ، التي أثخنتها وجعلت منها هدفا يرمى ، ومضرب مثل فيغمزها ويلمزها أعداؤها التقليديون وسماسرتهم في مشارق الأَرض ومغاربها ، بعد أَن كانت في عهودها السابقة ؛ القائدة الرائدة للأُمم والشعوب ، بقيادة أُولئك الأَسلاف المجاهدين ، الذين حملوا لواءَ الإِسلام وحضارته نقياً طاهراً ، خالياً من شوائب الجهل وحماقات الجاهلية وأَدرانها الوثنية ، فكانوا معلمين للبشر ، وحملة مشاعل على طريق الخير ونصرة الحق وقادة للعالمين .

ووسيلتنا إلى طريق السلف هو العمل بما عملوا ، والتمسك بما حملوا . فالدين هو الذي يجب أَن يكون له الحكم الفيصل ، مبيناً الحدود التي يجب أَن يسير بمقتضاها الناس ، ويلتزموها في عقائدهم وأَعمالهم اليومية ، وما يحل لهم أَن يفعلوه ، وما يحرم عليهم فعله . ولا سلطان لعرف أَو توارث من مخلفات الأَجداد والشيوخ والأَحزاب وغيرهم ، كائناً من كان ، طالما لم يخضع لسلطان الشرع والدين ، الذي ارتضاه سبحانه ليكون دستوراً وتشريعاً للناس أَجمعين .

تلك هي المنطلقات التي يجب أن نعمل جادين في تحقيقها دونما كلل أو ملل ، أو اكتراث لأقوال المعوقين وأبواق المنحرفين الذين يشنون حروبهم على هذه الأمة ، التي أرادها الله قائدة للبشرية ومعلمة للشعوب ، فحملها رسالة الإسلام ، فكانت بحق خير أُمة أُخرجت للناس .

وصدق الله العظيم : (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)[1]

الابتــداع

معنى البدعة : قال المحقق الإمام الشاطبي في الاعتصام ما ملخصه: أَصل مــادة بَدَعَ[2] للاختراع على غير مثال سابق . ومنه قوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ)[3] . أَي : مخترعها من غير مثال سابق . وقوله تعالى : (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ)[4] . أَي : ما كنت أَول من جاءَ بالرسالة من الله إلى العباد ، بل تقدمني كثير

١ — سورة الرعــد : ١٧ .

٢ — في لسان العرب ما حاصله : بدع مثلث العين ، وابتدع وأبدع ، وتبدع ، وبدعه واستبدعه . وبدع ، وبدعه بدعة : أنشأه كابتدعه . ومنــه بــدع الله الخلق : أحدثهم لا على مثال سابق . وفي القاموس : البدعة : الحدث في الدين بعد الاكمال أو ما استحدث بعد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من الأهواء والأعمال .

٣ — سورة البقرة : ١١٧ .   ٤ — سورة الأحقاف : ٩ .

من الرسل . لأَنهم كانوا يعجبون من إرساله إليهم وهو بشر مثلهم .
ويقال : ابتدع فلان بدعة ، إذا ابتدأ طريقة لم يسبق إليها . وهذا
أَمر بديع : يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن .
ومن هذا المعنى سميت البدعة . فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع
وهيئتها هي البدعة . وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة .
فمن هذا المعنى سمي العمل ، الذي لا دليل عليه من الشرع ، بدعة .
وهو إطلاق أخص منه في اللغة . والفاعل للبدعة هو المبتدع .
فالبدعة إذن هي عبارة عن : طريقة في الدين مخترعة تضاهي
الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه .

وهذا على رأْي من لا يدخل العادات في معنى البدعة ، وإنما
يخصها بالعبادات . وأَما على رأْي من أَدخل الأَعمال العادية في معنى
البدعة فيقول : البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية
يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية .

وعرفها العلامة الشمني[1] : بأَنها ما أُحدث على خلاف الحق
المتلقى عن رسول الله ﷺ ، من علم أَو عمل أَو حال بنوع
شبهة أَو استحسان ، وجعل ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً . وهو قريب
من تعريف الشاطبي . والمراد بالعلم : الاعتقاد . وبالحال : هيئة

١ ـ الإبداع في مضار الابتداع .

العمل . والبدعة قسمان عام وخاص . وهناك تقسيمات متعددة أُخرى لاعتبارات متنوعة .

السنـــــة :

معناها في اللغة : الوجه أَو دائرته ، أَو الصورة أَو السيرة والطبيعة . وكلها معان متقاربة تشترك في الدلالة على صورة معينة حسية أَو معنوية . وقال الأَزهري : السنة الطريقة المحمودة المستقيمة . وقيل : السنة ؛ الطريقة والسيرة ، حميدة كانت أَو ذميمة . أَما السنة في الشرع فقد اختلف معناها باختلاف المباحث التي تناولتها وقامت بتحديدها ، فعلماءُ الأُصول يطلقون السنة على ما صدر عن النبي ، ﷺ ، من قول أَو فعل أَو تقرير . وعلماءُ الحديث يعرفونها بأَنها ما أُضيف إلى النبي ، ﷺ ، من قول أَو فعل أَو تقرير أَو صفة خُلُقية أَو خِلْقية ، وما يتصل بالرسالة من أَحواله الشريفة قبل البعثة ونحـــو ذلك .

نشـــأة البـــدع في الاسلام

عاش النبي ، ﷺ ، طوال حياته الكريمة ـ بعد البعثة ـ يرشد ويوجه إلى طريق السعادة في الدارين بالقول والعمل ، حتى اختاره الله إلى جواره ـ وقد انطفأَت شعلة النفاق وشوكة اليهود والشرك ـ ولم يبق إلا عدد يسير قد يعدون على الأَصابع ، يعلمهم بعض

الصحابة ، كحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر[1] . وقد كان عصر النبوة عصراً مثالياً لم يأت عصر مثله في الإسلام .

ولعل من أظهر محاولات الابتداع في عصر النبوة ، ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، من حديث الخارجي الذي قال للرسول ، ﷺ: هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله . فقال له النبي ، ﷺ « وَيْحَكَ . وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا أَنَا لَمْ أَعْدِلْ »[2] . حيث حاول هذا المعترض فتح باب الاعتراض على الرسول ، ﷺ، والخروج عن حدّ التسليم الكامل له وتمام الاتباع .

ولم يجد الاعتراض - المرذول - صدى أو أثراً ، لما كان للرسول ، ﷺ، من احترام ، ولما كان عليه المسلمون الصادقون من إيمان وتسليم . ومات رسول الإسلام ، ﷺ، بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة على المسلمين ، ودخل الناس في الدين أفواجاً ، وفقدت

---

١ - راجع صحيح مسلم ، شرح النووي ج ٧ . ص ١٢٤ - ١٢٦ .

٢ - راجع صحيح البخاري ج ٤ . ص ٧٢-٧٥ . ج٥ . ص ١٥ . حيث روي بسنده عن أبي سعيد قال : بينما النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : « ويلك من يعدل إذا أنا لم أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعني أضرب عنقه . قال : « دعه . إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . » الحديث . كما رواه مسلم في روايات متعددة . مقتبس عن كتاب « البدعة » .

الأُمة الإسلامية بموته فصل القضاءِ فيما يتصل بالخلاف وأَسبابه وتحملت مسؤولياتها الخالدة ، كأُمة وكأَفراد في خير أُمة أُخرجت للناس ، على أَساس من هداية الكتاب وتبيين السنة .

وبموت الرسول ، ﷺ ، ظهرت ملامح الخلاف أَو الاختلاف وجدّت أُمور احتاجت إلى الاجتهاد ، وما يستتبعه الاجتهاد من اختلاف الأَنظار .

وبعد ذلك بدأَت الفتن تدبّر على أَيدي أَعداءِ الإسلام ؛ من دساسين محترفين وغيرهم ، حيث كانت الردة . وقد قضى أَبو بكر عليها في مهدها ، كما ظهر مسيلمة الكذاب وأَمثاله .

وبعد ذلك حصلت فتنة ، فقتل عمر ثم عثمان ، من تدبير اليهودية والمجوس وأَعداءِ الإسلام ، وكان لابن سبإٍ وأَتباعه الأَشرار السبب المباشر في تفاقم الفتن ، حتى مقتل عليّ ، وظهور الخوارج والشيعة والقدرية وغيرهم ، حيث تفرع من ذلك ما تفرع من البدع والضلال ، وانتشرت المحن على أَثر الابتداع وظهور الطوائف والأَحزاب والفرق المختلفة .

الابتداع مصدر الفرقة

يقول الشيخ شلتوت في فتاويه : والابتداع بعد هذا وذاك ليس ذا مصدر واحد ، وإنما تتعدد مصادره بمصادر المبتدعين ، وكل مبتدع يتبع في ابتداعه هواه ، والهوى متشعب النواحي مختلف الأَهداف ومن هنا نجد الشخصية الدينية ـ التي انتابها الابتداع ـ لا تقف في العقيدة الواحدة أَو العبادة الواحدة عند وضع واحد ، بل تتعدد في أَوضاعها وصورها بتعدد الأَهواءِ التي أَدخلت عليها الابتداع ، ومن ثم تصير الشخصية الدينية الواحدة ـ التي نزلت للتوحيد بين الناس فيما يتقربون به إلى الله الواحد ـ شخصيات متعددة ، تقف كل شخصية منها عند مبتدع من المبتدعين ، وأَتباعه الذين يسلكون طريقه . ومن هنا تفقد الأُمة وحدتها الدينية ، ويتحكم بين هيئاتها الابتداعية تنافس العداوة والبغضاءِ ، وكثيراً ما يشتد التنافس والخصام ، وتشتعل نارها ، فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماءِ وتنقلب الأُمة يضرب بعضها رقاب بعض . وقد جاءَ ـ حفظاً لوحدة الأُمة في هذا الجانب ـ قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) [1]

وصحَّ أَن رسول الله ، ﷺ ، خطَّ خطاً بيده ثم قال : « هٰذَا

١ ــ سورة آل عمران : ١٠٣ .

سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيماً » . ثُم خط خطوطاً عن يمين هذا الخط وعن شماله ثم قال : « وَهٰذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ فِيهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ». ثم قرأ هذه الآية الكريمة : (وَإِنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)[1] . وفي ذلك تقول السيدة عائشة : أَلا إن نبيكم قد برىءَ ممن فرق دينه واحتزب . ثم تلت قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[2] . وقد عرفنا من تاريخ الأَديان والشرائع أَن التحريف الابتداعي قد أَصابها من جهات ثلاث :

من جهة العقيدة : ومنها دخل الشرك وعبادة غير الله ودعائه والاستعانة به واللجوء إليه . ومن جهة العبادة : ومنها دخل التغيير بالزيادة أَو النقص والتغيير في الكيفية . ومن جهة الحلال والحرام : ومنها حُرم الحلال ، واحتيل فحُلل الحرام .

وبعد : فهل لعلمائنا الفقهاء ، الذين يؤمنون بوحدة أُمتهم في عقيدتها وعبادتها وأُصول تفكيرها ، ويؤمنون بثمرة هذه الوحدة الطيبة في الدنيا والآخرة ، ويؤمنون بالعاقبة السيئة لتفرق الأُمة في ذلك ؟ وهل لزعمائنا الغيورين ، الذين يعملون في الجوانب

---

١ – سورة الأنعام : ١٥٣ .　　٢ – سورة الأنعام : ١٥٩ .

السياسية والاقتصادية والحربية ؟ على التركيز وتوحيد الكلمة والمنهج ؟.
هل لهم جميعاً أن ينظروا إلى هذا الجانب الديني أيضاً ؟ ويعملوا بإيمانهم وحكمتهم على إحيائه سليماً نقياً ؟ وعلى وحدة المسلمين فيه ، والرجوع بهم إلى المحجة البيضاء التي تركها الرسول ، ﷺ ، وظلت قائمة بمصادرها الخالدة من كتاب وسنة ؟ .

وهذا ما أرجو أن يعمل عليه الزعماءُ والعلماءُ ، حتى يحققوا للإسلام الوحدة التي رسمها الله ، ويفوزوا بتوفيقه ورضاه[1] .

أسباب انتشار البدع

١ – عمل العالم بالبدعة ، وتقليد الناس له لوثوقهم بأنه لا يفعل إلا ما فيه الصواب .

٢ – سكوت العلماء عن بيان وجه الابتداع في البدعة ، فيعد العامة سكوتهم إقراراً منهم على ذلك .

٣ – تبني الحكام للبدعة ، وعملهم على انتشارها لموافقتها أهواءهم كما حدث من المأمون ومن بعده في القول بخلق القرآن ، أو سكوتهم عن الإنكار وتركهم الحبل على الغارب لأهل الابتداع .

---

١ – الفتاوى . للإمام محمود شلتوت . ص ١٨٥ وما بعدها .

٤ ــ انتشار البدعة بين الناس وتحولها إلى عادة يصعب الانصراف عنها إلا بعد جهد كبير .

٥ ــ موافقة البدعة لأهواء النفوس وغرائز الناس ، التي حرص الدين على تنظيمها ، والحدّ من الانطلاق معها ، وعدم وجود مقاومة فعالة تمنع من انتشارها ، وامتداد أخطارها وتغلغلها في النفوس[١] .

والبدعة هي السبب في إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس لأن كل فريق يرى أن طريقته خير من طريقة صاحبه ، ويبغض بعضهم بعضاً ، حتى أن بعض أصحاب الطرق الصوفية ومنتسبيها ومنهم طريقة التيجانية الذين قالوا : لا يجوز زيارة من ليس على طريقتهم[٢] . وأنكروا في ذلك قول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[٣] .

قل لي بربّك أيها المسلم ، أفتترك العمل بالآية الكريمة والأحاديث الواردة في ذلك لقول هؤلاء المبتدعة ؟ أو لأحد كائناً من كان ؟ اللهم لا . والفُرقة والدعوة إليها من أخسّ أوصاف المبتدعة ولوازمها وهذا هو ديدنهم أينما حلوا ، نجد الضلال والفساد ، وبهذا كان

١ ــ ومن شاء مزيد بسط في هذا الموضوع فلينظر « البدعة » للدكتور عزت عطية .
٢ ــ الأنوار الرحمانية في هداية التيجانية . ٣ ــ سورة الحجرات : ١٠

خروجهم عن حكم الله ، وفيه تفريق لجماعة المسلمين .

(صاحب البدعه يعد من مرتكبي الضلاله)

لقد تبرأ الرسول ، ﷺ، من صاحب البدعة ، وكل من أحدث في الدين ما لم يكن فيه . روي أنه ، ﷺ، قال : « حَلَّتْ شَفَاعَتِي لِأُمَّتِي إِلَّا صَاحِبَ بِدْعَةٍ »[1] . والبدعة رافعة للسنن التي تقابلها ، والوزر على محدثها لقول الرسول ﷺ : « ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقد يحجب المحدث للبدعة عن التوبة ان أصر عليها وهو يعلم بأنها بدعة »[2] .

أي أن توبته موقوفة على ترك البدعة والتبري منها ، لقوله ﷺ، « مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً أَوْ آوَىٰ مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[3] . ومعلوم لكل ذي لب أن الطرق المبتدعة والأذكار المخترعة ، والتقرب إلى الأولياء وقبورهم ، كما عند بعض المتصوفة هذه أمور بمجموعها محدثة مبتدعة ، لأنها لم تكن على عهد رسولنا ، ﷺ ، وأنّ ما لم يكن في زمن النبي ، ﷺ ، ديناً فهو بدعة باتفاق السلف والخلف وهذه البدع تبعد صاحبها عن حوض النبي ، ﷺ، لحديث رواه مالك في الموطإ ، ولفظه :

---

١ ـ الاعتصام ج ١ . الإمام الشاطبي .

٢ ـ رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما . راجع كتاب البدع والنهي عنها . ص ٥٥ . محمد بن وضاح القرطبي .

٣ ـ رواه مالك . راجع الاعتصام ج ١ .

« فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ . أُنَادِيهِمْ : أَلَا هَلُمَّ هَلُمَّ . فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ : فَسُحْقاً فَسُحْقاً فَسُحْقاً » .

وقد تبرأَ الله ورسوله من أَصحاب البدعة . وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِين فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) . الأَنعام : ١٥٩

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : لا تجد أَحداً ترك بعض السنة ، التي يجب التصديق بها والعمل ، إلا وقع في بدعة . ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئاً من السنة ، كما جاءَ في الحديث: « مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكُوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا »[٢] . وقد قال تعالى : (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)[٣].

فلما تركوا حظا مما ذكِّروا به اعتاضوا بغيره ، فوقعت بينهم العداوة والبغضاءُ . قال تعالى : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)[٤] . أَي : عن الذكر الذي أَنزله الرحمن : وقال تعالى : (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)[٥] . فأَمر باتباع ما أُنزل ، ونهى عما يضاد ذلك ، وهو اتباع أَولياءَ من دونه ، فمن لم يتبع أَحدهما اتبع الآخر . ولهذا قال سبحانه : (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)[٦] .

١ — الأنوار الرحمانية .
٢ — رواه الإمام أحمد .
٣ — سورة المائدة : ١٤ .
٤ — سورة الزخرف : ٣٦ .
٥ — سورة الأعراف : ٣ .
٦ — سورة النساء : ١١٥ .

قال العلماءُ : من لم يكن متبعا سبيلهم كان متبعا غير سبيلهم . فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب ، فليس لأحد أن يخرج عما أجمعوا عليه[1] ا.هـ .

وعن ابن عباس قال في قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)[2] . قال : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة . وعن ابن عمر قال : صلاة السفر ركعتان . من خالف السنة كفر[3] . ولعل معنى الحديث من خالف مكذباً لما ورد في السنة .

تبرؤ أهل البدع بعضهم من بعض يوم القيامة

قال تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)[4] . معنى هذا أن المحبة والصلة التي كانت بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا قد انقطعت لما رأوا من العذاب المهين الذي ينتظرهم . وصدق الله العظيم حيث يقول : (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) أي رجعة في الدنيا (فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا)[5]

أساس البدع

جاء في كتاب الإمام ابن الجوزي[6] : تأملت الدخَلَ الذي

---

١ – انظر كتاب الإيمان . ص ١٦٤ – ١٦٥ . ٢ – سورة آل عمران : ١٠٦ .
٣ – الاعتصام . ج ١ ص ٨٠ . ٤ – سورة البقرة : ١٦٦ .
٥ سورة البقرة : ١٦٧ . ٦ – صيد الخاطر ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

دخل ديننا من ناحيتي العلم والعمل ، فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وأنس الناس بهما .

فأما أصل الدخل في العلم والاعتقاد ، فمن الفلسفة ؛ وهو أن خلقاً من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله ، ﷺ من الانعكاف على الكتاب والسنة ، فأغلوا النظر في مذاهب أهل الفلسفة ، وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب ودية أفسدوا بها العقائد .

وأما أصل الدخل في باب العمل ، فمن الرهبانية ؛ فإن خلقاً من المتزهدين أخذوا عن الرهبانية طريق التقشف ، ولم ينظروا في سيرة نبينا ،ﷺ، وأصحابه . وسمعوا ذم الدنيا وما فهموا المقصود ، فاجتمع لهم الإعراض عن علم شرعنا مع سوء الفهم للمقصود ، فحدثت فيهم بدع قبيحة ، فأول ما ابتدأ به إبليس أنه أمرهم بالإعراض عن العلم ، فدفنوا كتبهم وغسلوها ، وألزمهم زاوية التعبد فيما زعم ، وأظهر لهم من الخزعبلات ما أوجب إقبال العوام عليهم ، فجعل إلههم هواهم . ولو علموا أنهم منذ دفنوا كتبهم وفارقوا العلم انطفأ مصباحهم ، ما فعلوا ،لكن إبليس كان دقيق المكر ، يوم جعل علمهم في دفين تحت الأرض . وبالعلم يعلم فساد الطريقتين ويهتدى إلى الأصوب .

نسأل الله ، عز وجل ، أن لا يحرمنا إياه ، فإنه النور في الظلم والأَنيس في الوحدة والمعين عند الحادثة .

أخطار البدع

إن شر ما تصاب به الأُمم ، وتبتلى به الإنسانية ، يكمن في تعطيل شرع الله ، وتنكب صراطه المستقيم ، ومخالفة دعوات رسله الكرام .

وفي هذا المناخ المظلم ، وعلى ضوءِ هذا الواقع المتناقض ، الذي تنحرف فيه البشرية عن شُطآن المحجة البيضاءِ ، وتفقد فيه مسارها الصحيح ، تظلم الأَرض وتغلق منافذ الإدراك ، فتنقطع بواعث الخير ، وتسود الأَنظمة الفاسدة ، وتنحني الهامات للطاغوت .

لقد عاشت أُمتنا الماجدة حياة كريمة في ظل دستور الإسلام وتحت قيادة خير من وطيءَ الثرى . فأَهدت البشرية سعادة الدارين بعد أَن أنارت لها سبلها ، واستمرت على هذه الحال حتى غاب نجم الرعيل الأَول من حماة الإسلام ، فعادت هيمنة الظلمة بالظهور على هذا الكوكب من جديد .

وصفوة القول : أَن الابتداع هو الإفلات من دائرة الحق والاستقامة ، وولوج دائرة الباطل ومسار الهوى والغواية ، فضلاً

عن اغتيال للقيم والمعاني الرفيعة ، وطمس لمعالم الخير والفضيلة وإغلاق لآفاق المعرفة وانقلاب على سنن الفطرة السليمة ، ونواميس الكون الثابتة .

ولابد من كلمة قصيرة بين يدي هذا الفصل لأجلوَ بعض ما يتعلق بهذا الموضوع ، وقد أَعجبني ما قاله فضيلة الشيخ ناصر الدين الأَلباني ، في رسالته القيمة ، حيث يقول[1] : إن مما يجب العلم به أَن معرفة البدع التي أُدخلت في الدين أَمر هام جداً ، لأَنه لا يتم للمسلم التقرب إلى الله تعالى إلا باجتنابها ، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة مفرداتها ، إذا كان لا يعرف قواعدها وأُصولها ، وإلا وقع في البدعة وهو لا يشعر ، فهي من باب [ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب] . كما يقول علماءُ الأُصول ، رحمهم الله تعالى .

ومثل ذلك معرفة الشرك وأنواعه ، فإن من لا يعرف ذلك وقع فيه ، كما هو مشاهد من كثير من المسلمين ، الذين يتقربون إلى الله بما هو شرك ؛ كالنذر للأَولياء والصالحين ، والحلف بهم والطواف بقبورهم ومشاهدهم ، وبناء المساجد عليها ، وغير ذلك مما هو معلوم أَنهُ شرك عند أَهل العلم . ولذلك فلا يكفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط ، بل لابد من معرفة ما يناقضها من البدع .

١ – رسالة الأجوبة النافعة للشيخ ناصر الدين الألباني . ص ٥٣ – ٥٥ .

كما لا يكفي في الإيمان التوحيد دون معرفة ما يناقضه من الشركيات وإلى هذه الحقيقة أشار رسول الله ، ﷺ ، بقوله : « مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ »(١).

فلم يكتف عليه السلام بالتوحيد ، بل ضم إليه الكفر بما سواه . وذلك يستلزم معرفة الكفر وإلا وقع فيه وهو لا يشعر . وكذلك القول في السنة والبدعة ، ولا فرق بين ذلك لأن الإسلام قام على أصلين عظيمين : ألا نعبد إلا الله ، وأن لا نعبده إلا بما شرع الله . فمن أخل بأحدهما فقد أخل بالآخر ، ولم يعبد الله تبارك وتعالى . ا.هـ.

فثبت بما تقدم أن معرفة البدع أمر لابد منه ، لتسلم عبادة المؤمن من البدعة التي تنافي التعبد الخالص لله تعالى ، فالبدع من الشر الذي يجب معرفته لا لإتيانه على حد قول الشاعر :

عرفت الشر لا للشـــ ـــر لـــكن لتوقيـــه

ومن لا يعرف الشـــر من الخيـــر يقـــع فيه

وهذا المعنى مستقى من السنة ، فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله ، ﷺ ، عن الخير . وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . فقلت : يا رسول الله . إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا

٢ – رواه مسلم .

الخير من شر ؟ . قال : « نَعَمْ » . فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ . قال : « نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ » . قلت : وما دخنه ؟ . قال : « قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » . فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ . قال : « نَعَمْ . دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » . فقلت : يا رسول الله . صفهم لنا . قال : « هُــمْ مِـنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا » . الحديث[1]

قلت : ولهذا كان من الضروري جداً تنبيه المسلمين على البدع التي دخلت في الدين ، وليس الأمر كما يتوهم البعض تعريفهم بالتوحيد والسنة فقط ، ولا ينبغي التعرض لبيان الشركيات والبدعيات ، بل يسكت عن ذلك ، وهذا نظر قاصر عن قلة المعرفة والعلم بحقيقة التوحيد ، الذي يباين الشرك ، والسنة التي تباين البدعة وهو في الوقت نفسه يدل على جهل هذا البعض بأن البدعة قد يقع فيها حتى الرجل العالم ، وذلك لأن أسباب البدعة كثيرة جداً لا مجال لذكرها الآن ، ولكن أذكر سبباً واحداً منها ، وهو من أسباب الابتداع في الدين : الأحاديث الضعيفة والموضوعة[2]

---

١ — متفق عليه .

٢ — مثل : لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة . هذا حديث موضوع أدى إلى تجهيل المرأة وتجهيل أبنائها . وكذلك حديث : دفن البنات من المكرمات . و : نعم الكفء القبر للجارية . إن هذه أقوال مدسوسة وليست من كلام النبوة . إنها من كلام الفسقة والشياطين ، فتباً لهم . هذه دعوات هدامة لإهانة المرأة وهي مخالفة لتعاليم الإسلام . الذي صان المرأة وحفظ لها كرامتها وإنسانيتها .

فقد يخفى على بعض أهل العلم شيءُ منها ، ويظنُّها من الأَحاديث الصحيحة فيعمل بها ، ويتقرب إلى الله تعالى ، ثم يقلّده في ذلك الطلبة ، فتصير سنة متبعة .

إن التنبيه على البدع أمر واجب على أهل العلم ، وقد قام بذلك طائفة منهم على اختلاف الأَنواع .

فيا من انتسبت إلى أُمة الإِسلام ، فكر في أَعمالك ومصيرك وخلاّنك وأَهل محبتك ، وكل من تلوذ بهم وتأْخذ عنهم ، واعرض هذا كله على ميزان الحق ، إنه الكتاب والسنة . فإن توافق ذلك مع ميزان الحق فتمسك به ، وإن خالفه فاتركه وأَعرض عنه وتب إلى الله واعتصم بشرعه ، الذي من التجأَ إليه وتمسك به فقد نجا ، ومن حاد عنه وتنكب دربه فقد ضل وهلك. وما بعد الحق إلا الضلال والعمى.

وجملة القول : فطريق السعادة بيّن واضح ، ولا يتحقق ولوجه إلا بعد نبذ كل المبتدعات والأُمور المحدثة وأَشباهها وراءَ الظهور قبل نزول الصيحة في ساعة الندامة ، التي قال الله في أَصحابها : ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[1] . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾[2] .

قال الشوكاني في تفسيره : المراد بالسادة والكبراءِ هم الرؤساءُ

١ ــ سورة البقرة : ١٦٧ .
٢ ــ سورة الأحزاب : ٦٧ ــ ٦٨ .

والقادة ، الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم . وهذا الذي قلنا ينطبق على المبتدعة من المتصوفة وغيرهم ، الذين يقتدون بأشياخهم وزعمائهم ؛ كأتباع الأحزاب وغيرهم من الأفراد ، الذين يدينون بالولاء لأرباب النحل والفِرَق ، حيث ينفذون الأوامر والتعاليم التي تصدر إليهم ولو كانت مخالفة لشرع الله .

ومن أراد السلامة والنجاح فليعتصم بحبل الله المتين . وصدق الله العظيم حيث يقول : (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)(١) .

قال ابن الماجشون : سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ، ﷺ ، خان الرسالة ، لأن الله يقول : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)(٢) . فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً(٣) قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي : اسمع مني كلمة . فأعرض عنه وقال : ولا نصف كلمة(٤)

وقال العز بن عبد السلام : طوبى لمن تولى شيئاً من أمور المسلمين ، فأعان على إماتة البدع وإحياء السنن(٥) .

١ ــ سورة الأنفال : ٤٢ . ٢ ــ سورة المائدة : ٣ .
٣ ــ الاعتصام . جـ ١ ص ٤٩ . ٤ ــ في ظلال القرآن . جـ ٣ . ص ٢٧٨ .
٥ ــ مساجلة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح .

قال الشاطبي : [الاعتصام . ج٢ . ص ٢٤٨] : إن المبتدع إذا اتُّبع في بدعته لم يمكنه التلافي - غالبا - فيها ، ولم يزل أثرها في الأَرض مستطيل - والأَصوب يستطيل أَو مستطيلاً - إلى قيام الساعة . وذلك كله بسببه ، فهي أَدهى من قتل النفس .

البدعة تبطل العبادة - الأعمال -

اعلم يا أَخي أَن البدعة لا يقبل الله معها عبادة ؛ من صلاة وصيام وحج وزكاة وغير ذلك[1] ، ويخرج صاحبها من الدين كما تخرج الشعرة من العجين ، ومجالس صاحبها تنزع منه الهيبة ويوكل إلى نفسه . والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام[2] .

وروي عن الأَوزاعي أَنه قال : كان بعض أَهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا عمرة ولا صدقة ولا صرفاً ولا عدلاً .

وروى ابن النجار عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا ازْدَادَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ اجْتِهَاداً إلاَّ ازْدَادَ بُعْداً مِنَ اللهِ » .

روي مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ » ... الحديث . وفي رواية : « لَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ لَكَفَرْتُمْ » . فتأَملوا كيف جعل ابن مسعود

١ - لا شك ان البدعة تبعد صاحبها عن كل خير ولكن قبول العبادات والواجبات المفروضة أمر موكول الى الله إن شاء قبله إن شاء غير ذلك .

٢ - الاعتصام - ج ١ للإمام الشاطبي .

ترك السنة ضلالة وتوصل إلى الكفر . وفي الرواية أن النبي ، ﷺ ، قال : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابَ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ » . وفي رواية : « مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ » . قال أبو هريرة : إن الرسول ، ﷺ ، قال : « سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ بِبِدْعٍ مِنَ الْحَدِيثِ ، لَمْ تَسْمَعُوهُ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يَفْتِنُونَكُمْ » . وفي الترمذي أنه ﷺ ، قال : « مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً . وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا تُرْضِي اللهَ وَلَا رَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يُنْقِصُ ذٰلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً »[1] .

وفي حديث معاذ ، مرفوعاً : « إِذَا حَدَثَ فِي أُمَّتِي الْبِدَعُ وَشُتِمَ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[2] .

وقال أبو الفضل عياض : اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . وعن

---

١ ــ قال الترمذي : حديث حسن . راجع : البدع والنهي عنها .

٢ ــ كتاب السنة . ذكره الآجري من طريق الوليدبن مسلم .

أَبي قلابة : ما ابتدع رجل بدعة إلا استحلَّ السيف. وقال ابن سيرين : أَسرع الناس ردة أَهل الأَهواءِ . وعن يحي بن كثير قال : إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر[1] .

الشياطين تزين العبادات لأهل البدع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله[2] : إن أَهل العبادات البدعية من طوائف المبتدعة والمضلّين يزيّن لهم الشيطان تلك العبادات ، ويبغِّض إليهم السبل الشرعية ، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث ، فلا يحبون سماع القرآن والحديث الشريف ولا ذكره .

وقد يبغض إليهم جنس الكتاب ؛ فلا يحبون كتاباً ولا من معه كتاب ، ولو كان مصحفاً أَو حديثاً ، كما حكى النصراباذي أَنهم كانوا يقولون : يدع علم الخرق ، ويأَخذ علم الورق . قال : ولست أَستر أَوراقي منهم ، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي .

وكذلك حكى السري السقطي أَن واحداً منهم دخل عليه فلما رأَى عنده محبرة وقلماً خرج ولم يقعد عنده .

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري : يا معشر الصوفية

---

٤ – الاعتصام . ج ١ . أنصح باقتناء هذا السفر الفريد لأنه يزخر بالفوائد ومآثر السلف الرشيد .

١ – انظر « مجموعة الرسائل والمسائل » ج ٥ . ص ٩٨ – ٩٩ .

لا تفارقوا السواد على البياض ، فما فارق أَحد السواد على البياض إلا تزندق .

وقال الجنيد : علْمنا هذا مبني على الكتاب والسنة ، فمن لم يقرا القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأْن .

جرح رواة الحديث بالحق وبدع المبتدعة واجب شرعاً

إن الله ، سبحانه وتعالى ، وضح للبشرية معالم الطريق ، بواسطة خيرة خلقه من أَنبيائه ورسله الكرام . ولما كانت بعض النفوس الضعيفة تتبع ما يزيّنه لها الشيطان ، وتغترُّ بالأَهواءِ والآراءِ والميول ، وتقول على الله بغير هدى ولا سلطان ، ممّا يسبِّب ضياع المناهج والسبل ، التي تضمن مصالح الأُمة وخيرها في الدارين ، لذلك فقد قيّض الله تعالى لأُمته رجالاً ينافحون عنها ، ويدحضون دعوى الباطل وينصرون الحق ، وكما هو معلوم فإن الحق لابد له من قوة تدعمه حتى يكتب له النجاح ، وخوفاً من ضياع الحق والتباسه بالباطل . الحق الذي كان فيه النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأَئمة المسلمين وعامتهم ، أَمر لا مناص منه ، وتلك لعمري قضية عظيمة لا يجوز التهاون فيها لأَن فيها حفظ حقوق الفرد والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : إذا كان النصح واجباً في المصالح الخاصة والعامة ، مثل نَقلة الحديث الذين

يغلطون ، أو يكذبون . كما قال يحيي بن سعيد : سألت مالكاً والثوري والليث بن سعد ـ أظنه ـ والأوزاعي عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظ ؟ . فقالوا : بيِّن أمره . وقد قالوا لعمر بن الخطاب في أهل الشورى : أمِّر فلاناً وفلاناً . فجعل يذكر في حق كل واحد من الستة ـ وهم أفضل الأمة ـ أمراً جعله مانعاً من تعيينه .

إن هذا الأمر هام جداً ، ولا يجوز إهماله ؛ وهو النصح فيما تتعلق به حقوق عموم المسلمين . كما قال رسول الله ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ . الدِّينُ النَّصِيحَةُ » . قالوا لمن يا رسول الله ؟ . قال : « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

وقال بعضهم لأحمد بن حنبل : إنه يثقل علي أن أقول : فلان كذا ، وفلان كذا . فقال : إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم ؟ .

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة والعبادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم ، واجب باتفاق المسلمين . حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل

البدع ، فإنما هو للمسلمين . هذا أفضل .

فبيَّن أَن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم ، من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعه ، ودفع بغي هؤلاءِ وعدوانهم على ذلكواجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاءِ ، لفسد الدين . وكان فساده أَعظم من فساد استيلاءِ العدو من أَهل الحرب . فإن هؤلاءِ إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها إلا تبعاً ، وأَما أُولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً .

وقد قال النبي ، ﷺ: « إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » . وذلك أَن الله يقول في كتابه : (لقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ)[1] . فأَخبر أَنه أَنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأَنه أَنزل الحديد كما ذكر .

فقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً)[2] . والكتاب هو الأَصل ، ولهذا أَول ما بعث الله

١ ــ سورة الحديد : ٢٥ .　　٢ ــ سورة الفرقان : ٣١ .

رسوله أَنزل عليه الكتاب ، ومكث بمكة لم يأْمره بالسيف ، حتى هاجر وصار له أَعوان على الجهاد[1] .

بيان حال المنافقين والمبتدعين مشروع لا غيبة

جاءَ في كتاب : الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ما يلي : إذا كان أَقوام منافقون ، يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ، ويلبسونها على الناس ، ولم تبيَّن للناس ، فسد أَمر الكتاب وبدل الدين ، كما فسد دين أَهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل ، الذي لم ينكر على أَهلــه .

وإذا كان أَقوام ليسوا منافقين ، لكنهم سماعون للمنافقين ، قد التبس عليهم أَمرهم حتى ظنوا قولهم حقاً ، وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين ، كما قال تعالى : (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)[2] .

فلابد أَيضاً من بيان حال هؤلاءِ ، بل الفتنة بحال هؤلاءِ أَعظم فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم ، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين ، فلابد من التحذير من تلك البدع

٣ ـ راجع « الرسائل والمسائل » جـ ٥ . ص ١١٠ . بتصرف .

١ ـ سورة التوبة : ٤٧ .

وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم ، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق ، لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها دين ، ولم تكن كذلك ، لوجب بيان حالها . ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث الشريف والرواية ، ومن يغلط في الرأي والفتيا ، ومن يغلط في الزهد والعبادة ، وإن كان المخطيءُ المجتهد مغفوراً له خطؤه ، وهو مأجور على اجتهاده .

فبيان القول والعمل ـ الذي دل عليه الكتاب والسنة ـ واجب وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله . ا.هـ .

بدعة التعصب المذهبي

ابتليت أُمتنا الإسلامية الماجدة بمصائب كبرى ، كما رزئت بمحن عظمى ، فاحتملت كل ذلك وصابرت متحدية كافة الفتن وطعنات الأَعداءِ المتلاحقة .

لقد كانت مصيبة التعصب المذهبي واحدة من هذه الخطوب التي أَلمت بهذه الأُمة ، التي تخطت كافة المعوقات وواصلت مسيرتها الرائدة برعاية الله وتأْييده . ولا شك فقد كان للتعصب المذهبي المقيت أَثر بالغ في تفرق المسلمين ، وتشتّت كلمتهم وتصدع وحدتهم وبالتالي فقد كثرت المشاحنات وعمت الخلافات ، مما أَفسد المسيرة

وعطل الجهد ، فأَصاب المسلمين بذلك الضيم ، وعمتهم الفُرقة وتقطعت بهم الأَوصال .

التعصب لغير رسول الله ﷺ جهل وضلال

ذكر شيخ الإسلام أَحمد بن تيمية ، رحمه الله ، في فتاويه المصرية : إذا كان الرجل ـ مثلاً ـ متبعاً لأَبي حنيفة أَو لمالك أَو للشافعي أَو لأَحمد ، رحمهم الله تعالى ، ورأى في بعض المسائل أَن مذهب غيره أَقوى فاتبعه ، كان قد أَحسن في ذلك ، ولم يقدح ذلك في دينه ولا في عدالته بلا نزاع . بل هذا أَولى بالحق وأَحب إلى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ، ﷺ، كمن يتعصب لأَبي حنيفة ، ويرى أَن قول هذا الواحد المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون الإمام الذي خالفه . فمن فعل هذا كان جاهلاً ، بل قد يكون كافراً . نعوذ بالله من ذلك[1]

وفي الإقناع وشرحه : ولزوم التمذهب بمذهب وامتناع الانتقال إلى غيره ، الأَشهر عدمه . والجمهور لا يوجبون على أَحد التزام مذهب معين ، ولا يُتبع أَحد في مخالفة الله ورسوله . فإن الله تعالى إنما فرض على كل أَحد ـ في كل حال ـ طاعة رسوله محمد ، ﷺ ا.هـ

وفي كتاب : القضاءُ والإنصاف . قال الشيخ تقي الدين ابن

١ ـ راجع : رسالة « هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين ؟ » .

تيمية : من أَوجب تقليد إمام بعينه استتيب وإلا قتل . لأَن هذا الإيجاب إشراك بالله في التشريع ، الذي هو من خصائص الربوبية. ا.هـ

قال علي القاري : لا يجب على أَحد من هذه الأُمة أَن يكون حنفياً أَو مالكياً أَو شافعياً أَو حنبلياً ، بل يجب على آحاد الناس – إذا لم يكن عالماً – أَن يسأَل واحداً من أَهل الذكر : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[1] . والأَئمة الأَربعة من أَهل الذكر . ولهذا قيل : من تبع عالماً لقي الله سالماً . وكل مكلف مأْمور باتباع سيد الأَنبياء ، سيدنا محمد ، ﷺ.

دعوة الأئمة الأربعة وغيرهم إلى ترك أقوالهم المخالفة للكتاب والسنة

قال الشافعي ، رحمه الله : لم أَسمع أَحداً نسبته إلى العلم ، أَو نسبته العامة إلى علم ، أَو نسب نفسه إلى علم ، يحكي خلافاً في أَن : فرض الله تعالى اتباع أَمر رسوله ، ﷺ ، والتسليم لحكمه . فإن الله تعالى لم يجعل لأَحد بعده إلا اتباعه ، وأَنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله تعالى أَو سنة رسوله ، ﷺ ، وإن ما سواهما تبع لهما ، وإن فرض الله تعالى علينا وعلى من بعدنا وقبلنا قبولُ الخبر

---

١ – سورة النحل : ٤٣ .

عن رسول الله ، ﷺ [1] .

وقال رحمه الله : ما من أَحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ ، وتعزب عنه[2] . وقال : إذا صح الحديث فهو مذهبي[3] . وقال : أَجمع الناس على أَن من استبانت له سنة رسول الله ، ﷺ لم يكن له أَن يدعها لقول أَحد[4] .

وقال أَبو حنيفة النعمان ، رحمه الله : لا يحل لأَحد أَن يأْخذ بقولنا ما لم يعلم من أَين أَخذناه . وفي رواية : حرام على من لم يعرف دليلي أَن يفتي بكلامي . وزاد في رواية : فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً [5] .

وقال مالك ، رحمه الله : إنما أَنا بشر أُخطئ وأُصيب . فانظروا في رأْيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة خذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة اتركوه[6] . وقال : ليس أَحد بعد النبي ، ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ، ﷺ [7] .

وقال الإمام أَحمد ، رحمه الله : لا تقلدْني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأَوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أَخذوا . وقال :

---

١ — راجع « إيقاظ الهمم » . ص ١٠٤ نقلا عن كتاب « بدعة التعصب المذهبي » .

٢ — المرجع السابق . ص ٩٩ .　　٣ — « صفة صلاة النبي » ص ٣٠ .

٤ — المصدر السابق . والميزان للشعراني .　٥ — المصدر السابق . ص ٢٤ — ٢٥ .

٦ ، ٧ — المصدر السابق ص ٢٧ — ٢٨ .

من رد حديث رسول الله ، ﷺ ، فهو على شفا هلكة[1] .

وقال الحافظ بن رجب ، رحمه الله : فالواجب على كل من بلغه أَمر الرسول ، ﷺ ، وعرفه أَن يبيِّنه للأُمة وينصح لهم ، ويأمرهم باتباع أَمره ، وإِن خالف ذلك رأْي عظيم من الأُمة ، فإِن أَمر رسول الله ، ﷺ ، أَحق أَن يعظم ويقتدى به ، من رأْي أَي معظم قد خالف أَمره في بعض الأَشياءِ خطأً[2] .

قال عبد الله بن المعتمر : لا فرق بين بهيمة تنقاد وإِنسان يقلِّد[3] . وقال عبد الله بن مسعود : لا يقلدن أَحدكم في دينه رجلا فإِن آمن آمن ، وإِن كفر كفر . وإِن كنتم لابد مقتدين ، فاقتدوا بالميت ، فإِن الحي لا يؤْمن عليه الفتنة[4] .

قال ابن حزم في المحلَّى : إِن الفقهاءَ الذين قُلدوا مبطلون للتقليد ، وأَنهم نهوا أَصحابهم عن تقليدهم ، وكان أَشدهم في ذلك الشافعي . فإِنه ، رحمه الله ، بلغ من التأْكيد في اتباع صحاح الآثار ، والأَخذ بما أَوجبته الحجة ، حيث لم يبلغ غيره . وتبرأَ أَن يقلَّد جملة وأَعلن بذلك .

نفعه الله به وأَعظم أَجره ، فلقد كان سبباً إِلى خير كثير .

---

١ — صفة صلاة النبي . ص ٣٤ .

٢ — إيقاظ الهمم . ص ٩٣ . تعليقاً على : بدعة التعصب المذهبي .

٣ — انظر : أعلام الموقعين . ج ٢ .

٤ — جاءَ في « أعلام الموقعين » بأن التقليد رأي لم يأت عن الشرع بل مجرد قول لا حجة فيه .

وهكذا يظهر للقاريءِ الكريم ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، من حيث التمسك بالكتاب والسنة والتعويل عليهما ، وطرح كل ما يخالفهما جانباً ، فلم يقلدوا[1] ولم يتعصبوا لأَحد من الرجال كائن من كان . وبهذا أَشادوا صرح علوم الشريعة ، وأَورثوها لخلفهم على أَكمل وجه . وكما جاءَت عن طريق الهادي البشير ، الذي ترك الأُمة على المحجة البيضاءِ التي ليلها كنهارها . ولا يصلح آخر هذا الأَمر إلا بما صلح به أَوله ؛ وهو التمسك والاحتكام للكتاب والسنة والعمل بهما . وعلى هذين المصدرين الخالدين يجب أَن نعضَّ بالنواجذ ، وبهذا نسمو كما سما سلفنا ، ونصل إلى المكانة المرموقة في العالمين .

قال القرافي : إن الذي خشيه مالك وقع ببلاد العجم ، فصاروا يتركون المسحرين على عاداتهم من إيقاظ الناس للسحور ، في ليالي هذه الأَيام الست ، كأَيام رمضان تماماً ، إلى انقضاءِ هذه الأَيام . وبعد انتهائها يظهرون شعائر العيد . وهذا ابتداع في شرع الله يجب محاربته . ومن هذا القبيل نهيه ، ﷺ، عن أَن يسبق رمضان مباشرة بصيام يوم أَو يومين من شعبان ، مخافة أَن يعدها العامة

١ ـ قال ابن الجوزي في كتابه : تلبيس إبليس : إن في التقليد إبطال منفعة العقل لأنه خلق للتدبُّر والتأمل . وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة .

من جملة رمضان ، لا يصح صومه إلا بصومها[1] .

أمثلة لبعض المنكرات التي وقعت نتيجة الخلافات المذهبية

١ - إن بعض الأَحناف من الأَفغانيين سمع رجلاً يصلي بجواره مأْموماً يقرأُ الفاتحة ، فضربه بيده على صدره ضربة قوية ، وقع منها على ظهره حتى كاد يموت .

٢ - وإن بعضهم كسر سبابة مصلٍّ لأَنه رفعها في التشهد . وقد جاءَ بالغريب الشيخ الكيداني حيث قال : العاشرة من المحرمات في الصلاة ، الإِشارة بالسبابة في التشهد ، كما يفعل أَهل الحديث[2] .

---

١ - إن أكثر ما يقع في مثل هذه المخالفات أصحاب الأهواءِ والمبتدعة ، وأتباع التصوف من الجهلة والعوام ، الذين يتمسكون بكل ما يلقى إليهم ، ويصرون عليه بدعوى أنه هو الصواب . كما يتوارثونه ويصبح سنة متبعة ، ولو كان معارضاً للنصوص الشرعية . وهذا هو ديدن الصوفية وفرق الضلال ، الذين يلتزمون أقوال وتعاليم زعمائهم وشيوخهم ، فيطبقون تلك التعاليم وكأنها وحي من السماءِ . ومن بين هذه المخالفات : ترك الجمع والجماعات والتفقه في الدين ؛ وارتكاب البدع الشركية ؛ كالأذكار والأدعية التي يواظب عليها الصوفية ، ومواصلة صوم آخر أَيام شعبان ، ووصلها بصيام أول رمضان . وفي هذا مخالفة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي أَمرنا الله باتباعه بقوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . وباتباع ذلك سعادة الناس في الدارين ، عكس مصير المبتدعين الذين تنقلب عليهم أَعمالهم حسرات ونقما . يوم يقوم الناس لرب العالمين .

٢ - لقد جاءَ الشيخ الكيداني بما لم تأْت به الأَوائل ، فارتكب خطأً عظيماً وجُرماً جسيماً . ومنشأُ ذلك الجهل بقواعد الأصول ومراتب الفروع . فحرم ما ثبت من أَفعال الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣ ـ وقد بلغ من شذوذ بعض المتعصبين لبعض، في طرابلس الشام ـ في أَواخر القرن الثالث عشر الهجري ـ أَن ذهب بعض شيوخ الشافعية إلى المفتي ، وهو رئيس العلماء ، وقال له : اقسم المساجد بيننا وبين الحنفية ، لأَن فلاناً من فقهائهم يعتبرنا كأَهل الذمة بما أَذاع في هذه الأَيام من اختلاف الأَحناف في : هل يجوز للحنفي أَن يتزوج شافعية ؟ ! ! . فقال بعض الأَحناف : لا يصحّ . لأَنك تشك في إيمانها . لأَن الشافعية يجيزون أَن يقول المسلم : أَنا مؤمن إن شاءَ الله .

كيف تنقلب المندوبات مكروهات

إن من أَسباب الخلاف هو تشديد بعض العلماءِ في المندوبات[1] والمواظبة عليها ، حتى اعتقد بعض العامة أَنها واجبة ، يأْثم الإِنسان بتركها . وربما أَلحقوا به أَذى بدون حق .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري ـ في باب ما يقرأُ في فجر يوم الجمعة : اختلف العلماءُ في تعليل كراهة مالك لقراءَة سورة السجدة في صبح يوم الجمعة . وعللها بعضهم بخشية اعتقاد العوام أَنها فرض .

---

١ ـ هذه المعلومات وما بعدها مستقاة من كتاب « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين ». ص ٧٤ ـ ٧٦ .

وقال ابن دقيق العيد : أَما القول بالكراهة مطلقاً فيأْباه الحديث ، لكن إذا انتهى الحال إلى وقوع هذه المفسدة - أَي اعتقاد العوام وجوبها - فينبغي أَن تترك أَحيانا لتندفع ، فإن المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة . ودفع هذه المفسدة يحصل بالترك في بعض الأَوقات . وإلى ذلك أَشار ابن العربي بقوله : ينبغي أَن يُفعل المستحب في الأَغلب للقدوة ، ويقطع أَحياناً لئلا يظن العامة أَنه سنة .

وقال صاحب المحيط من الحنفية : يستحب قــراءَة سورتي [السجدة ، وهل أَتى] في صبح يوم الجمعة ، شرط أَن يقرأَ غيرهما أَحياناً ، لئلا يظن الجاهل أَنه لا يجزي غيرهما .

وقال الشاطبي في الاعتصام : إن من عيوب المواظبة على المندوب أَو المسنون أَن يعتقد العامة وجوبه ، وقد حصل ذلك في بعض البلاد . فقد حكى القرافي عن بعض العجم اعتقادهم أَن صلاة صبح يوم الجمعة ثلاث ركعات ، لأَنهم رأَوا كثيراً من الأَئمة يلتزم قراءَة السجدة فيها ويحافظ عليها ، واعتقدوا أَنها ركن وعدّوها ركعة ثالثة ، فصارت السجدة عندهم لازمة في جزءٍ من صلاة صبح يوم الجمعة ، ووجب أَن تبطل الصلاة بتركها ، وهذا خطأ شديد .

ثم قال الشاطبي : وكذا شاع عند بعض العامة في مصر أن صلاة الصبح ركعتان ، إلا في يوم الجمعة فإنها ثلاث ركعات . وسبب هذا الخطإ أنهم رأوا الأئمة يواظبون عليها ويسجدون لها فاعتقدوا أن تلك ركعة ثالثة واجبة .

ومن هذا القبيل ما قاله الشاطبي : إن الإمام مالكاً كره وصل صيام ستة أيام من شوال برمضان بعد يوم العيد مباشرة ، خوف أن يعتقد العامة أنها ملحقة برمضان في الوجوب ويعدُّها منه . أي : وهذا يدل على عدم تيقنها في إيمانها ، والإيمان لابد فيه من اليقين .

وقال بعضهم : يجوز للحنفي أن يتزوج الشافعية ، حتى لو كانت شاكة في إيمانها ، مقياساً على الذمية .

٤ ـ قال الشاطبي : إن من عيوب المحافظة على المندوب أو المسنون أن يعتقد العامي وجوبه . وقد خرج بعض المأمومين الشافعية من صلاة الصبح يوم الجمعة لما لم يقرأ الإمام آية السجدة ، ولم يسجد لها . رحمة الله على الإمام الشاطبي فقد حصل في عصرنا ما حدثنا بحصوله في عصره الميمون .

وجملة القول : فأين هذا التعصب والإيذاء والتفريق بين المسلمين ـ بسبب الآراء الاجتهادية ـ من تسامح السلف الصالح

وأَخذهم المسائل بما أَراد الرحمن من اليسر في الشرع وعدم الحرج فيه ، واتقائهم ما به التفريق بين المسلمين بظنون اجتهادية ، لا يستحلون القطع بالحكم فيها . حتى كان أَشهر الأَئمة إذا سئل يقول الواحد منهم : أَكره كذا . أَو أَخشى أَن يكون كذا . أَو لا ينبغي . أَو لا يعجبني . ويقول في مقابل ذلك : يعجبني كذا . أَو : هذا أَحسن[1] ؟ .

وقد نبه الإمام الشاطبي ، المتوفي سنة ٧٩٠ ﻫ . على خطر التمذهب ، وحذر منـــه ، فقال في الموافقات ص ٢٧٣ جـ ٢[2] : إن تعويد الطالب على أَن لا يطلع إلا على مذهب واحد ، ربما يكسبه ذلك نفوراً وإنكاراً لكل مذهب غير مذهبه ، ما دام لم يطلع على أَدلته . فيورثه ذلك حزازة في الاعتقاد في فضل أَئمة ، أَجمع الناس على فضلهم وتقدمهم في الدين ، وخبرتهم بمقاصد الشارع وفهم أَغراضـــه .

---

١ — مقدمة كتات « المغني » لابن قدامة المتوفي سنة ٦٢٠ ﻫ . والمقدمة للسيد محمد رشيد رضا المتوفي سنة ١٣٥٤ ﻫ ، رحمه الله . نقلا عن كتاب « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » . ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

٢ — راجع كتاب « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » ص ٩٣ .

سقوط الصلاة عن بعض الشيوخ والعارفين

إن الصلاة من أحب الفرائض وأعظمها عند الله . وهي عمود الإسلام وأصل من أصوله التي تفرق المسلم عن الكافر ، وهي من الأركان الخمسة ، التي لا يتم إسلام أحد – مهما كان – إلا إذا كان مؤمناً بها مؤدياً إياها ، كما وردت في ذلك النصوص المستفيضة .

لقد كانت الصلاة من أحب الأعمال إلى الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، كما كانت قرة عينه . وهكذا فإن للصلاة مكانة رفيعة لا يجوز إهمالها أو الغض من قيمتها . فمن حفظها وأداها بأركانها وشروطها كان حافظاً لدينه وعاقبة أمره .

فلابد من القيام بها ، وأدائها على وجهها الصحيح ، والله تعالى يقول : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)[1] .

كما ثبت في الصحيح عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » .

أما خرافة سقوط الصلاة عن بعض الشيوخ وغيرهم ، فهذا أمر لم يقل به إلا من كان معتوهاً أو مصاباً في عقله . ومن المعلوم أن سيد الخلق وخاتم النبيين ، ﷺ ، لم يعف من الصلاة ولم تسقط عنه ، وهو أكرم الخلق على الله سبحانه ، فكيف يقبل عاقل بخرافة

---

١ – سورة النساء : ١٠٣ .

هؤلاءِ الواهمين ، الذين يزعمون بأَن الصلاة قد تسقط عن شيوخ وعارفين وأَشباههم ؟ وما هذا إلا كذب وافتراءٌ وتدليس ، لم يقل به إلا أَتباع إبليس .

وقد كشف النقاب عن هذه الدعوى الواهية شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، فلنسمع إليـه حيث يقول[1] : ومن اعتقد أَنها ـ الصلاة ـ تسقط عن بعض الشيوخ العارفين والمكاشفين والواصلين ، أَو أَن لله خواصاً لا تجب عليهم الصلاة بل قد سقطت عنهم لوصولهم إلى حضرة القدس ، أَو لاستغنائهم عنها بما هو أَهم منها أَو أَولى ، أَو أَن المقصود حضور القلب مع الرب ، أَو أَن الصلاة فيها تفرقة ، فإذا كان العبد في جمعيته مع الله فلا يحتاج إلى الصلاة ، بل المقصود من الصلاة هي المعرفة فإذا حصلت لم يحتج إلى الصلاة ، فإن المقصود أَن يحصل لك خرق عادة ؛ كالطيران في الهواءِ والمشي على الماءِ أَو ملءِ الأَوعية ماءً من الهواءِ ، أَو تغوير المياه واستخراج ما تحتها من الكنوز ، وقتل من يبغضه بالأَحوال الشيطانية ، فمتى حصل له ذلك ، استغنى عن الصلاة ، ونحو ذلك . أَو أَن لله رجالاً خواصاً لا يحتاجون إلى متابعة محمد ، ﷺ ، بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى

١ ـ الفتاوى الكبرى . جـ ٢ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

أَو أَن كل من كاشف وطار في الهواءِ أَو مشى على الماءِ فهو ولي سواءٌ صلى أَو لم يصلِّ ، أَو اعتقد أَن الصلاة تقبل من غير طهارة أَو أَن المولهين أَو المتولهين والمجانين ، الذين يكونون في المقابر والمزابل والطهارات والخانات والقمامين ، وغير ذلك من البقاع وهم لا يتوضؤون ولا يصلون الصلوات المفروضات ، فمن اعتقد أَن هؤلاءِ أَولياءُ فهو كافر مرتد عن الإِسلام ، باتفاق أَئمة الإِسلام . ولو كان في نفسه زاهداً عابداً . فالرهبان أَزهد وأَعبد ، وقد آمنوا بكثير مما جاءَ به الرسول . وجمهورهم يعظمون الرسول ويعظمون أَتباعه ، ولكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاءَ به ، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، فصاروا بذلك كافرين . كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً . وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً)[1] .

---

١ ــ سورة النساء : ١٥٠ ــ ١٥٢ .

صلاة ليلة المعراج

قال المجد اللغوي[1] ، في صلاة ليلة المعراج ، وصلاة ليلة القدر ، وصلاة كل ليلة من رجب وشعبان ورمضان : هذه الأَبواب لم يصح فيها شيءٌ أَصلاً . ا . هـ .

وقال شيخ الإِسلام ابن تيمية ، في صلاة ليلة سبع وعشرين من رجب وأَمثالها : فهذا غير مشروع باتفاق أَئمة الإِسلام ، كما نص على ذلك العلماءُ المعتبرون ، ولا ينشيءُ مثل هذا إلا جاهل مبتدع . . . أَلخ . ا . هـ .

وقصة المعراج المنسوبة إلى ابن عباس كلها أَباطيل وأَضاليل لم يصح منها إلا أَحرف قليلة . وقصة ابن السلطان والرجل المسرف الذي كان لا يصلي إلا في رجب ، فلما مات ظهرت عليه علامات الصلاح ، فسئل عنه الرسول ، ﷺ ، فقال : إنه كان يجتهد ويدعو في رجب .

هذه قصة مكذوبة مفتراة ، تحرم قراءتها وروايتها إلا للبيان .
ومن فظيع ما نراه كثيراً أَن بعض حملة الشهادة الأَزهرية يقرؤون هذا الكلام الوقح على الناس .

---

١ ــ السنن والمبتدعات . ص ١٤٣ ــ ١٤٤ .

صلاة البراءة في شعبان

قال الإمام الفتني ، في تذكرة الموضوعات[1] : ومما أُحدث في ليلة النصف من شعبان الصلاة الأَلفية ؛ مائة ركعة بالإخلاص عشراً عشراً بالجماعة . واهتموا بها أَكثر من الجمع والأَعياد . ولم يأْت بها خبر ولاأَثر إلا ضعيف أَو موضوع ، ولا يغتر بذكره لها صاحب القوت والإحياءِ وغيرهما ، ولا بذكر تفسير الثعلبي أَنها ليلة القدر . ا . هـ .

وقال العراقي : حديث ليلة النصف بالحل . وأَخرجه ابن الجوزي في الموضوعات .

الصلوات البكرية والدرديرية والميرغنية مخترعات

جاءَ في كتاب السنن والمبتدعات[2] :

اعلم أَن الصلوات البكرية والدرديرية والميرغنية كلها مخترعات ومبتدعات . وكذا كتاب : أَفضل الصلوات على سيد السادات . وكتاب : صلوات الثناءِ على سيد الأَنبياءِ للنبهاني . وكتاب : روضة الأَسرار في الصلاة على المختار . وكتاب : التحفة الربانية بالصلاة على إمام الحضرة القدسية . و : مفتاح المدد في الصلاة على الرسول

---

١ ـ السنن والمبتدعات . ص ١٤٤ .   ٢ ـ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

السند . وكتاب : التفكر والاعتبار في الصلاة على النبي المختار . لأَحمد بن ثابت المغربي . وكذا كل كتاب رتبت فيه الصلاة على النبي على حروف المعجم . كأَن يقول فيها : اللهم صل على سيدنا محمد القائل : إنما الأَعمال بالنيات . ويذكرون بعد كل تصلية حديثاً نبوياً . أَو سجعة . فاعلم أَنه حدث في الدين ، وشرع لم يأْذن به الله . فلا تتعبد يا أَخي أَصلاً بكل ما لم يتعبد به محمد ، ﷺ وأَصحابه . ولا تلتفت إلى ما لم يخرج من فم رسول الله ، ﷺ وإلا فلست محباً له ولا متبعاً لما جاءَك به ، ولا مطيعاً لربك في قوله : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)[1] . وقوله : (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[2] . ولا تكونن آمناً من أَن يكون لك نصيب من الآية : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[3] . قال الإمام أَبو بكر ابن العربي ، في شرحه على الترمذي :

حذار حذار من أَن يلتفت أَحد إلى ما ذكره ابن أَبي زيد ، فيزيد في الصلاة على النبي ، عليه السلام ، وأَرْحُمِ محمد . . فإنه قريب من بدعة ، لأَن النبي ، عليه السلام ، علم الصلاة بالوحي ، فالزيادة

---

١ — سورة الحشر : ٧ .   ٢ — سورة الأعراف : ١٥٨ .

٣ — سورة النور : ٦٣ .

فيها استقصار له ، واستدراك عليه ، ولا يجوز أن يزاد على النبي عليه السلام حرف . ا هـ .

صيـــام رجـــب

قال الحافظ ابن حجر في كتابه : تبيين العجب بما ورد في فضل رجب : لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ، ولا في صيام شيءٍ منه معين ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه ، حديث صحيح يصلح للحجة . وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو اسماعيل الهروي الجاحظ ، وكذلك رويناه عن غيره . ولكن اشتهر أن أهل العلم يتسامحون في إيراد الأحاديث في الفضائل ، وإن كان فيها ضعف ، ما لم تكن موضوعة . وينبغي في ذلك اشتراط أن يعتقد العامل كون ذلك الحديث ضعيفاً ، وأن لا يشتهر ذلك لئلا يعمل المرءُ بحديث ضعيف ، فيشرِّع ما ليس بشرع ، أو يراه بعض الجهال فيظن أنه سنة صحيحة . وليحذر المرءُ من دخوله تحت قوله ، ﷺ: « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ[1] » . فكيف بمن عمل به ؟ ! ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام أو في الفضائل ، إذ لكل شرع . ثم بيَّن أن أمثل حديث يشعر بفضل صيام رجب هو حديث : « ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاس

١ – مسلم والترمذي .

عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ » . وساق أيضاً حديث الباهلية ، وهو ضعيف . ثم ساق الأحاديث الشديدة الضعف والموضوعة . ا . هـ .

وقال الإمام ابن القيم : ولم يصم ، ﷺ ، الثلاثة الأشهر سرداً كما يفعله بعض الناس ، ولا صام رجباً قط ، ولا استحب صيامه بل روي عنه النهي عن صيامه . رواه ابن ماجة[1] . ا . هـ .

ضلالة تجهيل البنات

يزعم كثير من الجهلة ، الذين تنقصهم الثقافة الإسلامية الصحيحة ، أن الإسلام لم ينصف المرأة ، ولم يراع حقوقها الإنسانية وأنه وقف حجر عثرة في طريقها ، فمنعها من طلب العلم والتزود بنور المعرفة ! ! ! .

ورداً على هذه الفرية الكاذبة ، نسوق بعض النصوص الشريفة التي تبين مدى احترام الإسلام للمرأة ، وكيف صانها وحفظ لها كرامتها ، وأمر بتعليمها ونصرها ، بعكس ما يتوهمه أعداءُ الإسلام الذين يعتمدون على الأحاديث الموضوعة .

يقول الله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[2] . وقوله تعالى : (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

١ — السنن والمبتدعات . ص ١٤١ — ١٤٢

٢ — سورة الزمـــر : ٩ .

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[١] .

تدلنا هذه الآيات على ما للمتعلم من فضل على غيره ، كما أَنها تطلب منا التزود بالعلم ونور المعرفة ، وفي هذا دعوة للذكور والإناث ولا فرق ، مصداقاً لقوله ، ﷺ: « النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ »[٢] .

وكما جاءَ في الحديث الذي أَخرجه أَبو داود - وهو حديث صحيح - يقول فيه النبي ، ﷺ، لإِحدى الصحابيات ، واسمها الشفاءُ : « أَلَا تُعَلِّمِينَ هٰذِهِ - يريد حفصة زوجته - رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الْكِتَابَةَ[٣] ؟ » .

كما وردت نصوص مستفيضة تحث على التربية الصحيحة وبيان فضلها ، وأَثرها الطيب على الآباءِ والأُمهات .

ومنها قول الحق ، عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً)[٤] . والوقاية من النار لا تكون إلا بالتعلم والتربية الصحيحة . وجاءَ في الحديث الشريف : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ

---

١ - سورة العلق : ٣ - ٥ .

٢ - رواه أبو داود والترمذي . وهو حديث صحيح .

٣ - رواه أبو داود . وهو حديث صحيح . خلافاً لما يشيعه أعداءُ الإسلام الذين غاية اعتمادهم على بعض الأحاديث الموضوعة . مثل : لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة . وكذلك : دفن البنات من المكرمات .

٤ - سورة التحريم : ٦ .

صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ »[1] . وقـال ﷺ: « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ » . وضم أصابعه[2] . وقـال : « نِعْمَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ حَيَاؤُهُنَّ فِي أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ »[3] .

إن التعليم الذي يريده الإسلام لأبنائه وبناته ، هو ما كان منسجماً مع حقيقة هذا الدين ، ووفقاً لطبيعة آدابه وأخلاقه الفاضلة . خصوصاً والحديث يتعلق بالمرأة التي هي نصف المجتمع ، واللبنة الأُولى في بنائه المكين .

وقد فطن المستشرقون إلى أهمية المرأة ودورها الرائد في الحياة الإنسانية ، فعملوا بكل ما وسعهم العمل لتمييع هذا الدور وإبعاده عن المسار الصحيح في التربية ، وإخراج الجيل الصالح لوطنه وأُمته.

جاء في كتاب : الغارة على العالم الإسلامي : وينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا تبشيرهم للمسلمين ضعيفاً ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين - ويقصدون بذلك فلسفتهم ونظرياتهم الإباحية الأخلاقية وتحرير النساء[4] .

وهكذا بدأ المبشرون دورهم المشبوه في الدعوة إلى العلم وتحرير

---

١ ـ رواه مسلم .
٢ ـ رواه مسلم .
٣ ـ رواه البخاري .
٤ ـ الغارة على العالم الإسلامي ص ٤٧ .

المرأة وتعليمها العلوم . هذا هو دورهم في مؤتمراتهم التبشيرية وهو : إخراج الأُمة عن دينها .

قال المستشرق جب : إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني[1] ... ونحن نقول ، ومن خلال وقائع هذه الحياة المشهودة : إن مدرسة البنات في بيروت ليست الوحيدة التي نالت رضى وإعجاب الغربيين وأَهل التبشير والاستشراق منهم ، بل لهذه المدرسة أَشباه ونظائر متناثرة هنا وهناك في أَقطار العالم الإِسلامي .

قال الزعيم الوطني مصطفى كامل ، رداً على كتاب : المرأة الجديدة : أَما تعليم النساءِ المسلمات فقد أَصبح من المسائل الحيوية للإِسلام والمسلمين ، ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراءِ في خطة مدنية الغرب ، كان معولاً لهدم أَركان الإِسلام ، وفأْساً لفتح القبور لأَبنائه ودسِّهم فيها وهم أَحياءٌ[2] .

١ – المرجع السابق ص ٢٤٠ وما بعدها . ٢ – المرجع السابق ص ٤٠ .

٣ – وهكذا يظهر لنا جلياً أن الجهل معول هدم وتخريب ، وسهم قاتل يصيب الأُمة في مقتلها ، مادام ذلك يتعلق بنصف المجتمع الذي تمثله المرأَة .
وقد علمنا أَن أَحد خطباءِ المساجد قد أَغلق مدرسة إناث في قرية ، ظناً منه بصحة حديث نسب إلى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، زوراً وبهتاناً ، وفي هذا أَكبر دليل على ما للأَحاديث الضعيفة والموضوعة من أَثر سلبي هدام في صفوف الأُمة ، لذا فليحذر المسلم مغبة الاستسلام والانقياد لمثل هذه الأَحاديث الموضوعة ، لقوله تعالى : (فاسألوا أَهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) . وقول رسوله ، صلى الله علية وسلم : « من كذب علي عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . انظر سلسلة الأَحاديث الضعيفة والموضوعة وتحفة العروس ، والغارة على العالم الإسلامي . تأليف شاتليه . ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي .

قال أَحمد شوقي رحمه الله :

الأُم مدرســة إذا أَعددتها أَعددت شعباً طيب الأَعراق

من لي بتربية النساءِ فإِنها في الشرق علة ذلك الإِخفاق

تدميم الاظفار وإطالتها

تسربت عادة تدميم الأَظفار وإطالتها إلى ديار المسلمين من بلاد الغرب الكافر ، فأَقبل عليها أَبناءُ الأُمة وبناتها ، فاتخذوها شعاراً لهم .

وملخص ذلك قيام النساءِ بإِطالة أَظفارهن ، وطلائها بمادة لزجة ؛ وهي صبغ أَحمــر تعرف بـ [منيكور] (١) . ومن المؤسف والمحزن حقاً أَن كثيراً من أَبناءِ المسلمين أَخذوا يتشبهون بالنساءِ في هيئاتهم وملابسهم وعاداتهم ، فأَطالوا أَظافرهم وأَرسلوا شعورهم وارتدوا ملابس غريبة عجيبة ، حتى أَصبحنا غير قادرين على التمييز بين الذكر والأُنثى ، وفي هذا تعدّ ومخالفة لتعاليم الإِسلام الحنيف التي نهت وحذرت من ذلك ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا به .

جاءَ في الحديث : « لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ، ﷺ ، الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » (٢) .

---

١ ـ انظر « آداب الزفاف » . ص ١٦ .

٢ ـ رواه البخــاري والترمذي وغيرهما .

أَقول : فإِن هذا مع ما فيه من تغيير لخلق الله ، المستلزم لعن فاعله - كما ورد في الحديث السابق - ومن التشبه بالكافرات المنهي عنه في أَحاديث كثيرة ، التي منها قوله ، ﷺ: « ... وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[1] . فإِنــه أَيضاً مخالف للفطرة (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)[2] .

وقد قــال ﷺ : « الْفِطْرَةُ خَمْسٌ : الاخْتِتَانُ ، وَالاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ ، وَنَتْفُ الإِبْطِ »[3] .

عطلة يومي السبت والاحد

من المؤسف أَن أَبناءَ المسلمين انساقوا في تيار الغرب الكافر فقلدوهم في كل أَمر حتى في أَعيادهم ، فتراهم يغلقون متاجرهم يومي السبت والأَحد تشبهاً بالكتابيين ، وفي هذا مخالفة صريحة لتعاليم الإِسلام الحنيف ، والهدي النبوي الشريف .

وقد ثبت أَن الرسول ، ﷺ ، قصد إلى صوم يومي السبت والأَحد ليخالف الكتابيين في جعلهما يومي عيد ، لأَن صوم اليوم يبعده من أَن يكون عيداً .

فإِغلاق المسلم محل عمله في يومي السبت أَو الأَحد يناقض قصد

---

١ - رواه أَبو داود وأَحمد والطحاوي بسند صحيح .

٢ - سورة الروم : ٣٠ .

٣ - متفق عليه .

الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، في صوم هـذين اليومين[1] لأَن إغلاق محلات التجارة وعدم العمل في هذين اليومين من شأْنه الاعتقاد أَن ذلك اليوم حقيق بأَن يتخذ عيداً .

استبدال التاريخ الهجري بالتاريخ الافرنجي

تعتز الأُمم والشعوب بأَمجاداها الغابرة ، وحضارتها التليدة كما تحتفظ لنفسها بتخليد هذه الأَمجاد بالتاريخ لها ، فهذه أُمة الإسلام واحدة من تلك الأُمم التي تحتفظ بتاريخها الخاص بها الذي وضع حجر أَساسه سيدنا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

والتاريخ الهجري هو ذكرى علو كعب الإسلام وظهوره ، فعلى أَبنائه المخلصين له والغيورين عليه أَن يؤرخوا به رسائلهم ، وحوادث يومهم ووقائع حياتهم ، للحفاظ على شخصيتهم المستقلة ، لتتميز من بين الأُمم فكراً وحضارة وتاريخاً . ولست أَدري والله ما الذي يحملنا على التقيد بالتاريخ الأَفرنجي - الميلادي - ونحن نملك في حضارتنا الإسلامية تاريخاً له تقويمه الخاص ووسائله الخاصة عمل به أَسلافنا خلفاً عن سلف ، فلا أَقل من استعمال هذا التاريخ وابتعاثه ، والحث على التقيد به ودعوة الآخرين لنشره .

١ - راجع : رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر الحسين .

بـــدعــــة العلمـــانيـــة

العلمانية : هي مذهب أوروبي مناهض للدين ، برز في القرن الميلادي الماضي ، وسرت عدواه وسمومه إلى بلاد الإسلام . وهي تعتمد على واقع الحواس والتحرر من عقائد الغيب ، كما هي دعوة صريحة لمحاربة العقائد والأديان .

ومن المعلوم أن المجرم مصطفى كمال أتاتورك - قاتله الله - هو الذي ألغى نظام الحكم الإسلامي في دولة الخلافة الإسلامية واستبدل به بدعة العلمانية الضالة ، تنفيذاً للمخططات الاستعمارية المعادية للإســلام والمسلمين .

يـــــوم عاشــــــوراء

وقعت بدع كثيرة في هذا اليوم ومن أشهرها : أن بعض الناس قد اتخذه عيداً ، كما اتخذه الروافض يوم حزن ، وأقاموا فيه المآتم لكون الحسين قتــل فيه[1] . ومن السنة في هذا اليوم الصيام فحسب باتفاق العلماء .

إقامة التماثيل وتبادل الأوسمة والنياشين

غزت ديار الإسلام ضلالات الغرب ومفاسده . ومنها : إقامة

---

١ - للاستزادة راجع كتاب « الابداع في مضار الابتداع » وهو كتاب قيم نافع . أنصح المسلم باقتنائه ومطالعته .

الأَضرحة والتماثيل للزعماء والقادة والشيوخ تأْليهاً وتعظيماً وتخليداً لهم ، تشبهاً بالفرنجة . وكذلك تبادل الأَوسمة والنياشين والتهاني والتعازي بين حكام المسلمين وقادة الكفرة الغربيين . وفي هذا تشبه بأَعداءِ الله ، وتقليد لهم وخروج على الآداب الإِسلامية الرائـــدة .

بـــــدع وضـــلالات دخيلـــــة

ما أَكثر الذين يصرعهم جهلهم وشهواتهم ، فيقلدون غيرهم بغير علم ولا هدى ، اتباعاً للهوى وجرياً وراءَ العادة ، وما كان ذلك أَن يكون لولا غفلة الإِسلام ، وجهل الناس المطبق الذي يعيشون في ظلماته .

فعادت الجاهلية وسخافاتها التي أَنكرها الشارع الحكيم ، وأَمر أَتباعه بتركها لمعارضتها للفطرة السليمة ، ومجافاتها لروح الإِسلام وهناك بدع وضلالات لازالت رائجة وشائعة بين صنوف الأُمة يقبلون عليها ويتمسكون بها ، وكأَنها من القرب التي يتقرب بها إِلى الله .

وفي هذه العجالة سيقف القاريءُ الكريم على بعض البدع والضلالات المستوردة ، التي عمت وطمت ديار المسلمين . آملاً أَن يعمل المسلمون أَفراداً وجماعات على محاربتها وإِنكارها ، ضمن

الإمكانيات المتاحة والوسائل الممكنة ، حتى يعود لمجتمعنا الإسلامي وجهه المشرق ، وتعود للمسلم شخصيته وكرامته . وبهذا نخلص أُمتنا مما علق بها من رواسب الجاهلية ولوثاتها ، كما نقضي على مفاسد الغرب وضلالاته الدخيلة ... وفيما يلي بعض هذه البدع والضلالات :

بالرفاء والبنين : هذه الضلالة الشائنة شاعت في عصر الجاهلية وهي تهنئة جاهلية موروثة ، ورثها أَبناءُ المسلمين وأَصبحت شعاراً ودعاءً يقدمونه أَثناءَ تقديم تبريكاتهم وتهانيهم بالزواج ، كما كانت تفعل الجاهلية ، ومرد ذلك جهلهم لتعاليم دينهم الحنيف .

وقد ورد النهي والتحذير منها في عدة أَحاديث شريفة منها : عن الحسن أَن عقيل بن أَبي طالب تزوج امرأَة من جشم ، فدخل عليه القوم فقالوا : بالرفاءِ والبنين . فقال : **لا** تفعلوا ذلك . فإِن رسول الله ، ﷺ ، نهى عن ذلك . قالوا : فما نقول يا أَبا زيد ؟ . قال : قولوا : بارك الله لكم وبارك عليكم . إِنا كذلك كنا نؤمر[1] .

بدعة حلق الشارب : لقد خرج كثير من الناس على تعاليم الدين وتمردوا على الفطرة ، فحاربوا السنن ، وتاجروا بالبدع

١ – رواه ابن أَبي شيبة والنسائي وابن ماجة وأَحمد والبيهقي . وهو قوي ، راجع آداب الزفاف ص ٩٠ .

والضلال ، وقد كانت بدعة حلق الشارب واحدة من هذه المحظورات التي وقع فيها كثير من المنتسبين لهذه الأُمة . جاءَ في الحديث الشريف: « انْهَكُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا عَنِ اللِّحَىٰ » . رواه الشيخان وغيرهما .

فالمراد بهذا الحديث المبالغة في قص ما طال على الشفة من الشارب ، لا حلْـق الشارب كله . فإِنه خلاف السنة العملية[1] الثابتة عنه ، ﷺ. ولهذا لما سئل الإمام مالك عمن يحفي شاربه . قال : أرى أَن يوجع ضرباً . وقال لمن يحلق شاربه : هذه بدعة ظهرت في الناس[2] .

وكذلك ورد النهي بمخالفة الكفار وعدم التشبه بهم . قال رسول الله ، ﷺ: « جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَارْخُوا اللِّحَىٰ وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ »[3] كما ورد النهي بعدم التشبه بالنساءِ ولعن من فعل ذلك .

جاءَ في الحديث : « لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ، ﷺ ، الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، والْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ »[4] .

ولا يخفى أَن في حلق الرجل لحيته ، التي ميزه الله بها على المرأَة ، أَكبر تشبه بها . ويعجبني ما ذكره الشيخ ناصر الدين الأَلباني في كتابه[5] : ولا تغتر أَيهـا الأَخ بكثرة المبتلين بهذه

---

١ ــ ورد عن الأئمة الأربعة ، رحمهم الله ، تحريم حلق اللحية . وجمهرة المسلمين في هذا العصر على خلاف هذا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ ــ البيهقي . جـ ١ ص ١٥١ . انظر آداب الزفاف . ص ١٢٠ .

٣ ــ رواه مسلم وغيره .

٤ ــ رواه البخاري وغيره .

٥ ــ آداب الزفاف . حواشي ١٢٢ ــ ١٢٣ .

المخالفة ، وإن كان فيهم بعض من ينتسبون إلى العلم ، فإن العلم الذي لا يثمر العمل بما جاءَ عن رسول الله ، ﷺ ، من الهدى والنور فالجهل خير منه ، لا سيما إذا استغل هذا العلم في سبيل تأْويل النصوص الصريحة ، وردها تبعاً للهوى وجرياً مع التيار . بمثل قول بعضهم : إن إعفاءَ اللحية ليس من أُمور الدين بل من شؤون الدنيا التي يخير فيها المسلم . يقولون هذا وهم يعلمون أَن إعفاءَ اللحية من الفطرة ، كما قال ، ﷺ ، على ما رواه مسلم وغيره . والفطرة لا تقبل التغيير شرعاً ، كما قال عز وجل : (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[١] . اللهم إليك المشتكى ، فهذا حالنا لا يخفى عليك يا مقلب القلوب ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

خــاتم الخطبة ـ دبلة الخطوبة ـ : تنتشر عادة استعمال خاتم الخطبة أَو ما يسمى بـ ـ دبلة الخطوبة ـ بين أَبناءِ المسلمين ، وكثيراً ما كنت أَنهى هؤلاءِ المبتلين بهذه المصيبة . مبيناً بالحجج والبراهين مخالفتهم وخروجهم على هدي الإسلام . وكانوا يتعللون بتعلات واهية ، كأَن يقول بعضهم : أَنا أَعمل في عمل تشارك فيه النساءُ[٢]

١ ـ سورة الروم : ٣٠ .

٢ ـ إنه من المؤسف حقاً أَن يتجاهل هذا الغبي المغرور وأَمثاله ـ المفتونون بالتقليد ـ موقف الإسلام الصريح الواضح من الاختلاط بين الجنسين ، فقد حارب هذه الإباحة وحذر منها ونهى عنها ، في العمل وغيره ، درءاً للمفاسد المترتبة على ذلك وحسماً للفتنة (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

وأَحتفظ بهذا الخاتم لعدم الإِحراج والمضايقة ، لأَن الخاتم هو علامة فارقة ومميزة للدلالة على الارتباط بشريك الحياة .

ومن جهة ثانية ، فإِن من هؤلاءِ من كان ينتحل أَعذاراً مفتعلة عندما أُبادره بالنصيحة ، لترك عادة استعمال خاتم الذهب أَو - دبلة الخطوبة - التي يعتزون بها ويفاخرون .

ومن هذه التبريرات المزعومة مثلاً : إِذا حدث له سرقة أَو ضاعت نقوده في بلاد أَجنبية ، فباستطاعته أَن يبيع خاتمه ويسد به حاجته ... أَلخ .

يقول الشيخ ناصر الدين الأَلباني في كتـــابه القيم[1] : لبس بعض الرجال خـــاتم الذهب الذي يسمونه خـــاتم الخطبة . فهذا مع ما فيه من تقليد للكفار أَيضاً - لأَن هذه العادة سرت إِليهم من النصارى[2] - ففيه مخالفة صريحة ، تحرم خاتم الذهب على الرجال وعلى النساءِ أَيضاً كما ستعلمه . وإِليك بعض هذه النصوص :

(١) نهى رسول الله ، ﷺ ، عن خاتم الذهب . رواه الشيخان وغيرهم .

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَن رسول الله ، ﷺ ، رأَى

---

١ - آداب الزفاف ص ١٢٣ وما بعدها .

٢ - يرجع ذلك إلى عادة قديمة عندما كان العريس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول : باسم الآب . ثم ينقله واضعاً لـــه على رأس السبابة ويقول : باسم الإبن . ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول : وباسم روح القدس . وعندما يقول : آمين . يضعه أخيراً على البنصر حيث يستقر .

خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحه وقال : « يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلَهَا فِي يَدِهِ » . فقيل للرجل بعد أن ذهب رسول الله ، ﷺ ، : خذ خاتمك وانتفع به . قال : لا والله . لا آخذه أبداً ، وقد طرحه رسول الله ، ﷺ ، رواه مسلم وغيره .

(٣) وجاءَ في الحديث : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحَلِّقَ جَبِينَهُ بِحَلَقٍ مِنْ نَارٍ فَلْيُحَلِّقْهُ حَلَقَةً مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَوِّقَ جَبِينَهُ طَوْقاً مِنْ نَارٍ فَلْيُطَوِّقْهُ طَوْقاً مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَوِّرَ جَبِينَهُ سِوَاراً مِنْ نَارٍ فَلْيُطَوِّقْهُ طَوْقـاً . وفي رواية : سِوَاراً مِنْ ذَهَبٍ . وَلَٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْفِضَّةِ ، فَالْعَبُوا بِهَا الْعَبُوا بِهَا الْعَبُوا بِهَا »[١] .

(٤) وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبِسْ حَرِيراً وَلَا ذَهَباً »[٢] .

(٥) وقال عليه السلام : « مَنْ لَبِسَ الذَّهَبَ مِنْ أُمَّتِي فَمَاتَ وَهُوَ يَلْبَسُهُ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ ذَهَبَ الْجَنَّةِ »[٣] .

---

١ ــ رواه أحمد وأبو داود وسنده جيد . انظر آداب الزفاف . ص ١٣٢ ــ ١٣٣ .

٢ ــ رواه أحمد بسند حسن .

٣ ــ رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا بسند صحيح . انظر آداب الزفاف . ص ١٢٩ ــ ١٣١ .

مكاتبة الأولياء ومراسلتهم

ومن البدع السيئة ما يصنعه العامة من تقديم عرائض الشكوى وإلقائها داخل الضرائح والقبور ، كضريح السيد البدوي والسيدة زينب وغيرهما ، زاعمين أن صاحب الضريح يفصل فيها ، وربما كان المطلوب إلحاق الأذى بمسلم أو مسلمة . فعلى العلماء أن يبينوا لهؤلاء الجاهلين أحكام شرع الله ، ومنازل أصحاب الضرائح عنده وإلى من ينبغي أن ترفع هذه الشكاوى .

الطواف بالجنازة حول الأضرحة

إن الطواف بالجنازة حول الأضرحة بدعة قبيحة منكرة ، وعمل لا يقره الشرع ، وكذلك تزيين النعش بأفخر الثياب ، حيث يضعون عليه أعلام الحرير ، وساعات الذهب ، والرياحين والأوسمة والنياشين ، إن كان من أهلها في دنياه ، وحلي المرأة وطربوش الرجل وكل هذا ليس من السنة ، ولم يؤثر عن السلف شيءٌ منه ، مع ما فيه من إضاعة المال وإظهار الجزع أو الرياء .

الجهر بالذكر وقراءة القرآن عند تشييع الجنازة

كثرت البدع التي يروج لها الدعاة المنحرفون ، وخاصة في تشييع الجنائز ، حيث الجهر بالذكر وقراءة القرآن ، ورفع

الأَصوات واصطحاب الآلات الموسيقية ، مما يفقد الجنازة العبرة والحكمة أَثناءَ تشييعها . وقد أَجمعت الأُمة الإِسلامية على كراهية ذلك ، لأَنه مخالف للهدي النبوي في تشييع الجنائز .

والواجب في مثل هذه الأَحوال السكوت ، وجمع الفكر للتأَمل في الموت ، وعدم رفع الصوت بشيءٍ ، وترك كل مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

ولا بأْس بالاستغفار للميت بدون جهر شديد . فقد ورد أَن النبي ، ﷺ ، قال ، حين دفن سعد : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ » .

كما ورد استحضار الخشوع والصمت عند ترحيل الميت وعلى المشيع أَن يتذكر عاقبة أَمره في هذه الحيـــاة العاجلة .

قال رسول الله ، ﷺ: « إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ الصَّمْتَ عِنْدَ ثَلَاثٍ : عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرآنِ ، وَعِنْدَ الزَّحْفِ ، وَعِنْدَ الْجَنَازَةِ »[2] .

قال في الفتاوى الهندية ما ملخصه : وعلى متبعي الجنازة الصمت ويكره لهم تحريماً رفع الصوت بالذكر وقراءَة القرآن . فمن أَراد أَن يذكر الله فليذكره في نفسه[3] .

---

١ – نقلا عن كتاب « الابداع في مضار الابتداع » بتصرف .
٢ – رواه الطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم .
٣ – الابداع في مضار الابتداع .

كذبة نيسان

ومن قبيل الأَوهام والخرافات التي عمل بها المسلمون ، وكأَنها شعار جاءَت به الرسالات المقدسة ، كذبة نيسان الدسيسة .

وتفصيل أَمر هذه الخرافة ؛ أَنه في منتصف القرن السادس عشر أَقدمت فرنسا فأَبدلت تقويمها وجعلت رأْس السنة أَول يناير ، بدلاً من إبريل - نيسان - حيث كان أَول يوم من إبريل مخصصاً للمعايدة والمهاداة . فلما أُبدل رأْس السنة ، صار الناس يتمازحون بالهدايا الكاذبة يوم أَول إبريل - نيسان - وصار الكذب فيه عادة مأْلوفة لا غبار عليها ، بل مستحبة من ذلك الحين . هذا أَصح ما قيل في سببها[1] .

لقد راجت هذه الفرية المستوردة - كذبة نيسان - بين أَبناء المسلمين فأَقبلوا عليها ، وانخدعوا بها ، وانتشرت بين جماهيرهم حتى أَصبحت وكأَنها جزءٌ من تقاليدهم المتوارثة .

لقد آثرت الوقوف عند هذه الدسيسة لسبر أَغوارها ، وبيان مفاسدها ، ومردودها السيء على عقائد المسلمين .

درجت العادة في مجتمعنا الإسلامي بتكرار كذبة نيسان سنوياً مع العلم أَن هذه الكذبة الدخيلة جريمة بشعة ، وإثم ومعصية لا يقرها الإسلام ، ولا يقبل بها عاقل .

١ - الإبداع في مضار الابتداع . ص ٤٥٦ . بتصرف .

ولنتصور بشاعة هذه الكذبة المستوردة ونتائج افتعالها ، إذا ما أقدم بعض المخدوعين ، الذين يلقون الكلام على عواهنه دونما تبصر ، باشاعة هذه الفرية في موسمها المعتاد[1] ، حيث يفاجيءُ ذلك المغفل بعض معارفه بإعلامه - تلفونياً أو برقياً - سواءٌ كان في الداخل أو الخارج - مغترباً - كأن يقول له مثلاً : إن والديك أو أسرتك قد لاقوا حتفهم - كذباً - نتيجة تدهور سيارة أو حريق شب في المنزل .

فما هي نتيجة هذه الكذبة وصداها لدى المرسل إليه ؟. الذي فوجيءَ بهذا النبإِ المفجع - وهو في الحقيقة عار عن الصحة - يا ترى ؟ ! !

سيكون الجواب على هذا التساؤل ، وبكل بساطة : أَن الذي يتلقى مثل هذا الخبر المفاجيءِ قد يصعق له ، أَو يغمى عليه أَو يصاب باضطراب لا تحمد عقباه على أَسوا تقدير .

ومن جهة أُخرى سيترتب على ذلك نفقات جسيمة ، يتحملها المرسل إليه من أَجل الحضور إلى البلد ، إن كان مغترباً . وهناك سيفاجأُ أَيضاً بمفاجأَة أُخرى فريدة ، عندما يتحقق عدم صحة ذلك

١ - هو أول نيسان - إبريل - وإذا سئل صاحب هذه الكذبة ، لم تفتري على الله الكذب ؟ يكون جوابه : ألا تدري أن هذا هو أول نيسان ، وأن الكذب فيه مغفور لمرتكبه .

الخبر المزعوم ، كما يترتب على ذلك نتائج سيئة لا يعلمها إلا الله .

هذه بعض سلبيات هذه الكذبة المشؤومة ، التي راجت في ديار الإسلام ، والتي يظن كثير من المسلمين أنها أمر عادي ، لا تستحق أي اهتمام ، وليست بكذبة أو افتراء ، بل مغفورة لمرتكبها ، سيما إذا كانت إشاعتها في وقتها المتعارف عليه ، كما هو الحال لدى الغربيين أصحاب الضلال والإلحاد . والكذب عندهم لا يوزن بميزان . وكما قيل : ما لجرح بميت إيـلام .

وبالجملة إن إشاعة الكذب في صفوف المجتمع أمر لا يجوز التهاون فيه . ولقد وضع الإسلام الحنيف حداً لكل مخالف لأمر الله ، أو متعدّ على حدود الشرع . والرسول ، ﷺ، يقول :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ »(١) .

لقد جعل الله ، سبحانه ، الصدق فضيلة والكذب رذيلة . فالعجب من أقوام اتخذوا الكذب منهاجاً ، وتنكبوا طريق الحق والصدق ، وانجرفوا في تيار الغرب وفساده . يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(٢) .

١ — رواه الترمذي وقال : حديث حسن . ٢ — سورة التوبة : ١١٩ .

وقال رسول الله ، ﷺ: « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً . وإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً »[1] .

كما قال ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَـانَ »[2] .

وبعد : إننا معشر المسلمين أَصحاب رسالة ودعوة حق ، وقادة للبشرية ، فَلا يليق بنا أَن نتهافت على بضاعة الغرب وتقاليده ونصفق بعد أَن نحتضن كذبه وإِلحاده ونفاقه ، ونتمسك بفساده الذي مجته عقلاؤه وعلماؤه ومفكروه ، وإِنها لمأْساة فظيعة أَلمت بنا بعد أَن هجرنا كتاب الله وسنة رسوله ، وأَصبحنا ذيولاً للغرب وغيره . أَلسنا مسلمين ؟ وأَتباع رسول الإِسلام ؟ ! لماذا ينتشر الكذب اليوم بيننا في صور شتى وأَلوان متعددة ، وكأَنه خلق حسن ، لا رذيلة تسقط الكرامة وتجر المحن ؟ ! .

إِن دور أُمة الإِسلام محاربة اللوثات ، والفساد والانحراف المستورد من الغرب الإِباحي ، الذي شوَّه بمفاسده معالم الإِسلام .

---

١ ، ٢ – متفـق عليـه .

كتب الموسيقى الدينية

لازال الصراع محتدماً بين الحق والباطل ، ولن ينتهي ما دام الليل والنهار ، فأَعداءُ الإِسلام منتشرون هنا وهناك ، حيث يشنون غاراتهم ، ويبثون سمومهم وأَحقادهم من خلال كتبهم المشوهة ومقالاتهم المضللة ، فضلاً عن استغلال الوسائل الإعلامية وغيرها لتشويه حقائق الإسلام ، وتشكيك المسلمين في عقائدهم وحضارتهم الرائدة .

نضرب فيما يلي مثالاً للقارىء ، كما جرى مع الشيخ أَبي الوفاء المراغي ، حينما زاره بعض الأَجانب . ولندع فضيلته يحدثنا في ذلك حينما يقول[١] :

سأَلني زائر أَجنبي ، أَثناء زيارته للمكتبة الأَزهرية وتقصي فنونها ، هل عندكم بالمكتبة كتب للموسيقى الدينية[٢] ؟ ويقصد بالموسيقى الدينية ؛ الموسيقى التي تصاحب بعض الشعائر في الأَديان الأُخرى . فدهشت لهذا السؤال ، وكدت أَتهم الزائر في تفكيره

١ – لقد كان الشيخ أَبو الوفا المراغي – رحمه الله – مديرا للمكتبة الأزهرية أَثناء الزيارة التي قام بها ذلك الأَجنبي . والذي كان لسؤاله الطريف ما يبكي ويضحك في آن واحد .

٢ – راجع تجربة التربية الإسلامية . ص ٩٧ . والبحث منقول من مجلة الأزهر ج ٣ سنة ١٣٧٣ هـ .

وثقافته ، وعجبت أَن تكون هناك موسيقى إسلامية وتخفى عليّ وأَنا من علماءِ الدين الإسلامي . وقلت له : ليس عندنا كتب من هذا النوع ، وليس هناك موسيقى دينية إسلامية ، كما يوجد في بعض الأَديان الأُخرى ، لأَن الإسلام يكره أَن يشغل المتعبد نفسه بما يفرق قلبه ، وأَن يشغل جوارحه عن تمام التوجه إلى الله ، والإقبال عليه واستحضار جلاله وعظمته ، ولهذا كره للمصلي أَن يغمض عينيه ، أَو يلتفت يميناً أَو يساراً ، أَو يفرقع أَصابعه ، أَو يعبث بثوبه وبدنه ، أَو يتشمم طيباً ، أَو يستمع إلى موسيقى ، ونحو ذلك مما يشغل البال ويخل بالخشوع . والموسيقى التي تشير إليها تناهض روح الإسلام ، وتناقض تعاليمه ، فلا يجيزها الإسلام ، ولا يترخص فيها أَثناءَ الصلاة .

شغلني سؤال الزائر ، وأَخذت أُعمل الفكر ، وأَبحث عماأَوحى إليه به ، حتى عثرت عليه ، وبدا لي وجه العذر فيه ، فهناك بعض الطوائف[1] الإسلامية تقوم بنوبات الذكر على توقيع الموسيقى

١ – لعل شيخنا المرحوم المراغي يقصد بهذه الطوائف فرق الأهواء والمبتدعة ، ودعاة التصوف وغيرهم من الفرق الضالة ، الذين اتخذوا لهم تشريعات ونظريات من وحي إبليس ، وبذلك انفردوا بعبادات مستحدثة وغير شرعية . كما أنهم جاؤوا بأذكار وأوراد مبتدعة وألصقوها بالدين ، بعد أن ضالوا بها الكثيرين من عوام المسلمين . والمعروف أن الطرق الصوفية هي التي تتمسك بهذه الأذكار الشركية ، التي يتلونها على توقيع نغمات الموسيقى والدفوف ، وغير ذلك من الحركات البهلوانية =

بطريقة تثير دهش الفنانين وإعجابهم ، ويحرص كثير من السائحين على مشاهدتها . . . ومن هنا كان مبعث الظن في أن للإسلام موسيقى دينية ، وأن لها كتباً تدرس إلى جانب العلوم الدينية ليمكن أداءُ العبادات على وجهها الكامل[1] .

وبعد : فيا أيها القاريءُ الكريم ، لقد اطلعت على ما أُلصق بالدين مما ليس منه ، فهذه لعمري بعض مخلفات أصحاب الهوى والابتداع ، والطرق النارية المحسوبة على أُمة الإسلام ، علماً أن الإسلام الحنيف يناقض كل دعاوى الباطل وافتراءات المبطلين والمنحرفين وأشباههم .

إن هؤلاء أجسام غريبة ، جعلوا من أعمالهم الفاسدة وانحرافاتهم وضلالهم المكشوف ، معاول هدم وأدوات تخريب في قلب أُمة الإسلام ، كما أصبح المسلمون هدفاً يرمى ، ومغمزاً للغامزين في أعين الأعداءِ ، وأُضحوكة ومهزلة للتفكه والتندر على أَلسنة الموتورين في كل مكان .

= التي جاءَ الإسلام حرباً عليها . ومما يحزن ويزيد القلب أسىً أن هذه الفئات محسوبة على الإسلام ، وهي في الحقيقة أجسام غريبة شوهت معالم الإسلام وجعلته صورة مشوهة وشبحاً بلا روح في أعين الأعداء ، فتلك لعمري مأساة شنيعة أظلمت لسوادها حضارة الإسلام الرائدة . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

١ ــ انظر : تجربة التربية الإسلامية . ص ٩٦ ــ ٩٧ .

وصفوة القول : إن أَقنعة الهدامين والدساسين ساقطة لا محالة أَمام أَصحاب الحق ، ولكن لابد للحق من قوة تدعمه وتؤيده لتصرع الباطل وأَهله ، كما يجب كشف مظاهر الابتداع ومروّجيه وتسليط الأَضواءِ عليها ، لمنعها من الانتشار وبكل الوسائل الممكنة وإغلاق منافذ التيارات العقائدية الفاسدة ، والدعوات الهدامة كدعوة المستشرقين والمبشرين وأَتباعهم .

ومن المعلوم أَن الذي لا يتحرج مما حرم الله ونهى عنه رسوله يسهل عليه الانفلات من كل قيد ، والخيانة في كل عهد . لقد نشطت قوى متعددة تعمل ضمن إطار ومخطط مرسوم ، وبتواطؤ من الأَعداءِ التقليديين وغيرهم ، كالمبتدعة وأَهل الضلال ، الذين يجب أَن يطهر المجتمع من شرورهم ، ليسود الحق وتطيب الحياة وتسلم العقائد . والله المستعان وهو الكفيل بأَعدائه .

ضلالة تقديس الحجة ـ الوقوف أثناء الأكل ـ البشعة

ومن البدع والأَوهام المنتشرة في بعض بلاد المسلمين ، وخاصة في فلسطين ، بدعة تقديس الحجة . تلك البدعة التي يتمسك بها كثير من عوام المسلمين ، وأَتباع الطرق الصوفية وأَشباههم ، الذين يعتقدون أَن الحاج إذا ما أَدى فريضة الحج فإن حجته تبقى ناقصة حتى يقدسها ، ولا يتم تقديسها إلا بزيارة المسجد الأَقصى المبارك.

إن هذه البدعة - تقديس الحجة - ضلالة سيئة من ابتكار إبليس ، وحصلت بسبب الجهل بأحكام الإسلام وهدي رسول الله الذي بعثه الله لهداية الناس ، وإنقاذهم من ضلالهم ... وقد علّمنا ، ﷺ ، كيف نؤدي مناسك الحج ، وكيف تتم مناسك هذه الفريضة ، حيث قال ، عليه الصلاة والسلام : « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » .

وهكذا فقد راجت هذه الخرافة بين الناس ، وأصبحت ذائعة على ألسنتهم ، وكأنها وردت بها النصوص الشرعية ، علماً بأن العوام اعتقدوا بأن الحجة تكون ناقصة إذا لم تقدس بزيارة الأقصى مصداق قولهم : حجة بلا تقديس .

فعلى المسلمين التمسك بالكتاب والسنة ، ومحاربة الفسقة المبتدعة ، وفي هذا سعادتهم في الدنيا وفي الآخرة .

ومن الأوهام والعادات المستوردة ، عادة الوقوف أثناء الأكل هذه العادة التي استوردها المسلمون من الغرب ، حيث يوضع الطعام على طاولة أو أي مكان مرتفع ، ويلتف الناس حولها لتناول طعامهم وهم وقوف ، وفي هذا مخالفة للآداب الإسلامية . وفي الحديث : « أَمَّا أَنَا فَلا آكُلُ مُتَّكِئاً »[1] .

١ - رواه الجماعة إلا مسلماً والنسائي . « نيل الأوطار » ج ٧ ص ١٨١ ، وكان ، صلى الله عليه وسلم ، ربما جثا للأكل على ركبتيه ، وجلس على ظهر قدميه . وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى . أخرجه أبوداود « الإحياء ج ٢ ص ٤ » . وكذلك فقد صح عنه ، عليه السلام ، أنه نهى عن الشرب قائماً ، وكان هديه المعتاد الشرب قاعداً . « زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٩ » .

أَما موضوع خرافة الْبَشْعَةِ ، التي يتمسك بها كثير من عوام المسلمين ، وخاصة في فلسطين والأَردن ؛ حيث يعمد الناس إلى بعض الرجال والشيوخ – من البدو – ليحلوا لهم مشكلاتهم ، وخاصة في مسائل السرقة ، وارتكاب الجرائم – القتل والزنا – مثلاً .

وطريقة حل تلك المشاكل ، التي يتوصل بها لمعرفة الجاني – المتهم – فهي :

أَن يقوم ذلك الشيخ – المتخصص في هذه الأُمور – بوضع المحماصة[1] على النار حتى تحمرّ ، وبعد ذلك يؤتى بالمتهم فيضع لسانه على آنية المعدن – المحماصة – فإن لحقه أَذى أَو ضرر بلسانه ، تثبت عليه التهمة وتقع عليه الجريمة ، وإذا لم يتأَثر لسانه ولم يلحق به ضرر ، يكون المتهم بريئاً ، حيث تبرأُ ساحته من تلك التهمة .

وهكذا يعتقد أَصحاب هذه الأَوهام في مثل هذه الخرافة ، التي لا يقبل بها عاقل . وما ذلك إلا من إفراط الجهل ، وسيطرة الخرافة على العقول .

١ – المحماصة : هي وعاء معدني يشبه المقلاة ، يستعمل عادة لتحميص القهوة .

بدعة الرياضة والفنون في مدارس الاناث

ومن العادات والبدع المستوردة من بلاد الغرب ـ صاحب الحضارة العفنة ، وموئل الرذيلة ومستودع الجريمة ـ ما سنته وباركته وزارات التربية والتعليم في حكومات دول العرب والإسلام من برامج الرياضة والموسيقى والفنون ، وغيرها من الحصص والمواد الفنية في مدارس الإناث ، التي أَصبحت تمارس كحصص تعليمية ، ومواد مقررة في المناهج التعليمية ، جنباً إلى جنب مع باقي الدروس الأُخرى ، وما ذلك إلا اقتداءً وأُسوة بمدارس الغرب ، صاحب حضارة جاهلية القرن العشرين .

ومن المؤسف حقاً أَن تطبق هذه البرامج والتعليمات في مدارس البنات ، اللواتي سيصبحن بعد أَيام أُمهات أَجيال الغد القادمة الذين سيحملون مسئوولية قيادة أُمتهم في العالمين .

إن عملية تدريب البنات على أَعمال الرياضة ، تناط بمعلمات متدربات في دورات خاصة ، حيث تقوم هذه المعلمات ـ المدربات ـ بتدريب البنات ـ الطالبات ـ على التمارين الرياضية وباقي الفنون الأُخرى كالموسيقى والرقص .

إن المعلمات اللواتي يقمن بأَداء هذه التمارين والتدريبات يكنَّ في حالة مزرية . وعلى هذا الغرار يقمن بأَداء تلك التمارين ، وكما

تعلمنها من معلماتهن ، وهن في ملابس خاصة بالرياضة - كاسيات عاريات - لا تستر الجسم ، بل هي أَزياءٌ من تصميم ووحي إبليس .

إن المدرِّبة - المعلمة - تؤدي تلك التمارين والحركات وهي في ملابسها الفاضحة ، والعياذ بالله من ذكرها ! وتكون شبه عارية وتظهر معالم الجسد بوضوح ، وكأَن إحداهن - المدرِّبة - من اللواتي وقع عليهن الاختيار لتكون من المرشحات للحصول على لقب ملكة جمال العـالم ! .

والله إني لأَعلم أن الهدف ليس برياضة ، أَو تعليم فن أَو رقص أَو موسيقى ... ولكن وراءَ ذلك هدف أَكبر ، وهو خلق جيل مستهتر بقيمه ، ضائع في حياته هائم على وجهه ، كحال مجتمعات أَوروبا وأَمريكا الفاسدة ، تلك المجتمعات التي تجمع الشباب المتحلل خلقياً ، وهو في حد ذاته شبيه بمجتمع البهائم ، لأَن الحرية عندهم هي الإِباحة . ومعنى الإِباحة : الخروج من دائرة الضبط والمراقبة والهيمنة . فهم كالأَنعام بل هم أَضل سبيلاً .

إن ما تقوم به المعلمة - المدرِّبة - وما يكون عليه حال الفتيات والطالبات أَثناءَ درس الرياضة ، وغيره من الفنون الدخيلة ، يخجل اللسان عن ذكرها ، لما فيها من فساد للأَخلاق وإهدار للقيم ، التي هي رأْس مال المسلمة .

وبالجملة ، هل نساءُ المسلمين وبناتهم العفيفات بحاجة إلى تلك الفنون والرياضة الفاضحة ؟ . لا شك أَنها الأَوبئة والأَمراض الفتاكة ، التي قوضت معالم الغرب وقيمه ، إن صادف وكان عنده بقية من قيم .

وهاهي الآن سخافات الغرب تطبق في ديار الإسلام ، ليلحق أَبنـــاءُ المسلمين وبناته بقافلة الغربيين الضائعين[1] ... وتلك مصيبة عظمى بدأَت بشائرها تؤتي أُكلها بعد أَن وجدت الأَرض الخصبة .

إن رياضة المرأَة المسلمة ليست كذلك ، بل هي في تقواها لله ورعاية زوجها وتربية أَبنائها تربية إسلامية صحيحة . إن التعليم المختلط هو أَيضاً آفة خطرة ، غزت مدارسنا وكافة المؤسسات ؛ في المصنع والمتجر والنادي ومكاتب البوليس . فضلاً عما تنشره وسائل الإِعلام من مفاسد وما يعرضه التلفزيون من أَجسام عارية ، ومناظر ساقطة مخزية يترفع القلم عن ذكرها .

١ — من المؤسف أَن تكون دعوة الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر معطلة ومهجورة فعلى أَبناءِ الأُمة أَن يطالبوا القادة والحكام بإلغاء حصص الفنون والرياضة النسوية المقررة في المعاهد ، لمجافاتها روح الإسلام . واستبدالها بحصص دينية تغطي ما يفتقر إليه منهاج التربية الإسلامية ، لتتخرج الفتاة المسلمة وهي متحصنة بإسلامها مؤمنة بربها حافظة لأَمانتها . وصدق الرسول القائل : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . من حديث صحيح متفق عليه .

لا شك أَن كثيراً من عادات الغرب وتقاليده قد استوردها المسلمون وتمسكوا بها ، كالذي يشاهد في التعليم المختلط والرحلات الكشفية والمسابح وغيرها من مرافق الحياة .

إن صيانة المجتمع وحفظه من المفاسد وكافة المغريات ، تقع على كاهل أَبناءِ المسلمين الغيورين على دينهم ومقدرات أُمتهم فلابد من الوقوف في وجه الباطل وتقويضه لإعلاءِ كلمة الحق ولكن الشكوى ستكون لله في يوم تتقلب فيه القلوب والأَبصار .

أَعود لأُذكر أَبناءَ الأُمة ، تلك الأُمة التي أَراد الله لها أَن تكون خير أُمة أُخرجت للناس ، أَنه لابد من تخليص هذه الأُمة من الطغيان العارم ، والبغي الظالم ، حتى يعود للأُمة الإسلامية وجهها المشرق وجبينها الوضاءُ ، لتقوم بتبعاتها على الوجه الأَكمل ، والرسول ﷺ ، يقول : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »[1] .

والله غالب على أَمره ولكن أَكثر الناس لا يعلمون .

---

١ – رواه مسلم .

التسمـي بالأسمـاء الأجنبيـة

لقد حذرنا ديننا الحنيف من التشبه بالكفار وغيرهم من أُمم الأَرض ، وجعل لنا من ديننا ما فيه عبرة لأُولي الأَلباب .

شاع في هذا العصر إِطلاق الأَسماءِ الأَجنبية على أَبناءِ المسلمين وبناتهم ، وأَماكن تواجدهم . كما أَن كثيراً من تقاليد الغرب وعاداته ، التي استوردها المسلمون ، وتشبثوا بها ، تشبهاً بالغربيين وتخلقاً بأَخلاقهم ، أَصبحت طابعاً مميزاً لأَبناءِ جلدتنا ، انسياقا وراءَ حضارة الغرب الزائفة .

إِن رسول الإِسلام ، ﷺ ، قد نهى أُمته عن التشبه بالكفرة وغيرهم من الأُمم ، فقال : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[١] .

ومن المؤسف أَن نرى كثيراً من المسلمين قد انجروا وراءَ الغرب مقلدين ، حتى في الأَسماءِ والتسميات الأَجنبية التي أُطلقت على الأَبناءِ والبنات ، نجد منها مثلاً : نهرو ، شبيلوف ، رومل غاندي ، للذكور . و : ناريمان ، كترينا ، شهناز ايزابيلا ، ونسرين للإِناث .

أَلا ترى أَن الرسول ، ﷺ ، الذي أَرسله الله معلماً للبشرية ومرشداً وهادياً للعالمين ، قال : « أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ اللهِ عَبْدُ اللهِ

١ — رواه أَبو داود وابن حبان . وصححه عن ابن عمر ، رضي الله عنهما .

وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ »(١) .

فالأَولى بك أَيها المسلم أَن تقتدي برسولك ومرشدك ، حيث نجاحك وفلاحك بالاقتداءِ والتأَسي بمن أُرسل رحمة للعالمين .

ومن المشاهد في ديار المسلمين ، أَن المسلم إذا ما سار في إحدى مدن المسلمين ، يجد نفسه وكأَنه في بلاد الفرنجة ، حيث يقع بصره على أَسماءٍ أَجنبية ، فيرى مثلاً يافطات - آرمات - قد علقت على أَبواب المحلات التجارية وقد كتب عليها : محلات كازابلانكا ، معرض موسكو ، وفندق هيلتون ، وشارع رمسيس ومطعم الكرنك . . . الخ .

ولسائل أَن يقول : لماذا أَقبل أَبناءُ لغة الضاد على استخدام هذه الأَسماءِ الأَجنبية المستوردة ؟ ! .

ولعل الجواب على هذا التساؤل : أَن يكون بعض المسلمين المخدوعين قد انخدع بأُولئك القادة أَو العظماءِ الذين عرفهم التاريخ فأَطلق اسم ذلك القائد أَو الزعيم على ابنه تفاؤلا وتيمناً ، آملاً أَن يلمع ويبرز ابنه كهؤلاءِ الذين خلدهم التاريخ ! .

قد يكون مع هؤلاءِ الحق في استيراد هذه الأَسماءِ اللامعة المحدثة ، لنفاذ الأَسماءِ من قواميس العربية مما اضطرهم إلى سد

---

٢ - رواه مسلم وأَبو داود وغيرهما .

حاجتهم من تلك الأَسماءِ البارزة ـ الأُسطورية ـ تيمناً وتشبهاً ! . أَو أَن تكون قد ضاقت لغة الضاد عن كلمة أَو اسم يؤدي المعنى المقصود ! .

قل لي بربك أَيها القاريءُ ـ كيف يسوغ لعاقل ينتسب إلى الإِسلام ، ومن أَحفاد عمر وأُسامة ، وعبد الرحمن الداخل ـ صقر قريش ـ فيقدم على التسمي بالأَسماءِ الأَجنبية ؟ أَلا يوجد في تاريخهم الطويل ، الحافل بالبطولات الخالدة ، التي لازالت مناراً للعالمين من يفاخر بهم بين الأَنام؟ . قل لهؤلاءِ : أَلم يسمعوا بعلي بن أَبي طالب ، وحمزة والزبير وخالد بن الوليد ، والمعتصم وصلاح الدين وشيخ الإِسلام ابن تيمية ، وغيرهم من عظماءِ الإِسلام الخالدين ؟ . ومن المؤمنات الخالدات اللواتي حفظ التاريخ مآثرهن ، أَمثال السيدة عائشة أُم المؤمنين وأَختها أَسماءَ والخنساءِ وأُم عمارة وغيرهن ؟

فيا من كنت من أَتباع محمد ، عليه الصلاة والسلام ، عليك بالتمسك بما كان عليه سلفك الصالح ، فهم القدوة ، وفي منهجهم وعلى دربهم تتحقق سعادتك في الدارين[1] .

---

١ ـ إن من المفارقات العجيبة أن الأجانب لم يتسموا بأسماء عربية أو إسلامية ، بل نجدهم يحافظون على أَسماء عظمائهم ، ويقتدون بأبطالهم ويتأسون بسيرهم . ومن باب أولى فنحن معشر المسلمين أَحق بهذا منهم . فليكن تأسينا بأَسماءِ عظمائنا الأبرار . (إن في ذلك لعبرة وما يتذكر إلا أولو الألبــاب) .

علينا جميعاً أن نتخلق بأَخلاق ديننا ، وأَن نتحلى ونتمسك بسنة نبينا ، ونحافظ على تقاليدنا وعاداتنا ، ولنهجر حضارة الغرب الفاسدة ، وكل تقاليده وشعاراته التي تخالف تعاليم الإِسلام الحنيف .

شركــات التــأمــين

ومن الضلالات الفاسدة والبدع الشائعة ، التي غزت ديارنا وراج سوقها في هذا العصر ، ضلالة التأْمين ، التي أَلبسها مروِّجوها ودعاتها أثواباً براقة خادعة ، فانخدعت بها جماهير المسلمين ، رغم مخالفتها لشرع الله المبين .

ومما تقوم به شركات التأْمين ـ المبتدعة ـ التي يلجأُ إليها بعض المنتسبين إلى هذا الدين ، حيث يتعاقد هذان الطرفان ـ شركات التأْمين والأَطراف المتعاقدة معها ـ حيث تتم اتفاقيات عقود التأْمين مع العملاءِ الذين يؤمِّنون على مصانعهم ، أَو طائراتهم أَو سياراتهم أَو تجارتهم أَو على الحياة ، وبموجب العقد المبرم بين الطرفين يدفع الطرف المؤمِّن الأَقساط السنوية أَو الشهرية لشركات التأْمين حسب نصوص الاتفاقية المبرمة .

وهكذا تبرم العقود مع شركات التأْمين ضد الحوادث الطارئة التي قد تتعرض لها الممتلكات أو البضائع ، التي تم التأْمين عليها .

وإذا ما تعرضت سيارة أَو طائرة أَو محل تجاري أَو باخرة أَو حياة إنسان لحادث الغرق أَو الحريق أَو الهلاك مثلاً ، فإِن شركة التأْمين تقوم بدفع المال اللازم ، والمتفق عليه ، تعويضاً لتلك الجهة التي لحقها الضرر نتيجة الحادث .

ومن جهة ثانية ، إذا لم يلحق ضرر بتلك السلعة أَو السيارة - المادة المؤمَّن عليها - فإِن الأَموال المدفوعة لشركات التأْمين تصبح كلها من حقها ، ولا يسترد أَو يستعيد الطرف المؤمِّن منها شيئاً .

وهكذا ترتكب المفاسد ، وتضيع الحقوق باسم التأْمين ، الذي هو من تلبيس الشياطين ، من جراءِ هذه المفسدة ، التي استوردها المسلمون من بلاد الفرنجة ، والتي تناقض شرع الله ومصالح الأُمة وحقوقها .

وغاية ما يقال في مثل هذا الواقع المرير ، أَن الغرم أَو الغبن قد يلحق ببعض الأَطراف ، كما قد يكون الغنم نصيباً للبعض الآخر وعلى حساب غيره وبدون حق . علماً أَن الشرع الحنيف ، الذي فيه خيريْ الدنيا والآخرة قد حرم على المسلم التعامل بمثل هذه العقود الربوية ، والاتفاقيات الشيطانية . فعلى أُمة الإسلام أَن تراجع

حساباتها مع الدساسين والمنحرفين ، وأن تكون على علم وبصيرة بكل عمل فاسد يقترفه الجناة والمضللون والمنحرفون ، الذين انخدعوا بضلال الغرب وفساده ، وبالتالي فهم يحرفون الحقائق ويهدرون القيم ، ويشوهون معالم الحياة . فيجب أن نكون على حذر من هؤلاءِ الراكضين وراءَ الشعارات الساقطة ، تمويهاً وتضليلاً لغيرهم ، وما ذلك إلا تقليد فاسد وارتماءٌ في أحضان الغرب ووحله الذي لفظته كل العقول والقيم السامية .

أُريد أَن يفهم المسلم أَن الشركات الدعيَّة - شركات التأْمين - جارية على استغلال أموالها في أَعمال محرمة ، وهي باب من أَبواب الطرق الربوية المحرمة . والإِسلام حرم على أَتباعه التعامل في كافة الأَعمال الربوية ، لأَنها تنافي الدين الذي هو حرب على المفاسد كما جاءَ لسد كافة الذرائع ، التي قد يشتمُّ منها رائحة الضياع والانزلاق ، أَو الخروج من دائرة الإِسلام العادل .

ومن المعلوم أَن الإِسلام قد تكفل بتأْمين حياة أَبنائه ، حيث وفر لهم سبل الرعاية والعناية ، ابتداءً من سن الطفولة وانتهاءً بسن الهرم والشيخوخة ، وتلك مزية فريدة في عالم العدالة ، التي تفتقر إليها شعوب الأَرض .

وقد ثبت عن الرسول ، ﷺ ، أَنه قال : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ »[1] .

---

١ - رواه أَحمد وابن ماجـة .

وهكذا فالمال الذي يجنيه الطرفان المتعاقدان على عقد التأمين ، ما هو إلا مال محرم غير مشروع وهو سحت ، فلا يجوز التعامل به والمشاركة فيه ، وكذلك موضوع التأمين على الحياة ، المعمول به في شركات التأمين الفاسدة ، فهو أيضاً مخالف لشريعة الإسلام وقد أعطى الإسلام للورثة تأميناً بعد الوفاة . وفي هذا يقول ﷺ : « أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً[1] فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ »[2] .

إن أُمة لا تحتفظ بشعارها وعاداتها وخلقها ، لابد أَن يتقوض بنيانها . فعلينا الحفاظ على تقاليد وشعارات أُمتنا الرائدة . إن الذي يجب أَن لا يغيب عن البال أَن سهم الغارمين وحصيلة الزكاة يمكن بهما تأمين حياة الأُسرة المسلمة ، بإعادة ما لحق بالمنكوب من خسارة ، وهذا منهاج سليم صالح لإنقاذ الناس من ذل الربا ونكبة الدنيا وعذاب الآخرة .

التحذير من مشاركة الكتابيين ومعاشرتهم

جاء في كتاب الإبداع في مضار الابتداع[3] : —

ومما ابتلي به المسلمون وفشا بين العامة والخاصة ، مشاركة أَهل

١ — أي أسرة وأولاداً قاصرين . ٢ — رواه الشيخان .
٣ — ص ٢٨٣ — ٢٨٤ . بتصرف .

الكتاب من اليهود والنصارى في كثير من مواسمهم ، كاستحسان كثير من عوائدهم .

وقد كان ، ﷺ ، يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم حتى قالت اليهود : إن محمداً يريد أن لا يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه . قال ، ﷺ: « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[1] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ: « إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ » . والمراد أنهم كانوا لا يخضبون شعر اللحية والرأس الأبيض ، بصفرة أو حمرة ، مثلاً : « فَخَالِفُوهُمْ وَاخْتَضِبُوا بِأَيِّ لَوْنٍ مَا عَدَا السَّوَادَ فَإِنَّهُ مَكْرُوهٌ إِلَّا فِي الْجِهَادِ » .

وقال : « لَا تَعَلَّمُوا رَطَانَةَ الْأَعَاجِمِ وَلَا تَدْخُلُوا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي كَنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ فَإِنَّ السَّخَطَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ »[2] .

والرطانة بفتح الراء وكسرها : الكلام بالأعجمية . تقول رطن له . من باب كتب .

وعن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : اجتنبوا أعداءَ الله في عيدهم . فانظر هذا مع ما يقع من الناس اليوم من العناية بأعيادهم

١ ــ رواه أبو داود من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما .
٢ ــ رواه البيهقي بإسناد صحيح عن عمر ، رضي الله عنه .

وعاداتهم ، فتراهم يتركون أعمالهم من الصناعات والتجارة والاشتغال بالعلم ، في تلك المواسم ، ويتخذونها أيام فرح وراحة يوسعون فيها على أهليهم ويلبسون أجمل الثياب ، ويصبغون فيها البيْض لأولادهم ، كما يصنع أهل الكتاب من اليهود والنصارى . فهذا وما شاكله مصداق قول النبي ، ﷺ، في الحديث الصحيح : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ » . قلنا : يا رسول الله . اليهود والنصارى ؟ قال : « فَمَنْ غَيْرُهُمْ ؟ »[1] .

وناهيك ما يكون من الناس ؛ من البدع والمنكرات والخروج عن حدود الدين والآداب في يوم شمِّ النسيم ، وما أدراك ما شم النسيم؟ هو عادة ابتدعها أهل الأوثان لتقديس بعض الأيام ، تفاؤلاً به أو تزلفاً لما كانوا يعبدون من دون الله . ويا ليتها كانت سنة محمودة فيكون لمسنّها أجر من عمل بها . ولكنها ضلال في الآداب والأخلاق . وعلى من يريد السلامة في دينه وعرضه أن يحتجب في بيته في ذلك اليوم المشؤوم ، وأمثاله من الأيام المبتدعة ، التي يكثر فيها الفساد ويعم البلاءُ ، لاسيما إذا كان ذلك في مواسم الكفار والفسقة ، لأنه لا يجوز مشاركة أعداءِ الله – كاليهود والنصارى – في مواسمهم وأعيادهم وكافة شؤونهم .

٤ – رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه .

عدم مشاركة المشركين في أعيادهم

روى البيهقي بإسناد صحيح ؛ في باب كراهية الدخول على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم ، والتشبه بهم يوم نيروزهم ومهرجانهم :

عن سفيان الثوري ، عن ثور بن يزيد ، عن عطاء بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : لا تعلَّموا رطانة الأَعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ، فإن السخط ينزل عليهم[1] . فهذا عمر قد نهى عن محاكاة لكنتهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم . فكيف من يفعل بعض أَفعالهم ؟ أَو قصد ما هو من مقتضيات دينهم ؟ . أَليست موافقتهم في العمل أَعظم من موافقتهم في اللغة ؟ أَو ليس عملنا بعض أَعمال عيدهم أَعظم من مجرد الدخول عليهم في معابدهم ؟ وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم ، فمن يشركهم في العمل أَو بعضه أَليس قد تعرض لعقوبة ذلك ؟ ! ! .

ثم قوله : اجتنبوا أَعداءَ الله في عيدهم . أَليس نهياً عن لقائهم والاجتماع بهم فيه ؟ فكيف بمن عمل عيدهم ؟

وقال ابن عمر في كلام له : من صنع نيروزهم ومهرجانهم

١ ــ الفتاوى الكبرى . جـ ٢ ص ٩٩ ، وما بعدها .

وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم .

وقال عمر : اجتنبوا أعداءَ الله في عيدهم .

ونص الإمام أحمد على أنه : لا يجوز شهود أعياد اليهود والنصارى . واحتج بقول الله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)[1]. قال : الشعانين . وأعيادهم : هو عيد النصارى في أول أحد في صومهم . ولا يعاونون في شيءٍ من عيدهم ، لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم .

وروي الإمام أحمد بإسناد صحيح ، عن أبي موسى قال : قلت لعمر : إن لي كاتباً نصرانياً . قال مالك : قال : قاتلك الله . أما سمعت الله تعالى يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)[2]. ألا اتخذت حنيفياً ؟ . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، لي كتابته وله دينه . قال : لا أُكرمُهم إذ أهانهم الله ، ولا أُعزّهم إذْ أذلهم الله ، ولا أُدنيهم إذْ أقصاهم الله.

أما تعلم لغة الأجانب فلا بأس به ، إذا كان القصد منه أمن مكرهم وأخذ الحذر منهم . وكذلك التحدث بلغتهم عند الحاجة القصوى ؛ كاستخدامهم لمصالح المسلمين وما شابه ذلك .

---

١ ــ سورة الفرقان : ٧٢ . ٢ ــ سورة المــائدة : ٥١ .

عدم مؤاكلة الكتابيين أو مهاداتهم

جاءَ في المدخل : سئل مالك ، رحمه الله ، عن مؤاكلة النصراني في إناءٍ واحد ؟ . قال : تركه أَحب إلي . ولا يصادق نصرانياً ؟ قال ابن رشد ، رحمه الله : الوجه في كراهة مصادقة النصراني بيِّن لأَن الله عز وجل يقول : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ)[1] .

فواجب على كل مسلم أَن يبغض في الله من يكفر به ويجعل معه إلٰهاً غيره . فهي تكره من هذا الوجه ، وإِن علمت طهارة يده[2] .

ومن العتبية قال أَشهب : قيل لمالك . أَترى بأْساً أَن يهدي الرجل لجاره النصراني مكافأَة له على هدية أَهداها إليه ؟ . قال : ما يعجبني ذلك . قال الله ، عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)[3] .

قال ابن رشد رحمه الله : قوله مكافأَة له على هدية أَهداها إِليه . إذ لا ينبغي له أَن يقبل منه هدية ، لأَن المقصود من الهدايا التودد ، لقول النبي ، ﷺ : « تَهَادُوا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ » . فإِن أَخطأَ وقبل منه هديته ، وفاتت عنده ، فالأَحسن أَن يكافئه

١ — سورة المجادلة : ٢٢ . ٢ — المدخل : جـ ٢ ص ٤٩ .

٣ — سورة الممتحنة : ١ .

عليها ، حتى لا يكون له فضل عليه في معروف صنعه[1] .

ومن مختصر الواضحة : سئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التي يركب فيها النصارى لأعيادهم ، فكره ذلك مخافة نزول السخط عليهم ، لكفرهم الذي اجتمعوا له . قال : وكره ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى النصراني في عيده مكافأة له ، ورآه من تعظيم عيده وعوناً له على مصلحة كفره . ألا ترى أنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئاً لمصلحة عيدهم ؟ . لا لحماً ولا إداماً ولا ثوباً ولا يعارون دابة ، ولا يعانون على شيءٍ من دينهم . لأن ذلك من التعظيم لشركهم وعونهم على كفرهم .

وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك . وهو قول مالك وغيره .. لم أعلم أحداً اختلف في ذلك . ا هـ[2]

على المسلم الغيور على دينه أن يبتعد عن معاشرة الكتابيين والكفرة ، وأن لا يتشبَّه بعاداتهم - في المأْكل والمشرب والملبس - كما أنه لا يجوز مشاركتهم في أفراحهم وأعيادهم وجنائزهم ، أو تقديم التعازي ، أو تبادل بطاقات التهاني في مواسمهم المختلفة .

ومن المؤسف أن ينساق أبناءُ المسلمين في هذا العصر ، وخاصة أصحاب المتاجر والمطعومات والملبوسات ، في تيار الأجنبي ، بحيث

---

١ - المدخل : ص ٤٨ - ٤٩ .   ٢ - المدخل : جـ ٢ ص ٤٩ .

يسهرون لياليهم الطويلة في إعداد مبيعاتهم ، انتظاراً لأَعياد النصارى ومواسمهم ، لترويج بضائعهم وسلعهم في أَعيادهم . وفي هذا إعانة للمشركين على شركهم ، وارتكاب للمحرمات التي نهى عنها الشارع الحكيم .

ومن البدع السيئة والمنكرة أَيضاً تخصص بعض المسلمين لتقديم مستلزمات النصارى في أَعيادهم ومواسمهم ، حيث يعمد هؤلاءِ المتخصصون بافتتاح محلاتهم لبيع هذه اللوازم في مثل هذه المواسم ، وخاصة في فلسطين ، حيث يفد السياح الأَجانب والزوار المسيحيون – على حد زعمهم – إلى الديار المقدسة .

وكما هو معتاد ، فإن هؤلاءِ السياح – والزوار – يقومون بشراءِ حاجياتهم من المصنوعات الشرقية ، التي اشتهرت بها مدينة بيت لحم ، وغيرها من مدن فلسطين . وأَهم هذه المشتريات : الصلبان والتحف وغيرها من المصنوعات والمنسوجات التي تتخصص بها تلك المتاجر ، ابيعها للأَجانب والزوار – النصارى – في أَعيادهم ومواسمهم . وبالإِضافة إلى هذا يقوم الباعة – من أَبناءِ المسلمين – بالتجول حول الكنائس والأَديرة أَثناءَ تواجد السياح والأَجانب – الغربيين – فيبيعونهم البضائع ، وبذلك يعينونهم على كفرهم وشركهم ، مما يناقض تعاليم الإِسلام الحنيف . والذي

أَرجوه أَن يكون المسلم فطناً يقظاً ، ليتدارك مغبّة المفاسد والعادات السيئة الموروثة ، وأَن يحاربهـا أَينما وجدت . وكما هو معلـوم فإن الدين هو النصيحة ، وقد نهانا رسولنا ، عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف الذي يجب أَلا ينساه المسلم ، بل عليه أَن يحفظه ، وأَن يكون لسان حاله دائماً ، وهو قوله : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »[1] .

الوضـع في الحـديث

قال ابن الجوزي : لما لم يمكّن الله أَحداً أَن يزيد في القرآن الكريم ، أَخذ أَقوام يزيدون في حديث رسول الله ، ﷺ ، ويضعون عليه ما لم يقل . فأَنشأَ الله علماءَ يذبُّون عن النقل ، ويوضحون الصحيح ، ويفضحون القبيح ، وما يخلي الله منهم عصراً من العصور غير أَنهم قلُّوا في هذا الزمان فصاروا أَعز من عنقاءَ مغرب .

وقد كانوا إذا عُدوا قليلاً   فقد صاروا أَقل من القليل[2]

قال سفيان الثوري : الملائكة حراس السماءِ ، وأَصحاب الحديث حراس الأَرض[3] .

---

١ ـ رواه مسلم وغيره .

٢ ، ٣ ـ تنزيه الشريعـة المرفوعـة .

وقال يزيد بن زريع : لكل دين فرسان ، وفرسان هذا الدين أَصحاب الأَسانيد[1] .

وذكر الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ : إن الرشيد أَخذ زنديقاً ليقتله فقال : أَين أَنت من أَلف حديث وضعتها ؟ . فقال : أَين أَنت يا عدو الله من أَبي اسحق الفزاري وابن المبارك يتخللانها فيخرجانها حرفاً حرفاً[2] ؟ .

الموضوع لغة : اسم مفعول من وضع الشيء يضعه - بالفتح - وضعاً : حطه وأَسقطه .

وقال الحافظ ابن دحية : الموضوع : الملصق . وضع فلان على فلان كذا : أَلصقه به .

واصطلاحاً : هو الحديث المختلق المصنوع . مأْخوذ من المعنى الأَول ، لأَن رتبته أَن يكون مطَّرحاً لا يستحق الرفع أَصلاً . أَو من المعنى الثاني ، لأَنه ملصق بالنبي ﷺ. وهو شر أَنواع الحديث[3] .

١ ، ٢ ، ٣ - تنزيه الشريعة المرفوعة .

ضرر القصص والقصاص

١ – عن أَبي قُلابة قال : ما أَمات العلم إلا القصَّاص .

٢ – وأَخرج السلفي عن طريق الفضل بن زياد قال : سمعت أَحمد بن حنبل يقول : أَكذب الناس . السُّؤَّال والقُصّاص[1] .

٣ – وأَخرج القبلي عن عاصم قال : كان أَبو عبد الرحمن يقول : اتقوا القُصَّاص الكاذبين ، وما جنوا من الافتراءِ على النبي ﷺ

قال حماد بن زايد : وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ ، اثني عشر أَلف حديث .

وقال المهدي : أَقرَّ عندي رجل من الزنادقة أَنه وضع – ٤٠٠ – حديث . فهي تجول في أَيدي الناس .

وأَخرج ابن عساكر عن الرشيد أَنه جيءَ إليه بزنديق فأَمر بقتله فقال : يا أَمير المؤمنين . أَين أَنت من أَربعة آلاف حديث وضعتها فيكم ، أُحرم فيها الحلال وأُحلّ فيها الحرام ؟ .

---

١ – ما أكثر الحراب والسهام التي صوبت في وجه أُمتنا – ولا تزال – فها هي جحافل الاستعمار وأدواته المختلفة ، وحركات الإلحاد والهدم والتبشير وغيرها ، تواصل شن غاراتها لإخراج هذه الأُمة عن دينها . لقد كان الوضع في الحديث واحدة من بين تلك الموجات المدمرة . فأرباب البدع والأهواءِ والضلالات والشعوبية والزنادقة ، يضاف إليهم الجهلة والوعاظ المرتزقة وطبقة المتملقين للزعماء والملوك ومنتحلو العلم للنفاق ، ومتعصبة المذاهب ، هؤلاءِ كانوا حجر الأَساس في وضع الحديث ، لزعزعة العقائد وتشويه معالم الإسلام .

وقال اسحق بن راهويه ، شيخ البخاري : أَحفظ أربعة آلاف حديث مزورة . قال البخاري : أَحفظ مائة أَلف حديث صحيح ومائتي أَلف حديث غير صحيح . والأَخبار في ذلك أَكثر من أَن تحصى[1] .

الأخطار الناجمة عن وضع الحديث

قال أَحد العلماءِ الفضلاءِ : الحديث الموضوع : هو المختلق المصنوع ، المنسوب إلى رسول الله ، ﷺ ، زوراً وبهتاناً . وهو أَشد خطراً على الدين ، وأَنكى ضرراً بالمسلمين من تعصب أَهل المشرقين والمغربين ، لأَنه يصرف الملة الحنيفية عن صراطها المستقيم ، ويقذف بها في غياهب الضلالات ، حتى ينكر الرجل أَخاه والولد أَباه وتصير الأُمة شعاعاً وتتفرق بدداً ، لالتباس الفضيلة وأُفول شمس الهداية ، وانشعاب الأَهواءِ وتباين الآراءِ .

وإن تفرُّق المسلمين إلى فرق متباغضة ومتقاتلة ، لهو أَثر قبيح من آثار الوضع في الدين . ولقد قام الحفاظ الثقات ، وكادوا يزهقون الروح بضبطهم الحديث حفظاً وكتابة وتلقيناً ، وميزوا الخبيث من الطيب ، وقشعوا سحب اللَّبس فتلألأ نور اليقين[2] .

---

١ ــ ومن أَراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب تحذير الخواص للسيوطي .

٢ ــ قواعد التحديث . ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

النذير الشديد بالعذاب لمن كذب على الرسول ﷺ

لقد ورد عدة أَحاديث تنذر بالعذاب الشديد لكل من يكذب على الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، أَو ينسب إِليه حديثاً أَو قولاً أَو فعلاً .

ومن أَمثلة هذه الأَحاديث . قوله ، عليه الصلاة والسلام : « . . وَإِنَّ كَذِباً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . رواه مسلم وغيره .

وقوله ، ﷺ ، أَيضاً : « اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عِلِمْتُمْ »[1] .

كما ورد في الحديث الصحيح قوله ، عليه الصلاة والسلام : « كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » . رواه الإِمام مسلم .

وقد كان من عواقب إِهمال علم الحديث أَيضاً ، تغطية جملة معالم الإِسلام بالأَحاديث الضعيفة والموضوعة ، وإِبعاد المسلمين عن دينهم الحق الصحيح . ومن بين هذه الأَحاديث الباطلة : اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ ! . وقد كان هذا الحديث من أَهم أَسباب الإِضرار بالمسلمين على اختلافهم وعدم رجوعهم إلى الكتاب والسنة .

---

١ – رواه الترمذي وأَحمد وغيرهما . وقد حققه شيخنا ، محدث الديار الشامية ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، وأشار إلى ضعفه . كما خرَّج – سلسلة الأَحاديث الضعيفة والموضوعة – وأوضح أَثرها السيء على الأُمة ، ولازال ينافح بلسانه وقلمه عن الإسلام ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً بما قدم ويقدم ، ونفع به أُمته في العالمين .

الاسـرائيليـات

معنى الاسرائيليات : لفظ الاسرائيليات جمع مفرده اسرائيلية . وهي قصة أو حادثة تروى من مصدر اسرائيلي . والنسبة فيها إلى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر[1] .

والمقصود من الاسرائيليات أو معناها الاصطلاحي ، كما قال بعض الباحثين المحدثين : هي اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام ، على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي ، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام ، أو تظاهرهم بالدخول فيه[2] .

آثار الاسرائيليات على عقائد المسلمين

لقد أثرت رواية الاسرائيليات تأثيراً سيئاً على الإسلام وعقائد أبنائه ، وتركت آثاراً بالغة يصعب حصرها . وذلك لأسباب كثيرة ، نجمل أهمها فيما يلي :

١ ـ فتحت لأعداء الله ـ من المبشرين والمستشرقين والملحدين ـ منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة الغراء ، وفي الرسول الكريم

١ ـ الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص ١٢

٢ ـ الآلوسي مفسراً لرسالة مخطوطة بجامعة القاهرة . نقلا عن الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . ص ٧٣ .

حامل لواءِ الإسلام . حيث اتخذ هؤلاءِ الأَعداءُ من الاسرائيليات الباطلة المبثوثة في كتب التفسير وغيرها ، دعامة لمنهجهم في البحث لتشويه سمعة الإسلام وأَهله ، والدس الرخيص على خاتمة الرسالات لينفر منها الناس .

٢ - استخف بعض كتَّاب الإسلام المعاصرين ، الذين لم يتسلحوا بمعرفة حقيقة الدين ، وحقيقة هذه المفاسد الدخيلة من تلك الروايات المدسوسة ، فنهجوا نهج الأَعداءِ - المستشرقين وأَشباههم - وغضوا من شأْن الإسلام ودستوره ، بناءً على ما تلقوه من بحوث المستشرقين وغيرهم ، تلك الأَبحاث الفاسدة التي بنيت على أَساس فاسد ، هو الطعن والتلفيق ومحاربة حقائق الإسلام الصحيح .

٣ - أَورد كثير ممن ليس من أَهل الحديث ، كثيراً من هذه الاسرائيليات في احتجاجاتهم ومناظراتهم وتآليفهم ، وهذا أَمر بالغ الخطورة على الدين وأَهله ، لأَن جمهور الناس وعامتهم تقبلوا هذه الاسرائيليات على أَنها صحيحة لا غبار عليها ، وأَذاعوها بين الناس مع أَن الكثير منها مدسوس على الإسلام مشوه له .

٤ - أَلحقت هذه الاسرائيليات بالتفسير الصحيح لآي الذكر الكريم والحديث الشريف زعزعة واضطراباً ، وكادت تودي بما في القرآن والسنة المطهرة من مبادىءَ وأَحكام ... ومن جهة

أُخرى فقد مزقت المسلمين شيعاً وأَحزاباً ، حيث دس اليهود عقائد مختلفة وأَحاديث موضوعة ، مما أَثار الجدل والخلاف والتفرقة بين صفوف المسلمين[1] ،حتى أَفقدهم مجدهم وعزتهم ، وأَصبحوا مطمعاً للغزاة وأُلعوبة مسخرة لخدمة الأَجنبي ، وتحقيق أَهداف مخططـات اعداءِ الدين .

والذي آمل أَن يعمل المسلمون على تحقيقه هو : تنبيه أَذهان المسلمين إِلى خطـر الاسرائيليات ، والرقابة على الأَئمة والخطباءِ والمتصوفة والقصاص وأَضرابهم[2] ، ممن تشيع عـلى أَلسنتهم الاسرائيليات ويذكرونها لاستمالة العامة . كما يجب أَن تفرض رقابة شديدة على الكتب التي تدرس في دور العلم ومعاهده ، وبخاصة كتب التفسير والوعظ والتصوف ، المليئة بالمغالطات من الاسرائيليات والروايات الفاسدة المدسوسة . كما يجب تـأْليف الكتب والرسائل لكشف أَعداءِ الإِسلام وتشويهاتهم ، وتطهير المكتبة الإِسلامية من الكتب الفاسدة .

---

١ ــ الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . ص ٤٢٨ ــ ٤٢٩ . باختصار .

٢ ــ المصدر السابق . ص ٤٣٩ ــ ٤٤٠ .

اتبـاع الآبـاء والشيوخ

لقد كان لاختلاف الناس في مشاربهم ، وتعدد ولاءاتهم وتفرق الأَحزاب والمذاهب وانبعاث موروثات الآباءِ ومخلفات الشيوخ ، كان له الأَثر البالغ في صدود الناس عن مواقع الحكمة والمحجة البيضاءِ ، حتى أَصبح الإِسلام غريباً . كل ذلك جرياً وراءَ العوائد واتباع الهوى ، وتعصباً للرأْي ، خلافاً لدعوة الحق وهدي الإِسلام .

يقول الإمام الشاطبي[1] : إن اتباع ما كان عليه الآباءُ والأَشياخ وأَشباه ذلك ، وهو التقليد المذموم ، فإِن الله ذم بذلك في كتابه[2] كقوله : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّة)[3] . الآيـة . ثم قـال : (قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)[4] . وقوله : (هَـلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)[5] .

---

١ — الاعتصام . جـ ٢ ص ١٨٠ — ١٨٢ .

٢ — قوله : فإن الله ذم بذلك في كتابه كقوله . كذا في الأصل . ولعل ذلك تحريف من الناسخ ، وربما كان الأصل : فإن الله ذم ذلك في كتابه بقوله . وعلى ذلك يستقيم ويظهر المعنى جلياً .

٣ ، ٤ — سورة الزخرف : ٢٣ — ٢٤ .

٥ — سورة الشعراء : ٧٢ — ٧٣ .

فنبههم على وجه الدليل الواضح ، فاستمسكوا بمجرد تقليد الآباءِ : (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ)[1] .

وهو مقتضى الحديث في قوله ، ﷺ: « اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً » ... فإنه يشير إلى الاستنان بالرجال كيف كان .

وفيما يروى عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : إياكم والاستنان بالرجال ، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ، ثم ينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيموت وهو من أهل الجنة . فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياءِ . فهو إشارة إلى الأخذ بالاحتياط في الدين .

وإن الإنسان لا ينبغي له أن يعتمد على عمل أحد البتة ، حتى يتثبت فيه ويسأل عن حكمه . إذ لعل المعتمَد على عمله يعمل على خلاف السنة . ولذلك قيل : لا تنظر إلى عمل العالِم . ولكن سله يصدقك .

وقالوا : ضعف الروية أن يكون رأى فلاناً يعمل فيعمل مثله ولعله فعله ساهياً . وليس من هذا القبيل عمل أهل المدينة ، وما أشبه

---

١ ــ سورة الشعراء : ٧٤ .

ذلك ، لأنه دليل ثابت عند جماعة من العلماء على وجه ليس مما نحن فيـــــه .

وقول علي ، رضي الله عنه : فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات . نكتة في الموضع . يعني الصحابة[1] ومن جرى مجراهم ممـــن يؤخذ بقوله ويعتمد على فتواه . وأما غيرهم ممن لم يحل ذلك المحل فلا . كأن يرى الإنسان رجلاً يحسن اعتقاده فيه ، فيفعل فعلاً محتملاً أن يكون مشروعاً أو غير مشروع ، فيقتدي به على الإطلاق ويعتمد عليه في التعبد ، ويجعله حجة في دين الله . فهذا هو الضلال بعينه ، ما لم يثبت بالسؤال والبحث عن حكم الفعل ممن هو أهل للفتـــوى .

وهذا الوجه هو الذي مـــال بـأكثر المتأخرين من عوام المتبدعة إذا اتفق أن ينضاف إلى شيخ جاهل ، أو لم يبلغ مبلغ العلماء ، فيراه يعمل عملاً فيظنه عبادة ، فيقتدي به كائناً ما كان ذلك العمل موافقاً للشرع أو مخالفاً ، ويحتج به على من يرشده . ويقول : كان الشيخ فلان من الأولياء وكان يفعله ... وهو أولى أن يُقتدى به من علماء الظاهر . فهو في الحقيقة راجع إلى تقليد من حسن ظنه فيه أخطأ أو أصاب ، كالذين قلدوا آباءهم سواءً . وإنما قصارى

١ — يعني بالأموات الذين يستن بسنتهم الصحابة ، ومن جرى مجراهم في الهوى ، له حكمهم . والظاهر أنه يريد جماعتهم لا أفرادهم .

هؤلاءِ أَن يقولوا : إِن آباءَنا وشيوخنا لم يكونوا ينتحلون مثل هذه الأُمور سدى . وما هي إِلا مقصودة بالدلائل والبراهين ، مع أَنهم يرون أَن لا دليل عليها ، ولا برهان يقود إِلى القول بها .

قال الشاطبي ، بعد أَن تكلم عن تحكيم أَهل البدع والأَهواءِ : فالحاصل مما تقدم أَن الرجال من غير التفات إِلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضُلاَّل . وما توفيقي إِلا بالله . وإِن الحجة القاطعة والحاكم الأَعلى هو الشرع لا غيره[1] .

وذكر ابن مزين عن عيسى بن دينار ، عن ابن القاسم عن مالك أَنه قال : ليس كل ما قال رجل قولاً ـ وإِن كان له فضل ـ يتبع عليه ، لقول الله عز وجل : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)[2] .

قال الشاطبي : إِذا ثبت أَن الحق هو المعتبر دون الرجال ، فالحق أَيضاً لا يعرف دون وسائطهم ، بل بهم يتوصل إِليه ، وهم الأَدلاءُ على طريقه[3] .

ثم قال الشاطبي : إِن هذا مذهب أَصحاب رسول الله ﷺ ، ومن رأَى سيرهم والنقل عنهم ، وطالع أَحوالهم علم ذلك علماً يقيناً .

---

١ ـ الاعتصام جـ ١ ص ٣٣٥ . ٢ ـ سورة الزمر : ١٨ .

٣ ـ الاعتصام جـ ٢ ص ٣٦٢ .

ألا ترى أَصحاب السقيفة لما تنازعوا في الإِمارة ، حتى قال بعض الأَنصار : منا أَمير ومنكم أَمير . فأَتى الخبر عن رسول الله ، ﷺ بأَن الأَئمة من قريش ، أَذعنوا لطاعة الله ورسوله ، ولم يعبؤوا برأْي من رأَى غير ذلك ، لعلمهم بأَن الحق هو المقدم على آراءِ الرجال ؟ .

أَما محصول مذهب أَهل التحسين والتقبيح والعقليين ، فهو تحكيم عقول الرجال دون الشرع ، وهو أَصل من الأَصول التي بنى عليها أَهل الابتداع في الدين ، بحيث أَن الشرع إن وافق آراءَهم قبلوه وإلا ردوه[1] . فتأَملوا يا أُولي الأَلباب ! ! . كيف حال الاعتقاد ؟ وقد أَصبح الدين حكراً على الرجال للوصول لغرض عاجل.

فهذا لعمري هو الضلال والشقاءُ والبلاءُ ، الذي من وقع في بحر ظلماته غرق وما نجا . وما بعد الهدى إلا العمى . فسبحان من طمس على قلوب أَعدائه من أَتباع الهوى ، وعبيد الشيطان الذين ضل سعيهم في الآخرة والأُولى . فتلك الضلالة الكبرى والعاقبة لمن اتقي .

---

١ ــ الاعتصام . جـ ٢ ص ٣٥٥ . بتصرف .

اتبــاع الهــوى

والهوى : يطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء . ثم استعمل في العمل المذموم والانحراف السيء . فيقال : اتبع هواه . وهو من أَهل الأَهواءِ .

وإنما وقع الذم على أَهل الأَهواءِ ، لأَنهم لم يأْخذوا الأَدلة الشرعية مأْخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصدروا عنها بل قدموا أَهواءهم واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا الأَدلة الشرعية منظوراً فيها وراءَ ذلك[1] .

قال الشاطبي : وأَكثر هؤلاءِ هم أَهل التحسين والتقبيح ، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم . ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم ، أَو طلباً للرياسة . فلابد أَن يميل مع الناس بهواهم ، ويتأَول عليهم فيما أَرادوا ، حسبما العلماءُ ونقلة الثقافة من مصاحبي السلاطين .

فالأَولون ردوا كثيراً من الأَحاديث الصحيحة بعقولهم ، وأَساؤوا الظن بما صح عن النبي ، ﷺ ، وحسنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة حتى ردوا كثيراً من أُمور الآخرة وأَحوالها ؛ من الصراط المستقيم وحشر الأَجساد والنعيم والعذاب الجسمي ، وأَنكروا رؤية الباري

---

١ — انظر كتاب « البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها » ص ٣٨٤ .

وأَشباه ذلك. بل صيروا العقل شارعاً ؛ جاءَ بالشرع أَولاً ، بل إِن جاءَ فهو كاشف لمقتضى ما حكم به العقل . إلى غير ذلك من الشناعات .

والأَصل في الأَحكام الشرعية أَن لا يؤخذ منها شيءٌ إلا عن الرسول ، ﷺ ، سواءٌ كان ذلك عن طريق القرآن أَو الحديث أَو الاجتهاد ، في حدود ما أَشار إِليه الرسول ، ﷺ ، عند عدم وجود نص محدد في الواقعة أَو موضوع البحث . وكل ما خالف ما جاءَ به الرسول ، ﷺ ، فقد خالف المنهج العلمي المقبول فيما يتصل بالتشريع .

وقد ذم سبحانه من يتبعون الهوى ، ويعرضون عن الحق الذي جاءَ به الشرع ، حيث تركوا سبيل الاستدلال الصحيح في كثير من الآيات . قال تعالى : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَىٰ الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ) . سورة النجم : ٢٣ .

تصف هذه الآية الكريمة من عبد غير الله ، وبدل شرعه اتباعاً للهوى ، وسيراً على ما يقتضيه .

قال تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ) . سورة الجاثية : ٢٣ .

وقال سبحانه في التحذير من اتباع الأَهواءِ وأَهلها : (ثُمَّ

جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1] .

وقال عز وجل ، عن رسوله ، ﷺ : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)[2] . فبرأه ، ﷺ ، من الوقوع في هذا السبب المؤدي إلى الابتداع ، ولو في لفظ واحد مما ينطق به . وجعل السبب الأكبر في عدم استجابة الكفار لدعوة الرسول ، ﷺ هو اتباع الهوى . فقال : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ) . سورة القصص : ٥٠ .

بل لقد جعل الله ، سبحانه وتعالى ، الهوى هو السبب في تلاعب المنافقين بالمؤمنين . قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) . سورة محمد : ١٦ .

ولا يقتصر ضلال من يتبع الهوى على نفسه ، إنه يتجاوز ذلك إلى إضلال غيره . يقول تعالى : (وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) . سورة الأنعام : ١١٩ .

ومن هنا كان التحذير من اتباع الهوى حتى للأنبياء[3] .

---

١ – سورة الجاثية : ١٨ .　　٢ – سورة النجم : ٣ ، ٤ .

٣ – البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها .

قال تعالى : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . سورة ص: ٢٦.
وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا)[1] .

قال الشاطبي : ولم يأْت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم . حكى ابن وهب عن طاوس أنه قال : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه . وقال : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ) . سورة القصص : ٥٠ .

وحكى أَيضاً عن عبد الرحمن بن مهدي : أَن رجلاً سأَل إبراهيم النخعي عن الأَهواءِ أَيها خير ؟ فقال : ما جعل الله في شيءٍ منها مثقال ذرة من خير ، وما هي إلا زينة الشيطان . وما الأَمر إلا الأَمر الأَول . يعني : ما كان عليه السلف الصالح .

وخرج عن الثوري أَن رجلاً أَتى إلى ابن عباس ، رضي الله عنهما ، فقال : أَنا على هواك . فقال له ابن عباس : الهوى كله ضلالة . أَي شيءٍ : أَنا على هواك ؟ .

والناظر في أَساس البدع وأَسبابها يجد الهوى محور ارتكازها

١ - سورة النساء : ١٣٥ .

ومصدر وجودها . لقد تمسكت كل فرقة من المبتدعة بنظرية معينة ، أَو فكرة خاصة ، ثم تصيدوا لها من الأَدلة ما يوافقها ويناسب منهاجها المنحرف ، ومعتقداتها الفاسدة . فالصوفية قد اصطادت لها من الأَدلة ما يعضدها وتستند عليها في سلوكها وتأْويلاتها ، وكذلك أَعضاءُ ومنتسبو الفرق والأَحزاب ، وأَتباع الزعماءِ وأَولياء عهد الاستعمار وغيره .

لقد تمسك هؤلاءِ بتلك الأَدلة دون نظر إلى غيرها من أَدلة الشرع ، وقد تكون تلك الفكرة قولاً من أَقوال الكافرين ، أَو نظرية ابتدعها خارج عن الدين أَو غير متدين ، وهي في نفسها قابلة للزيف والخطإِ ولم يقم على صوابها دليل . وهذا هو اتباع الهوى في أَبلغ صوره : الاقتناع بفكرة ما ، ثم تسخير الأَدلة لتبرير أَو لتسويغ هذا الاقتناع ، كما زينه له الشيطان ، فاتخذه شرعه ومنهجه .

قال ابن تيمية ، رحمه الله : إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإِيمان ، فلما حدث في الأُمة ما حدث من التفرق والاختلاف ، صار أَهل التفرق والاختلاف شيعاً ، وصار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإِيمان ، ولكن على أُصول ابتدعها شيوخهم ، عليها يعتمدون ، فما وافقها احتجوا به وما خالفها تأَولوه . فتراهم إذا

احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى . إذ كان اعتمادهم في نفس الأَمر على غير ذلك . والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأْويلها شروع من قصد ردها كيف أَمكن . فليس مقصود الواحد منهم أَن يفهم مراد الرسول ، بل أَن يدفع منازعه على الاحتجاج بها[1] .

وليس أَدل على ذلك من النظر في مناهج الفرق فيما يتصل بتفسير القرآن .

إن للشيعة مدرستها ، وللمعتزلة مدرستها ، وللفرق الضالة كذلك مدارسها في التفسير ؛ كفرقتي البهائية والقاديانية المبتدعتين الضالتين . وكذلك الدروز والفاطمية وكل الفرق الباطنية ، التي تؤَوِّل القرآن والنصوص حسب أَهوائها المنحرفة .

وكذلك شأْن الفرق الصوفية ذات التآويل الفاسدة بالظاهر المخالف للباطن . إلى غير ذلك من التخرصات الواهية .

وهذه المدارس في حقيقتها امتداد للفرق ، ومحاولة لإِثبات أُصولها بالقرآن ، وصرف أَتباعها عن التفاسير الأُخرى ، التي قد تحتوي على ما يخالف أُصول الفرقة .

إن تلقف الآيات أَو بعضها للاستدلال بها على أَمر في النفس .

---

١ ــ مجموع فتاوى ابن تيمية . ج ١٣ ص ٥٨ . باختصار عن كتاب « البدعة » .

هذا هو الهوى . وهو أَقبح من القول بالرأْي دون استناد إلى الشرع لأَنه تمويه بالدين وتحايل عليه ، واستغلال له فيما يؤدي إلى هدمه والقضاءِ عليه ، إشباعاً للشهوة وطمعاً في مرضاة الهوى والشيطان .

ومن هنا كان قوله ، ﷺ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ »[1] .

وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ، ﷺ: « إِنَّمَا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَىٰ »[2] .

قال ابن وهب : سمعت الإمام مالكاً يقول : ما آية في كتاب الله أَشد على أَهل الاختلاف من أَهل الأَهواءِ من هذه الآية : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ... إلىٰ قوله : بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ .)[3] .

قال مالك : فأَي كلام أَبين من هذا ؟ . فرأَيته يتأَولها لأَهل الأَهواءِ . ورواه ابن القاسم وزاد : قال لي مالك : إنما هذه الآية لأَهل القبلة . وقال ابن عباس في قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) . قال : تبيض وجوه أَهل السنة ، وتسود وجوه أَهل البدعة .

وذكر الآجري عن أَبي الجوزاءِ أَنه ذكر أَصحاب الأَهواءِ فقال :

١ — قال ابن حجر في الفتح جـ ١٧ ص ٥١ : أَخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات

٢ — رواه أَحمد والبزاز والطبراني في الثلاثة . ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد جـ ١ ص ١٨٧ . كتاب « البدعة » .

٣ — سورة آل عمران : ١٠٦ .

والذي نفس أَبي الجوزاءِ بيده ، لأَن تمتلئَ داري قردة وخنازير أَحب إِلي من أَن يجاورني رجل منهم . ولقد دخلوا في هذه الآية : (هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ . . . إلى قوله : إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[1] . والآيات والأَحاديث والأَقوال المصرحة والمشيرة إلى ذمهم والنهي عن ملابسة أَحوالهم كثيرة ، فلنقتصر على ما ذكرنا ، ففيه ـ إِن شاءَ الله ـ الموعظة لمن اتعظ ، والشفاءُ لما في الصدور .

قال الشعراني : من أَشرك بشيخه فكأَنما أَشرك بالله[2] .

يريد الصوفية ـ سلفاً وخلفاً ـ أَن يكون الناس عبيد أَهوائهم ونزواتهم ، ويخوفونهم بغضب العبيد ، لا غضب رب العالمين ويشرعون لهم أَن الغاية من الإِيمان إِرضاءُ هوى الشيوخ ، لا رضاءَ مالك الملك سبحانه . ! ! .

ونخلص من ذلك إلى أَن الهوى ، وإِن كان من الأَسباب الخفية فإن آثاره تدل عليه ، ونتائجه تظهره وترشد إِليه .

ومن اتبع هواه فقد أَرداه . ولا حول ولا قوة إِلا بالله .

---

١ ـ سورة آل عمران : ١١٩ .

٢ ـ مصرع التصوف . ص ٢٦٨ .

حال الأتباع الأشقياء أهل الضلالة

قال العلامة ابن القيم ، رحمه الله ، في الرسالة التبوكية :

إن حال الأتباع المخالفين لمتبوعيهم ، العادلين عن طريقتهم الذين يزعمون أنهم لهم تبع ، وليسوا متبعين لطريقتهم ، هم المذكورون في قوله تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)[1] .

فهؤلاء المتبوعون كانوا على هدى ،وأتباعهم ادعوا أنهم كانوا على طريقتهم ومنهاجهم- وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقتهم يزعمون أنهم يحبونهم ، وأن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم فيتبرؤون منهم يوم القيامة - فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله وظنو أن هذا الاتخاذ ينفعهم .

وهذه حال كل من اتخذ - من دون الله ورسوله - وليجةً وأولياء ، يوالي لهم ويعادي لهم ، ويرضى لهم ويغضب لهم . إن أعماله كلها باطلة ، يراها يوم القيامة حسرات عليه ، مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه . إذ لم يجرد موالاته ومعاداته ، ومحبته

---

١ - سورة البقرة : ١٦٦ - ١٦٧ .

وبغضه ، وانتصاره وإيثاره لله ولرسوله ، فأَبطل الله ، عز وجل ذلك العمل كله ، وقطع تلك الأَسباب . فينقطع يوم القيامة كل سبب وصلة ووسيلة ومودة وموالاة كانت لغير الله تعالى ، ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه ، وهو حظه من الهجرة إليه وإلى رسوله ، وتجريد عبادته له وحده ، ولوازمها من الحب والبغض والعطاءِ والمنع ، والموالاة والمعاداة والتقريب والإبعاد ، وتجريد متابعة رسوله وترك أَقوال غيره ، وترك ما خالف ما جاءَ به ، والإعراض عنه وعدم الاعتناءِ به ، وتجريد متابعته تجريداً محضاً بريئاً من شوائب الالتفات إلى غيره ، فضلاً عن الشركة بينه وبين غيره وفضلاً عن تقديم غيره عليه .

فهذا هو السبب الذي لا ينقطع بصاحبه . وهذه هي النسبة بين العبد وبين ربه ، وهي نسبة العبودية المحضة ، وإليها المآل والمرجع . وهذه هي النسبة التي تنفع العبد ، فلا ينفعه غيرها في الدور الثلاثة . أَعني : دار الدنيا ، ودار البرزخ ودار القرار . فلا قوام له ولا عيش ولا نعيم ولا فلاح إلا بهذه النسبة ، وهي السبب الواصل بين العبد وبين الله . ولقد أَحسن القائل :

إذا تقطع حبل الوصل بينهم ... فللمحبين حبل غير منقطع
وإن تصدع شمل القوم كلهم ... فللمحبين شمل غير منصدع

والمقصود أن الله سبحانه يقطع يوم القيامة الأسباب والعلاقات والصلات ، التي كانت بين الخلق في الدنيا كلها ، ولا يبقي إلا السبب والصلة التي بين العبد وبين الله فقط ، وهو سبب العبودية المحضة ، التي لا وجود لها ولا تحقيق إلا بتجريد متابعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . إذ هذه العبودية إنما جاءت على ألسنتهم وما عرفت إلا بهم ، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم . وقد قال الله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)[1] .

فهذه أعماله التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه ، يجعلها الله هباءً منثوراً ، لا ينتفع منها صاحبها بشيءٍ أصلاً . وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة ؛ أن يرى سعيه كله ضائعاً لم ينتفع منه بشيءٍ ، وهو أحوج ما يكون العامل إلى عمله ، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم[2] .

فعلى العاقل الناصح لنفسه ، والذي يقدم نعيم الآخرة على لهو الدنيا ونعيمها الزائل ، ألا يغتر بالعادة ويخلد إلى البطالة ، فإن كان من القسم الشقي ، انتقل منه إلى القسم السعيد قبل فوات الأوان ، وفي زمن يستطيع فيه أن يتدبر عاقبة أمره ، حيث في ذلك الإمكان من القيام بما يؤهله للفوز والنجاة ، وقبل أن تأتي ساعة

١ – سورة الفرقان : ٢٣ .

٢ – الرسالة التبوكية . بتصرف .

الندامة ، التي يقول فيها : (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)[1] .

الصوفيـــة في المـــيزان

انتهى القرن الأَول الهجري فانطوت بنهايته صفحة بيضاءُ ناصعة من صفحات هذه الدعوة الإِسلامية ، وجاءَ القرن الثاني الهجري فحمل بين طياته بذور دعوات مختلفة ، ظهر من بين هذه الدعوات اتجاه يدعو للتقشف والزهد والغلو في التعبد ، وهو ما عرف إبان ذلك العهد باسم [الصوفية] .

وقد مرت هذه الحركة بأَطوار مختلفة ، فكانت في عهودها الأُولى صافية نقية ، رغم ما كان يكتنفها من ضروب التطرف والمجافاة للروح الإسلامية في بعض الأَحيان ، وكان بعض روادها الأَوائل ينهجون نهج السلف الصالح ، ويحتكمون لكتاب الله وسنة رسوله ، ﷺ ، ثم خلف من بعدهم خلف ، جعلوا الهوى شريعتهم الخاصة ، واشتطوا في غلوائهم حتى جعلوا من الإِسلام مهزلة ومغمزاً لمطاعن الأَعداءِ .

وهكذا بدأَت الحركة الصوفية في الانحراف شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن . فظهرت فئات ضالة تنكرت

---

١ ــ سورة الفرقان : ٢٧ .

للكتاب والسنة ، وحاربت دعوة السلف الصالح ، وتمسكت بالبدع والضلالات ، وغررت بجم غفير من المسلمين البسطاءِ الذين وقعوا في شراكها ، وحالت بينهم وبين منابع الإسلام النقية الصافية الممثلة في القرآن المجيد ، والسنة النبوية الشريفة .

وقد كانت هذه الحركة الصوفية السبب الأصيل والمباشر في توجيه سهام النقد والطعن لعقيدة الإسلام ونظامه التشريعي ، من قبل أرباب الغزو الفكري ، وقد نجح هؤلاءِ المستشرقون إلى حد ما بتصوير الإسلام وحضارته من خلال هذه الحركة وأشباهها ، فراحوا يصورون الإسلام على أنه مجموعة من الطقوس والشعائر الممزوجة بشيءٍ من السحر والألعاب الهزلية ، مع قصص وأساطير مما ينسبه هؤلاءِ المتصوفة إلى مشايخهم وأقطابهم والواصلين منهم كما يزعمون.

وفي الصفحات القادمة عرض وجيز لأهم معتقدات الصوفية وأفكارهم ، مع مقابلة هذه المعتقدات والأفكار ومقارنتها بتعاليم الكتاب الكريم ، وهدي الرسول محمد ، ﷺ ، وسأقف منها موقف الناقد الأمين ، الذي يدعم أقواله بالحجج والبراهين القاطعة الدامغة ، لتأتي النتيجة سليمة مسلمة من كل الشوائب ، حتى يتضح الحق ويزداد انبلاج نوره ، وينهزم الباطل وأتباعه . وهل بعد الحق إلا الضلال ؟ .

وإليك بعض هذه المعتقدات الصوفية : ـ

١ ـ الحلـــول .　　　　　　２ ـ وحـــدة الوجـــود .

٣ ـ الحقيقة المحمدية .　　　　４ ـ الكرامات .

٥ ـ تفســير القـــرآن .

١ ـ الحـــــــلول

يقصد الصوفية بالحلول ؛ أن روح الله تعالى حلت في بعض الأَجسام التي اصطفاها واختارها ، فانقلبت هذه الأَجسام البشرية إلى آلهة تسير على الأَرض وتعيش بين الناس .

ونحن لا نقول بأَن كلَّ المتصوفة يعتقدون ذلك ، فنحن نحكم على العقائد بالبطلان ، والآراءِ بالانحراف والزيغ ، ولا نتعرض للأَشخاص . فإن الحكم على الأَشخاص متروك لمن يعلم خائنة الأَعين وما تخفي الصدور[1] .

وكان الحلاج من أَشهر المتصوفة القائلين بهذا القول ، وقد شرح عقيدة الحلول بقوله : من هذب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات ، ارتقى إلى مقام المقربين . ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية ، فإذا لم

١ ـ ومن مشاهير الصوفية الأَبرار ، الذين اشتهروا بالحق والاستقامة والاقتداءِ بالسلف الصالح ، الشيخان : الجنيد وعبد القادر الجيلاني ، رحمهما الله .

يبق فيه من البشرية حظ ، حل فيه روح الإله ، الذي حل في عيسى ابن مريم ، ولم يُرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أَراد ، فكأَن جميع فعله فعل الله تعالى[1] .

وجاءَ في رسائله لبعض أَتباعه : من الهُو ؟ هو رب الأَرباب المتصور في كل صورة إلى عبده فلان[2] .

وجاءَ في كتب أَتباعه له : يا ذات اللذات ومنتهى غاية الشهوات نشهد أَنك المتصور في كل زمان بصورة . وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور - الحلاج - ونحن نستجير ونرجو رحمتك يا علام الغيوب[3] .

والعقيدة الحلولية لم تكن وقفاً على الصوفيين ، بل تجد جذورها في عقيدة النصارى ؛ بحلول الله سبحانه وتعالى في جسد المسيح .

وقد ذكر العلامة أَبومنصور عبد القاهر البغدادي المتوفي عام ٤٢٩هـ. عشر فرق تعتقد بالحلول ومنها : الحلاجية والعذافرة ، وقد حكم على هذه الفرق بالكفر والإلحاد ، وقال بأَن الهدف من هذه العقيدة إفساد عقيدة المسلمين بالتوحيد[4] .

---

١ - التصوف بين الحق والخلق ص ٦١ . ٢ - تلبيس إبليس : ص ٢٤٥ .

٣ - تلبيس إبليس : ص ٢٤٥ .

٤ - التصوف بين الحق والخلق : ص ٦٣ - ٦٤ .

وقد حمل السهروردي ـ وهو من متصوفة القرن السابع ـ في كتابه [عوارف المعارف] على الحلوليين ، وأَخرجهم من دائرة التصوف ، ورد معتقدهم إلى المعتقدات النصرانية .

٢ ـ وحــدة الوجــود

مذهب أَحدثه متأَخرو الصوفية المتكلمون بالكشف وفيما وراءَ الحس ـ كما نص عليه ابن خلدون في المقدمة ـ القائلون بوحدة الوجود ، يختلفون في تصويرها إلى فريقين :

١ ـ فريق يرى الله روحاً ويرى العالم جسماً لذلك الروح ، فالله هو كل شيءٍ .

٢ ـ وفريق يرى جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله ، فكل شيءٍ هو الله[١] .

يقول الشيخ حسن رضوان[٢] : إنمــا الموجود حقيقة هو ذات الحق تعالى ، وليس لتلك الأَعيان والماهيات الظاهرة وجود حقيقي ذاتي لها ، وإنما المشاهد فيها انصياغها بنور الوجود الحق على نحو من أَنحاءِ الظهور ، وطور من أَطوار التجلي الخفي .

---

١ ـ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق . ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠

٢ ـ المصدر السابق .

فهو الظاهر في جميع المظاهر ، المشهود في كل التعيينات بحسب استعداداتها ، وتعدد شؤونه بتكثر حيثياتها ... فظهر الحق في كل ماهية على ما تقتضيه ذاته الكريمة من التنزه التام القديم ، الذي لا يعرفه غيره .

ويشهد لذلك قوله ﷺ : « رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَد »[1] .
وقوله : « خَلَقَ اللّٰهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَـٰنِ »[2] .

وقال صاحب كتاب [هتك الأستار في علم الأسرار] : العالم موجود بوجود الحق ، وهو منقطع النظر عن الحق ، غير موجود في عينه ... إذ لا وجود له من ذاته ، ولا وجود لظل بلا وجود شخص[3] . وضرب لذلك مثلاً فقال : اعلم أن الاتحاد غيبوبة العدد في واحد ، الذي به ظهر ، وفناؤه فيه من حيث الواحد فليس العدد غير الواحد ، ولا هو نفس الواحد ، بل ظهرت الأعداد بظهور الواحد في المراتب المعلومة .

فأوجد الواحد العدد بتكرار الواحد ، ولم يكن حصول الواحد

---

١ – حديث موضوع . أسنى المطالب . ص ١١٠ عن « التصوف بين الحق والخلق » .

٢ – أي : خلق الله آدم على صفة الرحمن ؛ من العلم والحياة والسمع والبصر ، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء . شرح الجامع الصغير . ج ٢ ، ص ٢٣٠. نقلا عن « التصوف بين الحق والخلق » .

٣ – دائرة معارف القرن العشرين . ص ٦٧٦ . مجلد ١٠ . نقلا عن « التصوف بين الحق والخلق » .

مثلاً إلا لأَن الاثنين واحدان اجتمعا بالهيئة الوحدانية فحصل منهما الاثنان ، فمادته هو الواحد بتكرار العدد ، مثال لإيجاد الحق الخلق بظهوره في الصور الكونية ، وتفصيل مراتب العدد لإظهار الأَعيان.

والارتباط بين الواحد والعدد مثال للارتباط بين الحق والخلق[1] .

وقال : إن الحق المنزه عن الأَكوان ، هو بعينه الخلق المشبه ، وإن كان قد تميز الخلق بإمكانه من الخالق .

فالشيءُ الذي هو الخالق ، هو المخلوق بعينه ، لكن في مرتبة أُخرى غير مرتبة الخالقية[2] . وقال : اعـلم أَن الذي ظهر بصورة كبش في قضية اسحاق ، هو الذي ظهر بصورة إنسان[3] .

والعقيدة الحلولية لم تكن وقفاً على الصوفيين ، بل نجد جذورها في عقيدة النصارى ؛ بحلول الله سبحانه وتعالى في جسد المسيح .

وقد ذكر العلامة أَبو منصور عبد القاهر البغدادي ـ المتوفي في عام ٤٢٩ هـ . ـ عشر فرق تعتقد بالحلول ، وبيَّن خروجها عن فرق الإسلام ومنها :

الحلاجية : المنسوبون إلى أَبي المغيث الحسين بن منصور المعروف

---

١ ـ المصدر السابق مجلد ١٠ ص ٦٧٨ . ٢ ـ المصدر السابق مجلد ١٠ ص ٦٧٩ .

٣ ـ إن كبش الفداء كان لاسماعيل وليس لإسحاق . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق .

بالحلاج[1] ، المقتول سنة ٣٠٩ هـ. بأمر الخليفة العباسي المقتدر بالله ، لإفساده وعمله على تخريب عقائد المسلمين . وكانت هذه الفرقة المنسوبة إلى الحلاج تعتقد بأن روح الله حلَّت بالحسين بن منصور - الحلاج - .

وقد حكم العلامة عبد القاهر البغدادي على هذه الفرقة بالكفر والإلحاد ، وقال بأن الهدف من هذه العقيدة إفساد عقيدة المسلمين بالتوحيد . كما أفتى فقهاءُ الشريعة في زمن المقتدر بالله بإباحة دم الحلاج ، فقدم إلى حامد ابن العباس فضربه ألف سوط ، ثم قطع يديه ورجليه وصلبه على جسر بغداد ، وبعد ثلاثة أيام أُنزل وأُحرقت جثته ، وطرح رماده في نهر دجلة .

ومن جملة أُولئك - أي المنتمين إلى الصوفية وليسوا منهم - قوم يقولون بالحلول ، ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ، ويحل في أجسامهم يصطفيها . ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت .

ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات ، إشارة إلى هذا الوهم ويتخايل له أن من قال كلمات في بعض غلباته مضمر لشيءٍ مما زعموه . مثل قول الحلاج : أنا الحق . وما يحكى عن أبي يزيد قوله : سبحاني .

١ - الفَرقُ بين الفِرَق ص ٢٦٠ وما بعدها .

ولو علمنا أن ذكر ذلك القول مضمر لشيءٍ من الحلول رددناه كما نردهم ، وقد أتانا رسول الله ، ﷺ، بشريعة بيضاءَ نقية يستقيم بها كل معوج .

وقد دلتنا عقولنا[1] على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز. والله تعالى منزه أن يحلَّ به شيءٌ أو يحلَّ بشيءٍ[2] .

قال المستشرق نيكلسون : إن الإسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسماً على غير مسمى ، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ (لَا إِلَٰهَ إلَّا اللهُ) ، أصبح المراد بها : لا موجود على الحقيقة إلا الله[3] .

وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود ، في صورتها المجردة قضاءٌ تام على كل معالم الدين المنزل لهذه المعالم ، يمحوها محواً كاملاً .

ومن نوادر المتصوفة الوجوديين ما يحكى عن أبي عبد الله الرملي أنه قال : تكلم أبو حمزة في جامع طرطوس فقبلوه ... فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع ، فزعق أبو حمزة وقال : لبيك . لبيك . فنسبوه إلى الزندقة[4] .

---

١ ـ صفات الله نقلية وليست عقلية . فلا يجوز وصفه سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ عوارف المعارف على هامش الأحياء . جـ ٢ ص ٧ . نقلا عن « التصوف بين الحق والخلق » .

٣ ـ هذه هي الصوفية . ص ٥١ .

٤ ـ تلبيس إبليس . ص ١٦٩ .

ولعل أَسوأَ ما قيل في مقام وحدة الوجود ، هو قول محمد بهاءِ الدين البيطار في [النفحات القدسية] :

وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا وما الله إلا راهب في كنيسة[1]

وبوحدة الوجود يتساوى عبدة الله مع عبدة الأَصنام ، والكواكب والنيران ، والإنسان والحيوان .

هذه بعض المسالك التي درج عليها بعض الصوفية واعتنقوها فخرجوا بذلك عن المحجة البيضاءِ ، وما بعد الهدى إلا الضلال .

٣ ـ الحقيقـــة المحمديـــة

يقول عبد الكريم الجيلي ، مدللاً على الحقيقة المحمدية ، حتى يرتفع بها إلى مرتبة الأُلوهية . فلنسمع إلى ما قاله في مستهل كتابه [الإنسان الكامل] : وأَشهد أَن سيدنا محمداً ، ﷺ ، المدعو بفرد من أَفراد بني آدم ، عبده ورسوله المعظم ونبيه المكرم ، ورواؤه المعلم ، وطرازه الأَفخم ، وسابقه الأَقدم وصراطه الأَقوم ، مجلي مرآة الذات ، منتهى الأَسماءِ والصفات ، مهبط أَنوار الجبروت ، منزل أَسرار الملكوت ، مجمع حقائق اللاهوت ، منبع دقائق الناسوت النافح بروح الجبر له ، والمانح بسر الميكلة ، والسابح بقهر العزرلة والجانح بجمع السرفلة ، عرس رحمانية الذات كرسي الأَسماءِ

١ ـ صوفيات . ص ٢٧ . نقـــلا عن « التصوف بين الحق والخلق » .

والصفات ، منتهى السدرات ، رفرف سرير الأَسرات هيولى الهباءِ والطبيعيات ، فلك أَطلس الأُلوهيات ، منطقه بروح أَوج الربوبيات سموات فخر التسامي والترقيات ، شمس العلم والدراية ، بدر الكمال والنهاية ، نجم الاجتباءِ والهداية ، نار حرارة الإرادة ، ماءُ حياة الغيب والشهادة ، ريح صبا نفس الرحمة والربوبية ، طينة أَرض الذلة والعبودية ، ذو السبع المثاني ، صلب المفاتيح والثواني ، مظهر الكمال ومقتضى الجمال والجلال[1] .

ويجعل عبد الكريم الجيلي الحقيقة المحمدية أَصلاً للكون والملائكة والبشرية . فيقول : إن العقل الأَول المنسوب إلى محمد ﷺ ، خلق الله جبريل ، عليه السلام ، منه في الأَزل ، فكان محمد ﷺ ، أَباً لجبريل وأَصلاً لجميع العالم ... وسمى العقل الأَول بالروح الأَمين ، لأَنه خزانة علم الله وأَمينه ، ويسمى بهذا الاسم جبريل ، من تسمية الفرع بأُم أَصله[2] .

ثم يقول : خلق الله ، سبحانه وتعالى ، العالم جميعه من نور محمد ، ﷺ ، كان المحل المخلوق منه اسرافيل قلب محمد ، ﷺ[3] . وقال : خلق الله وهم محمد ، ﷺ ، من نور اسمه الكامل . وخلق

١ ــ الفتوحات المكية . جـ ١ ص ١٥٥ .

٢ ــ الإنسان الكامل . جـ ٢ ص ١٨ .

٣ ــ الإنسان الكامل جـ ٢ ص ١٦ .

الله عزرائيل من نور وهم محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم[1] .
وقال أخيراً : اعلم أن الإنسان الكامل ـ الحقيقة المحمدية ـ هو الذي يستحق الأسماءَ الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي[2] .

والواقع أن فكرة الحقيقة المحمدية خرافة جديدة أتى بها غلاة المتصوفة ، لتشكيك المسلمين في أصول دينهم ودعائمه الأساسية . وهي نظرية مأخوذة من النصرانية ، ينقضها القرآن الكريم بنصوص صريحة واضحة .

قال تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) . آل عمران : ١٤٤ .
وقال تعالى :(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ) . الكهف : ١١٠ .
وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) . الجمعة :٢.
ويخاطب الله تعالى رسوله محمداً ، ﷺ، فيقول : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)[3] .

ويصف الله سيدنا محمداً ، ﷺ، بصفة العبودية فيقول : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ)[4] . ومحمد الإنسان الرسول ، عليه السلام ، يقول :

---

١ ، ٢– الإنسان الكامل جـ٢ ص ١٩ ، ٤٨ .
٣ – سورة الزمر : ٣٠ – ٣١ ٤ – سورة الاسراء : ١ .

« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِيءُ وَيُصِيبُ وَلٰكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ قَالَ اللهُ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ »[1] .

ولعل بعض القائلين بالحقيقة المحمدية يستدلون بحديث :

أَول ما خلق اللـــــه نــور نبيــك يا جابر

وهو حديث موضوع لا أَساس له من الصحة . ويعتقد الدكتور زكي مبارك أَن الحقيقة المحمدية ترجع في أُصولها إلى العقائد النصرانية فيقول :

وعلى ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأْخوذة من أُصول نصرانية ؛ فعيسى هو ابن الله . ومعنى ذلك فيما افترض أَنه الصلة بين الله وبين الوجود ، ومحمد هو أَول التعيينات وليس فوقه إلا الذات الأَحدية ، كما لم يكن فوق عيسى إلا الآب . والنصارى يتمثلون الله حين يخاطبون عيسى ، فلولا عيسى لانعدم الوجود . وعيسى هو ابن الله . . . ولكنه يتمثل في صورة البشرية . . . فعيسى لولاه لا متنعت الصلة بين الله وبين الوجود فانعدم الوجود . ومحمد ، ﷺ

لولاه ما كان لا أَرض ولا أُفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل

وعيسى هو الكلمة ، وأَتباعه من الرسل ، الذين بلغوا دعوته

١ ــ أَخرجه أَحمد في مسنده وابن ماجة . شرح الجامع الصغير . ج ٢ ص ٤٢ .

كلمات . ومحمد عند الصوفية هو الكلمة وجميع الأَنبياءِ كلمات .
لهم خصوصية ، وبعض أَتبــاع محمد لهم خصوصية[1] . ثم
يقول : والواقع أَن الحقيقة المحمدية أُسطورة من الأَساطير . وهي
في رأْينا مأْخوذة من النظرية النصرانية ، كما أَن النظرية النصرانية
مأْخوذة من الفلسفة اليونانية ، التي تقسم القوى إلى عقول[2] .

٤ ـ الكــرامات

يعتقد الصوفية أَن الأَولياءَ يقدرون على كافة أَنواع الخوارق ؛
كالسير على الماءِ ، والطيران في الهواءِ وإبراءِ المرضى ، وإحياءِ الموتى
وطي المسافات بلمح البصر . إلى غير ذلك من الخوارق التي لا سوق
لها ولا رواج ، إلا لدى الصوفيةوأَغبيائهم السذج والأَعلاج .

هذه الخوارق – التي أَصبحت بضاعة رائجة وسوقاً رابحة
لأَدعياءِ الولاية الضالة ، والتي ملأَت الدنيا بزيف دعاتها وشقاءِ
مروجيها ، من سدنة وكهنة ، وما كتب في كتب الصوفية الغرقى
في ظلام الجهالة ورذائل الغواية – لأَكبر برهان على سقوط تلك
البدع والروايات . ولنسمع لبعض ما قاله بعض رجال الصوفية
وهو سهل بن عبد الله التستري ، الذي يهوِّن من أَمر الكرامة إلى
حدّ أَنه قال : من زهد في الدنيا أَربعين يوماً ، صادقاً مخلصاً في ذلك

---

١ ، ٢ – التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق . جـ ١ ص ٢١٠ – ٢١١ ، ٢٧٩ .

تظهر له الكرامات من الله ، عز وجل[١] .

وقد جعل الصوفية الكرامات مستوحاة من معجزات النبي ﷺ ، لأَنَّ أَمرهم ـ كما يزعمون ـ متأَصل من النبوة .

سأَلت أَحمد الطابراني السخي ، فقلت له : هل ظهر لك شيءٌ من الكرامات ؟ . فقال : في وقت إِرادتي وابتداءِ أَمري لربما كنت أَطلب حجراً أَستنجي به فلم أَجد ، فتناولت شيئاً من الهواءِ فكان جوهراً ، فاستنجيت به وطرحته[٢] .

وكان رجل يقال له عبد الرحمن بن أَحمد بصحبة سهل بن عبد الله فقال له يوماً : ربما أَتوضأُ للصلاة فيسيل الماءُ بين يديَّ قضبان ذهب وفضة[٣] .

وقيل : كان صوفي على جبل من جبال منى فقال : لو أَن ولياً من أَولياءِ الله تعالى أَمر هذا الجبل أَن يميد لماد . قال : فتحرك الجبل . فقال : اسكن لم أُردك بهذا . فسكن الجبل[٤] .

هذه كرامات الصوفية . ولست أَدري ما هي الخرافات ؟ إِن لم تكن شعوذات الصوفية ـ من أَمثال هذه الكرامات المدَّعاة ـ هي الخرافات .

---

١ ـ اللمع . ص ٣١٥ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

٢ ـ الرسالة القشيرية . ص ١٦٣ . عن المرجع السابق .

٣ ، ٤ ـ الرسالة القشيرية . ص ١٦٤ ـ ١٦٦ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

قال الشيخ أَشرف علي النهانوي ، من أَئمة التصوف الحديث : الولاية لا تفتقر إلى خوارق ، ولم تظهر الخوارق من بعض الصحابة ولو مرة واحدة في حياتهم ، والخوارق تظهر في أَكثر الأَحيان من اليوك - فقراءِ الهنود - وهي من نتائج الرياضة[1] .

ويحدثنا الشيخ سلامة العزامي - في ترجمته لمؤلف : كتاب تنوير القلوب - عن كرامات شيخه محمد أَمين الكردي الأَربلِّي فيقول :

ومن هذا النوع كراماته ، رضي الله عنه ، أَنه سقط من نافذة في الطبقة الرابعة غلام في السنة الثالثة من عمره ، لأَحد أَصحابه الأَعزاءِ من منزله بالقاهرة ، فظن ظانٌّ أَنه قد مات ، فأَسرع إلى الشيخ وأَخبره بذلك ، فأَطرق برأْسه مغمضاً عينيه وسكن قليلاً ثم رفع رأْسه منشرح الصدر يقول : ما مات . صعدت بروحي عدة سماوات لأَنظر روحه مع الأَرواح المتنقلة في هذا اليوم فلم أَرها . فقلت مالك وللسماءِ ؟ ارجع إلى الأَرض . فرجعت وذهبت إلى منزل والده فإذا هو حي ، مضطجع في مكان كذا من المنزل ، وسيعافى إن شاءَ الله . فحقق الخبر فوجده كما أَخبره ، رضي الله عنه . وعوفي الغـلام عافية تامة[2] .

---

١ - التصوف والحياة . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

٢ - تنوير القلوب ص ٥٩ . المصدر السابق .

وكرامات المتصوفة في رأي ابن الجوزي : إما أَن تكون شعوذة أَو شطحات كاذبة ، أَو فتنة شيطانية[1] .

هذا وإن كنا لا ننكر كرامات الأَولياءِ ، لأَنها ثابتة في القرآن والسنة ، إلا أَننا نقول : إن بعض هذه الأُمور الخارقة للعادة قد لا تكون كرامات ، وهي كثيراً ما تظهر علـى أَيدي كثير من الفساق والكفرة . وإليك بعض أَسرار هذه الخوارق[2] :

١ ــ السحر : وقد ذكره الله ، سبحانه وتعالى ، في القرآن الكريم عند الحديث عن موسى وفرعون ، وكيف أَن السحرة استطاعوا أَن يخيِّلوا للناس أَن عصيَّهم وحبالهم حيات تسعى . قال الله تعالى : (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ) . سورة طه : ٦٦ .

٢ ــ الشعوذة : وقد شاهدنا منها الكثير ، عندما كانت تزور بلادنا فرق من المشعوذين ، وكانت تقوم بأَعمال خارقة للعادة ؛ كتحطيم إحدى ساعات اليد أَمام الحاضرين ، ثم إعادتها من جديد. وسحق أَوان زجاجية ثم إعادتها كما كانت وكأَن لم يمسها شيءٌ . وصب الماءِ في عدد من الأَقداح فينقلب في كل قدح إلى نوع معين من الشراب يذوقه الحاضرون .

---

١ ــ تلبيس إبليس . ص ٣٨٠ .

٢ ــ هذه المعلومات وما بعدها مقتبسة عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » باختصار.

٣ ـ الكهانة : ويكون أصحابها متصلين بشياطين الجن يستعينون بهم مقابل كفرهم ، وقد ذكرها الإمام ابن تيمية في كتابه : الفرقان بين أَولياءِ الرحمان وأَولياءِ الشيطان . وفي كتابه : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة . فليراجعها من أَراد تفصيل ذلك .

وقد أَشارت الآيات القرآنية إلى ذلك ، مثل قوله تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) . وقال النبي ﷺ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتُوحِيهِ إِلَىٰ الكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » . رواه البخاري .

٤ ـ فقراءُ الهنود من البراهمة والبوذيين : نتيجة المجاهدة والرياضة بالجوع والسهر يقدرون على كثير من الخوارق ؛ كالنوم فوق المسامير ، والتعلق بشجرة لمدة طويلة والرأْس لأَسفل ، وما يقدم عليه البعض في بلادنا من ضرب بالشيش ، والمرور فوق النيران .

٥ ـ التنويم المغناطيسي : قيل أَنه يؤَدي إلى نتائج خارقة كانعدام بعض الحواس ، وإجراءِ العمليات الجراحية دون تخدير .

وكل ذلك يعني أَن الخوارق ليست صفة من صفات الولاية ، يختص بها أُناس دون آخرين ، أَو المؤمنون دون الكافرين ، أَو المتصوفون دون الناس أَجمعين ، وإنما ظواهر يشترك في إتيانها المؤمن والكافر

والمتصوف وغير المتصوف .

إننا إذ أنكرنا بعض الخوارق ؛ كالناتجة عن الشعوذة والوهم والقوة الروحية ؛ كإحياء الموتى وغيرها ، فإننا بذلك لا يعني أننا ننكر الكرامة للمؤمنين الصادقين أولياء الله . والقرآن يقول : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . سورة يوسف : ٦٢ .

ومما يؤسف له أن كثيراً من العامة لهم ولع وإيمان في الخوارق التي يظنونها كرامات ، وقد تكون حيلاً ، وقد تكون إمداداً من الشياطين ، ليتمادوا في ضلالهم وغيهم ، كما رأينا سابقاً ، فإذا وجدوا شيئاً منها ـ من متمشيخيهم ـ دهشوا أو آمنوا بهم واستسلموا لهم ، وأطاعوا أوامرهم مهما كانت مخالفة للشريعة ، ومهما كان هؤلاء تاركين للصلاة ومرتكبين للموبقات .

وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله :

إذا رأيت أحداً سار على الماء أو طار في السماء فلا تغتر به حتى تزن عمله بميزان الكتاب والسنة .

٥ - تفسير القرآن وتأويله

ولبعض الصوفية تأْويلات وتفسيرات غريبة في بعض آيات القرآن ، بعيدة عن معناها ومقاصدها ، لتضليل الناس بما يخدم أَهواءَهم ونواياهم . ومنها ما جاءَ في تفسير بعض آيات الجهاد لصرف أَنظار الناس عن القتال ومحاربة الأَعداءِ . فمن ذلك :

ما روي عن داود بن صالح أَنه قال : قال لي أَبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أَخي . هل تدري في أَي شيءٍ نزلت هذه الآية : (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) . ؟ قلت : لا . قال : يا ابن أَخي في زمن رسول الله ، ﷺ ، لم يكن غزو يربط فيه الخيل ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، فالرباط لجهاد النفس ، والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه [1] .

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ) : هو مجاهدة النفس والهوى ، وذلك هو الجهاد ، وهو الجهاد الأَكبر ، على ما روي في الخبر أَن رسول الله ، ﷺ ، قال حين رجع من بعض غزواته : « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَىٰ الْجِهَادِ

---

١ ــ عوارف المعارف على هامش الإحياء . جـ ٢ ص ٥٥ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

الْأَكْبَرِ »[1] . وفي هذا كذب وافتراءٌ على رسول الله ، الذي جاءَ بشريعة الجهـــاد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله تعالى : وأَما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك : « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَىٰ الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ » فــلا أَصل له ، ولم يروه أَحد من أَهل المعرفة بـأَقوال النبي ، ﷺ ، وأَفعاله .

وجهاد الكفار من أَعظم الأَعمال ، بل هو من أَفضل ما تطوع به الإِنسان .

حكم الشــرع في تفسير القــرآن : قال تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة البقرة : ٧٥ .

سئل أَبو بكر ، رضي الله عنه ، عن معنى آي من القرآن الكريم فقال : أَي أَرض تقلُّني وأَي سماءٍ تظلُّني إذا قلت في القرآن برأْيي[2] . وفي رواية أُخرى سئل عن معنى قوله تعالى : (وَفَاكِهَةً وَأَبّاً)

---

١ — المصدر السابق . ص ٥٦ . قال الحافظ ابن حجر : تسديد القوس من حديث : « رجعنا من الجهاد الأصغر ... » هو مشهور على الألسنة ، وهو من كلام إبراهيم ابن عبلة . وقال العراقي : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر .

٢ — إحياءُ علوم الدين . جـ ١ ص ٢٦١ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

فقال : أي أَرض تقلني وأي سماءٍ تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أَعلم .

وإذا كان من يكذب على الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، متعمداً يتبوأُ مقعده من النار ، فما مصير من يكذب على الله في تأْويل آياته وتعطيلها ، ويفسدها بالهوى ؟ .

زعم ابن عربي بإِيمان فرعون ونجاته ، فقال في تفسير : (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) : فيه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها ، وقرة عين لفرعون بالإِيمان الذي أَعطاه الله عند الغرق ، فقبض طاهراً مطهراً ليس فيه شيءٌ من الخبث[1] . ويقول عن فرعون أَيضاً : فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ونجا بدنه ، فقد عمَّته النجاة حساً ومعنى[2] .

عالم سلفي وعالم صوفي

إن الجهاد في الإِسلام فرض من فرائضه العظيمة ، وشعيرة من شعائره الجليلة ، التي يتوقف عليها كيان الأُمة ووجودها وعزتها ومصيرها .

لقد حلت بالمسلمين كوارث عديدة ، ولازالت تتتابع عليهم

---

١ ، ٢ — الفصوص ج ١ ص ٢٠١ ، ٢١٢ . بتحقيق الدكتور عفيفي نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

المحن والخطوب . وما حل بهم ذلك إلا لإعراضهم عن فريضة الجهاد ، ولإهمالهم لأوامر الله ، وهجران سنة رسوله ، ﷺ ، الذي دعا إلى فريضة الجهاد ، وحمل لواءها حتى أتاه اليقين .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) . سورة الأنفال : ٦٥ . وقال ، ﷺ : « يَغْفِرُ اللهُ لِلشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ الدَّيْنَ » . رواه مسلم . وقال ، ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعْطِيهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ » . رواه مسلم .

إن الذي حل بالمسلمين من مآس ، وما لحق بهم من ذل وعار وهزائم ، خلال السنين الأخيرة على أيدي أعدائهم من الصليبية الحاقدة والصهيونية الماكرة ، الذين استحلوا المقدسات واستباحوا الحرمات ، وحرقوا المسجد الأقصى المبارك في فلسطين ، كما عاثوا في ساحاته بالفساد ، تحت سمع وبصر المسلمين ، الذين لم يثأروا لعزتهم ومقدساتهم وكأن الأمر لا يهمهم .

حدث كل هذا بسبب تفريطهم وتهاونهم في فريضة الجهاد التي هي ذروة الإسلام وسنامه ، وما أهمل قوم الجهاد إلا ذلوا وحلت بهم الكوارث ، واستهانت بهم الأمم وطمع بهم الطامعون .

لقد عاش سلفنا الصالح ، رضوان الله عليهم ، أعزاءَ كرماءَ يرهب جانبهم الأَعداءُ لأَنهم استعذبوا الموت الشريف على حياة الذل والصغار ، فجاهدوا في سبيل الله بأَموالهم وأَنفسهم حتى دانت لهم الأُمم ، وعاشت شعوب الدنيا في نعيم ورخاءٍ وعدل في كنف دولة الإِسلام .

وفيما يلي نذكر موقفاً واحداً من مواقف أَسلافنا المجاهدين وهو الإِمام العالم المجاهد ، شيخ الإِسلام أَحمد بن تيمية ، رحمه الله .

لقد كان الإِمام فارس ميدانه وعالم زمانه ، وله مواقف مشرفة في كافة الميادين ، قلَّ أَن يكون لها نظير في دنيا الواقع . ومن تلك المواقف المشرفة ، موقفه من هجوم التتار على دمشق الإِسلام ، وكيف سارع هذا الإِمام المجاهد لمقابلة ملكهم – قازان – على رأْس وفد من الشاميين ، لإِقناعه بالعدول عن دخول دمشق . فجعل يحدث هذا الملك بكل شجاعة مما أَثار دهشته . ولما يئس سافر إِلى مصر وحرض السلطان ابن الناصر على الخروج إِلى الشام والدفاع عنها ، بعدما تخلى عنها ، فلبى طلبه والتقى الجيشان في مرج الصُّفَّر قريباً من دمشق ونشبت معركة رهيبة ، اشترك فيها الإِمام ابن تيمية ، بعد أَن ثبَّت المسلمين وبشرهم بالنصر ، فامتطى صهوة جواده وخرج إِلى الميدان يحارب بكل شجاعة ، ويحرض جماعته على الصبر والقتال .

ودامت المعركة أربعة أيام صدق خلالها أهل الشام وجند مصر القتال ، حتى إذا جاءَ عصر اليوم الرابع انتصر جند مصر والشام ، وهزم جيش التتار شر هزيمة ، بعد ما كان يهدد الشرق والغرب[1] .

ويرجع الفضل في كل هذا النصر المبين ، الذي حققته جيوش المسلمين على أعداءِ الأُمة ، يرجع بعد الله تعالى إلى عالم الشام ، الذي ترك محراب العلم ودخل غمار الحرب بكل حنكة ورباطة جأْش .

وهكذا تكون مواقف أهل الإِيمان . ولا يعرف الرجال إلا عند الشدائد والتجربة . لقد كان الإِمام بحق فارس الميدان ، حيث ترجم ذلك عملياً . وما قيل عنه ـ مما حقق لأُمته من منجزات ـ تعجز عنه الأَجيال .

رحم الله الإِمام المجاهد ، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاءِ ، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون .

أُشير فيما يلي إلى الصوفي الكبير ، الإِمام أَبي حامد الغزالي وكيف كان موقفه من الجهاد ، خاصة عندما تعرضت بلاد المسلمين

---

١ ـ البداية والنهاية لابن كثير . ص ١٤ ـ ١٥ وما بعدها . ثم انظر « ابن تيمية » لعلامة الشام الأستاذ البيطار و « ابن تيمية » للشيخ محمد أَبي زهرة ، نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

لهجمات الأَعداءِ من الصليبيين الحاقدين ، الذين استهدفوا بلاد المسلمين ، وخاصة بيت المقدس في فلسطين .

إن أَبا حامد الغزالي هو أَحد علماءِ المسلمين ، وكان قطباً من أَقطاب الصوفية ، وواحداً من أَساطينها البارزين ، وتعتبر كتبه ومؤلفاته المرجع المعتبر لدى الصوفية ، وهي حجتهم التي يعتمدونها أَكثر الأَحيان ، وقد سموه [حجة الإسلام] وإمام العصر ، وبالفعل فقد كان طويل الذراع في أُمور وقصير باعه في بعضها .

إننا نتعصب للحق وهو رائدنا ، فمن أَفواههم ندينهم ومن كتبهم نرد عليهم ، ومن أَقوال أَنصارهم ومعاصريهم نقيم عليهم الحجة ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر ، والله عليم بذات الصدور .

يقول عمر فروخ : أَلا يعجب القارىءُ إذا علم أَن[حجة الإسلام] أَبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط على أَيدي الفرنج الصليبيين وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك ، ولم يشرإلى هذا الحادث العظيم ؟ ولو أَنه أَهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام ، لنفر مئات الأُلوف منهم للجهاد في سبيل الله ، ولوفروا إذن على العرب والإسلام عصوراً مملوءَة بالكفاح ، وقروناً زاخرة بالجهل والدمــار ! ! وما غفلة الغزالي عن ذلك إلا لأَنه كان قد انقلب صوفياً ، أَو اقتنع على الأَقــل بأَن الصوفية سبيل الحياة

بل هي أَسدى تلك السبل وأَسعدها[1] .

لقد كان الصوفية ولا يزالون يهملون جانب الجهاد والذود عن البلاد ، ولعلهم استعاضوا عن دور الفداءِ والتضحية ، الذي هو فريضة عظيمة من فرائض الإِسلام ، بدور آخر يدأَبون عليه ليل نهار ، صيفاً وشتاءً ، وبدون انقطاع وبلا كلل ولا ملل .

ولعل هذا الدور النشيط يتمثل بترديد الأَذكار المبتدعة والأَوراد المخترعة ، التي يتوارثها الأَحفاد عن الأَجداد ، التي لا تتوقف عند حصر أَو تعداد . ولعمر الله فهذا هو ديدنهم الذي عـم أَرجاءَ البلاد . فلا حول ولا قوة إِلا بالله .

فمن كانت هذه حالته فلا مكان له في حرب أَو جهاد ، لأَنه في شغل شاغل عن أُمور الدين ، وهذه نظرية غريبة عن الإِسلام ولكنها قد تستقيم لدى أَهل البدع والأَوهام .

وما لنا نذهب بعيداً في إِثبات نفور الصوفية من الجهاد ، وهذا بيت المقدس – كما يقول الأُستاذ عبد الرحمن الوكيل – سقط في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ . والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة ، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ، ولم يجر قلمه بشيءٍ ما عنه في كتبه . لقد عاش الغزالي بعد ذلك

---

١ – التصوف الإِسلامي . لعمر فروخ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

١٢ عاماً اذ مات سنة ٥٠٥ هـ ، رحمه الله ، فما ذرف دمعة واحدة ولا استنهض همة مسلم ليذود عن القبلة الأُولى ، بينما سواه يقول :

أَحل الكفر بالإِسلام ضيماً   يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسجد جعلوه دَيْراً   على محرابه نُصبَ الصليب
دم الخنزير فيه لهم خُلوف   وتحريق المصاحف فيه طيب

أَهزَّ هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي ؟ . كلا . كلا . إذ كان عاكفاً على كتبه يقرر فيها أَن الجمادات تخا طب الأَولياءَ .

ويتحدث عن الصحو والمحو ، دون أَن يقاتل ، أَو يدعو حتى غيره إلى قتال . وابن عربي وابن الفارض ، الزعيمان الصوفيان الكبيران ، عاشا في عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع عن واحد منهما أَنه شارك في قتال ، أَو سجل في شعره أَو نثره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين .

لقد كانا يقرران للناس أَن الله هو عين كل شيءٍ ، فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم إلا الذات الإِلٰهية متجسدة في تلك الصور . هذا حال أَكبر زعماءِ الصوفية وموقفهم من أَعداءِ الله . فهل كافحوا غاصباً أَو طاغياً[1] ؟ .

---

١ ــ هذه هي الصوفية . ص ١٧٠ ــ ١٧١ .

ومما يؤسف له أن الغزالي ذكر في كتابه : المنقذ من الضلال . عند بحث طريقه في التصوف : أنه كان ـ خلال الحروب الصليبية ـ مشغولاً في خلوته تارة في منارة دمشق ، وتارة في صخرة القدس يغلق بابها عليه في مدة تزيد على سنتين . فيالها من مأساة . ! ! .

ولزيادة الفائدة أذكر هنا شهادة للدكتور زكي مبارك ، بعد أن تحدث قليلاً عن الحروب الصليبية : أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية ؟ .

تعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتجهيز الرسائل ، يحث أهل أوروبا على احتلال أقطار المسلمين ، كان الغزالي ـ حجة الإسلام ـ غارقاً في خلوته منكباً على أوراده المبتكرة ، لا يهتم بما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد ، الذي هو فرض عين في لحظة مداهمة العدو لبلاد المسلمين .

ويكفي أن نذكر أن الإفرنج قبضوا على أبي القاسم الرملي ـ الحافظ ـ يوم فتح بيت المقدس ، ونادوا عليه ليُفتدى ، فلم يفده أحد ، ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عدداً لا يحصيه إلا الله ، كما ذكر السبكي في طبقاته . وما ذكرنا هذه المأساة

إلا لنعدَّ القاريءَ لفهم حياة الغزالي[1] . وحين أغــار الفرنجة على المنصورة ـ قبل منتصف القرن السابع الهجري ـ اجتمع زعماءُ الصوفية . أتدري لماذا ؟ . لقراءَة رسالة القشيري ، والمناقشة في كرامات الأَولياءِ[2] بدلاً من أَن يجتمعوا لإِعداد العدة وإعلان كلمة الجهاد . . . فأَين هذا الموقف للمتصوفة من مواقف الرجال المجاهدين ؟ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وبذلوا أَرواحهم رخيصة في سبيل الله ، كما جاهدوا في الله حق جهاده ؟ ! .

لقد كان من هؤلاءِ المجاهدين الإِمام المجاهد ابن تيمية ، رحمه الله ، الذي ضرب أَروع الأَمثلة ونكران الذات ، عندما وقف مجاهداً ذابّاً مدافعاً عن بيضة الإِسلام ، رافعا سيفه في وجوه الغزاة ، فارتدت سيوفهم إلى نحورهم وهزموا شر هزيمــة .

جاءَ في الحديث : « اعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » . رواه الشيخان . فالإِسلام أَمر وحثّ على التهيؤ للجهاد ، وإعداد العــدة . قال تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)[3] . والإِعداد والتدريب كفيلان بالنصر والفوز والغلبة ، بعد الإِيمان بالله تعالى .

---

١ ـ التصوف بين الحق والخلق .

٢ ـ هذه هي الصوفية . ص ١٧١ ـ ١٧٢ . بتصرف .

٣ ـ سورة الأنفال : ٦٠ .

أما إهمال الجسم وعدم إعداده ، وكثرة الجوع والسهر المتواصل والتقوقع في الزوايا والخلوات ـ الذي امتاز به الصوفية ودأبوا عليه ـ فلا يليق بكرامة المؤمن ، الذي يجب أَن يكون جندياً قوياً صالحاً لخدمة الأُمة ، ورد عدوان المعتدين .

سد الذرائع المفضية إلى الشرك

لقد منَّ الله تعالى على الإنسانية ، ببعثه خيرة خلقه ، من الأَنبياء والرسل ، فأَنذروا أَقوامهم وبيَّنوا لهم سبيل الرشاد .

كانت الشريعة الإسلامية الغراءُ الدرع الحصين ، والملجأَ الأَمين الذي احتضن أَتباع الإسلام ، فكانوا بذلك في مأْمن من غوائل الفساد والضياع .

ومن جملة احتياط الإسلام لأَبنائه ، أَن هيأَ الأَذهان والنفوس لكل جديد ، كما نبَّه على ما يجب الالتزام به والوقوف عنده لسد الباب في وجه كل ما مِنْ شأْنه أَن يفضي إلى الإضرار بأَبناءِ المجتمع في معسكر الإسلام .

وهكذا سدَّ الإسلام كافة الذرائع ، التي تفضي إلى شل المقومات الأَساسية وعناصر القوة في صرح الإسلام .

ولما كان الشرك المدمر هو أَظلم الظلمات ، وأَفسد المفاسد ، فقد

أَولاه الإِسلام كل اهتمامه ، وسد أَبوابه وكل الذرائع المفضية إِليه ليكون المجتمع في مأْمن من هذا الداءِ العضال ، والوباءِ المعدي والشلل الفتاك ، الذي ما أَصاب أُمة من الأُمم إِلا تُودِّع منها وخسرت بذلك دنياها وآخرتها .

فنجد النبي ، ﷺ ، يرفض في شدة وصراحة كل مبالغة في تعظيمه ، تظهره في غير مظهر العبودية لله ، التي لا يفخر بغيرها . فيقول لأَصحابه : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ وَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ »[1] .

وروى النسائي عن ابن عباس : أَن رجلاً قال للنبي ، ﷺ : ما شاءَ الله وشئْتَ . فقال : « أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِداًّ ؟ قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » .

وروى الطبراني . أَنه كان في زمن النبي ، ﷺ ، منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغث برسول الله من هذا المنافق . فقال النبي ، ﷺ : « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ » . وهكذا علمهم النبي ، ﷺ ، أَن يعطوا كل ذي حق حقه ، فالعبد عبد ، والرب رب .

وروى النسائي عن أَنس – بسند جيد – أَن أُناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال :

---

١ – متفق عليـــه .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيكُمُ الشَّيْطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » . وفي رواية أنه قال لهم : « السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ » .

إن الجماهير دائماً تميل إلى الغلوِّ في تعظيم القادة والزعماء والشيوخ – كحال الشيوخ ومريديهم ، وزعماءِ الأحزاب وأتباعهم– فبعض هؤلاءِ يغالي في تعظيم وتقديس شيخه أو رئيس حزبه أو تجمعه عن إخلاص ، وبعضهم عن رياءٍ وتملق . فكيف إذا كان القائد نبياً ؟ . وكيف إذا كان سيد النبيين ؟ . ولكن النبي المعلم لقنهم درساً ألا يتجاوزوا به حدَّ العبودية : « أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » .

كما علمهم[1] أن يعلنوا كل يوم تسع مرات في صلواتهم المفروضة – فضلاً عن سننهم ونوافلهم – كلما جلسوا للتشهد : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . متفق عليه . من حديث ابن مسعود .

فتأمل هذا الموضوع ، لترى توجيهات الهادي البشير ، الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، ولتقف على ما كان عليه أصحابه الأبرار . فتلك هي المبادئ ، وحجارة الأساس التي يقوم عليها صرح العبادة الخالصة لله رب العالمين .

١ – راجع كتاب : العبادة في الإسلام .

نابتــة الصوفية يتبعــون الهــوى

لقد زلَّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين ، فضلاً عن كثير من النصوص التشريعية ، التي جاءت تشريعاً للناس واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل . ومن بين هؤلاء نابتة الصوفية .

ويعجبني ما قـاله الإمام الشاطبي محذّراً من ضلالهم[1] : رأى نابتة متأخرة الزمان ، ممن يدعي التخلق بخلق أهل التصوف المتقدمين أو يروم الدخول فيهم ، يعمدون إلى ما نقل عنهم في الكتب من الأحوال الجارية عليهم ، أو الاقوال الصادرة عنهم ، فيتخذونها ديناً وشريعة لأهل الطريقة ، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح ، لا يلتفتون معها إلى فتيا مفت ، ولا نظر عالم ، بل يقولون : إن صاحب هذا الكلام ثبتت ولايته . فكل ما يفعله أو يقوله حق ، وإن كان مخالفاً ، فهو أيضاً ممن يقتدى به . والفقه للعموم ، وهذه طريقة الخصوص .

فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال ، ولا يحسنون

١ – كتاب الاعتصام . ج ٢ ص ٣٤٨ . وما بعدها .

الظن بشريعة محمد ، ﷺ ، وهو عين اتباع الرجال ، وترك الحق . مع أَن أُولئك المتصوفة الذين ينقل عنهم ، لم يثبت أَن ما نقل عنهم كان في النهاية دون البداية ، ولا علم أَنهم كانوا مقرِّين بصحة ما صدر عنهم أَم لا . وأَيضاً قد يكون من أَئمة التصوف وغيرهم من زلَّ زلة يجب سترها عليه ، فينقلها عنهم من لا يعلم حاله ممَّن لم يتأَدب بطريق القوم كل التأَدب .

وقد حذَّر السلف الصالح من زلة العالِم ، وجعلوها من الأُمور التي تهدم الدين ، فإنه ربما ظهرت فتطير في الناس كل مطار فيعدونها ديناً وهي ضد الدين ، فتكون الزلة حجة في الدين .

فكذلك أَهل التصوف . لابد في الاقتداء بالصوفي من عرض أَقواله وأَفعاله على حاكم يحكم عليها : هل هي من جملة ما يتخذ ديناً أَم لا ؟ . والحاكم هو الشرع . وأَقوال العالم تعرض على الشرع أَيضاً . وقل ذلك في الصوفي أَن نسأَله عن تلك الأَعمال ، إن كان عالمـاً بالفقه ، كالجنيد وغيره رحمهم الله .

ولكن هؤلاءِ الرجال النابتة لا يفعلون ذلك ، فصاروا متبعين للرجال من حيث هم رجال ، لا من حيث هم راجحون بالحاكم الحق وهو خلاف ما عليه السلف الصالح ، وما عليه المتصوفة أَيضاً . إذ قال إمامهم سهل بن عبد الله التستري : مذهبنا مبني على ثلاثة

أُصول : الاقتداءُ بالنبي ، ﷺ ، في الأَخلاق والأَفعال ، والأَكل من الحلال ، وإِخلاص النية في جميع الأَعمال . ولم يثبت في طريقهم اتباع الرجال على انحراف ، وحاشاهم من ذلك ، بل اتباع الرجال شأْن أَهل الضلال .

روي عن النبي ، ﷺ ، وأَصحابه في هذا المعنى ما ينبغي تأَمله ؛ فروى كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن أَبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « إِنِّي لَأَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثَةَ أَعْمَال » . قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ . قال : « أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ زَلَّةِ عَالِمٍ وَمِنْ حُكْمِ الْجَائِرِ ، وَمِنْ هَوىً مُتَّبَعٍ ».

وإِنما زلة العالم بأَن يخرج من طريق الشرع ، فإِذا كان ممن يخرج عنه فكيف يجعل حجة ؟ هذا مضاد لذلك .

نفور بعض المتصوفة من العلم والعلماء

إِن الجمهرة الغالبة من الصوفية ، تنفر ممن يذكر الشرع أَو القرآن ، أَو يكون معه كتاب أَو يكتب . وذلك أَنهم استشعروا أَن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم ، ويكشف ادعاءهم ويبطل

تخرصاتهم ، ويبدد ظلمات أستارهم ويقضي على موارد رزقهم[1] وسائر شعوذاتهم التي تستند على شريعة الشيطان .

وهكذا صارت شياطينهم تهرِّبهم من هذا ، كما يهرِّب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه ، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يرونه . وقال تعالى عن المشركين : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[2] . وقال تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)[3] . وهم من أرغب الناس في السماع البدعي ـ سماع المعازف ـ ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى[4] .

وبعد : يرحمك الله يا شيخ الإسلام ، يا من خبرت الصوفية والمبتدعة وأهل الضلال ، وسبرت أغوارها وهتكت أستارها فكفيتنا مؤنة البحث ، فطوبى لك وحُسن مآب .

---

١ ـ كالتي تنهال على شيوخهم وأدعيائهم بدون حساب . مثل النذور ووقف الأطيان والبيوت ، والثراء الفاحش بدون حساب ، ومن دخل الحجب والعزائم ، وغيرها من وسائل الدجل والتدليس غير المشروعة إلا في شرعهم الشيطاني ، والتي يصعب حصرها . ولعَمر الله ، فتلك طريقة التصوف التي اتخذت حرفة وتجارة للتعيش والارتزاق باسم الـدين .

٢ ـ سورة فصلت : ٢٦ . ٣ ـ سورة المدثر : ٤٩ ـ ٥١ .

٤ ـ مجموعة الرسائل . ج ٥ ص ٩٩ بتصرف .

أقول : لقد عايشت الصوفية المعاصرة طويلاً ، فهم كأسلافهم ينفرون من مجالس العلم والعلماءِ ، تنفيذاً لتعاليم شيوخهم الفسقة الذين يحتكمون لأمر الشيطان في أكثر الأحيان ، مع تدليسهم على العامة بأنهم من حزب الرحمان ، العاملين تحت لواءِ القرآن .

وكثيراً ما كنت أُشاهد ضحايا الصوفية[1] ، أثناءَ إلقــاءِ الدروس في المساجد ، متحلقين في مجالس منزوية اتخذوها أماكن دائمة لجلوسهم ، ويكون حديثهم في أُمور الدنيا وبأصوات مرتفعة .

دحض شبهــة باطنيــة

تتردد على ألسنة الناس ضلالة موروثة . وهي : أَن الله تعالى موجود في كل مكان . وهذا ما يتكرر على أَلسنة جمهرة كبيرة من أَبناءِ هذه الأُمة . أَقول : إن هذا القول مخالف للإيمان ، وقد يؤدي إلى القول بوحدة الوجود ، التي قال بها الباطنية وبعض الصوفية المنحرفين ، أَمثال ابن عربي والحلاج المارقين . زد على ذلك ، فإن المكان محدث ومحدود ، والله تعالى غير محدث وغير محدود ، وهو بكل شيءٍ محيط . والقول بأَنه كائن في كل مكان يجعله محاطاً[2] . تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً .

---

١ ــ لقد رأيت بأم عيني أحدهم يخرج من المسجد عندما شعر بأنني مقبل على القاء درس الجمعه ! فسبحان الذى طبع على قلوبهم وأعمى أبصارهم .

٢ ــ حاشية التصوف . التصوف بين الحق والخلق . ص ١٦١ .

وقد انتبه الشيخ محمد الحامد ، رحمه الله ، إلى خطورة القول بأَن الله في كل مكان فقال : وعلى هذا فالقول بأَن الله حالٌّ في كل مكان ، قول باطل عاطل لا يقول به إلا أَهل الحلول الكافرون ، وهو والقول بوحدة الوجود من باب واحد ، والعلماءُ براءٌ منهما جميعاً[1] .

ذكْر الصوفية بدعة يهودية

جاءَ في المزمور التاسع والأَربعين بعد المائة : ليبتهج بنو صهيون بملكهم . ليسبِّحوا اسمه برقص ، وبدف وعود ليرنموا ... هلِّلوا . سبحوا الله في قدسه ، سبحوه برباب وعود ، سبحوه بدف ورقص سبحوه بأَوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج الهتاف .

وهكذا يذكر الصوفية ، وحسبك أَن ترى [جاز] صوفية يذكرون بها ، لتشهد الصلة الوثيقة بين ذكر الصوفية والبدعة الجاهلية اليهودية . ولكن الدباغ يزعم أَن الصوفية يهتزون يميناً وشمالاً لأَن الأَقطاب أَو الملائكة تفعل ذلك[2] .

١ ـ من أَراد الاستزادة فعليه بكتاب الإمام أَحمد « الرد على الزنادقة والجهمية » ففيه النفع الكثير .

٢ ـ الدباغ هو أَحد مشاهير الصوفية الضالعين فيها . الإبريز . ج ٢ ص ٧٢ عن « هذه هي الصوفية » ص ١٤٣ .

المدائح والأدعية عند الصوفية

لقد خرج كثير من الناس عن حدود الشرع ، لجهلهم أُمور دينهم ، والتماسهم عبادات وطقوساً مبتدعة ، ما أَنزل الله بها من سلطان ، ولم ينقل ذلك عن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وهو القائل : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »[1]. ولا عن أَصحابه ، رضوان الله عليهم ، ولن يصلح آخر هذه الأُمة إلا بما صلح به أَولها ، وهو اتباع الكتاب والسنة وما سار عليه سلف الأُمة .

إن الذين حادُّوا الله ورسوله ، وجعلوا ما نهى عنه رسول الله ﷺ ، قربة إلى الله ، هم الذين تنكبوا شرع الله فأَخطؤوا التوفيق وما أَصابوا .

وهذه حال أُمتنا مع أَبناءِ جلدتها والمنتسبين إليها ، فهو حال لا تحسد عليه ، خاصة مع حركة التصوف وما درج عليه أَدعياؤها والمنتسبون إليها خلفاً عن سلف ، من حيث خطرهم المحدق ، المتمثل فيما ينفثونه من سموم قاتلة ، وبما ينشرونه من معلومات مشوهة وخزعبلات ينسبونها للدين وأَهله ، فجعلوا بذلك من الإِسلام هدفاً يرمى ، ومنفذاً للأَعداءِ يبثون من خلاله سمومهم وأَحقادهم الدفينة عبر معاقل الإِسلام .

---

١ – متفق عليــه .

وبالاطلاع على كتبهم ، المشوهة المظلمة والمليئة بالمتناقضات والبدع والخرافات ، يحكم المرءُ على فساد حالهم وسوءِ منقلبهم لما تحوي بطونها من البدع المنكرة ، التي جاءَ الإسلام لمحاربتها وتطهير الأُمة من ويلاتها ، فهي ظلمات بعضها فوق بعض .

إن نظرة سريعة إلى المدائح والقصائد ، التي يمدح بها رسولنا عليه الصلاة والسلام ، من قبل الصوفية ، لكفيلة في كشف مدى الغلوّ والمبالغة التي تعج بها هذه المدائح البدعية ، التي يشوبها كثير من الشرك ، وما يخالف روح الإسلام وتعاليم رسوله ، عليه السلام الذي قال : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ . فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ »[1] .

ومثل هذه الأَعمال المخالفة لشرع الله ، مثل ما وقع فيه النصارى الذين يباركون للصوفية هذا الصنيع الفاسد .

ولإيضاح هذه الصورة ، وزيادة في تجلية هذا الموقف ، نضرب بعض الأَمثلة التي تكشف ما هو عليه الحال وسوءُ المآل عند الصوفية وكيف نظهر مخالفاتهم ، التي نهى عنها الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه . ومنها :

ما كان أَن يظهر شمس ولا قمر ولا نجوم ، ولا بحار ولا أَشجار

---

١ — متفق عليـــه .

ولا مدر ولا جبال ، لو لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام .

وفي بيان هذا يقول ابن نباتة المصري :

لولاه ما كان أَرض ولا أُفــق ولا زمــان ولا خلق ولا جيل
ولا مناسك فيها للهــدى شهب ولا ديار بها للوحي تنزيل[1]

ونجد البوصيري كذلك يحكم هنا بأَن محمداً ، ﷺ ، دان الأَنبياءَ قبل أَن يخلق ، فيقول :

وكل آي أَتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نــوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرْن أَنوارها للناس في الظلم[2]

إن هذا الغلو والإِطراءَ فيهما مخالفة صريحة لتعاليم الإِسلام الحنيف ، وإنهما من الأُمور التي تستلزم الهلاك المحقق . وهذا واضح في قول النبي ، عليه الصلاة والسلام : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ »[3] .

والذي أُريد التأْكيد عليه هو أَن تعظيم الرسول ، ﷺ ، وحبه

---

١ — منقول باختصار من كتاب « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » .

٢ — ياله‍ــا من مأساة محزنة وفاجعة مؤلمة . . . فقل لي بربك يا من كنت من أتباع محمد ، عليه الصلاة والسلام ، أيصدر هذا الشعر وأمثاله ممــّن يدعي حب محمد عليه السلام ؟ ! الذي أمر أتباعه ومحبيه بالاقتداء به ، وعدم مخالفة أمره ؟ ! . ومن المحزن حقــاً أن تصبح هذه الأشعار والمدائح أذكاراً يحفظها الصوفية ويرددونها في أورادهم — المخترعة — صباح مساء ، أكثر مما يحفظون من كتاب الله ، والمأثور من سنة رسوله العظيم . والله المستعان .

٣ — رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس .

وإجلاله هو باتباع سنته وإقامة ملته ، ومحاربة كل ما يلصقه المبتدعون والجاهلون بها ، من خرافات ومزاعم باطلة . ومن المؤسف في هذه الأَيام أَن ترك أَكثر الناس السنة وهجروها ، وتاجروا بالبدعة والغلو ، وتمسكوا بالضلال ، وتقربوا إلى المبتدعين ، وحاربوا دعاة السنة والمتمسكين بها .

وكذلك يقول البوصيري في الميمية :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وفي هذا لم يُبْقِ البوصيري شيئاً من خصائص الأُلوهية إلا وقد نسبه لرسولنا ، ﷺ ، حتى علم اللوح والقلم ، الذي استأْثر به الله سبحانه ، ولا ريب أَن هذا خروج سافر عن الحق ، واتباع لطرائق الشرك والكفر اللذين حاربهما رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه.

أَين هذا القول وما أَمر الله به نبينا - الذي قيل فيه مثل هذه الأَقوال - فلنتأَمل قول الحق ، تبارك وتعالى ، حيث يقول : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[1] .

هذا ما قضت به الآية الكريمة ، ولا شك أَن من يعبد الله على غير

---

١ - سورة الأعراف : ١٨٨ .

ما أَمر به ، فإنه يتعدى الحدود ، ويفلت من طوق الشريعة وحصنها الأَمين ، لأَنه لا تقبل عبادة ـ صغرت في عين فاعلها أَو كبرت ـ طالما لم يشرعها رسول الله ، ﷺ ، ولم يأْمر بها أُمته . فالسعادة كل السعادة في اتباع أَوامر الله ورسوله ، وعدم مخالفتهما . لقوله سبحانه وتعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)(١) . ولقول رسول الهدى والخير ، صلوات الله عليه وسلامه : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »(٢) .

وهذا الغلو ـ الذي سبق تفصيل القول فيه ـ لا يفهم إلا إذا عرفنا أَنه يرجع إلى أَصل من أُصول التصوف ، وهو القول بالحقيقة المحمدية . والحقيقة المحمدية هي العماد الذي قامت عليه [قبة الوجود] كما عبر ابن عربي : هي الوصل بين الله والناس ، فهي القوة المدرة التي يصدر عنها كل شيء(٣) .

يقول الحلواني(٤) في قصيدته ـ المستجيرة ـ يخاطب رسول الله ﷺ :

أَنشاك نوراً ساطعاً قبل الورى	فرداً لفرد والبرية في العدم
ثم استمد جميـع مخلوقاتـه	من نورك السامي فيا عِظَم الكرم

١ ـ سورة الحشر : ٧ . ٢ ـ متفق عليه .

٣ ـ بتصرف من كتاب « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق جـ١ .

٤ ـ رسالة لعبد المنعم الحلواني ص ١٤ . وما بعدها . عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » .

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم في هذه الدنيا وفي اليوم الأَهم
جُدْ لي فإن خزائن الرحمن في يدك اليمنى وأنت أكرم من قسم

وفيما يلي بعض الأَمثلة من الأَدعية الصوفية ، علاوة على الطائفة التي سبقت . يقول قائلهم : إلٰهي أَستهلك كلِّيتي في كلِّيتك وأَمد أَوليتي بأَوليتك ، حتى أَشهد أَوليتك في أَوليتي ، وأُخريتك في أُخريتي ، وظاهريتك في ظاهريتي وباطنيتك في باطنيتي وقابليتك في قابليتي ، وأَنت في أُمنيتي ، وهويتك في هويتي[1] .

اللّهم صلِّ وبارك على طلعة الذات المطلسم ، والغيث المطمطم لاهوت الجمال وناسوت الوصال[2] ، وطلعة الحق ، هوية إنسان الأَزل ، في نشرهن لم يزل ، ومن أَقمت به نواسيت الفرق إلى طريق الحق ، فصلِّ اللهم به منه فيه[3] .

وكذلك قولهم : اللّهم صلِّ على محمد الذي تجسَّد فيه الله اللّهم صلِّ على نفسك التي ظهرت وتظهر في صور الكائنات اللهم وأَسأَلك بجميع ما تعلم لنفسك من لا يعلمه منك غيرك أَن تنفعني ياذا الجلال والإكرام في شهود تجليات ذاتك بالعين التي

١ ـ مجموعة الأحزاب . ص ١٥ . نقلاً عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » .
٢ ـ أي الإنسان الذي وصل بين الأُلوهية والإنسانية في ذاته ، فباطنه لاهوت وظاهره ناسوت .
٣ ـ المصدر السابق ص ١٤ ، نقلاً عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » ص ١٦٦ .

لا تحجب عنها شيئاً في الأَرض ولا في السماءِ ، وأَفض على جميع ذاتي لذة الشهود حتى أَكون كلي لذة ذاتية إِلٰهية سارية في نفسي وتجلَّ لي يا إِلٰهي بمقام الاستواءِ الجامع للمراتب الخفية الإِلٰهية[1] .

هذه أَمثلة مظلمة من مدائح الصوفية وأَدعيتهم المغرقة في الغلو والشرك والاعتداءِ على حق الأُلوهية . فالصوفية على عادتهم يبتكرون البدع ، ويتفننون في أَساليبها ، ويغرقون في الشرك والحلول . فيدعون غير الله في أَحوالهم ، ويتقربون إليه بالمعاصي . وهم بذلك يظنون أَنهم يحسنون صنعاً . فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وعلى الجانب الآخر يعلمنا القرآن الكريم ، ويرشدنا إلى المنهج الصحيح في التوجه إلى الله سبحانه عند الدعاءِ ، لأَن دعوة الله هي أَوثق عُرا الإِيمان ، « وَالدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَجَوْهَرُ الْيَقِينِ وَشِعَارُ الْمُرْسَلِينَ »[2] .

قال تعالى : (كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[3] . وقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)[4] .

---

١ – المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الإلهية وينابيع الحكم الإلهية . عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » .

٢ – قال الترمذي : حسن صحيح .

٣ – سورة الأنبياء : ٩٠ .

٤ – سورة الصافات : ٧٥ .

ولما كانت إجابة الدعوات من أَخصِّ خصائص الأُلوهية ، التي تفرَّد بها الله ، فإنه يجب علينا أَن نؤمن إيماناً قوياً راسخاً أنه لا مستجيب للدعوات إلا الله .

هو الذي ندعو عند الكرب فيستجيب ، وندعوه رغباً ورهباً فلا يبخل . (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[1] . وكل ما عـداه عجزة أذلاءُ ضعفاءُ .

وقد كثرت آيات الكتاب في ذم أُولئك المشركين ، الذين يدعون مع الله آلـهة أُخرى ، كالقبوريين وغيرهم . والله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[2] .

كما بيَّن سبحانه أَن الذين يُدْعَوْن من دون الله خَلْقٌ سُلبتْ قدرتهم فلا يملكون شيئاً لأَنفسهم فضلاً عن إجابة غيرهم . وفي هذا يقول الحق عز وجل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[3] .

---

١ ـ سورة غافر : ٦٠ .
٢ ـ سورة الأعراف : ١٩٤ . ٣ ـ سورة الحج : ٧٣ ـ ٧٤ .

وفيما يــلي عرض لبعض الأَدعية المشروعة ، تختلف باختلاف مناسباتها والتي كان يدعو بها النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتي جمعت بين ثناياها كل ما يطلبه المسلم من خيري الدنيا والآخرة . ومن هذه الأَدعية المأْثورة[1] :

١ - « اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ » .

٢ - « اللّٰهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَتَوَفَّنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ » .

٣ - « اللّٰهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ » .

٤ - « اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي » .

٥ - « اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ وَخَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ لَا مَلْجَأً وَلَا مَنْجىً مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ وَبِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ» .

٦ - « اللّٰهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

---

١ - الترغيب والترهيب : للمنذري جـ ٤ ص ٥٨٢ وما بعدها .

٧ ـ « اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ » .

٨ ـ « اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ » .

وهناك الكثير الكثير من نظائر هذه الأَدعية الصالحة المأْثورة عن سيدنا رسول الله ، ﷺ. وهي كما يرى المسلم العاقل ، تجمع أُمور الخير وتأْخذ بروؤس الأَدعية الصالحة الجامعة ، ولا ريب أَن خير الهدي هدي محمد ، ﷺ ، أَولاً وآخراً .

مع الصوفية في أذكارهم

ذكْر اللهِ من أَسمى الطاعات ، وأَفضل القربات . وقد حثَّ عليه ، سبحانه وتعالى ، في كثير من آي القرآن الكريم . يقول عز وجل : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [1] . وفي الحث على ديمومة الذكر يقول : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْأَبْكَارِ) [2] . ويوضح الحق سبحانه أَن الذكر يكون في كل حال ، فيقول : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) [3] . ومثلها الكثير من الآيات الكريمة التي يزخر بها كتاب الله ، الذي لا يأْتيه الباطل

١ ـ سورة البقرة : ١٥٢ .
٢ ـ سورة آل عمران : ٤١ .
٣ ـ سورة آل عمران : ١٩١ .

من بين يديه ولا من خلفه ، وكلها تحث على الذكر ، وتبين المنزلة الرفيعة للذاكرين ، وكيف أَن الذاكرين والذاكرات مشمولون بغفران الله وأَجره العظيم : (وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[1] .

وللذكر المشروع صيغ معيَّنة ، وهيئات محددة ، وآداب متبعة لا يصح تجاوزها أَو مخالفتها بحال ، لأَن الشارع الحكيم قد نص عليها وأَمر بها ، وجعل لها ميزاناً توزن به ، فكلما تمسك المسلم بهذه النصوص - قرآنية كانت أَو من الحديث - كانت أَذكاره صحيحة وأَقرب إلى القبول عند الله تبارك وتعالى . ومعنى هذا أَنه لا يجوز للمسلم أَن يخترع الذكر من عنده وحسب هواه ، خصوصاً إِذا كان هذا الذكر خارجاً عن قواعد اللغة العربية ، ونابياً عن الذوق السليم ومخالفاً للآداب المشروعة عند الذكر .

غير أَن طائفة من المسلمين قد ضلت السبيل ، فابتدعت أَذكاراً خاصة بها ، وصنعت للذكر أَوضاعاً وهيئات لا يعرفها غيرها حتى أَضحت هذه الأَذكار والأَوضاع والهيئات عَلَماً عليها ، وهذه الطائفة هي التي تسمي نفسها [الصوفية] . وفي هذا الموضوع سأَكشف للأَخ القارىء عن بعض الأَذكار التي يعتمدونها في مجالسهم

---

٤ - سورة الأحزاب : ٣٥ .

وما يدور في هذه المجالس من أفانين الرقص والغناء ، مقرونة بالألعاب البهلوانية ، والأعمال السحرية وغيرها .

فمن هؤلاءِ القوم من يجعل الذكر ذكراً قلبياً ، اعتماداً على حديث : خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِي وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي [1] . ومنهم من يجعله صياحاً عالياً ، خلافاً لما ورد في السنة النبوية المطهرة . فعن أبي موسى قال : كنا مع النبي ، ﷺ ، في سفر ، فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ، ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ . ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمّاً وَلَا غَائِباً . إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ » [2] .

ومن هؤلاءِ الضالة من جعل الذكر مقروناً بالرقص والألعاب الشيطانية ، مستدلاً على هذا بقول الحق ، عز وجل : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) [3] . وهـذا الاستدلال لا تقوم به حجة ، ولا ينهض به دليل ، لأنه تفسير بالهوى وخارج عن إجماع المفسرين في هذه الآية .

وراح بعضهم يفتري كذباً على أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ؛ بأنه رقص لما بلغه أن الله راض عنه . مما لا أصل له في الحقيقة .

١ ـ وهو حديث غير صحيح ، كما جاءَ في « أسنى المطالب » انظر كتاب « التصوف بين الحق والخلق » ص ١٥٨ .

٢ ـ رواه مسلم وغيره .

٣ ـ سورة آل عمران : ١٩١ .

ومن عجيب أمر القوم أن لهم لساناً خاصاً في الأذكار . فهم يذكرون الله تعالى بأصوات بلهاء . مثل : [هَا] و[هِي][1] ، من الكلام المبهم الذي لا يفيد معنى تاماً ، مع مرافقة هذا الذكر بشدة الحركة والرقص مع توتر الأعصاب وتشنج الأوداج ... وهذا حالهم وقد عبرنا عنه بلسانهم ، والله المستعان .

قال الشيخ يوسف الدجوي ، وهو من أكابر علماء الأزهر : إن الذين يعملون هذه الأعمال المنكرة ، داخلون فيمن قال الله فيهم: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)[2] . ومن الذين اتخذوا آيات الله هُزواً ، وسيقال لهم : (أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)[3] .

وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي ، رحمه الله : ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية ، الذين يجتمع منهم جماعة فيكثرون من ذكر الله وذكر محمد ، ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيءٍ من الأديم ، ويقوم بعضهم ويتواجد ، حتى يقع مغشياً عليه ، ويحضرون شيئاً يأكلونه . هل الحضور معهم جائز أم لا ؟. أفتونا يرحمكم الله . فقال في الجواب : هذه الأشياءُ كلها باطلة

---

١ ــ مجلة نور الإسلام . المجلد الخامس . ص ٣٧٥ . نقلاً عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » .

٢ ــ سورة الأنفال : ٣٥ .

٣ ــ سورة التوبة : ٦٥ .

وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
وأما الرقص والتواجد ، فأول ما أحدثه السامري لما اتخذ عجلاً جسداً له خوار ، فقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون . فهو دين الكفار وعُبَّاد العجل . وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وإنما كان مجلس رسول الله ﷺ ، مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار[1] .

ويقول الدكتور زكي مبارك : الرقص والتواجد في حلقات الأذكار لا يمكن رجعه إلى أُصول إسلامية صحيحة ، وإنما هو أُسلوب قديم عرفه الناس في الديانات القديمة ، وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية ، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ويحبون لأتباعهم أن يتقربوا إليهم بالرقص والغناء والمجون[2] .

ومن عجيب أمر المتصوفة أنهم يذكرون بالإسم المفرد : الله ، الله الله . ويتركون الذكر بلَا إلٰهَ إلاَّ اللهُ ، لحجج واهية ؛ منها ما ذكر عن الشبلي أن شاباً سأله : يا أبا بكر . لِمَ تقول : الله . ولا تقول لَا إلٰهَ إلاَّ اللهُ ؟ . فقال الشبلي : أستحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي .

---

١ ــ مجلة نور الإسلام . المجلد الخامس . ص ٣٧٨ نقلاً عن كتاب « التصوف بين الحق والخلق » .

٢ ــ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق . جـ ١ ص . ٣٨٤ .

فقال الشاب : أُريد حجة أقوى من هذه . فقال : أَخشى أَن أُوخذ في الجحود ، ولا أَصل إلى كلمة الإقرار .

قال ابن الجوزي[1] ، رحمه الله ، معلقاً على هذا الكلام السخيف : انظروا إلى هذا العلم الدقيق ! ! فإن رسول الله ، ﷺ كان يأمر بقول : لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، ويحث عليها . وفي الصحيحين عنه أَنه كان يقول دُبُرَ كل صلاة : « لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » . وكان يقول إذا قام من الليل : « لَا إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ » . وذكر الثواب العظيم لمن يقول : لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

فانظروا إلى هذا التعاطي على الشريعة ، واختيار ما لم يختره رسول الله ، ﷺ . وفي ختام هذا الموضوع ، فإنني أَتوجه مخلصاً إلى إخواني المؤمنين ، أَن يجعلوا همهم الأَول والأَخير الاقتداء برسول الله ، ﷺ ، في منشطهم ومكرههم ، وأَن ينهلوا من كنوز سنته العطرة الأَدعية الصالحة التي جمعت أَبواب الخير ، فانتظمت فيها كل ما تتمناه النفوس لسعادتها في الدنيا والآخرة . فجزاك الله عنا خير الجزاءِ يا سيدي أَبا القاسم ، ونشهد أَنك قد أَديت الرسالة وبلَّغت الأَمانة ، فصلى الله تعالى عليك وسلم ، إلى أَن نلقاك ونلقى الله تعالى .

---

١ — تلبيس إبليس ص ٣٨٠ .

استغاثات ونداءات شركية

جاءَ في الرسالة الخيرية لمؤلفها حضرة خير الدين الشريف من شيوخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية[1] :

ندعوك يا الله بالآيات والذكر الحكيم بمظهر الأَسماء

بالغوث غثني م القواطع كلها — بالأَربع الأَوتاد والنجباء

وبسائر الأَبدال في أَطوارهم — وبسائر الأَفراد والنقباء

وبسرِّ سيدنا الجنيد المقتفي — آثاره أَهل الطريق وفاء

بالشاذلي قطب الوجود بأَصله — وبفرعه بطريقه الوضحاء

وبسر سيدنا حسين الْطف بنا — وابن الحسين بهذه الخضراء

ويقول الشيخ عبد الرحمن حسين الشريف في الرسالة الخيرية[2] .

أَلا يا سادتي أَنتم رجالي — هلمُّوا وانظروا قد ضاق حالي

هم السادات أَرباب العطايا — ملوك العالمين على التوالي

هم الخلفاءُ للتصريف دوماً — بذي الدنيا لهم همم عوالي

وفي الأُخرى مريدهم بعزّ — ينال الخير مع رتب الكمال

---

١ ــ الرسالة الخيرية ص ١٠٧ ــ ١١١ ، تنتشر هذه الطريقة في فلسطين والأردن ويعرف أتباعها بالدراويش وتقوم مشيخة الطريقة بإقامة الزوايا والتكايا الخاصة لأفرادها في مواطن تواجدهم وتجمعهم .

٢ ــ الرسالة الخيرية ص ١٧٠ ــ ١٧١ .

إذا ما قال تابعهم : أغيثوا عُبَيْدَكم . أتوه بكل حال
أَبا العلمين يا درعي وحصني أغثني إنه قد ضاق حالي
دسوقي يا أَبا العينين أدرك مُعَنًّى لائذاً من سوءِ حال
أَهَلْ أَجَنح لغيركم ؟ وأَنتم ملوك الأَرض بل أَنتم رجالي
وهل يخفاكم حالي ؟ فحاشا بأَن يرضيكم ذلي وآلي ! !

وبعد : فهذا لون من أَلوان استغاثات الصوفية الضالين ، الذين التجؤوا بها إلى أَشياخهم وسادتهم المقبورين ، ونسوا الله رب العالمين ، الذي لا يجوز أَن تصرف هذه العبادات ـ الاستغاثة والدعاءُ وقضاءُ الحوائج ـ لغير وجهه الكريم . والله يقول : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[1] .

بدع وشركيات فرقة التيجانية ـ الصوفية المنحرفة

ما أَكثر أَعداءَ الحق وما أَكثر المنحرفين عنه ، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا ، فجنوا الخزي والخيبة وآلوا إلى نار الجحيم ، مصيرهم المظلم ، جزاءً وفاقاً لنكوصهم وتفريطهم باتباعهم الهوى وتنكبهم طريق الهدى ، وتلك عاقبة المفسدين .

وفيما يلي بيان لبعض معتقدات فرقة التيجانية وأَذكارها

١ ـ سورة البقرة : ١٨٦ .

المخترعة . وكما هو معلوم ففرقة التيجانية منتشرة ومشهورة في أَفريقيا الإسلامية ؛ كالسودان وبلدان المغرب العربي ، ونيجريا وما يجاورها من ديار المسلمين . وفي تلك البقاع الواسعة ينتشر الفساد ودعاة القبور والمبتدعة ، الذين شوَّهوا معالم الإسلام . وقد اعتمدت على كتبهم المليئة بالطامات والضلالات المخالفة لشرع الله كمراجع ومن أَراد السلامة فليتجنب هذه المنكرات ، وأَن لا يتعبد الله إلا بما شرع وعمل به الرسول الكريم ، ﷺ، وفي هذا الصلاح والفلاح والعاقبة للمتقين .

بحث في أذكار التيجانية المنحرفة

قال في جواهر المعاني[1] : —

العقيدة الأولى :

إِن هذا الورد ادخره رسول الله ، ﷺ، ولم يعلِّمه لأَحد من أَصحابه ... إلى أَن قال : لعلمه ، ﷺ، بتأْخير وقته ، وعدم وجود من يظهره على يديه[2] .

١ — جواهر المعاني ، والإفادة ، وغيرهما ، هي من كتب التيجانية — والتيجانية طريقة من طرق الصوفية المنحرفة — وهذه الأَقوال من أَقوال شيوخ هذه الطريقة.وأَربابها كأَحمد التيجاني وغيره . للمزيد من التفاصيل انظر « رسالة الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية » للمرحوم الشيخ عبد الرحمن يوسف الأفريقي . ص ٢٠—٢٧.

٢ — نفس المصدر ص ٩١ .

ففي قوله : ادخره ولم يعلِّمه لأَحد من أَصحابه . رد على قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)[١] . ومعلوم أَن الكتمان محال على الأَنبياءِ والرسل ، لأَنه خيانة للأَمانة . ولا شك أَن نسبة الكتمان إِليه ، ﷺ ، كفر بإِجماع العلماءِ .

وفي قوله : عدم وجود من يظهره الله على يديه . تفضيل لنفسه على أَبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، حيث لا يقدر أَن يحمل هذا الورد . وهذا كلام في نهاية الفساد ، بل في غاية الوقاحة .

العقيـــدة الثـــانيـــة :

قال في جواهر المعاني : إِن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل كل تسبيح وقع في الكون ، وكل ذكر وكل دعاءٍ كبير أَو صغير وتعدل تلاوة القرآن ستـــة آلاف مرة[٢] . وهذا كفر وردّة وخروج عن الملة الإِسلامية . وهل يبقى في الدنيا مسلم لا يكفِّر قائل هذا القول ؟ . بل من لم ينكر عليه ، ورضي به فهو كافر في نفسه يستتاب ، فإِن تاب وإِلا قتل . وأَي شيءٍ يكون أَفضل من القرآن ؟ وهل ينزل الله على رجل شيئاً بعد النبي ، ﷺ ، فضلاً عن أَن يكون خيراً من القرآن ؟ ! . إِن هذا لشيءٌ عجـــاب .

وأَظن قائل هذا القول ، ما علم بمحمد ، ﷺ ، وما دري بمَ جاءَ

---

١ ــ سورة المـــائدة : ٦٧ .　　　　٢ ــ ص ٩٦ .

محمد ، ﷺ ! ! . ولم يدر لِمَ بُعث محمد ، ﷺ ؟ ! . فداك أَبي وأُمي يا رسول الله ، لقد أَدَّيْت الأَمانة ، وبلَّغت الرسالة ، وجاهدت في الله حتى أَتاك اليقين . جزاك الله عنا أَفضل ما جزى نبياً عن أُمته أَشهد أَنك خاتم الأَنبياء ، وشريعتك ناسخة لكل شريعة ، ولن تنسخ إلى يوم القيامة ، ولم يأْت بعدك أَحد قط بمثل ما جئت به وأَشهد أَن من ادَّعى أَن هناك وحياً ينزل أَو يوحى إليه ، فقد أَعظم الفرية على الله . قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[1] . أَفلا تعظِّمون كتاب ربكم ؟ ! .

إن هذه طريقة كفرية . ! إنها تزعم بأَنها أَفضل من القرآن – على حد زعم قائلها – أَعوذ بالله من كل شيطان مارد . هل يعبد الله بشيءٍ أَفضل من القرآن ؟ ! . إن كان الجواب بنعم – كما هو شأْن أَصحاب هذه الضلالات والشركيات – إذن فهؤلاءِ قد فضلوا على النبي ، ﷺ ، وأَصحابه ! لأَنهم ما عبدوا الله بشيءٍ أَفضل من القرآن ! ! .

ولقد كان ، ﷺ ، يجعل لنفسه ورداً كل ليلة من القرآن وهكذا أَصحابه ، رضوان الله عليهم أَجمعين .

---

١ – سورة النحل : ١١٦ – ١١٧ .

قال ، ﷺ: « أَفَضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». الحديث . إنه من أَفضل القرآن . وقد ثبت أَنه ، ﷺ، قال : « فَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَىٰ كَلَامِ الْخَلْقِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ » . رواه الترمذي وغيره . أَليس هذا صدّاً للجهال الغمر عن القرآن ؟ . وهل يتمسك بهذه الطريقة ـ بعد ما سمع أَنها أَفْضَل من القرآن ـ إلا جاهل بكتاب الله وسنة رسوله ؟ ! . وهل يستقر في عقل صحيح كون مرة واحدة من صلاة الفاتح ، أَفضل من ذكر واحد ورد عن النبي ، ﷺ، فضلاً عن جميع الأَذكار التي وقعت في الكون ؟ ! . أَين العقول الراجحة ؟ ! . تالله لقد جمعت هذه الطريقة كل جهول غبي بعيد عن الدين .

لقد كان آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد ، عليهم أَفضل الصلاة وأَتم التسليم ، كان هؤلاءِ يذكرون الله . وهل يكون مبتدع هذه الطريقة أَفضل من هؤلاءِ الأَنبياءِ ؟ ! . كلا وحاشا . فإِنا لله وإِنا إِليه راجعون .

العقيــدة الثـالثــة :

قال في الإِفادة : من لم يعتقد أَنها ـ أَي صلاة الفاتح ـ من القرآن لم يصب الثواب فيها[1] .

---

١ ـ ص ٨٠ .

ونحن نقول : من اعتقد أَنها من القرآن فقد كفر كفراً ظاهراً ؛ لأَن القرآن كلام الله ، ولا ينزل الوحي إلا على الأَنبياء وهذه الصلاة لم نجدها في كتاب الله ، ولا حتى في حديث موضوع عن رسول الله ، ﷺ. فهل الذي نزلت عليه نبي أَو ولي ؟ . فإن كان ولياً ، فالولي لا ينزل عليــه الوحي . والناس في طريقة التيجانية فرقتان ؛ فرقة إن اعتقدت أَنها من القرآن ، خرجت عن الملة الإسلامية . والثانية : إن اعتقدت أَنها ليست من القرآن ، خرجت عن طريقتهم والله يعــلم السر وأَخفى .

العقيــدة الرابعــة :

قال في الإفادة الأَحمدية . ص ٧٤ : يوضع لي منبر من نور يوم القيامة ، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف : هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم . وذكره أَيضاً في كتابهم[١] .

وهذا القائل قد نصب نفسه في مقام النبوة ، لأَن النبي ، ﷺ هو خطيبهم يوم القيامة ، كما ذكره الترمذي عن أَنس بن مالك . وفي قوله تصريح بأَن الأَنبياء والرسل كانوا يستمدون منه ، لأَنهم شملهم الموقف وهذا محال ، ولا يقوله إلا من سلب عقله فادعى الربوبية .

١ – بغية المستفيد . ص ١٧٣ . مقتبس عن رسالة « الأَنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية » .

العقيــدة الخــامسة :

قال في جواهر المعاني . ص ١٠٥ : لا تُقرأُ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية . أقول : هذا كتاب الله تجوز قراءته بالطهارة وبغيرها ، كما كان ، ﷺ ، وأصحابه يقرؤون القرآن على غير وضوءٍ . وهذا تشريع جديد لم يأْذن به الله تعالى ورسوله ، ﷺ . وفساد هذا القول يغني عن الخوض فيه .

العقيــدة السادســة :

قال في الإفادة الأحمدية . ص ٥٧ : نهاني رسول الله ، ﷺ ، عن التوجه بالأسماء الحسنى ، وأمرني بالتوجه بصلاة الفاتح .

وهذا عين الضلال والكفر . كيف نهى رسول الله ، ﷺ ، عن شيءٍ أمره الله تعالى به في قوله : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) . وهذا أيضاً كذب على رسول الله ، ﷺ ، وجرأة على الشريعة المحمدية ؟.

العقيــدة السابعــة : .

قال في جواهر المعاني . ص ١٤٥ . جـ٢ : إن ولياً ـ وذكر اسمه ـ كان كثيراً ما يلقى النبي ، ﷺ ، ويعلمه الشعر . كيف ؟ . وقد قال الله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)[1] . وهــذا كذب على رسول الله ، ﷺ ، وافتراءٌ عليه .

١ ــ سورة يس : ٦٩ .

العقيـــدة الثـــامنة :

قال في جواهر المعاني . ص ١٧٠ : من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أَو الاثنين يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب . وفي بغية المستفيد : ولو كان كافراً يختم له بالإِيمان .

انظر أَيها القارىءُ إِلى سخافة هذا القول وجرأَته . قال تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)[1] . لقد جعل هذا الدعِيُّ نفسه أَفضل من الأَنبياءِ . فقد قعد رسول الله ﷺ ، مع عمه أَبي طالب سنين ، ومع ذلك مات عمه كافراً . ونظر أَبو جهل إِلى رسول الله ، ﷺ ، ومع ذلك مات كافراً ، ومات أَبو نوح ، عليه السلام ، كافراً ، ولم ينفع أَحداً منهم نظرٌ ولا صحبة . وقال في الإِفادة الأَحمدية ص ٤٠ ما نصه : طائفة من أَصحابنا ، لو اجتمع أَكابر أَقطاب هذه الأُمة ، ما وزنوا شعرة من أَحدنا . وفي شرح منية المُريد . ص ١٧٢ :

طائفة من صحبـــه لو اجتمع أَقطـاب أُمة النـــبي المتبـــع
ما وزنوا شـــعرة من فـــرد منها فكيف بالإِمام المتبع ؟ !

انظر يا أَخا الإِسلام إِلى القول الشنيع والجرأَة العظيمة ، حيث فضَّل أَصحاب بدعته على أَصحاب النبي ، ﷺ ، أَكابر هذه الأُمة ؟

---

١ ــ سورة الأنعـــام : ١٤٤ .

نعم . لا يقول هذا إلا جاهل وفي عقله خلل ، حيث يجهل قدر أَصحاب رسول الله ، ﷺ ، أَئمة الهدى ومصابيح الأَنام ، رضي الله عنهم أَجمعين .

العقيـــدة التـــاسعة :

قال صاحب الرماح ، الذي بها حسن جواهر المعاني ، في الفصل الثاني والعشرين ، ص ١٥٢ ما نصه : إنهم لا ينطقون إلا بما يشاهدون ويأْخذون عن الله ورسوله الأَحكام ، الخاص للخاصة ، لا مدخل فيها للعامة ، لأَنه ، ﷺ ، كان يلقي لأُمته الأَمر الخاص . قاله شيخنا أَحمد التيجاني ، كما في جواهر المعاني . ا . هـ .

تباً لهذه المقالة ، وبئس قائلها ومفتريها ، وسواد ظلامها يغني عن الخوض فيها .

أُقول : تفكَّر أَيها المسلم في هذه المقالة . هل أَهل الطريقة كانوا أَنبياءَ ؟ . وانظر إلى التناقض في كلامهم ، لأَنهم – بزعمهم الكاذب – بعد ما أَخذوا عن الله تعالى ، لا يحتاجون إلى الرسول ، لوجود التساوي بينهم في الدرجة ، أَو يزيدون على الأَنبياءِ – بزعمهم – لأَن الرسل كانوا يأْخذون عن الله تعالى بالوحي ، وأَرباب الطرق يأْخذون عن الله – بزعمهم – بغير واسطة ، لوجود من يقول منهم : إنه ينظر

إلى اللوح المحفوظ إذا أراد أن يأخذ حكماً من الأحكام . ! وما ذاك إلا لوح الشيطان .

قال تعالى : (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً)[1].

قال الشاطبي في الاعتصام ، مفسراً قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)[2] . وما ذلك إلا لخفة يجدونها في ذلك الالتزام ، ونشاط يداخلهم ، يستسهلون به الصعب بسبب ما دخل النفس من الهوى . وإذا بدا للمبتدع ما هو عليه ، رآه محبوباً عنده لاستبعاده للشهوات ، وعمله من جملتها ، ورآه موافقاً للدليل عنده فما الذي يصدُّه عن الاستمساك به والازدياد فيه ؟ . وهو يرى أن أعماله أفضل من أعمال غيره ، واعتقاداته أوفق وأعلى . أفيفر البرهان مطلباً (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) . وقال الرسول ، ﷺ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

أخي القارىء لا تستبعد التوبة ولا تأنف من الاستغفار ، فقد كان ، ﷺ ، يستغفر كل يوم مئة مرة . وشروط التوبة مذكورة في قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ)[3]

---

١ ــ سورة الأنعام : ١١٢ .

٢ ــ سورة الكهف : ١٠٣ ــ ١٠٤ .   ٣ ــ سورة طه : ٨٢ .

وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . وما جمعت هذه العجالة إلا رغبة في أن يهدي الله تعالى بها ، ولو فرداً واحداً من المسلمين ، لقوله ﷺ لعليّ : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أُنيب . وهذا حاصل ما جمعته لكم من كتبهم ، نصيحة لكم وللمسلمين ، حتى يعرف المسلم طريقه ومنهاجه ، ويسلك طريق الهدى ، ويتجنب مناهج المبتدعة والمضلين والمحرفين ، أَمثال طريقة الفرقة التيجانية هذه وغيرها من فرق الصوفية المنحرفة الشاذة ، التي اتخذت لها طريقاً يخالف مناهج أَهل السنة والجماعة ، وما جاءت به السنة المطهرة كما تخالف نصوص القرآن الكريم .

وكل ما أَرجوه من القراءِ الكرام أَن يدرسوا هذه الأَفكار وغيرها من أَذكار أَهل التصوف وتعاليمهم ، وأَن يزنوها بميزان الشرع وعند ذلك يقفون على ضلالات وشركيات هؤلاءِ الذين أَفسدوا الدين وكانوا بحق من أَولياءِ إبليس ، الذي من أَهم أَهدافه إغواءُ الأُمة وإفساد دينها ، وإخراجها عن الملة الحنيفية .

ولكم – أَيها الإِخوة – في رسولكم المنقذ الأُسوة الحسنة ، فعلينا باتباعه والاقتداءِ بهديه ، وفي ذلك النجاة والفوز في الدارين وصدق الله العظيم :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)[1] .

وأرجو الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً لجميع المسلمين ، إنه الهادي إلى الصراط المستقيم .

الشيخ يتحمل ذنوب أتباعه

من طرائف ما يحكى عن القبوريين : أن رجلاً سأل من فيه مسكة من عقل ، فقال : كيف رأيت الجمع لزيارة الشيخ ؟ . فأجابه : لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات . إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة ولا صلوا مدة الثلاثة الأيام فريضة . فقال السائل : قد تحمَّلها عنهم الشيخ .

قلت وباب [قد تحمَّل عنهم الشيخ] مصراعاه ما بين بصرى وعدوى قد اتسع خرقه ، وتتابع فتقه ، ونال رشاش زقُّومه الزائر والمعتقد وساكن البلد والمشهد ، وهو أمر شهير في العامة[2] .

فقال لي : أي ملة ـ صان الله ملة الإسلام ـ لا يمانعها كل ذلك ولا يدافعها ؟ .

قلت : ولقد أذكر في هذا ما سمعت بعض الأفاضل يحدث به[3] : أن رجلين قصدا الطائف من مكة المكرمة ، وأحدهم يزعم أنه من

---

١ ـ سورة محمد : ٣٣ .

٢ ، ٣ ـ معارج الألباب . ص ١٧٧ وما بعدها .

أهل العلم ، فقال له رفيقه ـ ببديهة الفطرة ـ أهل الطائف لا يعرفون الله ، إنما يعرفون ابن عباس . فأجابه بأن معرفتهم لابن عباس كافية ، لأنه يعرف الله .

كما قيل : إن رجلاً كان ببعض المشاهد بمكة ، فقال لمن عنده : أريد الذهاب للطواف . فقال له بعض كبرائها : مقامك هذا أكرم . أي : بجوار المشهد أو الضريح .

ومن قول العامة في أوليائهم : ردّ الجراد . وعلق الهرة في رأس الشجرة . يشفي المجانين . ويقطع الحمىّ . ويزيل الأمراض المؤلمة . . . حتى أنهم يقولون ، إذا قصد البلد الذي معتقدهم فيها ، فئام من الناس للإفساد فيها ، ثم رجعوا عنها ، أو توقفوا عن دخولها : ردهم الشيخ . وإن فعلوا بغيتهم . قالوا مثلاً : كان غائباً أو ساخطاً عليهم ـ شيخهم ـ أو أية علة اعتلوا بها ، مما يوحي بها شياطين الإنس والجن[1] .

ومن طريف أخبارهم : أن من يمرض فيلازم المشهد ـ قبر الشيخ الولي ـ يستجير به من ذلك المرض ، ويتوسل بهذا المشهد ، ليزيل عنه ما يعاني من الداءِ المستفحل ، الذي ليس له من علاج سوى الاستغاثة والتقرب والتذلل أمام هذا المشهد ، وخصوصاً إذا كان

---

١ ـ معـارج الألباب . ص ١٧٧ وما بعدها .

المرض من أَمراض العقل كالصرع وغيره ، قائلاً بلسان الحال والمقال أَيضاً : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) ، أَدام الله لدينـا عوارف فضله .

ومنهم – القبوريون الجهلة – من يمكث في المشهد أَياماً محبوساً بلا صلاة قط ، زاعماً أَنه في حبس الولي وقبره ،لا يطلقه إلا لحاجته . وما في عقله الذي تقوم به الحجة عليه اختلال ، وإنما فسدت فطرة الأَغلف بطاريءِ العوائد ، حتى كأَنه لا يعقل . ومن طريف أَقوالهم في أَوليائهم : إنه يضرب من تظلم منه أَو شكى به إليه . ويعزل الوالي إذا لم يزره . ويهب الولد إذا جومعت المرأَة عند مشهده ويسلب السلاح ويقيد ويفك الأَسرى والمحبوسين . ويهدي الضالين ويجير القوم ، ويترك بنادقهم قصباً ، وعاقلهم خنثى ، لا أُنثى ولا ذكر ، ويعاقب من أَخذ من ضريحه ورقة للتبرك بها في الحال حتى صار في بعض الجهات أَن المرأَة لا تدخل عند زوجها ، حتى تزور الولي .

وإن رجلاً زعم أَن ولياً نبه عليه في النوم : أَن يبني عليه قُبَّة . قال : فبنيتها خوفاً منه . ومن عجيب أَمرهم أَن امرأَة جاءَت قبراً فجعلت تقول : يا سيدي بعت مالي ورحت إليك من مسافة كذا سأَلتك بالله أَن تشفي ولدي ، فإني جارة الله وجارتك . ومن عجائبهم:

أَنه خرب بناءُ على معتقَد فيه من الأَموات ، فصاحت امرأَة : من يشفي لنا مرضانا ؟ من يحمي لنا حمانا ؟ آهاً عليك يا شريف .

ومن أَذيال مصيبة المشاهد والأَضرحة ، التي أُصيب بها الإِسلام وشعائره ، ما ظهر وانتشر في العامة في جهات مختلفة ، كما هو معلوم مشاهد . إن المساجد ربما تكون متروكة مهجورة ، وفيها التراب والعيدان والأَوساخ وزبل الأَنعام ، وحراق السجاير وأَعقاب التمباك وأَوحال النعال وغير ذلك ، مما يجعلها تشبه المزابل . ومشاهد الأَموات محترمة مكرمة مجمرة بالظفر والعطور ، مفروشة بالسجاد الفاخر . وعلى القبور ستور الحرير الثمينة ، وبها الشمعدانات الفضية والزخارف الصدفية ، التي لو أُنفقت لتسلحت بها الجيوش الإِسلامية ولأُنشئت بها المصانع الحربية ، وكانت بذلك قوة رادعة وحصناً في وجه الغارات الصليبية[1] .

ومن طرائفهم النادرة ، أَنهم يذهبون إلى المشهد أَو الضريح عند احتباس المطر ، وهناك يعقرون ويذبحون الذبائح ، ويقدمون القرابين والنذور ، ويسأَلون حاجاتهم . وربما يقول السادن : حبس القطر بسبب منع النذور والإِساءَة للولي . وإِذا لم يحصل المطلوب تحدثوا بأَن الولي غائب في مهمة ما مثلاً .

---

١ – معــارج الألبــاب . بتصرف .

ماذا تقول أيها المؤمن بالله ، والمتحقق بتوحيده ، في كل ما سلف تحريره ؟ ! ! هذه يا معشر المؤمنين قطرة من بحر سردناها لكم ليعلم الأغبياءُ وأمثالهم ما صار عليه الحال مما لا يحصى كثرة . فلنمسك على الدين وهو حبل الله المتين . ولنستمع لآيات الله تعالى القاصمة لجماجم المخالفين :

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ). سورة الشورى : ٤٢ . ويقول سبحانه وتعالى : (أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) . سورة التوبة : ١٢٦ .

ولا شك أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده ، يقلِّب الدهر ويدبر الأَمر ، بيده الملك والملكوت وهو على كل شيءٍ قدير . أما أولئك المنحرفون الذين لم يستقيموا على الطريقة ، ولم يهتدوا بهدي الله ورسوله ، بل باعوا أنفسهم للشيطان ، فبئس الحال حالهم وبئست التجارة تجارتهم ، والله تعالى سينزل بهم الخطوب والقوارع ولن يعجزوه ، فقد أعد لأعدائه النار ، فبئست نهايتهم تلك والنار أولى بهم .

عقيدة ابن عربي وكيده للمسلمين

قال العلامة برهان الدين البقاعي[1] ، من كبار علماء الشافعية والمتوفي سنة ٨٨٥ هـ : وينبغي أَن يعلم أَولا أَن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهي : أَن لا شيءَ سوى هذا العالم ، وأَن الإِلٰه أَمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزيئاته ... ثم إنه يسعى في إبطال الدين من أَصله ، بما يحل به عقائد أَهله ؛ بأَن كل أَحد على صراط مستقيم وأَن الوعيد لا يقع منه شيءٌ ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ، ونحو ذلك . وإن حصل لأَهله أَلم فهو ينافي السعادة والرضى ، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا وهذا يحض عند من له وعي على اعتقاد : أَنه لا إلٰه أَصلاً ، وأَنه ما ثَم إلا أَرحام تدفع ، وأَرض تبلع ، وما وراءَ ذلك شيءٌ .

نصيحة للصوفية العوام

قال الإمام أَبو علي ابن خليل السكوتي ، في كتابه : بحث العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ـ بعد أَن حذر من ابن عربي الطائي وأَتباعه ـ فقال : وليُحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائي في فصوصه وفتوحاته المكية ـ اسمي كتابيه ـ وغيرهما ، وليحترز أَيضاً من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض

١ ـ مصرع التصوف . تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي . ص ١٩ .

الشاعر وأَمثاله ـ المسمى بسلطان العاشقين ـ مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد ، لأَنه باطل بالبراهين القطعية . ثم قال : وكل كلام وإطلاق يوهم الباطل . فإن قالوا : لم نقصد بكلامنا ورموزنا وإشاراتنا الاتحاد والحلول ، وإنما قصدنا أَمراً آخر يفهم عنا . قلنا لهم : الله أَعلم بما في الضمائر ، وما يخفى في السرائر وإنما اعترضنا نحن على الأَلفاظ والإطلاقات ، التي تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد والحلول والاتحاد[1] . ا . هـ .

إن جمهرة الصوفية يقعون في شراك ابن عربي وابن الفارض والبسطامي والحلّاج وغيرهم ، من الذين انتهجوا مناهج مشبوهة واتبعوا خطوات الشيطان ، فدسوا وشوهوا وعطلوا وضلوا ، فضللوا غيرهم ، وانساق العوام في مزالقهم ، وغرقوا في بحر أَوحالهم حتى الأَذقان . فعلى هؤلاءِ المغفلين التائهين ، الذين انساقوا وراءَ هؤلاءِ المضلين المشبوهين ، أَن يراجعوا حساباتهم ويعودوا لرشدهم ، وأَن يزنوا تصرفاتهم ، ويعرضوا عباداتهم على ميزان الحق والعدل وهما : الكتاب والسنة . فمن أَخذ بهما نجا ، ومن تعلق بحبائل هؤلاءِ المحرفين فقد ضل وغوى ، ومن اتبع هواه فقد أَرداه .

أَقول : إن طريق النجاة الآن سهلة ميسورة ، فمن أَراد السعادة

---

١ ـ مصرع التصوف . ص ١٣٧ ـ ١٣٨ بتصرف .

فليتب إلى الله سبحانه توبة نصوحاً ، وليتمسك بما جاءَ في شرع الله وسنة رسوله ، وليهجر مخلفات الآباءِ والشيوخ العفنة ، قبل فوات الأَوان ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وزيادة في الوضوح نقول : إن الذي لا يحاسَب على ما ينطق ، هو المُكره أو المجنون ، وهؤلاءِ ليسوا بمكرهين ، فما ثم من يكرههم على الزندقة ، بل كان ثم من يكرههم على الإِيمان ، فلم يحاولوا : وليسوا بمجانين . بإقرار عابديهم ، وبدليل انحرافهم عن الحق في الكيد للإِسلام ابتغاءَ تمجيد الوثنية والإِباحية ، وإعلاءِ شهواتها .

كل هذا وهم يلبسون مسوح القديسين والزهاد ، زاعمين أَنهم الأَرواح المطلقة ، التي تغرد في أَقداس الجمال المطلق ، فلم يبق إلا أَن يكون لهم باعث وغاية ، تلك هِي القضاءُ على الإِسلام ، وتشويه سمعة المسلمين ؛ بطقوس ابتدعوها وشعارات مموهة حملوها فاعتنقوها .

أَلم ترَ إلى الزنادقة ، كيف يلحون في دعوة الناس إلى عبادة القبور ، والضراعة إلى الرمم ؟ ! . وكيف لا يشغلون لياليهم الساهرة على الإِلحاد إلا بهذا ؟ ولا الناس معهم إلا بتلك الوثنية ؟. كل هذا ليدكوّا ـ وما هم ببالغيه ـ أَساس الإِسلام المتين ، وهو التوحيد . تلك هي دعواهم ، وذلك هو هدفهم ، إنه خدمة أَولياءِ الشيطان ، يقدمونها طوعاً وبلا إكراه ، ولم يحققوا إلا منازل السوءِ

التي أُعدت للملحدين الجناة ، وهنالك يحتضنهم شياطينهم في قعر جهنم ، وما للظالمين من أَنصـــار .

أَقول : كانت الجاهلية الصوفية ولا تزال لطمة باطلة ، ووصمة مشوهة في غرة الإسلام ، فقد احترف أَشياخ هذه الطرائق التصوف كحرفة ، واتخذوه مهنة للتكسب والارتزاق . إن نصيحتي لهؤلاء الأَتباع التائهين الحيارى : أَنه إذا أَردتم الخير والنجاة والسعادة أَن تطلِّقوا طريقةشيخكم ثلاثاً ، إنه يخالف ما هي عليه شريعة الإسلام ، ويدعوكم لعبادة شيطانه الرجيم . ونجاتكم تكمن في اتباع السنة ومخالفة البدعة ، ذلك هو طريق السلف الصالح . وعلينا أَن نقتدي بهم ، ونحارب من يخالفهم . جاءَ في الحديث : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . رواه مسلم .

حكم من يؤوِّل للصوفية كلامهم

ما أَكثر تـأْويلات الصوفية وما أَندر مماحكاتهم المنطقية ، التي يعجز عن معرفة كنهها خواصهم المنفعلون ، والعارفون بمسالكهم ومزالق تـأْويلاتهم الفلسفية ، وبهذا الضياع السيء يخلصون إلى القول بالاتحاد ، وبدعوة الاتحادية المكفرة .

فلا عجب أَن يكون سلاحهم الذي يشهرونه في الدفاع عن

ضلالاتهم الداهية ، وتحدياتهم المكشوفة - لباطلهم - المناهضة لقيم الإِسلام ، هو التجاؤهم لمقولة التأْويل ، التي يؤوِّلون فيها ويحرفون الكلم عن مواضعه ، انتصاراً وتأْييداً لضلالاتهم وانحرافاتهم وما ذلك بمنقذ يتكئون عليه ، إن هو إلا حجة عليهم وزيادة في دفعهم وإظهار لباطلهم ، وبذلك تقوم عليهم الحجة ، ويقعون صرعى أَوهامهم وترهاتهم .

جاءَ في كتاب : مصرع التصوف : والفيصل في قطع التأْويل من أَصله ، أَن محقق زمانه وصالحه علاءَ الدين محمد البخاري الحنفي ، ذكر عنده ابن عربي - صاحب دعوة الاتحاد والحلول عند الصوفية - فقال قاضي المالكية إذ ذاك - شمس الدين محمد البساطي ، المتوفي سنة ٨٤٢ . بمكـة - بتأْويل كلامهم[١] . فقال له البخاري : كفرت . ومسلم له أَهل عصره ممن كان في مجلسه ، ومن غيرهم ، وما طعن أَحد منهم فيه بكلمة واحدة ، وقد كان منهم حافظ العصر قاضي الشافعية ، بهاءُ شهاب الدين أَحمد بن حجر[٢] وقاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني ، وقاضي القضاة محب الدين أَحمد ابن نصر الله البغدادي الحنبلي ، وزيد الدين أَبو بكر

١ - في محاولة الدفاع عن الصوفية بالتأْويل ، حجة بالغة على أن كلام الصوفية يجافي الحق ، ويناهض الكتاب والسنة . وإلا ما لجأَ أَحلاسهم إلى دعوى التأْويل .

٢ - شيخ الإسلام الحافظ المشهور بابن حجر العسقلاني . المتوفي سنة ٨٥٢ هـ .

القهني الشافعي ، وشهاب الدين أَحمد بن تقي المالكي ، وغيرهم من العلماءِ والرؤساءِ . وما خلص البساطي من ذلك إلا بالبراءَة من اعتقاده ومن طائفة الاتحادية ، وتكفيره لمن يقول بقولهم[1] .

وبعد : فهذه أَيها القاريءُ أَقوال بعض علماءِ الأُمة وعظمائها في أَزهى عصورها ، والتي مرَّ عليها حتى الآن ما ينيف على ستة قرون . وفي ذلك البيان الشافي والوضوح البين لانحراف واحد من كبار الصوفية وأَساطينها ، صاحب دعوة الاتحاد والحلول الكفرية ابن عربي الطـائي .

غفـران الذنوب عنـد الغـزالي

يعتقد الصوفية أَن التقرب لمشاهد الأَنبياءِ وأَضرحة الأَولياءِ ينفع الأَحياءَ ، وأَنه طريق لخلاص الإِنسان من ذنوبه ، وتطهيره من معاصيه وآثامه التي ارتكبـها . وفي هذا يقول الإِمام أَبو حامد الغزالي[2] :

أَما التقرب لمشاهد الأَنبياءِ والأَئمة ، عليهم الصلاة والسلام فإِن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة ، وقضاءُ الحوائج من أَرواح الأَنبياءِ والأَئمة ، عليهم الصلاة والسلام

١ ــ مصرع التصوف . ص ١٣٨ ــ ١٣٩ بتصرف .
٢ ــ المفتون الكبير . وبهامش ج ٢ من كتاب : الإنسان الكامل . ص ٨٦ ــ ٨٨ .

والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين : الاستمداد من هذا الجانب ، والإمداد من الجانب الآخر . ولزيارة المشاهد أَثر عظيم في هذين الركنين . أَما الاستمداد : فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاءِ ذكر الشفيع والمزور على الخاطر ، حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك ، ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله .

وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أَو المزور ، حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها .

ثم قال الغزالي : والركن الأَعظم في هذا الباب ، الإِمداد والاهتمام من جهة الممد ، وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك الممد فإنه لو وضع شعر رسول الله ، ﷺ ، أَو عضادته أَو سوطه على قبر عاص أَو مذنب ، نجا ذلك المذنب – ببركات تلك الذخيرة – من العذاب . وإن كان في دار إنسان أَو بلدة ، لا يصيب تلك الدار وأَهلها ، وتلك البلدة وسكانها – ببركاتها – بلاءٌ ، وإن لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلدة .

ثم يقول بعد كلام : فالملائكة عليهم السلام يعظمون النبي ﷺ فإذا رأَوا ذخائره في دار أَو بلدة أَو قبر ، عظموا صاحبه وخففوا عنه العذاب ، ولذلك السبب ينفع الموتى أَن توضع على

قبورهم المصاحف ، ويتلى القرآن على رؤوس قبورهم ، ويكتب القرآن على قراطيس وتوضع القراطيس في أيدي الموتى . فهذه أنواع المناسبات على حسب الحال ، من يريد أن يسوي كل مسموع ومشروع على قضية معقولة . أ . هـ .

بهذا يتضح لنا اعتقاد الإمام الغزالي في المشاهد والأضرحة ، التي تضم الأموات من الأنبياء والأولياء والأئمة والشيوخ ، الذين تتم بواسطتهم قضاءُ الحوائج وتحقيق المطالب . كما أن الغزالي يزعم أن سوط الرسول ، ﷺ، وأي شيءٍ آخر من آثاره الشريفة الطاهرة بأنها وسائل عظيمة ومفيدة لرفع العذاب عن المذنبين والعصاة ، إذا ما وضعت على قبورهم . كما أن البلدة أو البيت أو أي موضع آخر يحوي شيئاً من تلك الآثار الطاهرة ، فإن العذاب يرتفع عن المعذبين في تلك الأماكن ، وتنقلب سيئاتهم حسنات ؛ لأن تلك الوسائل هي الوسائط المحققة للرجاء ، وبها الشفاعة ونيل المقصود ، كما يدعي الغزالي. هذا ما يدعيه الغزالي . ويا ليته ساق لنا دليلاً واحداً أو حجة على دعواه . إنه مجرد القول والظن ، وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً .

التيجاني يفضل وِرْده على القرآن

لكل طريقة ورد خاص بها ، تفضله على جميع الأوراد الأُخرى بل تفضله على القرآن . قال شيخ التيجانية : وسأَلته ﷺ ، عن صلاة الفاتح ، فأَخبرني أولاً بأَن المرة الواحدة تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أَخبرني ثانياً أَن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاءٍ كبير أَو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة[1] .

فتدبر كيف تجاهد الصوفية في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله ؟ ! وفي هذا دعوة صريحة لإفساد عقائد المسلمين وتخريبها ليصبح المسلمون أَسرى خرافات الصوفية التي لازالت محتفظة بها والاستعاضة عن القرآن والسنة بكتب شركية شبيهة بحال النصرانية وغيرها من الدعوات الباطلة . يقول التلمساني – وهو من كبار الصوفية – : القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا[2] .

١ – جواهر المعاني لعلي بن حرازم التيجاني ج ١ . ص ١٠٣ نقلاً عن « هذه هي الصوفية » ص ١٤٨ .

٢ – مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية . ج ١ . ص ١٤٥ .

الديـــوان الباطـــني

للصوفية أُسطورة تزعم أَن في الوجود ديواناً باطنياً ، يحكم فيه القطب الأَكبر بما يشاءُ ، ويصرِّف - هو ومن معه من أَقطاب صغار - أَقدار الوجود . إِنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكِم فيها الأَقطاب أَقدار الله[1] .

وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفصل مهامه . فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة .

يقول الدباغ : الديوان يكون بغار حراءٍ ، فيجلس الغوث خارج الغار ، ومكة خلف كتفه الأَيمن والمدينة أَمام ركبته اليسرى وأَربعة أَقطاب عن يمينه ، والتصرف للأَقطاب السبعة على أَمر الغوث وكل واحد من الأَقطاب تحته عدد مخصوص يصرِّفون تحته . ولغة أَهل الديوان السريانية .

وأَهل الديوان إِذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون به ، من ذلك الوقت إِلى مثله من الغد ، فهم يتكلمون في قضاءِ الله تعالى في اليوم المستقبل ، والليلة التي تليه ، وله التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية[2] .

---

١ - هذه هي الصوفية . ص ١٣١ . بتصرف .

٢ - انتهى مختصراً بلفظه ، من كتاب « الإبريز » للدباغ . ج ٢ . ص ٩٠٢ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

أصحاب الخلوات

جاءَ في شرح العقيدة الطحاوية : وأَما الذين يتعلمون بالرياضات والخلوات ويتركون الجُمَع والجماعات ، فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أَنهم يحسنون صنعاً ، فقد طبع الله على قلوبهم . كما ثبت في الصحيح عن النبي ، ﷺ، أَنه قال : « مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُناً مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ »[١] .

وكل من عدل عن اتباع سنة - إن كان عالماً بها - فهو مغضوب عليه ، وإلا فهو ضالٌّ . ولهذا شرع الله لنا أَن نسأَله في كل صلاة أَن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أَنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين ، وحسن أُولئك رفيقاً . غير المغضوب عليهم ولا الضالين[٢] .

الطائفة الملامية[٣]

هم الذين يفعلون ما يلامون عليه ، ويقولون : نحن متبعون في الباطن . ويقصدون إخفاءَ المرائين . ردوا باطلهم بباطل آخر . ! والصراط المستقيم بين ذلك . وكذلك الذين يصعقون عند سماع

١ - رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم .

٢ - شرح العقيدة الطحاوية . ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

٣ - من شاءَ مزيد بسط في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب « الملامتية » . د. أبو العلاعفيفي

الأَنغام الحسنة . مبتدعون ضالون .

وليس للإِنسان أَن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله ، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ، ولو عند سماع القرآن بل كانوا كما وصفهم الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .) . سورة الأَنفال : ٢ .

وكذلك شأْن العقلاءِ المجانين ، فقد كان فيهم خير ، ثم زالت عقولهم . وأَما ما يحصل لبعضهم عند سماع الأَنغام المطربة ؛ من الهذيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه ، فذلك شيطان يتكلم على لسانه ، كما يتكلم على لسان المصروع . وذلك كله من الأَحوال الشيطانية . وكيف يكون زوال العقل سبباً أَو شرطاً أَو تقرُّباً إِلى ولاية الله ، كما يظنه كثير من أَهل الضلال ؟ ! . حتى قال بعضهم :

هم معشر حلُّوا النظام وخرَّقوا الـ ... سياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين إِلا أَن سر جنونهم ... عزيز ، على أَبوابه يسجد العقل

وهذا كلام ضال بل كافر ، يظن أَن في الجنون سراً يسجد العقل على بابه ، لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة ، أَو تصرف عجيب خارق للعادة ، ويكون ذلك سبباً لما اقترن به من

الشياطين ، كما يكون للسحرة والكهان ، فيظن هذا الضال أن كل من خُبل أو خرق[1] عادة ، كان ولياً لله . ومن اعتقد هذا كان كافراً . فقد قال تعالى : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)[2] . فكل من تنزل عليه الشياطين لابد أن يكون عنده كذب وفجور[3] .

الــولاية والأوليــاء

معنى الولي لغة : اسم من الوَلْيِ . والوَلْيُ هو القرب والدنوُّ[4] .

والوَلِيُّ يطلق على النصير والصديق والمحب . ويقال : إن فلاناً تولى أمر فلان . أي تعهده بالرعاية والتربية . ولذلك نقول عن الوالد : إنه ولي أمر ابنه .

والوَلاية مصدر . ووليُّ الله : من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته ، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته[5] .

وأَولياءُ الله : هم الذين ذكرهم في كتابه المجيد . قال تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ

---

١ ـ في الأصل : كاشف أو خرق العادة .

٢ ـ سورة الشعراء : ٢٢١ .

٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية . ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ .

٤ ـ القاموس المحيط ج ٤ . ص ٤٠٤ .

٥ ـ مجموعة الرسائل والمسائل : ج ١ ص ٤٠ لابن تيمية .

آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ[1] .) .

إن حقيقة الولاية غير معناها الخيالي ، الذي يعرفه الناس اليوم ، والذي أَشاعه أَهل التصوف الجهلة ، من معاني الكسل والسلبية والقعود عن العمل ، حتى أَوصلهم جهلهم هذا إلى زعم إعفاءِ أَوليائهم من فرائض الدين وشرائعه ، والذي يخالف ما رسمه الإسلام لأَهله ، وبينه لعقلاءِ المسلمين .

إن الإسلام لا يعرف شيئاً اسمه التواكل ، بمعنى : أَن يترك الإنسان عمله لغيره . وإنما يعرف الإسلام التوكل . فالإنسان عليه أَن يعمل ويسعى ثم يتوكل على الله ، أَي يجعله وكيلاً له يصل به إلى نتائج عمله ، فهو سبحانه وتعالى المالك لنواصي الأُمور ، وكل شيءٍ يتم حسب حكمته ورحمته بالعباد .

فالإسلام لا يأْمر الإنسان بالتعطل والانقطاع في البيت ، أَو العكوف في المسجد للعبادة . والرسول ، ﷺ ، حضَّ المسلم على العمل في أَي مهنة ، حتى لا تذل نفسه . فقال في الحديث الصحيح : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهُ وَيَأْكُلَ مِنْهُ خَيْرٌ لَهُ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ[2] ... » .

---

١ – سورة يونس : ٦٢ – ٦٣ .
٢ – متفق عليه .

ولو انقطع الإنسان عن العمل ، وانزوى في بيته ، أو لزم المسجد أَو الزاوية أو التكيَّة ، ما كان هناك من يمشي في جنبات الدنيا ، فيعمل فيها وينتفع بخيراتها ، ويملأَها عمراناً وازدهاراً .

ومما يؤكد أَن التوكل هو ما كان مع العمل والسعي : أَن رجلاً جاءَ إلى رسول الله ، ﷺ ، وسأَله ، هل يترك ناقته من غير أَن يربطها توكلاً على الله ؟. قال الرجل : أَعقلها وأَتوكل ؟. أَم أُطلقها وأَتوكل ؟. فقال له النبي ، ﷺ : « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ »[١] .

ومعنى هذا الحديث الشريف : أَي اربطها ثم توكل على الله فالطير يسعى ويعيش . فالولاية إذن ليست لكل من ادعى الصلاح ومعرفة أُمور الدين ، أَو قبع في المسجد أَو لازم البيت بحجة التعبد والإخلاص لله[٢] .

بل الولاية في حقيقتها الجليلة أَسمى مما يعتقدون . إنها سلوك داخلي للفرد ، ومنهاج باطني لا يعلم أَمره إلا الله وحده . فهي علاقة سرِّية تربط العبد بالله ، ثم بغيره من العباد ، على أَساس من الإخلاص والإيمان والتقوى .

إن الناس في هذه الأَيام وقعوا ضحية الجهل بأُمور الدين ، وعدم

---

١ ـ رواه الترمذي .

٢ ـ راجع كتاب « صراع بين الحق والباطل » ص ١٠ ـ ١٣ .

معرفتهم لحقيقة الولاية ، فنسبوا الأَمر إلى غير أَهله ، وخلعوا الشيءَ على من ليس جديراً به ؛ فأَطلقوا لفظ الولي على من لا يستحقونه من المتعطلين الخاملين ، الذين عطلـوا جوارحهم وتعطلوا عن العمل والسعي والكفاح والجهاد ، بحجة التواكل والزهد والانقطاع للعبادة ، ولازموا الزوايا وزوايا الأَضرحة ، ولكل من سال لعابه ولبس الثياب الممزقة المرقعة ، وأَطال شعر رأْسه وأَرخى لحيته ، وأَطبق يديه على مسبحة طويلة ، أَو علقها في رقبته فتدلت على صدره ، ووضع على رأْسه عمامة كبيرة حمراءَ أَو سوداءَ أَو خضراءَ ، وظهر أَمام الناس بمظهر المتلون ، فيتوهم به العوام .

وهكذا خدع السذج من الناس بهؤلاءِ الذين يظهرون على هذه الصورة الخادعة ، فعدُّوا الواحد من هؤلاءِ المخادعين بأَنه قطب كبير ، وأَنه واصل ومتصل مع الله اتصالا مباشراً بدون حجاب[1] .

وكأَن الله تعالى لا يختار للولاية إلا كل تارك للصلاة ، أَو جاهل بأُمور دينه ومن عنده خبل في عقله ، أَو كل مجرم شقي وضال

١ — لقد كذب هؤلاءِ الذين يزعمون للسذج من الناس أن فلاناً مرفوع عنه الحجاب ، أو أنه واصل . فإنه لم يسبق لبشر ، سواءٌ كان نبياً مرسلاً أو غير مرسل ، أن كلم الله بدون حجاب ، أو وحي ، كما يدعي الصوفية . وهذه الآية الكريمة تكذب هؤلاءِ ، إذ يقول الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) . سورة الشورى : ٥١ .

مضل . وصدَّق الناس هذه الدعاوى الكاذبة فآمنوا بها ، ووقعوا أَسرى لهذه الأَوهام ، وأُلعوبة في أَيدي محترفي الدجل ، الذين عاشوا من وراءِ هذه الدعاوى الكاذبة عيشة ناعمة ، دون عمل ولا جهد . وهذا الأَمر مشاهد ومعروف لدى كل ذي بصيرة ، والإِسلام الحنيف لم يرض لأَتباعه بهذا الانحراف الشنيع ، ولابد لكل مؤمن أَن يمحِّص منهاج حياته ، ويعرض هؤلاءِ على ميزان حساس ، وهو : كتاب الله وسنة نبيه .

المظاهر لا تدل على الـولاية

ونحن لا يمكننا بأَي حال أَن نقطع بولاية أَحد وتقواه وصلاحه فالمظاهر لا تدل على الإِيمـان والتقوى ، فكثيراً ما تكون المظاهر خداعة . فكم خُدع الناس وغرتهم المظاهر والأَشكال ، ووقعوا أَسرى الدجالين مدعي الولاية .

غير أَننا يمكن أَن نحكم فقط بإِسلام شخص من خلال ما يظهر لنا من أَحواله وسيرته ، أَما الحكم بولايته وتقواه وإِيمانه ، فهذا ضرب من المستحيل ، لأَن هذا الجانب بالذات خفي ، ولا يدخل في علمنا وإِدراكنا . يقول تبارك وتعالى : (وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) . سورة النساءِ : ٢٥ .

ويقول سبحانه وتعالى : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ) . سورة النجم : ٣٠ .

وفي صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال : أمرنا رسول الله ﷺ ، أن نحثو في وجوه المدّاحين التراب .

وعن أبي أمامة أن النبي ، ﷺ ، روى عن رب العزة سبحانه في الحديث القدسي قال : « أَغْبَطُ أَوْلِيَائِي عِنْدِي الْمُؤْمِنُ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ » .. الخ . رواه أحمد والترمذي .

إذن فلا ينبغي لنا أن نزكي أحداً بالولاية ، أو بالإيمان أو بأي نوع من أنواع التزكية ، لأن الله وحده هو العليم ببواطن الأمور وهو الخبير بحقائق الناس وأحوالهم . أما نحن فلنا الظاهر فقط مما يبدو لنا من المسلم من مظاهر العبادة .

ولا ينبغي أيضاً أن يزكي أحد منا نفسه ، مدعياً الإيمان والتقوى والصلاح ، لأن ذلك غرور وجهل وفتنة ، والله تعالى يقول فيمن يزكي نفسه : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) . سورة النساء : ٤٩ .

وعن زينب بنت أبي سلمة قالت : سمِّيتُ بَرَّة . قال رسول الله

ﷺ : «لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ. سَمُّوهَا زَيْنَبَ». رواه مسلم .

والموتى أيضاً لا يجب أن نقطع بولايتهم وتقواهم ، وإنما نحسن الظن بجميع المؤمنين ، ممن نعرف فضلهم وجهادهم في سبيل الله . ونرجو الخير لمن عرفنا أنهم كانوا يطيعون الله ورسوله ، ويسيرون على هدي الكتاب والسنة . وقد روى البخاري عن خارجة بن زيد ابن ثابت أن أُم العلاءِ – امرأة من الأَنصار ممن بايعوا الرسول ، ﷺ أَخبرتهم أَنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقُرعة . قالت : فطار لنا – أَي كان من نصيبنا – عثمان بن مظعون ؛ من أَفضل المهاجرين وأَكابرهم ، وممن شهد بدراً . فاشتكى فمرَّضناه ، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه ، دخل علينا رسول الله ، ﷺ، فقلت : رحمة الله عليك يا أَبا السائب . فشهادتي عليك : لقد أَكرمك الله تعالى . فقال لِي رسول الله ، ﷺ: « وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ ؟ . » . فقلت : لا أَدري . بأَبي أَنت وأُمي يا رسول الله .

فقال رسول الله ، ﷺ: « أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ . مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي » . قالت : فوالله لا أُزكِّي أَحداً بعده أَبداً .

فهذا الرجل – عثمان بن مظعون ، رضي الله عنه – كان من

المهاجرين الذين جاهدوا وأُوذوا في سبيل الله ، وهو من المغفور لهم لأَنه شهد بدراً ، ومع ذلك فعندما زكته أُم العلاءِ ، وشهدت بإِكرام الله له ، نهاها الرسول ، ﷺ ، عن المدح والتزكية ، بل ونفى عن علمه ﷺ ما سيفعل به هو نفسه .

فكيف بنا اليوم نمجِّدُ من لا نعرف عنهم شيئاً ؟ ونمدح من نجهل تاريخهم وحياتهم ؟ بل ونرفعهم إلى درجة التقديس والعبادة !

وقد ذكر لنا القرآن الكريم شروط الولاية وكيفيتها ، وصلة الأَولياءِ بخالقهم وبالرسول الذي أُرسل إليهم . ذكر لنا القرآن هذا لنكون على بينة من الحق والباطل[1] .

الأوليـــاء الحقيقيـــون :

وأَولياءُ الله الحقيقيون لا يعلنون عن أَنفسهم ، لأَن الولاية الصحيحة إنما تكون في القلوب إيماناً وتقوى ، ولا يظهر لها آثار معروفة أَو ملموسة إلا حباً لله ورسوله ، وانقياداً لأَوامر الدين واجتناباً لنواهيه . والأَولياءُ هم الذين آمنوا بالله إيماناً صادقاً وعرفوه حق المعرفة ، فتمسكوا بكتابه وسنة رسوله ، وعملوا الصالحات ابتغاءَ مرضاة الله ، وتركوا السيئات مخافة غضبه .

وهم الذين آمنوا بسنن الله الكونية الجارية على كل خلقه

١ ــ راجع « صراع بين الحق والباطل » ص ١٣ ــ ١٩ .

وهي الأَخذ بالأَسباب والتوكل على الله ، فساروا في دنياهم على هدي هــذا الإيمــان .

وهم الذين عرفوا دين الله ، فتولوه بالنصر والتأْييد ، فبلغوه للناس بأَمانة وحق – كما أَمر الله – فلم يكتموا من أَمره شيئاً – نفاقاً أَو مجاراة أَو خوفاً من لومة لائم – مهما أَصابهم في سبيل ذلك من إساءَة وأَذى ، لاعتقادهم أَن ما يصيبهم في سبيل الله هو في الحقيقة اختبار لهم وتمحيص لإيمانهم . وهم الذين كفروا بدين الشيوخ وما عليه أَكثر الناس ، ولم يربطوا عقائدهم بما عليه الأَهل والعشيرة من العادات والبدع والخرافات الموروثة من جهل وتقاليد .

الله ولي الذيــن آمنــوا :

والأَولياءُ هــم الذين أَحبوا الله ؛ فأَفردوه بالعبادة الخالصة وأَحسنوا التوكل عليه ، واتخذوه ولياً لهم ونصيراً ، كما يقول تعالى: (أَللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ) [1] .

المؤمنون بعضهم أوليــاء بعض :

والمؤمنون يتخذون بعضهم أَولياءَ بعض ، وولايتهم لبعض هي أَن يناصر بعضهم بعضاً ؛ في سبيل إحياءِ دين الله وإظهار الحق وإعلاءِ كلمته ، والدفاع عن عقيدة التوحيد ، ومحاربة الشرك

١ – سورة البقرة : ٢٥٧ .

ومقاومة البدع والخرافات المنتشرة في الناس باسم الدين ، وأن يعاونوا بعضهم فيما يعود بالنفع العام والخير في أمور الدنيا ، وأن يستقيموا على دين الله ، وأن يكون حبهم لله وحده .

هذه هي ولاية المؤمن كما يحبها الله ، وكما يبينها الله تعالى بقوله : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[1] .

وقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)[2] .

لايتخذ المؤمنون أعداء الله أولياء :

وقد نهى الله جل شأنه المؤمنين أن يتخذوا أعداءهم من الكافرين والمشركين أولياءَ ، يتوددون إليهم لجلب منافع شخصية ، ويستعينون بأفكارهم ونظمهم في الحياة ، ويناصرونهم ضد إخوانهم من المؤمنين ، الذين يعملون لإعلاءِ كلمة الله ونصرة الحق ، وغير ذلك من كافة أنواع التعاون والمناصرة ، خلافاً لما يحبه الله ويرضاه . وهؤلاءِ يقول الله تعالى عنهم : (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً)[3] .

---

١ ــ سورة المائدة : ٥٥ .   ٢ ــ سورة التوبة : ٧١ .

٣ ــ سورة النساء : ١٣٩ .

ويقول جل وعلا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[1] .

هؤلاءِ هم الأَولياءُ الحقيقيون ، وموقفهم اتجاه دين الله في العمل به ونصرته ، وعلاقتهم مع الله سبحانه باتخاذه وحده ولياً لهم وعلاقتهم مع بعض مما يحقق التعاون معهم والتأْييد لهم ، وعلاقتهم مع أَعداءِ الله حتى لا يشدّوا أَزرهم ، ويكونوا نصراءَ لهم وعوناً معهم على المؤمنين .

هكذا فهِمَ السلف ، رضي الله عنهم ، الولاية ، وطبقوها على أَنفسهم تطبيقاً صحيحاً فكانوا أَولياءَ صادقين ، لا أَولياءَ كاذبين كما يدعي صنّاع الولاية ومحترفي الضلال في هذا الزمان .

أوليــاء الخيــال :

ويكشف لنا الشيخ رشيد رضا جوانب هامة من حياة هؤلاءِ الدجاجلة ، فيقول في كتابه – تفسير المنار – تحت عنوان : أَولياءُ الخيال وأَولياءُ الطاغوت والشيطان : فأَولياءُ الله الذين يشهد لهم كتابه بالولاية له ، هم المؤمنون الصالحون المتقون . ولكن اشتهر بين المسلمين – بعد عهد السلف – ما يدل على أَن الأَولياءَ

١ – سورة المائدة : ٥١ .

عالم خيالي غير معقول ؛ لهم من الخصائص في عالم الغيب والتصرف في أنبياءِ الله المرسلين . بل فوق كل ما وصف به جميع الوثنيين آلهتهم وأربابهم التي اتخذوها من دون الله .

وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية ممن لهم ذكر في التاريخ ومن لا ذكر لهم[1] إلا في كتب الأولياءِ الذين فتن المسلمون والمسلمات بهم ، ممن يسمون بالمتصوفة وأهل الطريقة . ينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية .

ولئن أنكر عليهم منكر ، واحتج عليهم ربّهم وحديث نبيهم مفسر أو محدث ليقولُنَّ : هذا ضال مضل منكر للكرامات مخالف للقرآن . وقرؤوا عليه : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2] .

وهل هذه الآية إلا كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[3] .

هذه الولاية الخيالية المبتدعة من محدثات الصوفية ، ألبسوها ثوب الشريعة ، وجعلوا للشريعة مقابلاً سموه الحقيقة[4] .

١ — هم أمثال البدوي والدسوقي والرفاعي والشعراني ، وغيرهم من الأولياء الحقيقيين .

٢ — سورة يونس : ٦٢ .   ٣ — سورة البقرة : ٦٢ .

٤ — أحيانا يأخذون بهذه التسمية . وقد ينأون عن الشريعة ويتمسكون بعلوم الحقيقة . كما يدعون بعلومهم اللدنية وعلم الباطن . وهكذا يلتقون مع الدعوات الباطنية الهدامة.

الحقيقة بدل الشريعة لدى الصوفية :

قسم شيوخ الصوفية الدين إلى حقيقة وشريعة . فالشريعة هي ممثلة في الأَحكام الفقهية التي يسير عليها العامة . أَما الحقيقة فهي انحراف الحلول أَو الاتحاد أَو وحدة الوجود . وهذا باطل من القول وزور . فإن الإسلام لم يأْت بحقيقة يختص بها قوماً دون آخرين بل الإسلام جاءَ للناس جميعاً بالشريعة ، وهي الرسالة التي بعث الله بها رسولنا محمدا ، ﷺ، وقال تعالى له : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1] .

وليس من الحقيقة أَن الله يحلّ في الكائنات أَو يتحد بها ، وإنما هذا من الكفر السحيق . فلا حول ولا قوة إلا بالله . تأَمل ما كتبه الشعراني في ترجمته عن الذين يسمونهم : الأَقطاب الأَربعة[2] . فإنك لا تجد فيما كتبه لأَحد منهم أَنه كان ينفع الناس بعلوم الشرع . وتجد أَن الشيخ أَحمد الرفاعي كان يوبخه علماءُ عصره ويخاطبونه بلقب الدجال ، ويرمونه بالجمع بين النساءِ والرجال[3] .

أَما الدسوقي فكتب عنه أَنه كان يتكلم بالعجمي والسرياني

---

١ ـ سورة الجاثية : ١٨ .

٢ ـ هم الذين يزعم الناس أنهم يصرفون الكون . وهم البدوي والدّسوقي والرفاعي والجيلاني . الأقطاب المتداركة الممسكة بأطراف السماء الأربعة .

٣ ـ راجع ترجمة أحمد الرفاعي في الطبقات الكبرى . ج ١ ص : ١٥٩ .

والعبراني والأفرنجي والزنجي ، وسائر لغات الطيور والوحوش . ونقل عنه كتاباً من هذه اللغات أرسله إلى أحد مريديه . وهو خلط مخترع . ومنه قوله : أُمور الرموز عموز النهوز ، سلاحات أُفق فردانية أُفق ، شوامق اليرامق ، جيد وفرقيد ... الخ . فما معنى هذا؟ وأي فائدة للناس فيه[1] ؟ .

ومما كان يقوله الدسوقي للمريد : ... وإن الله ، عز وجل ، خلقني من نور رسول الله ﷺ. وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا إبراهيم سرْ إلى مالك وقل له يغلق النيران . وسرْ إلى رضوان وقل له يفتح الجنان . ففعل مالك ما أُمر به[2] ورضوان ما أُمر به ... الخ . وله ما هو أغرب منه[3] .

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

إن أولياءَ الله الذين يعرفهم الله ويعرفون الله ، يرضيهم ما يرضي الله ويغضبهم ما يغضبه ، وإنهم قد تقربوا إليه وأعدَّ لهم درجات

١ — انظر « صراع بين الحق والباطل » .
٢ — يقول الله تعالى لرسوله الكريم ، وهو سيد ولد آدم : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) . ويقول الرسول في الحديث : « وَاللهِ مَا أدْرِي وَأنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي » .
٣ — راجع تفسير المنار . ص ٤٢٠ وما بعدها ج ١١ . بتصرف عن : « صراع بين الحق والباطل » .

عنده بفعل ما شرع . وإنهم يحبون من الناس أن يتقربوا إليه بما تقربوا هم به إليه . ويغضبهم ويضاعف غضبهم أن يرفع الناس إليهم أكفَّ الضراعة ، أو يلتزموا باسمهم نذراً أو طاعة[1] .

إن أولياءَ الله هم الذين يقولون الحق وإن كان مُرّاً ، عاملين بقوله ، ﷺ: « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » . « سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَىٰ إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ » .

وبالإجمال : فأَولياءُ الله حقاً هم الذين اتقوا كل ما لا يرضي الله تعالى ؛ من ترك واجب ومندوب ، وفعل محرم ومكروه . واتقاءُ مخالفة سنن الله في خلقه ، من أَسباب الصحة والقوة والنصر والعزة وسيادة الأُمة الإسلامية . هذا مع كل فعل أَوجبه الله على عباده في الكتاب الكريم ، وعلى لسان نبيه ، ﷺ، والاستماع والإصغاء إليه تعالى ، عند كل نداءٍ أو خطاب ينادينا به في كتابه ، أَو يوجهنا إليه رسوله ، ﷺ. كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي

١ – راجع كتاب « الفتاوى » للشيخ محمود شلتوت ، رحمه الله .

هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[1] .

والله تعالى يقول : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)[2] :

فهذه كلها بشائر لأولياءِ الله في الحياة الدنيا ، وهي استخلافه تعالى لهم في الأرض ، وتمكين دينهم وعلوه على سائر الأديان ولو كره الكافرون . وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً . وأما في الآخرة فقد أعدَّ الله لأوليائه جنة عرضها السموٰات والأرض ، فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[3] .

---

١ — سورة الحج : ٧٧ — ٧٨ .
٢ — سورة الأنفال : ١٢ .
٣ — سورة الشورى : ٢٢ .

ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب « السنن والمبتدعات » ص : ٣٤١ — ٣٤٣ .

مصطلحات صوفيـة

الأوتاد والأبدال والغوث والنجباء والقطب وخاتم الأولياء

للصوفية أَساطير كثيرة وخرافات عجيبة ، تدهش العقول وتربك أَذهان الفحول ، حتى الأَدعياءَ من الطرائق المعوجة وغير العدول[1] .

وقد تحدث شيخ الإِسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، عن مسالك الصوفية ، وسبر أَغوارهم وأَبان خفايا طوياتهم الخبيثة ، كما كشف تصرفاتهم وبيَّن المعاني الكثيرة من أَلغازهم ومصطلحاتهم التي تزخر بها كتبهم الصفراءُ المشوهة ، التي أَفسدت عقول أَبناءِ هذه الأُمة . فلنترك له ، قدس الله سرّه ، ليكشف لنا معاني هذه الأَلفاظ والمصطلحات ليجلِّيها ، لنقف على مكنوناتها ومدى سخافة مفتعليها .

---

١ ــ إن هذه الأسماءَ والمصطلحات والرموز ــ التي تزخر بها كتب التصوف ــ ذات معان محيرة ، تأْخذ بالألباب والعقول ، ويعجز عن فهم أسرارها أساطين الصوفية وأهل التأويل ، من دعاة الاتحاد والحلول ؛ كالسبئية والحلاج المقتول . إن المدرسة الباطنية ؛ كالشيعة والقرامطة والدرزية والبهائية والقاديانية والماسونية وغيرها تستخدم المصطلحات والرموز للتستّر وراءها ، للوصول إلى أغراضها الهدامة . وهكذا يلتقي بعض الصوفية مع الباطنية التوأم ــ إن لم تكن هي رضيعتها ــ على الخداع والتضليل والهدم والتخريب في معاقل الإسلام .

يقول شيخ الإسلام : وأما الأَسماءُ الدائرة على أَلسنة كثير من النساك والعامة ؛ مثل الغوث الذي يكون بمكة ، والأَوتاد الأَربعة والأَقطاب السبعة ، والأَبدال الأَربعين ، والنجباءِ الثلاثمائة ، فهذه الأَسماءُ ليست موجودة في كتاب ، ولا هي أَيضاً مأْثورة عن النبي ﷺ . لا بإسناد ضعيف ولا صحيح محتمل ، إلا لفظ الأَبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد ، عن علي بن أَبي طالب مرفوعاً إلى النبي ، ﷺ ، أَنه قال : أَن فيهم - يعني أَهل الشام - الأَبدال . يعني أَربعين رجلاً كلما مات رجل أَبدل الله مكانه رجلاً .

ولا توجد هذه الكلمات - كما هي على هذا الترتيب - ولا هي مأْثورة على هذا الترتيب والمعاني ، عن المشايخ المقبولين عند الأُمة قبولاً عاماً ، وإنما توجد على هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشايخ ، وقد قالها إما أَثراً لها عن غيره أَو ذكراً . وهذا الجنس ونحوه من العلم ، الذي قد الْتبس على أَكثر المتأَخرين حقه بباطله فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ، ومن الباطل ما يوجب رده وصار كثير من الناس فيه على طرفي نقيض ؛ قوم كذَّبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل ، وقوم صدَّقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق وإنما الصواب ، صواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل . وهذا تحقيق مما أَخبر به النبي ، ﷺ، من ركوب هذه الأُمة سنن من كان

قبلها حذو القُذّة بالقُذّة ، فإن أهل الكتابين لَبَسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في دينهم . ولهذا يعتبر [المنار : لعل الاصل يتغير بدل يعتبر] الدين بالتبديل تارة وبالنسخ أُخرى .

أَما الأَوتاد : فهم أَربعة في كل زمان ، يحفظ الله بأَحدهم المشرق وبالثاني المغرب وبالثالث الجنوب وبالرابع الكعبة ، والتقسيم من الكعبة . هذا ما جاءَ في كتاب : الفتوحات المكية . ج ٢ .

وأَما ما قاله شيخ الإِسلام ابن تيمية عن الأَوتاد فهو : ... وأَما الأَوتاد ، فقد يوجد في كلام بعضهم أَنه يقول : فلان من الأَوتاد ومعنى ذلك أَن الله يثبت به من الدين والإِيمان في قلوب من يهديهم الله به ، كما يثبت الأَرض بأَوتادها . وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة ، فكل من حصل به تثبت العلم والإِيمان في جمهور الناس ، كان بمنزلة الأَوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ، ومن كان دونه كان بحسبه . وليس ذلك محصوراً في أَربعة ولا أَقل ولا أَكثر بل جعل هؤلاءِ الأَربعة مضاهاة لقول المنجمين في أَوتاد الأَرض[1] .

أَما الأَقطاب فمنهم ثلاثة أَنواع :

١ - القطب الواحد . وهو عند ابن عربي روح محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وأَكمل مظاهره في قطب الزمان ، وهو الممد لجميع

١ - المسائل والرسائل : ج ٢ .

الأَنبياءِ والرسل ، عليهم السلام . والأَقطاب من حين النشءِ الإِنساني إلى يوم القيامة .

قيل له ﷺ : متى كنت نبياً وآدم بين الماءِ والطين[1] ؟ .

٢ ـ قطب العالم الإِنساني . يقول ابن عربي : والأَرض لا تخلو من رسول حتى بجسمه[2] ، فإنه قطب العالم الإِنساني ، ولو كانوا أَلف رسول لابد أَن يكون الواحد من هؤلاءِ هو الإِمام المقصود فأَبقى الله بعد رسوله ، ﷺ ، من الرسل ـ الأَحياءِ بأَجسادهم في هذه الدار الدنيا ـ ثلاثة ، وهم : إدريس ، عليه السلام ، بقي حياً بجسده وأَسكنه الله في السماءِ الرابعة . وأَبقى في الأَرض أَيضاً إلياس وعيسى ، وكلاهما من المرسلين . وهما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاءَ به محمد ، ﷺ . وأَما الخضر ، عليه السلام ، فهو الرابع . والواحد من هؤلاءِ الأَربعة ـ الذين هم عيسى وإلياس وإدريس ـ هو القطب ، وهو أَحد أَركان بيت الدين ، وهو الحجر الأَسود .

واثنان منهم هما الإِمامان . وأَربعتهم هم الأَوتاد . فبالواحد

---

١ ـ الحديث موضوع . انظر « شرح الجامع الصغير » ج ٣ . ص ٩١ . و « أسنى المطالب » ص ١٦٥ . نقلاً عن المسائل والرسائل .

٢ ـ بأمثال هذا الكلام لابن عربي تستدل الفرقة القاديانية الضالة على مجيء نبيها القادياني المزعوم ـ اللعين غلام أحمد ـ على الرغم من ورود عدة أحاديث نبوية صحيحة على أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

يحفظ الله الإيمــان ، وبالثاني يحفظ الولاية ، وبالثالث يحفظ الله النبوة ، وبالرابع يحفظ الله الرسالة ، وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي . والقطب من هؤلاء لا يموت أبداً ، أي لا يصعق[1] .

٣ – القطب الغوث . يقول ابن عربي : لا يكون فيه بالزمان إلا واحد . فمنهم – من جهة المقام – كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل . ومنهم من حاز الخلافة الباطنة خاصة ، ولا حكم له في الظاهر؛ كأحمد بن هارون الرشيد والسبتي وأبي يزيد البسطامي . وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر[2] .

أما تسمية الغوث فمن حيث إغاثة العوالم بمادته ورتبته الخاصة[3] .

ويستدل الصوفية على وجوب الأقطاب بحديث يروونه عن رسول الله ، ﷺ ، أنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحدّ ومطلع . ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ، ولكل طائفة من هذه الطوائف قطب . وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف[4] .

---

١ – الفتوحات المكية . ج ٢ . ص : ٧ – ٨ .

٢ – المصدر السابق ج ٢ ص : ٥٢ .

٣ – معراج التشوف . ص ٤٩ . نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » .

٤ – هذا الحديث رواه ابن عربي في « الفتوحات المكية » ج ١ ص ٢٤٢ . وقال : لقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحته . إلا أني لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث ، مما يدل على وضعه . انظر كتاب « التصوف بين الحق والخلق » . ص ١٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله[1] : وأما القطب فيوجد في كلامهم أيضاً : فلان من الأقطاب ، وفلان قطب . فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا ، ظاهراً أو باطناً ، فهو قطب ذلك الأمر ومداره ، سواءٌ كان الدائر عليه أمر دار أو قرية أو مدينة ، أمر دينها أو دنياها باطناً أو ظاهراً . ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر .

لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدين دون مجرد صلاح الدنيا . وهذا هو القطب في عرفهم . وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله ، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقاً[2] .

« وَهٰذَا الدِّينُ لا يُنْسَخُ أَبَداً . لٰكِنْ يَكُونُ فِيهِ مَنْ يُدْخِلُ فِيهِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْكَذِبِ وَالْكِتْمَانِ مَا يَلْبِسُ بِهِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَلَابُدَّ أَنْ يُقِيمَ اللهُ فِيهِ مَنْ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ خَلَفاً عَنِ الرُّسُلِ ، فَيَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . فَبِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ ، وَالآثَارِ مِنَ الْعُلُومِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ

---

١ ــ الرسائل والمسائل ج ١ .

٢ ــ المصدر السابق . ج ١ . ص : ٤٩ .

الْأَنْبِيَاءِ ، يَمِيزُ اللهُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ »[1] .

وأما لفْظ الغوث والغياث فـلا يستحقه إلا الله تعالى ، فهو غياث المستغيثين ، لا يجوز لأَحد الاستغاثة بغيره ، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل . ومن زعم أَن أَهل الأَرض يرفعون حوائجهم ، التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة بهم ، إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين ، والسبعين إلى الأَربعين ، والأَربعين إلى السبعة ، والسبعة إلى الأَربعة والأَربعة إلى الغوث ، فهو كاذب ضال مشرك .

فقد كان المشركون ، كما أَخبر الله عنهم بقوله : (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ)[2] : وقال : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)[3] . فكيف يكون المؤمنون يرفعون حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب ؟ وهو القائل تعالى :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[4] .

١ ــ قطعة من حديث أوله : « يَحْمِلُ هذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ . . . » .

٢ ــ سورة الإسراء : ٦٧ .

٣ ــ سورة النمــل : ٦٢ .

٤ ــ سورة البقرة : ١٨٦ .

وهذا باب واسع . وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم ، لا ظاهراً ولا باطناً ، بهذه الوسائط والحجاب ، فتعالى الله ، عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون ، علواً كبيراً [1] .

الأبـــدال :

وهم سبعة يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة . وهم عارفون بما أودع الله ، سبحانه وتعالى ، الكواكب السيارة من أمر وأسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة .

ولهم من الأسماءِ أسماءُ الصفات . مثل : عبد الحي وعبد الشكور وعبد البصير . وسموا أبدالاً لكون أحدهم إذا فارق موضعاً ترك فيه شخصاً روحانياً على صورته [2] .

وقد اختلف المتصوفة بالأبدال ، فمنهم من قال أنهم سبعة مستقلون ، ومنهم من قال أنهم سبعة منهم أربعة أوتاد وإمامان وقطب ، ومنهم من قال أنهم أربعون [3]

قال ابن تيمية ، رحمه الله : والذين تكلموا باسم البدل أفردوه

١ ــ انظر : الرسائل والمسائل . ج ٢ لابن تيمية .

٢، ٣ ــ الفتوحات المكية . ج ٢ . ص : ٢٠٨ .

بمعان ؛ منها أَنهم أَبدال ، ومنها أَنهم كلما مات منهم رجل أَبدل الله مكانه رجلاً ، ومنها أَنهم أَبدلوا السيئات من أَخلاقهم وأَعمالهم وعقائدهم بالحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص بأَربعين ولا أَقل ولا أَكثر ، ولا تحصر بأَهل بقعة من الأَرض . وبهذا التحرير يظهر المعنى باسم النجباءِ . فالغرض أَن هذه الأَسماءَ تارة تفسر بمعان باطلة ، بالكتاب والسنة وإِجماع السلف. مثل تفسير بعضهم بأَن الغوث هو الذي يغيث الله به أَهل الأَرض من رزقهم ونصرهم .

فإِن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب ، وهو معدوم العين والأَثر ، وتشبيه بحال المنتظر ، الذي دخل السرداب من نحو أَربعمائة وأَربعين سنة . وكذلك من فسر الأَربعين الأَبدال بأَن الناس إِنما يُنصرون ويُرزقون بهم ، فذلك باطل ، بل النصر والرزق يحصل بأَسباب ، من أَوكدها دعاءُ المسلمين المؤمنين وصلاتهم وإِخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأَربعين ولا بأَقل ولا أَكثر ، كما في الحديث المعروف أَن سعد بن أَبي وقاص قال : يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم أَيسهم له مثل ما يسهم لضعفتهم ؟ فقال : يَا سَعْدُ وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ بِدُعَائِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ » وقد يكون للنصر والرزق أَسباب أُخر فإِن الكفار أَيضاً والفجار ينصرون ويرزقون . (١)

١ ــ الرسائل والمسائل . ج ١ . ص : ٥٠ .

النجبـــاء :

وهم ثمانية . ومقامهم الكرسي ، ولهم قدم راسخة بعلم تسيير الكواكب ، من جهة الكشف والاطلاع[1] .

خاتـم الأوليـاء :

ليس في أَولياءِ الله المتقين ، بل ولا أَنبياءِ الله ولا المرسلين ، بل كان غائب الجسد دائماً عن أَبصار الناس ، بل هذا من جنس قول القائل بأَن علياً في السحاب ، وأَن محمد بن حنفية في جبال رضوى ، وأَن محمد بن الحسن في سرداب سامراءَ ، وأَن الحاكم في جبل مصر ، وأَن الأَبدال رجال الغيب في جبال لبنـان .

فكل هذا ونحوه من قول الإفك والبهتان . نعم . قد تخرق العادة في حق شخص فيغيب تارة عن أَبصار الناس ، إمـا لدفع عدو عنه أَو لغير ذلك . وأَما أَنه يكون هكذا طول عمره ؟ فباطل . نعم . يكون نور قلبه وهدي فؤاده وما فيه من أَسرار الله وأَمانته وأَنواره ومعرفته ، غيباً عن الناس ، ويكون صلاحه وولايته غياب عن أَكثر الناس ، فهذا هو الواقع . وأَسرار الحق بينه وبين أَوليائه وأَكثر الناس لا يعلمون[2] .

١ ــ التصوف بين الحق والخلق . ص : ٩٢ .

٢ ــ الرسائل والمسائل . ج ١ . ص ٥٠ .

ثم يستطرد شيخ الإسلام ، رحمه الله ، موضحاً بطلان لفظ خاتم الأَولياءِ فيقول[1] : وقد بيَّنا عن بطلان اسم الغوث مطلقاً واندرج في ذلك غوث العرب والعجم ومكة والغوث السابع ، وكذلك لفظ خاتم الأَولياءِ ، لفظ باطل لا أَصل له ، وأَول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي ، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أَنه خاتم الأَولياءِ ؛ كابن حموية وابن عربي وغيرهما . وكل منهم يدعي أَنه أَفضل من النبي ، ﷺ ، من بعض الوجوه ، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان ، وكل طمعاً في رياسة خاتم الأَنبياءِ .

وقد غلطوا ، فإن خاتم الأَنبياءِ إنما كان أَفضلهم ، للأَدلة الدالة على ذلك وليس كذلك للأَولياءِ . فإن أَفضل أَولياءِ هذه الأُمة السابقون والأَولون من المهاجرين والأَنصار ، وخير هذه الأُمة – بعد نبيها – أَبو بكر ثم عمر ، وخير قرونها القرن الذي بعث فيهم النبي ﷺ ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . وخاتم الأَولياءِ في الحقيقة هو آخر مؤمن تقيّ يكون من الناس ، وليس ذلك بخير الأَولياءِ ولا أَفضلهم ، بل خيرهم وأَفضلهم أَبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس وما غربت على أَحد – بعد النبيين والمرسلين – أَفضل منهما[2] .

---

١ – نفس المصدر السابق . ص ٥١ .   ٢ – المصدر السابق . ص : ٥١ – ٥٢ .

خصائص الولاية وخاتم الأولياء

وإلى القارىء الكريم ما يذكره ابن عربي عن خصائص الولاية وخاتم الأولياء[١] : واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع . وأما النبوة والتشريع والرسالة فمنقطعة . والرسول من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي ورسول ، فمرجع الرسول والنبي إلى الولاية والعلم .

ثم يقول عن علم الحقيقة : ما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى أن الرسل لا يرونه – متى رأوه – إلا من مشكاة خاتم الأنبياء . ثم يقول عن الخاتم : وخاتم الأولياء الولي الوارث ، الآخذ عن الأصل ، المشاهد للمراتب[٢] .

وقد رد الإمام ابن تيمية عليها في الجزء الرابع . ص ٥٧ ، من : مجموعة الرسائل والمسائل : ... هذا دين الصوفية في الولاية والوالي

١ – فصوص الحكم . ص ١٣٤ ، ٦٢ ، ٦٤ . نقلاً عن « مصرع التصوف » . ص ١٧٣ . للبقاعي .

٢ – ولعل أول من زمزم لهم بهذه الأسطورة الكهنوتية هو محمد بن علي بن الحسن بن البشر ، المعروف بالحكيم الترمذي – وهو غير صاحب السنن – وألف فيها كتاباً سماه : ختم الولاية . زعم فيه أن خاتم الأولياء يكون في خاتم الزمان ، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء ، ومن أبي بكر وعمر . ومن خصائصه أن اشتغاله بالأعمال القلبية أكثر من اشتغاله بالعبادة ، ولذا زعم الحكيم الترمذي أن الولاية أفضل من النبوة . ووضوح الباطل في هذه الأساطير بيّن لا يحتاج إلى توضيح .

وخاتمة الأَولياءِ . ومنه توقن : لم يُضِفْ الصوفية إلى أَوليائهم قدرة الله وعلمه ، وحكمته وربوبيته وإلٰهيته ! . وتوقن : لِمَ نحارب هذه الولاية المزعومة ، وسنظل بعون الله ندمر هذه الطواغيت والأَصنام داعين الناس إلى أَن يكونوا من أَولياءِ الله الذين وصفهم رب العالمـين : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[1] .

لمــاذا فضــل خــاتم الأوليــاء

إن شيخ الإِسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، قد تكفل في بيان المزاعم في تفضيل خاتم الأَولياءِ ، فلنستمع إليه : إن صاحب الفصوص وأَمثاله بنوا الأَمر على أَن الولي يأْخذ عن الله بلا واسطة والنبي ﷺ يأْخذ بواسطة المَلَك ، فلهذا صار خاتم الأَولياءِ أَفضل عندهم من هذه الجهة[2] .

وابن تيمية – في فهمه الدقيق ووعيه الكامل ، وأَمانته التي تستعصي على التهم – يقرر الحق في قوله ، فقد نقلت لك عن ابن عربي ما يؤيد الحق الذي قرره ابن تيمية . وها هو البسطامي يقول لأَهل الشريعة : أَخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأَخذنا علمنا عن الحي

---

١ – سورة يونس : ٦٢ – ٦٣ .

٢ – رسالة : حقيقة مذهب الاتحاديين . ص ٦٤ . نقلاً عن « هذه هي الصوفية ». ص١٣٠

الذي لا يموت[1] . ويقول : خضنا بحراً وقف الأَنبياءُ بساحله[2] .
وقال ابن عربي : علماءُ الرسوم – يعني أَهل الشريعة – يأْخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والأَولياءُ يأْخذون عن الله . أَلقاه في صدورهم من لدنه ، رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم[3] . يعني أَن أَتباع الشريعة الإسلامية يأْخذونها عن أُناس طواهم الموت ، أَما الصوفية فلهم الصلات المباشرة مع الله ، يأْخذون عنه من غير واسطة ملَك أَو نبي أَو رسول ! . وبهذا كفروا بشريعة محمد ، ﷺ ، ومهدوا لأَتباعهم الكفر بشريعة محمد ، ﷺ ، تلك الشريعة الغراءُ التي من تفيأَ بظلالها نجا ، ومن أَعرض عنها ضل وغوى ، والعاقبة لمن اتقى .

المجانين والمجاذيب عند الصوفية

يقول ابن عربي : من الناس من يكون وارده أَعظم من القوة التي تكون في نفسه عليها ، فيحكم الوارد عليه ، فينقلب عليه الحال ، فيكون بحكمه يصرفه الحال ، ولا تدبير له في نفسه مادام في ذلك الحال ، فإن استمر عليه إلى آخر عمره ، فذلك

١ – الكواكب الدرية.للمناوي . ص ٢٤٦ عن « هذه هي الصوفية » .
٢ – انظر:جواهر المعاني . ج ٢ . ص ٦٣ . نقلاً عن المصدر السابق .
٣ – راجع:الكواكب الدرية.للمناوي . ص ٢٤٦ . عن : « هذه هي الصوفية» ص ١٣٠ .

المسمى في هذه الطريقة بالمجنون ؛ كأبي عقال المغربي وغيره . ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته ، فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبر ولا روية .

فهؤلاء يسمون عقلاء المجانين ، لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات[1] . أما المجذوب : فهو الذي يبادئه الحق بآيات اليقين ، ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب ، ولا يؤاخذ في طريق السلوك والمعاملة ، وهذا لا يؤهل للمشيخة[2] .

وما أحسن ما جاء في شرح الطحاوية في إبطال دعوى المجاذيب[3] : من اعتقد في بعض البُلْه أو المولعين - مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله - أنه من أولياء الله ، ويفضله على متبعي طريقة الرسول ، ﷺ، فهو ضال مبتدع ، مخطيء في اعتقاده . فإن ذلك الأبله إما أن يكون شيطاناً زنديقاً ، أو زوكارياً[4] متحيلاً أو مجنوناً معذوراً ، فكيف يفضل على من هو من أولياء الله المتبعين لرسوله ؟ ! أو يساوى بهم ؟ ! .

١ - الفتوحات المكيّة . ج ١ : ٣٢٤ . .

٢ - عوارف المعارف على هامش الإحياء . ج ٢ . ص ٢٢ وما بعدها .

٣ - شرح العقيدة الطحاوية . ص : ٥٧٣ .

٤ - قال الشيخ أحمد شاكر : هذه لفظة مولدة . وفي شرح القاموس : ج٣ ص : ٣٤٠. الزواكرة : من يتلبس فيظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد . نقله المقري في نفح الطيب .

ولا يقال : يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن ، وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر . فإن هذا خطأ أيضاً ، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ، ظاهراً وباطناً .

قال يونس بن عبد الأعلى الصدقي : قلت للشافعي : إن صاحبنا الليث كان يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . فقال الشافعي : قصّر الليث رحمه الله ، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب .

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ، ﷺ، أنه قال : اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البُلْه[1] . فهذا لا يصح عن رسول الله ، ﷺ، ولا ينبغي نسبته إليه ، فإنما الجنة خلقت لأُولي الألباب ، الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه ، فلم يذكر في أوصافهم البَلَه ، الذي هو ضعف العقل وإنما قال النبي ،ﷺ: « اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ »[2] . ولم يقل البُلْه .

---

١ – ضعيف . انظر العقيدة الطحاوية بتخريج الألباني . ص ٥٧٤ .

٢ – رواه البخاري ومسلم .

فعلى الذين يعتقدون في البُلْه والمجاذيب الخوارق والقراريط وشارات دخول الجنة وأَوسمتها ، وصكوك الغفران والتوبة والندم لما ارتكبوا من جرائم وعصيان في حق الأَديان ، عليهم التدبر واليقظة من كيد الشيطان قبل فوات الأَوان .

اعتماد الصوفية على الخضر

لعبت شخصية الخِضْر ، عليه السلام ، دوراً غريباً في حياة المسلمين ، فراح بعضهم يزعم أَنه حي يرزق ، يمثل مختلف الأَدوار على مسرح الحياة . ومما يؤسف له أَن بعض القائلين بأُسطورة حياة الخضر(١) قصدوا من ذلك فتح باب الخرافة والدجل على مصراعيه ونشر الأَساطير والحكايات الكاذبة في كل مكان ، لتأْييد ما يذهبون إليه من دعاوى باطلة .

وقد استخدم المستعمرون أُسطورة حياة الخضر وسيلة لتأْييد استعمارهم ، فأَعلن بعض رجالهم المأْجورين ، من رجال الطرق الصوفية على مريديه بأَنه رأَى الخضر يحمل علمه الأَخضر ويتقدم الجيوش الفرنسية الزاحفة لفتح شمال أَفريقيا ، فلا مجال لردها ومحاربتها والاعتراض على حكمه تعالى . وكان أَمر الله قدراً مقدوراً(٢) .

---

١ — نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضى أن الخضر مات . وقال أبو حيان في تفسيره : الجمهور على أنه مات . راجع كتاب : التصوف بين الحق والخلق

٢ — الإبداع في مضار الابتداع .

إن بعض الطوائف ـ ومنها الصوفية ـ تبني على قصة الخضر عليه السلام ، عدة أُمور ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ أَن للشريعة باطناً وظاهراً ، وأَن باطنها يخالف ظاهرها . وقد كان موسى ، عليه السلام ، من أَهل الظاهر بخلاف الخِضْر لهذا وجب على أَهل الظاهر عدم الاعتراض على أَهل الباطن ، وإلا حدث لهم ما حدث لموسى . وهذا التقسيم للشريعة المراد منه نسف الإسلام من أُصوله بحجة العمل بباطنه ، الذي يعبرون عنه أَحياناً بعلم الحقيقة ، وهو خلاف الشريعة . فأَين هذا الضلال من قول بعض العلماءِ : من قال : إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق؟.

٢ ـ وتستنتج الصوفية من قصة الخِضْر القدرة على الكشف عند الأَولياءِ ، التي سبقت الوحي بنظرهم . ويستنتجون كذلك تأْويل نصوص الكتاب والسنة بما يلائم أَغراضهم . على أَن كل آية بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءَها معنى باطناً لا يكشفه إلا الخاصة من عباده ، الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أَوقات وجْدهم . وقد أَنكر على المؤوِّلة كثير من كبار العلماءِ ، ننقل فيما يلي آراءَ بعضهم .

قال الإمام زين الدين العراقي : ولا يُقبل ممن اجترأَ على مثل هذه المقالات القبيحة أَن يقول : أَردت بكلامي هذا خلاف الظاهر ولا يؤوَّل له كلامه ولا كرامة له .

وقال الغزالي في أول الإحياء ، في كتاب العلم ، ما حاصله : أين الكلام إن كان ظاهراً في الكفر بالإلحاد ؟ فقتل واحد ممن يقول له أفضل من إحياء عشرة أنفس ، وإن كان مشكلاً فهمه فلا يحل ذكره . وقال : إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضي ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ . ثم قال : والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر . وقال بعد ذلك : وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة[١] .

٣ - واستنتج الصوفية من قصة الخِضْر : أُسطورة تزعم أَن في الوجود ديواناً باطنياً ، يحكم فيه القطب الأَكبر - أي الخِضْر - بما يشاءُ ، يصرف - هو ومن معه من أَقطاب صغار - أَقدار الوجود . إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأَقطاب أَقدار الله ، دون أَن تستطيع أَية قدرة إلٰهية نسخ حكم لها[٢] . إنه تلاعب بقيم الإسلام ومعالمه ، وعبث بالتوحيد الذي جاءَ به أَنبياءُ الله ورسله لتبليغه لأَقوامهم ، وهو حق الله على العبيد .

قال شارح الطحاوية[٣] : وأَما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر

---

١ - هذه الأقوال منقولة عن كتاب « تنبيه الغبي » للإمام البقاعي » .

٢ - باختصار عن كتاب « الإبريز » للدباغ . « التصوف بين الحق والخلق .

٣ - هو الإمام المحدث الفقيه الحافظ أبو جعفر أحمد الطحاوي . ٢٣٩ - ٣٢١ هـ .

عليهما السلام ، في تجويز استغناءٍ عن الوحي بالعلم اللدني - الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق - فهو ملحد زنديق .

فإن موسى ، عليه السلام ، لم يكن مبعوثاً إلى الخضْر ، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته . ولهذا قال له : أَنت موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم . ومحمد ، ﷺ، مبعوث إلى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى حيَّيْن لكانا من أتباعه . وإذا نزل عيسى ، عليه السلام إلى الأَرض ، إنما يحكم بشريعة محمد . فمن ادعى أَنه مع محمد ﷺ ، كالخضر مع موسى ، أَو جوَّز ذلك لأَحد من الأُمة ، فليجدد إسلامه ، وليشهد شهادة الحق ، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أَن يكون من أَولياءِ الله ، وإنما هو من أَولياءِ الشيطان .

وهذا الوضع مفرق بين زنادقة القوم وأَهل الاستقامة وكذا من يقول بأَن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا . فهل خرجت الكعبة إلى الحديبية ، فطافت برسول الله ، ﷺ، حين أُحصر عنها ، وهو يود منها نظرة ؟ ! ! ...

وهؤلاءِ لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى ، حيث يقول : (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً) . إلى آخر السورة[1] .

---

١ - سورة المدثر : ٥٢ .

وقال الإمـام برهـان الدين البقاعي[1] : ٨٠٩ ـ ٨٥٥ هـ . :
ولا حجة للمتصوفة في قصة الخضر مع موسى ، عليهما السلام للفرق بخصوص تلك الرسالة ، مع أن الخبر بعلم الخضر جاء من الله تعالى إلى موسى ، عليه السلام ، فأين هي من دعاويهم. ؟ !
ولا شبهة عليها ، فضلاً عن دليل ، بل هي مصادمة للقواطع ، ومن صادم القواطع انقطعت عنقه ، ولو بلغ في الزهد أقصى الغايات .
والله تعالى يقول: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً)[2].
الآيات . ولو وقعت منهم الخوارق ، فإنهـا شيطانية . قال تعالى :
(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)[3] .
وقال : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[4] .

شـؤم الخـرافـة وظلماتهـا

لا شك أن الجهل والمزاعم الباطلة والخرافات الفاسدة ، هي معاول هدم وتخريب لبنيان المجتمع وأسسه ، كما أنها حرب طاحنة لكل

---

١ ـ مصرع التصوف . للإمام البقاعي . ص ٢١ ـ ٢٢ .
٢ ـ سورة الغاشية : ٢ ـ ٤ .
٣ ـ سورة الزخرف : ٣٦ .
٤ ـ سورة الأنعام : ١٢١ .

القيم والمعاني الرفيعة ، مما يتيح الفرصة لاستبداد الظلمة وعبث الخرافة وجورها .

وهكذا يقع الناس أسرى الوهم والضلال ، وسلطان التقاليد وتأليه البشر وعبادة الطاغوت . يتم كل هذا في غيبة الحق ونور الهدى ودعـاة الإصـلاح .

فلا غرو أن المزاعم الخرافية والموروثات الجاهلية هي من الأسباب الرئيسية لانحراف الأجيال . ومن السهل انحراف الناشيء عن الدين إذا ما شبَّ على الجهل بحقائقه ، أو إذا ما عاش في بيئة مغمورة بالفسق والانحراف ، بعيد عن السلوك السوي ، في غياب دعاة الحق ومصابيح الهدى وسبل السلام .

ومن المسلَّم به أن فريقاً من أبنائنا غير قليل ، لا يتعرفون الإسلام من وجهه الصحيح ، وإنما ينتزعون صورته من مظاهر يرون عليها طوائف من المسلمين ، ولم تكن هذه المظاهر من الإسلام في قليل أو كثير .

فليس بعيداً أن يشهد الشاب شيئاً من البدع المزرية الفاسدة ؛ كضرب الدفوف والرقص والموسيقى المرافقة للأذكار المحدثة في المساجد والزوايا ، كما يفعل ذلك المبتدعة وأتباع الطرق الصوفية وكذلك إقامة الحفلات باسم الموالد البدعية ، التي تقام في بيوت الله

والمنازل وغيرها . وهكذا ترتكب الجرائم الشنيعة ، وتحارب السنن الدينية ، وتعطل دعوات الخير دونما إنكار أو معارضة . ومن المؤسف أن يصبح ارتكاب المنكر أمراً مألوفاً ، كالذي يشاهد في المواسم والاحتفالات ، التي تقام في أيام الأعياد ، وخاصة مواسم الأعياد البدعية ، كالتي تقام في فلسطين في أوقات مختلفة - ومنها موسم النبي موسى ، عليه السلام ، وروبين وغير ذلك من المواسم التقليدية الموروثة - التي تقع فيها المحظورات وترتكب المخالفات ، التي تجافي روح الدين الحنيف وتعاليمه السامية .

وبهذه المظاهر والمشاهد التي يشاهدها الشاب ، أو يقع بصره عليها ، كمثل هذه الأفعال والمظاهر ، التي تقام باسم الدين ، وتحت راية الإسلام إسمياً ، والمخالفة لشرع الله جملة وتفصيلاً ، مما يسوءُ اعتقاد المشاهد ويشوه أفكاره ، فيحمل على الدين وأهله ، وبذلك يبدو الإسلام صورة مشوهة غريبة . ومما يزيد في شكه كثرة الشعوذات والخرافات ، التي يقوم بها بعض المتمشيخين . وأدعياءُ الدين الذين ينخدع بهم الناس ، وهكذا يصبح ديننا الحنيف مطعناً للطاعنين وأُسطورة في أعين الآخرين .

فلابد من التوجيه والتربية الإسلامية الصحيحة ، على أساس من الفهم والإخلاص . إن المسلم الذي ينحرف عن دينه ويجهل

مقوماته هو خطر على نفسه وعلى المجتمع ، وهو عنصر هـدام .

إننا نريد أَن يرعي الناس حقيقة الإنسانية ، فيترفعوا عن السفاسف والمهازل ، فيفهموا الحقائق ويتحرروا من الأَباطيل . ويجب أَن لا يغيب عن البال أَن الإسلام كان ولا يزال حرباً على الجهل والخرافة وتقديس البشر ، حيث حرر البشرية من عهود الجاهلية ورواسبها الفاسدة ، وأَعتق النـاس من العبودية الفردية ودعاهم إلى عبادة الله الواحد القهار ، وأَلزمهم بتوحيد الله واقتضاء صراطه المستقيم .

الاسـلام حـرب على الخـرافة

إن الإنسانية توشك على الانزلاق في مهاوي الهلاك ، والهبوط إلى درجات الحيوانية . وهي تسير وراءَ المفسدين والمنحرفين من المبتدعة والخرافيين ، الذين يتملقون الغرائز ويسترضون الشهوات والأَهواءَ .

ومن المسلم به أَن الباطل لا يثبت ولا يستطيع البقاءَ إلا في غيبة الحق . إن رسالة الإسلام ، التي جاءَ بها سيد الأَنام ومنقذ الإنسانية الرسول ، ﷺ ، تحمل في ثناياها الثورة على الفساد والانحراف وكافة الرذائل ، وعلى هذا فلا يمكن للإنسانية أَن تتقدم طالما أَن

السلطان والهيمنة للفوضى والإباحية . وهكذا سيبقى المجتمع في حيرته طالما لم يحصل على طمأنينته وأمنــه .

يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾[1] .

لقد تتبع الإسلام الأوهام والمزاعم[2] الباطــلة والتقاليد الساقطة وأبطلها ، ونقّى المجتمع الإسلامي من أدران الجهل والضلال ، وطهر الأرض من الرواسب والمعوقات ، التي أفسدت معالم الحياة ، وعطلت سنن الكون . وكذلك بث في الأنفس والآفاق دلا ئل التوحيد ، ولفت الإنسان إليها وحثه على التفكير فيها ، ليؤمن بخالق هذا الكون وأنه صاحب العظمة ، ولا تخضع الرقاب إلا له . والعلم النافع هو الأداة المخلِّصة للبشرية من أوهام الجاهلية وظلماتها ، كالتقليد والتعصب وكافة رواسب الجاهلية التي لا يقبل بها عاقل .

لقد أعلن الرسول الكريم ، ﷺ، حربه على الخرافة والشعوذة والأساطير والشرك . وعند وفاة ولده إبراهيم كُسفت الشمس ، وتربية

---

١ – سورة النساء : ٢٧ .

٢ – من هذه المزاعم والخرافات الجاهلية الاعتقاد والتوهم في الطير والمنزل والفرس والهامة ، بأنها لهــا تأثير ، وأنها حقيقة واقعية وليست وهماً . وقد ورد في الصحيح أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ » . راجع : رياض الصالحين.

لأُمة الإسلام ، وتعليماً لها قطعاً لدابر الأَساطير والخرافات ، فقد أَعلن عليه الصلاة والسلام ، في حديثه المشهور : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَلَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ » .

وبعد انتقال الرسول ، ﷺ، إلى الرفيق الأَعلى ، سار أَتباعه من الخلفاءِ الراشدين والتابعين لهم بإِحسان على خطا معلم الشريعة رسولنا الأَعظم ، ﷺ، مقتدين به ، وناهجين منهاجه القويم . وكمثال حي على ذلك نرى أَن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه يحمل الفأْس لقطع شجرة الرضوان من جذورها ، عندما علم أَن الناس يصلُّون تحتها تبركاً ، وهي الشجرة التي بايع المسلمون تحتها رسولهم ، ﷺ، على الموت في سبيل الله .

إن السعادة في دعوة الإسلام الحنيف ، ورسالته الخالدة التي جاءَ بها منقذ الإنسانية ومحررها ، رسولنا محمد ، ﷺ، فخلص العالم من طاغوت الشرك وسلطان الجاهلية . وبذلك تخلصت البشرية من ضغط الوهم والخرافة ، وكافة المزاعم الساقطة ، التي لا تعيش إلا في أَرض العبودية والظلمة والشرك وغيرها ، التي جاءَ الإسلام حربا عليها .

لا شك أَن عنصر الرحمة الأَصيل في رسالة الإسلام ، هو عنصر التوحيد المطلق ، الذي به يرتبط الوجود كله ، وفق سنة ثابتة

منسجمة ، مع الفطرة السليمة ، لا وفق أهواء وشهوات . إنه الدين الحق الذي يتفيأُ في ظلاله الوارفة كل إنسان مستسلم لله رب العالمين لأنه هو المتكفل لأتباعه أن يكونوا دائماً في مقدمة الصفوف والقيادة ، فلا تنحني هاماتهم إلا لله الواحد القهار .

وعلى الجملة : إن الإسلام كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء ، وما يرجوه من كمال ورفعة ، تسود فيه العدالة والحرية والعفاف والتعاون والمحبة الصادقة . وصدق الله العظيم : (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1] .

هل الملائكة تنقل الموتى ؟

يقول بعض الناس : إن لله ملائكة ينقلون الموتى من مقابر المسلمين إلى مقابر اليهود والنصارى وبالعكس . وقد تقوَّل الناس في هذا واختلفوا أقوالاً ، كل يدعي صواب وصدق دعواه ظناً وتأويلاً

ونترك الجواب لشيخنا الإمام ابن تيمية ، رحمه الله ، حيث أجاب على ذلك في كتابه القيِّم فقال[2] : أما الأجساد فإنها لا تنقل من القبور ، ولكن نعلم أن بعض من يكون ظاهره الإسلام ويكون

١ ــ سورة المائدة : ١٥ ــ ١٦ .

٢ ــ الفتاوى الكبرى . ج ١ . ص ٣٦٩ .

منافقاً - إما يهودياً أو نصرانياً أو مرتداً معطلاً - فمن كان كذلك فإنه يكون يوم القيامة مع نظرائه ، كما قال تعالى : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ)[1] . أي أشباههم ونظراءهم . وقد يكون في بعض من مات ، وظاهره كافر ، أن يكون آمن بالله قبل أن يغرغر ولم يكن عنده مؤمن ، وكتم أهله ذلك ، إما لأجل ميراث أو لغير ذلك فيكون مع المؤمنين ، وإن كان مقبوراً مع الكفار . وأما ما أُثر في نقل الملائكة ، فما سمعت في ذلك أثراً .

خرافة طيران الموتى

لا ريب أن الإسلام الحنيف هو الحصن المنيع والملجأ الأمين الذي من التجأ إليه أمن الشرور ، واطمأن لعواقب الأمور وصان عقله وذهنه من دنس الأوهام وكدرات الخرافات ، لأن العقول متى تلوثت بخرافة قام بينها وبين الحق ، والمعلومات الصحيحة ، حجاب كثيف ، يحول بينها وبين الإدراك الحق ويمنعها من الوصول إلى المعارف النافعة . كتب المرحوم الشيخ محمد شلتوت في كتابه القيم - الفتاوى - عن حوادث طيران الموتى فقال[2] : يتحدث كثير من الناس عن طيران بعض الموتى ، وهم محمولون

١ - سورة الصافات : ٢٢ .

٢ - الفتاوى ص ١٩٩ - ٢٠١

على أَعناق الرجال ، وعن تراجـع النعش بحامليه إلى الـوراءِ ويتحدثون عن ثقله مرة وخفته أُخرى ... والواقع أَن صدق هذه الأَخبار لا يكفي فيه مجرد سماعها ، ولا مجرد رؤية النعش وهو محمول على الأَعناق يتقهقر إلى الوراءِ أَو يتقدم إلى الأَمام ـ فضلاً عن سماع طيرانه في السماءِ ـ لا يكفي سماع شيءٍ من هذا في تصديقه ، فالناس مولعون بتناقل الأَخبار الغريبة ، وفيهم من هو قابل لتصديق كل شيءٍ يسمعه ، فينقله ويتحدث به ويقسم عليه .

إن صدق الأَخبار يحتاج إلى الوثوق بصدق حاملي النعش والوثوق بسلامة نفوسهم من الانفعالات الخاصة ، التي تورث الضعف في أَعصابهم ، وتجعلهم يتقهقرون أَو يندفعون إلى الأَمام بغير انتظام ، والوثوق بأَنه ليس لهم نوايا خاصة في إشاعة أَن الميت له عند الله منزلة يُبنى بها ضريح ، وتصنع له مقصورة وتفتح أَبوابه للزيارة والنذور ، وتقام له الموالد والليالي ، إلى غير ذلك مما يكون في واقعه مورد رزق جديد لحامليه ، وإلى من أَوعز إليهم بإيجاد هذا المظهر .

لم يطر ميت محمول في سيارة :

ومن الغريب أَنا لم نسمع بذلك إلا في القرى ، حيث تحمل الموتى على الأَعناق ، وإلا في عصورنا المتأَخرة ، التي اتخذت فيها

هذه المظاهر سبيلاً للارتزاق ، وسبيلاً للتغرير بضعفاءِ العقول ، فلم نسمعه عن ميت محمول في سيارة أَو قطار أَو طائرة . لم نسمعه عن باخرة قافلة من بيت الله الحرام ، وقد فاضت فيها روح حاج تقي نقي ، له بالله صلة خاصة . لم نسمع أَن جثته ثقلت أَو امتنعت عن أَيدي الذين يقذفونه في البحر ، حتى يحفظ من الحيتان والأَسماك ويدفن في القبور العادية .

لم يطر أَحـد من الصحابة :

لم نسمع شيئاً من ذلك عن أَحد من الربانيين ، الذين ماتوا في العصور الأُولى للإِسلام - خير القرون - وعلى رأْسهم الخلفاءُ الأَربعة ، وحمـاة الإِسلام من الصديقين والشهداءِ والصالحين وإِذن فنحن في حِلٍ من تكذيب كل ما نسمعه من هذا القبيل ونرفضه ، ولا نعنى بالبحث عن أَسراره وأَسبابه .

فالإِنسان متى فارق الحياة ، انقطعت صلته بالدنيا ، وصار أَمره لله وحده . ومن غريب الأَمر أَن مثل هذه الأَقاصيص المخترعة لا تروج إلا في زمن التقهقر الفكري ، وانصراف الناس عن العمل الجاد المثمر ، ولا تروج إلا في بيئات خاصة ، عرفت بالسذاجة وتصديق كل ما يقال .

نقض قول الشعراني بأن الخضر تعلم الشريعة على أبي حنيفة

جاءَ في معارج الأَلباب : نقل العارف بالله ، قطب الدائرة مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، أَن بعض مشايخه ذكر له من أَن الخضر ، عليه السلام ، كان يحضر مجلس فقه أَبي حنيفة ، في كل يوم بعد صلاة الصبح ، يتعلم منه علم الشريعة . فلما مات سأَل ربه ، عز وجل ، أَن يرد روحه في قبره ، حتي يتم له علم الشريعة ، فكان يأْتي إِليه كل يوم على عادته ، يسمع منه علم الشريعة من داخل القبر . وأَقام على ذلك خمس عشرة سنة ، حتى أَكمل علم الشريعة على أَبي حنيفة بعد موته[1] ا.هـ . . .

فهذا الخضر الذي قص الله نبأَه في سورة الكهف وقال : (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[2] . وقال له موسى : (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)[3] . فصار موسى تلميذاً له . وهو الذي أَنزل الله عليه الكتاب المسطور ، وناداه من جانب الطور .

وليت شعري ــ حيث كان الخِضْر في هذه الترجمة ، هو المستفيد من أَبي حنيفة ــ ما كان علم الخضر قبل معرفته علم الشريعة ؟ حتى

---

١ ــ راجع « معارج الألباب » . ص ٤٤ .

٢ ــ سورة الكهف : ٦٥ . ٣ ــ سورة الكهف : ٦٦ .

تعلمها من أَبي حنيفة ؟ إن كان خليقــاً أَن يصفه الله بذلك الوصف ويأْمر صفوته من خلقه أَن يؤُمه حتى يتعلم منه . وكيف استحق أَن يكون موسى متعلماً منه ؟ . وأَي علم عند من جهل علم الشريعة ؟ أَو ما علمتم أَن الشريعة ذات توحيد وأَحكام ومعالم حلال وحرام وأُمهات أَديان الأَنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ؟ وما ذاك التنويه السابق بعبد لم يعرف الشريعة إلا من أَبي حنيفة ؟ . إن كان هذا قد عد من مجاز الأَول ، فاعتبر هذا يا موفق ، ويا مؤمن بالله . أَفما كان لعبد الله الخضر في مشاهد ختام الأَنبياءِ وتمام الرسل الأَصفياءِ ؟ ثم أَما كان له في علي – صاحب منزلة هارون – وصدِّيق الأُمة وفاروق النور والظلمة أَعلام خير القرون ؟ ثم أَما كان له في علماءِ تلك العصور – من نظراءِ الإِمام أَبي حنيفة – ما يغنيه عن هذا التربص وطول الانتظار ؟ ! إنها لطريقة يعز نظيرها[١] .

تقديس القبــور وقضــاء حوائج السائلــين

قال الشعراني في الميزان[٢] : إن الله وكَّل ملائكته لقبور الأَوليــاءِ تقضي حوائج السائلين . وقال بعض الصوفية : قبر معروف الكرخي ترياق مجرب . وقال بعضهم ما معناه : لا خير في من يحجب بينه

١ – انظر كتاب « معارج الألباب » . ص ٤٥ بتصرف .

٢ – راجع « العقائد السلفية » . جـ ١ . ص ٣٤ – ٣٥ حواشي .

وبين أَصحابه شبر من التراب . ومعناه أَنه حي في قبره ، يسمع كلامهم ويجيب نداءَهم ، ويقضي حوائجهم . بل صرح بعضهم أَن بعد الموت يكون الإِنسان أَكمل من حال الحياة ، ولا سيما الأَولياءُ . أَي يقدرون أَن يتصرفوا أَكمل مما كانوا في حياتهم . وما أَدري أَي تصرف كان لهم في الحياة ، حتى يكون بعد الموت أَكمل ؟.

وبمثل هذه الكلمات ، ومئات من أَمثالها ، نشر بعض الصوفية وبعض من انتسب إِلى علم الفقه ، ممن تأَثر بآراءِ المتصوفة ، نشروا الشرك بين العباد ، وأَراد هؤلاءِ – والله أَعلم – أَن يجذبوا قلوب الناس إِليهم ، وتكون لهم المنزلة عند الناس ، سواءٌ كانوا أَحياءً أَم أَمواتاً . فلهذا تراهم في حال الحياة تخضع لهم العامة ، وقد يركعون لهم وينذرون لهم ، ويأْتونهم بالأَموال باسم النذور والصدقات ، وبعد موتهم تشيَّد لهم القباب ، ويدعى إِليهم الناس زرافات ووحداناً ، ويطوفون بقبورهم ويستغيثون بهم في النوائب ويقولون جهراً من غير حياءٍ ولا خجل : المدد يا سيدي الرفاعي . المدد يا حسين بن علي . المدد يا عبد القادر الجيلاني . إِلى غير ذلك من الكلمات الشركية ، التي يخجل العقل من النطق بها .

وكل هذه الأَعمال الشركية الشنعاءِ ، يحسبها الجاهلون من صميم الدين ، والمبتعد عنها والمنكر لها خارج من زمرة المسلمين

ومبتدع من الوهابيين . فإذا رأى الأجانب هذه الأعمال من تلك القباب وما حولها ، وتلك الاحتفالات والأعياد التي شرعوها ، بمناسبة ولادة الولي الفلاني ، وما في تلك الاحتفالات من اختلاط الرجال بالنساءِ ، والرقص والتصفيق ، واختلاط الشباب والمردان بالفتيات وما إلى ذلك من الحركات المخالفة والأعمال المبتدعة والأذكار غير الواردة ، والاستغاثات الشركية ، والنداءَات لسكان القبور وما شابه ذلك ، ويرون مع ذلك ويشاهدون كثيراً من أصحاب العمائم وذوي الفضيلة ، ممن اتسم بسِمَة العلم ، وهو منه بريءٌ ، مع أُولئك الجهلاءِ ، مع أولئك الراقصين ، والذاكرين بزعمهم . ورأوهم مختلطين مع الشبان والنساءِ والمردان والرذلاءِ والسفهاءِ ، مستحسنين ذلك ومعترفين بما هنالك . قالوا : إن كان هذا هو الدين الإسلامي الذي نسمع به ، فلا خير فيه ، لأن هذه الأعمال لا يقرها عقل صحيح ، ولا ينبغي أن يأْتي بها نبي مثل سيدنا محمد ، ﷺ ، الذي قال المسلمون عنه : إنه أتى بأحسن الأديان وأتمها وأكملها . فهؤلاءِ وأمثالهم ، مع كونهم أضلوا كثيراً من الناس بدعوى حب الصالحين وحب الأنبياءِ والمرسلين ، وإخفائهم حب الرئاسة ، وجمعهم الحطام فقد أصبحوا حجباً مانعة لدخول غير المسلمين في الدين ، بل وتنفيرهم عن هذا الدين الحنيف . اللهم إلا أن يكون ذلك الأجنبي

ممن درس حقيقة هذا الدين - وكثير منهم كذلك - وعرف الغثّ والسمين، وعرف ما عليه هؤلاء. متبَّرٌ ماهم فيه، وباطل ما كانوا يعملون.

اللهم إن ديننا الحنيف بريءٌ من هؤلاء كبراءَة الذئب من دم يوسف، اللهم اهدِ عبادك إلى صراطك المستقيم.

إسقـــاط الصــلاة والصـــوم

لقد أَمرنا ديننا الحنيف بكل خير ونهانا عن كل شر. ولما كان الناس يتصرفون في أَعمالهم الخاصة بحكم العادة الموروثة، والتقليد المتبع، ويستبيحون لأَنفسهم ما يفعلون من عادات، ليست إلا مهزلة من مهازل التوارث الفاسد، فمن ذا الذي أَباح لهم التصرف في حقوق الله؟ التي أَوجبها على ميِّتهم في حياته، ليزكي بها نفسه من صلاة أَو صوم، ثم استخف بها أَو تركها، أَو تلهى عنها ومات وهو مطالب بها؟. أَتدري ماذا يفعلون؟. يحسبون لها فدية ويقدمونها للفقراء باسم: إسقاط الصلاة أَو الصوم. ثم يعبثون باحتيال مكشوف لا يخفى على أَحد من الناس، فضلاً عمن أَحاط بكل شيءٍ علماً، يعبثون فيشترطون على الفقير - لكثرة الفدية - أَن يردها إليهم بطريقة الهبة، في مقابل جزءٍ يسير يأْخذه منها. فعلى فرض مشروعية إسقاط الصلاة والصوم - والواقع أَنه لم يرد

بها مصدر تشريعي صحيح ولا ضعيف - فهل يعقل أن تكون تلك الحيلة عملاً مشروعاً يقبله الله ، ويسقط عن ميِّتهم الصلاة والصوم ؟ ! . إنه احتيال من احتيال أهل السبت[1] .

إن هذه الفرية تجرؤٌ على الدين ، وهتك لمباديء الإسلام فضلاً عن أَنها مصادمة للنصوص الشرعية ، ولم يقل بها إلا من زين له الشيطان سوءَ عمله فأَصبح عبداً لهواه .

فهلاَّ عرف المسلمون دينهم ؟ وكشفوا دعوى الباطل وتلبيس إبليس ، الذي ينقض شعائر الإسلام ؟ ! . فهذه بعض المنافذ ، التي يتسلق خلالها الشيطان وأَتباعه ، إلى معاقل الإسلام لنقض عُراه . وهكذا يعود الإسلام غريباً كما بدأ . وإني لأَرجو أَن يكون لإيمان المؤمنين عمل حازم يرد الناس إلى ما يرضي الله ، ويحفظ عليهم عقيدتهم وكرامتهم ، وينقي دينهم مما أَصابهم ، من ظلمات البدع ومنكرات العادات ، وصدق الله العظيم : (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)[2] .

إن المجتمع الإسلامي مليءٌ بالمتناقضات ، وما أَفرغه فيه الأَعداءُ

---

١ - الفتاوى الكبرى . ص ٢١٧ - ٢١٨ .

٢ - سورة الإسراء : ١٣ - ١٤ .

من سمومهم وأَحقادهم ، وما أَضافه أَصحاب البدع والخرافات من أَوهام وشرك . وهذا يستدعي إعادة النظر في المؤلفات الإسلامية وغيرها من الكتب المشبوهة ، وتطهير المكتبة الإسلامية من رواسب الماضي ومخلفات الأَوهام ، وبهذا تسلم الحياة وتستقر الشؤون وتسير بالأُمة سفينة النجـاة إلى شاطيء الأَمن والاستقرار .

معـــراج ابــن عبـــاس

أَشرقت الدنيا ببزوغ فجر الإِسلام وانتشار نـــوره ، وبذلك تغيرت معالم الحياة ، إذ انعتقت البشرية من سلطان الضلال والأَوهام ، وتخلصت من أَسرها ، واستعادت إنسانيتها وكرامتها . وعندما خفَت صوت الحق ، انقض العابثون فبثوا ضلالهم وروَّجوا لأَباطيلهم في ديار الإسلام ، ليعيدوا المسلم إلى عهد الجهل والخرافة . إن المعراج المنسوب لابن عباس ما هو إلا خرافة أَلصقها الأَعداءُ بالدين زوراً وبهتاناً .

قال الدكتور البوطي[1] : ضم مجلس ذات ليلة ثُــلة من عوام الناس ، في بيت أَحدهم ، وكانت المناسبة هي تلاوة قصة المعراج الشريف .

١ ــ انظر كتاب « تجربة التربية الإسلامية » . للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٩٠ ــ ٩١ .

وبدأ القارئُ يتلو على الجالسين هذه القصة ، في رسالة كتب على غلافها : معــراج ابن عباس[1] . وراح الجالسون يسمعون . وإذا بالرسالة تقول : إن السماءَ الأُولى من نحاس ، والثانية من حديد والثالثة من ذهب ، أو قصدير أَو غير ذلك ، لا أَدري . وتقول أَن القمر معلق في السماءِ الرابعة ، أَما الشمس ففي السماءِ الخامسة أَو السادسة . . .

وهنا لم يتمالك ابن صاحب الدار نفسه ـ وكان طالباً في صف الشهادة الثانوية ، وكان ممن يعرِّفونك على أَنفسهم بأَنهم تقدميون جداً جداً ـ فقاطع القارئ قائلاً : كفى تدجيلاً وسخفاً . إن هذا الكلام لا يمكن أَن يسمعه إلا المجانين . فانبرى الجالسون يثورون عليه في حمية وغضب ، يرمونه بالزيغ والإلحاد ، وتكذيب ما جاءَ به الرسول ! ! .

أَما الطالب فلم يكن سمع إلا النزر القليل ، عن حقيقة ما جاءَ به الرسول ، فلم يجد من الرد عليهم إلا أَن يقول : إذا كان هذا ما يقوله الرسول ، فأَنا غير مستعد أَن أَبيع عقلي في سبيل الإيمان بذلك .

وواضح أَن النتيجة كانت خروج الطالب مطروداً من مجلس

---

١ ـ نسب الدساسون هذا المعراج لابن عباس زوراً وبهتاناً ، وقد أصدرت الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس فتوى بتحريم تداوله ، لأنه مفتعل ومشوه لحقائق الدين . أنصح المسلمين بقراءة المعراج الوارد في البخاري ، وغيره من الكتب الصحاح الموثوقة .

القوم ، بل من البيت كله . وقبل أن أُوضح أنا ـ الكلام لازال للدكتور البوطي ـ لك حقيقة الأَمر ، بالنسبة لما جاءَ في تلك الرسالة أَود أَن تسير معي بتفكيرك إلى آخر مرحلة من نتائج هذه الحادثة .

فالشاب لابد أَنه قد خرج مغضباً مقهوراً ، حاقداً على الدين وأَهـله ورجاله ، موقنـاً بـأَنه في مجموعه ليس إلا خرافة من مثل هذه الخرافات . ولابد أَنه راح يتندر بهذه القصة بين جميع زملائه ، ممن هم دونه أَو فوقه ، متخذاً منها الدليل الواضح على أَن الدين ليس إلا أَوهاماً وأَخيلة وهواجس .

ولابدأَن كل متتبع لسير العلم وتقدمه ، وغافل عن حقيقة الإسلام وجوهره ، يقتنع بهذا الدليل ، ويزداد بالتالي غفلة عن الإسلام ، بل وينتهي إلى إنكاره وعدم الإيمان به ، ويبقى الصراع مشبوب اللهب بين أَمثال هؤلاءِ وأُولئك العامة ، الذين صدقوا عن طريق العاطفة المجردة ؛ ولم يفهموا شيئاً عن طريق العلم والتدبر والعقل .

ولو أُتيحت لهم ظروف ، كالتي أُتيحت لهؤلاءِ الشباب ، ما كانوا خيراً منهم نتيجة وأَقل كفراناً . هذه بعض آثار المفاسد التي أَصابت المسلمين ، نتيجة لدسائس الأَعداءِ المستمرة ، التي بثوا سمومها في معاقل الإسلام . كل ذلك في غيبة الإسلام ودعاته

المخلصين ، وهيمنة الجهل ودعاة الخرافة والضلال . ولا يخفي فخرافة المعراج المنسوب لابن عباس ، رضي الله عنهما ، ما هي إلا واحدة من تلك المؤامرات الخبيثة لتضليل المسلمين وإفسادهم .

فعلى المسلمين الحذر من دعاة الإلحاد ، كما عليهم أن يطهروا المجتمع من غوائل الضلال والابتداع والإلحاد ، وحرق كافة كتب التصوف والإلحاد المحشوة بالبدع والأحاديث الموضوعة ، والقصص الشيطانية التي شوهت معالم الإسلام .

الإمام علي وكتاب الجفر

يكثر ذكر كتاب الجفر على ألسنة الناس ، وخاصة العوام وأصحاب الطرق الضالة والمبتدعة ، من الصوفية وغيرهم . وكثيراً ما سمعتهم يتحدثون في مجالسهم بأن الأمر الفلاني ، والقضية الفلانية حصلت لأنها ـ لأنه ـ وردت ـ ورد ـ في كتاب الجفر . بدعوى أن كتاب الجفر حقيقة واقعية فيه الخبر اليقين ، وعلم الأولين والآخرين ، إلى غير ذلك من الأوهام ، التي لا مستند لها ولا أصل في الإسلام .

ونترك الحديث ـ ليجلي هذه المواقف ـ للعلامة والمؤرخ الكبير ابن خلدون ، رحمه الله ، ليكشف لنا حقيقة كتاب الجفر المزعوم

حيث يقول[1] :

وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلى كتاب الجفر ويزعمون أَن فيه علم ذلك كله ، من طريق الآثار والنجوم . لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون أَصل ذلك ، ولا مستنده . واعلم أن كتاب الجفر أَصله : أَن هارون بن سعد العجلي – وهو رأْس الزيدية – كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأَهل البيت على العموم ، ولبعض الأَشخاص منهم على الخصوص – وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم ، على طريقة الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأَولياء – وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير ، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه ، وسماه : الجفر ، باسم الجلد الذي كتب فيه ، لأَن الجفر في اللغة : هو الصغير . وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم . وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني ، مروية عن جعفر الصادق .

وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ، ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه ، أَو من رجال قومه ، فهم أَهل الكرامات .

---

١ – مقدمة ابن خلدون . ص ٣٣٤ .

جاءَ في كتاب : الإبداع في مضار الابتداع : وأما الجفر فقال ابن قتيبة أَنه مما ادعاه الروافض على علي ، رضي الله عنه ، وكل ضلالاتهم يدَّعون أَن لها أَصلاً في ذلك الجفر .

وثبت عنه ، كرم الله وجهه ، أَنه قال : ما عندنا شيءُ أَسرَّه النبي ، ﷺ ، إلينا إلا أَن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه ، وليس هذا بالتعليم . وفيه رد على الروافض حيث ادعوا أَنه ، ﷺ، أَسرَّ إليه بالخلافة وغيرها .

سيدنـــا علـــي والخـــوارق

جاءَ في بعض الروايات أَن علياً ، رضي الله عنه ، قاتل الجن في البئر ، ومد يده يوم خيبر ، فعبر العسكر عليها . وأَنه حمل في الأَحزاب فا فترقت قدامه سبع عشرة فرقة ، وخلف كل فرقة رجل يضرب بالسيف ويقول : أَنا علي . وأَنه كان له سيف يقال له : ذو الفقار . وكان يمتد ويقصر ، وأَنه ضرب به مرحباً – وكان على رأْسه جرن من رخام – فقصم له ولفرسه ، بضربة واحدة ، ونزلت الضربة في الأَرض ، ومناد ينادي في الهواءِ : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . وأَنه رمى في المنجنيق إلى حصن الغراب ، وأَنه بعث إلى كل نبي سراً ، وبعث مع النبي ، ﷺ، جهراً ... الخ .

وقد أجاب شيخ الإسلام على هذه الدعاوى المختلفة ، في كتابه فقال[1] : هذه الأُمور المذكورة كذب مختلق باتفاق أَهل العلم والإيمان . لم يقاتل علي ولا غيره من الصحابة الجن ، ولا قاتل الجن أَحداً من الإنس ، لا في بئر ذات العلم ولا غيرها . والحديث المروي في قتاله للجن موضوع مكذوب باتفاق أَهل المعرفة .

ولم يقاتل علي قط ، على عهد رسول الله ، ﷺ، لعسكر كان خمسين أَلفاً وثلاثين أَلفاً ، فضلاً عن أَن يكون وحده قد حمل فيهم . ومغازيه التي شهدها مع رسول الله ، ﷺ، وقاتل فيها كانت تسعة : بدراً وأُحداً ، والخندق وخيبر ، وفتح مكة ويوم حنين ، وغيرها . وأَكثر ما يكون المشركون في الأَحزاب ، وهي الخندق ، وكانوا محاصرين للمدينة ، ولم يقتتلوا هم والمسلمون كلهم ، وإنما كان يقتتل قليل منهم وقليل من الكفار ، وفيها قتل علي عمرو بن عبد ودّ العامري ، ولم يبارز علي وحده قط إلا واحداً ، ولم يبارز اثنين .

وأَما مرحب يوم خيبر ، فقد ثبت في الصحيح أَن النبي ، ﷺ قال : «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ » . فأَعطاها لعلي . وكانت أَيام خيبر أَياماً متعددة . وبعض حصونها فتح على يد علي ، رضي الله عنه . وقد روي

---

١ ـ الفتاوى الكبرى . ج ١ . ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

أَثر أَنه قتل مرحباً ، وروي أَنه قتله محمد بن سلمة . ولعلهما مرحبان . وقتله القتل المعتاد ، ولم يقدَّه جميعه ، ولا قدَّ الفرس ولا أَنزل السيف إلى الأَرض ، ولا نزل لعلي ولا لغيره سيف من السماءِ ، ولا مد يده ليعبر الجيش ، ولا اهتز سور خيبر لقلع الباب ولا وقع شيءٌ من شرفاته . وإن خيبر لم تكن مدينة ، وإنما كانت حصوناً متفرقة ، ولهم مزارع ، ولكن المروي أَنه ما قلع باب الحصن حتى عبره المسلمون ، ولا رمى في منجنيق قط . وعامة هذه المغازي التي تروى عن علي وغيره ، قد زادوا فيها أَكاذيب كثيرة ، مثل ما يكذبون في سيرة عنتر والأَبطال .

وجميع الحروب التي حضرها علي ، رضي الله عنه ، بعد وفاة رسول الله ، ﷺ، ثلاثة حروب : الجمل وصفين وحرب أَهل النهروان . والله أَعلم .

بطلان دعوى ، انفراد علي بالعلم :

قال شيخ الإسلام ، رحمه الله[1] ، وأَما ما يرويه أَهل الكذب والجهل ، من اختصاص علي بعلم انفرد به عن الصحابة ، فكله باطل . وقد ثبت عنه في الصحيح أَنه قيل له : هل عندكم من

١ ــ الفتاوى الكبرى . ج ١ . ص ٤٧٤ .

رسول الله ، ﷺ ، شيءٌ ؟ . فقال : لا . والذي فلق الحبة وبرأ النسمة . إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه ، وما في هذه الصحيفة . وكان فيها : عقول الآيات . أي : أسنان الإبل التي تجب فيه الآية ، وفيها : فكاك الأسير . وفيها : لا يقتل مسلم بكافر .

وفي لفظ : هل عهد إليكم رسول الله ، ﷺ، شيئاً لم يعهده إلى الناس ؟ فنفى ذلك . إلى غير ذلك من الأحاديث ، التي تدل على أن كل من ادعى أن النبي ، ﷺ ، خصه بعلم فقد كذب عليه .

وما يقوله بعض الجهال أنه شرب من غسل النبي ، ﷺ، فأورثه علم الأولين والآخرين ، من أقبح الكذب البارد ، فإن شرب غسل الميت ليس بمشروع ، ولا شرب علي شيئاً . ولو كان هذا يوجب العلم لشركه في ذلك كل من حضر . ولم يرو هذا أحد من أهل العلم . وكذلك مما يذكر أنه كان عنده علم باطن ، امتاز به عن أبي بكر وعمر وغيرهما . فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية ونحوهم ، الذين هم أكثر منهم ، بل فيهم من الكفر ما ليس في اليهود والنصارى كالذين يعتقدون إلٰهيته ونبوَّته ، وأنه كان أعلم من النبي ، ﷺ وأنه كان معلماً للنبي ، ﷺ، ـ في الباطن ـ ونحو هذه المقالات التي إنما يقولها الغلاة في الكفر والإلحاد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تفضيل أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما :

جاءَ في الفتاوى الكبرى[1] : أما تفضيل أَبي بكــر وعمر على عثمان وعلي ، فهذا متفق عليه بين أَئمة المسلمين المشهورين بالإِمامة في العلم ، والذين من الصحابة والتابعين وتابعيهم . وهو مذهب مالك وأَهل المدينة ، والليث بن سعد وأَهل مصر ، والأَوزاعي وأَهل الشام وسفيان الثوري وأَبي حنيفة ، وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأَمثالهم من أَهل العراق ، وهو مذهب الشافعي وأَحمد ، وإِسحق وأَبي عبيد ، وغير هؤلاءِ من أَئمة المسلمين ، الذين لهم لسان صدق في الأُمة . وحكي مالك إِجماع أَهل المدينة على ذلك ، فقال : ما أَدركت أَحداً ممن أَقتدي به يشك في تقديم أَبي بكر وعمر . وهذا مستفيض عن أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب .

ففي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية أَنه قال لأَبيه علي بن أَبي طالب : يا أَبت مَن خير الناس ، بعد رسول الله ، ﷺ ؟ قال : يا بنيَّ أَوما تعرف ؟ . قلت : لا . قال : أَبو بكر . قلت ثم من؟ قال : عمــر ... ويروى هذا عن علي بن أَبي طالب من نحو ثمانين وجهاً . وأَنه كان يقوله على منبر الكوفة . بل قال : لا أُوتىٰ بأَحد يفضِّلني على أَبي بكر وعمــر إِلا جلدته حدَّ المفتري . فمن فضَّله

١ ـ الجزء الأول ص ٤٧٥ ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طيب الله ثراه .

على أَبي بكر وعمــر جُلد ـ بمقتضى قوله ، رضي الله عنه ـ ثمانين ســوطاً .

وكان سفيان يقول : من فضَّل علياً على أَبي بكر ، فقد أَزرى بالمهاجرين ، وما أَرى أَنه يصعد له عند الله عمل وهو مقيم على ذلك .

وفي الترمذي وغيره ، روي هذا التفضيل عن النبي ، ﷺ ، أَنه قال : « يَا عَلِيُّ هٰذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ » .

فتنــة سليمــان عليــه الســلام

إن نبي الله سليمان ، عليه السلام ، هو من أَنبياءِ الله الكرام الذين بعثهم إلى بني اسرائيل ، وهو ابن داود ، عليه السلام وكلاهما جمع الملك مع النبوة ، كما تستند شريعتهما إلى التوراة التي أَنزلها الله عــلى موسى ، عليه السلام ، فهي كتاب الله إلى بني إسحاق ـ اسرائيل ـ كلف العمل به من عهد موسى إلى عهد عيسى عليهما السلام ، ولم ينسخهما إلا القرآن الكريم . أَما الزبور ، الذي آتاه الله داود ، فقد كان كتاب أَدعية وصلوات . ويسميه أَهل الكتاب : المزامير . وأَما الإنجيل فهو كتاب وعظ وإرشاد وتذكير .

وبما أَن سليمان نبي ، فيجب أَن يتصف بما يتصف به أَنبياءُ الله

تعالى من الكمال اللائق بهم ، وأَن يتنزه عن المعاصي ، فإن النبي قدوة لأمته ، فلا يصح أَن يختاره الله من أَهل الخطايا ، ولابد أَن تكون فتنته من نوع لا يقدح في نبوته . قال تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ)[1] .

الروايات الفاسدة في فتنته :

كثرت الروايات والقصص الفاسدة عن فتنة سليمان ، وأَخفها ما رواه الإمامية عن أَبي عبد الله : أَنه ولد لسليمان ابن ، فقال بعض الشياطين لبعض : إن عاش له ولد لم ننفك عما نحن فيه من البلاءِ والسخرة ، فتعالوا نقتله أَو نخبله . فعلم سليمان بذلك ، فأَمر الريح فحمله إلى سحاب مع مرضعة له من حيث لا يعلمون ، خوفاً عليه من الشياطين .

قال القرطبي : فعاقبه الله على خوفه من الشياطين ، فلم يشعر إلا وقد وقع الولد على كرسيه ، فهو الجسد الذي قال الله تعالى فيه : (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً) .

قال الآلوسي : وهذا الخبر غير صحيح ، فإن تسخير الريح بعد الفتنة . ونحن نضيف إلى ما قاله الآلوسي : أَن الجن ما كانت تستطيع أَن تتعرض اولده وهو على الأَرض ، فقد كانوا (يَعْمَلُونَ لَهُ

---

١ — سورة ص : ٣٤ .

مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ)[1] .
أَما المتمردون منهم فقد كانوا مقرّنين في الأَصفاد[2] .

ولهذا فإنه لما مات (مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ)[3] . وإذا كان أَمر الجن معه على هذا النحو ، فإنه ما كان يخشاها على ولده حتى يرفعه إلى السحاب ، فلهذا يتأَكد فساد الخبر .

ومن القصص الباطلة ما قيل من أَنه احتجب ثلاثة أَيام ، فأَوحى الله إليه معاتباً على احتجابه ، وتركه النظر في أُمور عباده ، وإنصافه المظلوم من الظالم .

وكان ملكه في خاتمه ، إذا دخل الحمام وضعه تحت فراشه فأَخذه الشيطان وجلس على كرسيه ، ودانت له الأُمة ، وأَنكرت سليمان ، فساح أَربعين يوماً ، فأَتى أَهل سفينة ، فأَعطوه حوتاً فوجد فيه خاتمه ، فتختم به وأَخذ بناصية الجني – وهو الجسد الذي أَلقاه الله على كرسيه على هذا الرأْي – وقال سليمان مستغفراً مما حدث : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)[4] .
وسنبين وجه فساد هذه الرواية .

---

١ – سورة سبأ : ١٣ .
٢ – هذه المعلومات مستقاة من مجلة الأزهر . ١٣٩٥ هـ – القاهرة .
٣ – سورة سبأ : ١٤ .
٤ – سورة ص : ٣٥ .

ومن القصص الفاسدة ما قيل : أَنه غزا صيدون من الجزائر وقتل ملكها واصطحب ابنته جرادة فأَحبها وتزوجها ، وكانت دائمة البكاءِ على أَبيها ، فأَمر الشياطين فصنعوا لأَبيها تمثالاً فسجدت له هي وجواريها ، فأَخبره بذلك آصف وزيره ، فكسر التمثال وضرب المرأَة ، وخرج إِلى الفلاة باكياً متضرعاً . وكان إِذا دخل الحمام أَعطى خاتمه إِلى أُم ولده - وتسمى أَمينة - فدخل الحمام يوماً وتركه معها ، فتمثل بصورته شيطان اسمه صخر ، فأَخذ منها الخاتم وتختم به ، ولما جاءَ سليمان أَنكرته وطردته ، وجلس الشيطان على كرسيه ، فنفذ حكمه في كل شيءٍ إِلا في نسائه . وهذا الشيطان هو الجسد الذي أَلقاه الله على كرسيه ، عند أَصحاب هذا القول .

ولما حدث ذلك لسليمان عرف أَن الخطيئة ركبته ، فظل يتكفف الناس أَربعين يوماً - عدد ما عبدت الصورة في بيته - فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده ، فشق السمكة فوجد الخاتم بها ، فتختم به وخرَّ ساجداً لله ، وعاد إِلى الملك .

قال أَصحاب هذه القصة : وخطيئة سليمان فيها غفلته عن حال أَهله ، فقد كان عليه - بعد أَن أَمر بصنع التمثال لأَبيها - أَن يرقب ما تفعله زوجته مع هذا التمثال ، فهي من قوم يعبدون الأَوثان .

أما اتخاذ التماثيل فهو جائز في شريعته ، والسجود له كان بغير علمه . إلى غير ذلك من الروايات الفاسدة ، وما يعف القلم عن ذكره.

هذه الروايات من وضع الزنادقة :

قال أبو حيان[1] : إن هذه المقالة من وضع اليهود والزنادقة ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحتها ، إذ لو تمثل الشيطان بصورة نبي حتى التبس أمره على الناس ، لم يوثق بإرسال نبي . ثم قال : الله أكبر هذا بهتان عظيم .

وقد جاءت هذه القصة برواية عبد الرازق وابن المنذر منتهية إلى كعب الأحبار ، ومعلوم أن كعباً كان يهودياً ، فهو يرويها عن كتب اليهود ، فهي أصل البلاء لأنها لا تتورع عن نسبة الموبقات إلى الأنبياء .

ويستبعد جداً أن يربط الله ما أعطى لرسوله سليمان من الملك بذلك الخاتم ، ولو كان في الخاتم هذا السر ، لذكره الله في كتابه[2] .

رأيـــان معقولان :

يرى بعض المفسرين[3] أن فتنة سليمان هي تقصيره في عـــدم

---

١ – راجع مجلة الأزهر . ١٣٩٥ هـ – القاهرة .

٢ – هناك قصص شائعة للخاتم . مثل قولهم عندما يكلفون الخاتم بأمر ما فيجيبهم : لبيك عبدك بين يديك . وهذه خرافة ساقطة لا يقبل بها إلا من سفه نفسه .

٣ – مجلة الأزهر . القاهرة – ١٣٩٥ هـ .

التعليق على مشيئة الله تعالى ، استناداً إلى حديث صحيح ، جاءَ فيه أَن سليمان ، عليه السلام ، قال : لأَطوفن الليلة على سبعين امرأَة - وفي رواية أَربعين امرأَة - تأَتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله .

فطاف عليهن ، فلم تحمل إلا امرأَة واحدة ، جاءَت بشق ولد . وجاءَ في الحديث : « فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاوُوا فُرْسَاناً » .

فمن هذا الحديث استنبطوا أَن فتنة سليمان هي تركه التعليق على مشيئة الله ، وأَن عقابه على ذلك كان عدم تحقيق ما كان يريده وأَن تأْتي واحدة منهن بنصف ولد ، وقد عبر عن شق الولد بأَنه جسد. ومعنى إلقائه على كرسيه ، أَن القابلة أَلقته عليه لينظر إليه . وعدم قوله : إِنْ شَاءَ اللهُ . فيه ترك الأَولى ، وهو بالنسبة لمقامه يعتبر مخالفة ، يعاقب عليها بالابتلاءِ ، ويستحق أَن يستغفر الله تعالى من أَجلها . ولهذا قال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي . . .) .

وهذا التأْويل هو رأْي الجمهور ، واستظهره الآلوسي . ولأَبي مسلم رأْي غير هذا ، مناسب لنص القرآن ، وقد أَقره على ذلك جماعة من المفسرين . وخلاصته : أَن معنى : (فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) : أَمرضناه مرضاً شديداً حتى صار على كرسيه كأَنه جسد بلا روح .

فلذا قال الله ، سبحانه وتعالى ، في حالته الصحية : (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً) . وقد شاع قولهم في الضعيف : لحم على وضم وجسد بلا روح . فالجسد الذي أَلقاه الله على كرسي سليمان ، هو سليمان نفسه ، حين كان مريضاً . ومعنى قوله : (ثُمَّ أَنَابَ) : ثم عاد إلى صحته ، فإن الإنابة تطلق على الرجوع مطلقاً .

ولا شك أَن هذا رأْي خال من المآخذ الموجهة إلى غيره ، سوى ما قاله الجمهور : وَثُمَّ للترتيب والتراخي . وإنما عطف بها – على رأْي الجمهور – لأَنه لم يعلم الداعي إلى الإنابة إلا بعد وقوع المخالفة بوقت طويل . أَما على رأْي أَبي مسلم ، فالعطف بها لأَن عوْده إلى الصحة تراخى عن أَول المرض[1] .

وهكذا يقف القارىءُ الكريم على تلك الفتنة ، وتلك الدعاوى الباطلة والقصص الخرافي ، الذي لا يسنده دليل ولا يعتمد على برهان . وأَما من حيث تسخير الريح والجن لسليمان ، عليه السلام فقد ورد ذلك في كتاب الملك الحكيم . يقول تعالى : (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ)[2] . كما يقول سبحانه وتعالى . في تسخير الشياطين له : (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ)[3] .

١ – القاهرة – للأستاذ محمد مصطفى الطير .

٢ ، ٣ – سورة ص : ٣٦ – ٣٨ .

حب أهـل البيت والأولياء

يقولون : لا يحرم إقامة الموالد لأولياءِ الله إلا كل من يحمل عداءً للأَولياءِ ولأَهل بيت رسول الله ، ﷺ، والله يقول في حديث قدسي : « مَنَ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » . رواه البخاري .

ونرد عليهم فنقول : إن من ينكر على الناس إقامة الموالد للأَولياءِ لا يكرههم ولا يعاديهم ، بل على العكس من ذلك ، هو يحبهم ويرجو لهم الخير ، وكذلك يرجو أَن يجمعه الله وأَولياءَه الصالحين : (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً)[1] . والذي ينكر الموالد لا يحمل أَي عداءٍ لبيت رسول الله ، ﷺ ولا يبغضهم ، بل يحب أَهل البيت ويكن لهم كل محبة واحترام .

لولا هذا ما قام هو وأَمثاله من المؤمنين ، يأْمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويجاهدون للقضاءِ على الخرافات والبدع ، التي كانت ولا تزال تتمثل في إقامة الموالد ، وغيرها من المستحدثات التي يحاربها أَهل البيت أَنفسهم ، سداً لأَبواب الشرك وحفاظاً على التوحيد ، وصيانة لمبادئِ الإِسلام من الضياع[2] .

وعلى ذلك فإِن اتهام من يحارب البدع بعداوة الأَولياءِ وكره

١ — سورة النساء : ٦٩ .

٢ — انظر كتاب « صراع بين الحق والباطل » .

بيت رسول الله ، ﷺ، اتهام باطل مبني على الظن والافتراء .

الناس ليسوا أهل الله

يقولون : إذا حكمنا على الموالد بأنها بدع وباطل ، فكيف نعبر عن حبنا للأولياء وأهل البيت ؟ وهم جميعاً أهل الله الذين أحبهم الله وأكرمهم ؟ . ونرد عليهم فنقول : ليس في الإسلام طبقة تسمى أهل الله كما يدعي الناس . لأن معنى ذلك أن لله أسرة وذرية كما يكون لأحدنا ذلك . وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [1] . فهو سبحانه قد نفى عن نفسه صلة الناس به عن هذا الطريق فقال تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ). وقال سبحانه : (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) . سورة النساء : ١٧١ . وقال عز وجل : (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) . سورة مريم : ٣٥ .

ولكن صلة الناس بالله ، هي صلة العبد بالرب ، هي صلة المخلوق بالخالق ، فالله سبحانه وتعالى هو رب الناس جميعاً ، والناس كلهم من أول آدم إلى آخر واحد ، حتى تقوم الساعة ، هم عباد لله وسيأتونه -عظيمهم وصعلوكهم ، غنيهم وفقيرهم - كلهم يوم القيامة أيضاً عباد ، كما قال تعالى : (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ

١ - صراع بين الحق والباطل .

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا)[1]

النـــاس كلـــهم عبـــاد الله

لا ندري كيف سموا فريقاً من الناس بأهل الله ؟ ! ولا ندري من أين جاؤوا بهذه التسمية المستحدثة ؟ . مع أن الله تعالى شرف نبيه الكريم – وهو سيد البشر – بصفة العبودية السامية بقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . .) سورة الإسراء : ١ .

وكذا شرف جميع الأنبياء باسم العبد ، وأضاف إليهم هذه الصفة الكريمة . وسمى أيضاً المؤمنين المتقين بأسماءٍ كثيرة ؛ فمنهم حزب الله . كما قال تعالى : (أُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . سورة المجادلة : ٢٢ .

وهم عباد الرحمن . كقوله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْناً)[2] .

هذه هي الصفات الربانية الجميلة التي خلعها الله على عباده المؤمنين وارتضاها لهم ، فلِمَ يشذ أهل الباطل عن هذه التسمية

١ – سورة مريم : ٩٣ – ٩٤ .
٢ – سورة الفرقان : ٦٣ .

الإلٰهية الجميلة ؟ ويبتدعون أسماءً[1] وصفات لطـائفة من الناس ما أَنزل الله بها من سلطان . ؟ ! .

إن هذه الأَسماءَ المبتدعة لم يذكرها القرآن ، ولم تعرف عند السلف الصالح . ومن يوم أَفرط الناس في حب الأَولياءِ وأَهل البيت ارتقى بهم هذا الحب إلى درجة الغلو والتقديس . ولذلك خشي الرسول ، ﷺ، على أُمته أَن تفتن به فتطريه وتمدحه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . أَي : لا تمدحوني ولا تجعلوا لي اسماً غير الذي أَحبه اللهلي وسماني به ، كما فعلت النصارى بعيسى ابن مريم وقالت أَنه ابن الله ، وجعلته جزءاً من الله ، ونزعت منه صفة العبودية[2] .

وإذا كان الرسول ، ﷺ، وهو سيد الخلق على الإطلاق ، قد حذر أُمته من الوقوع في معصية إطراءِ البشر ، بتمجيده ومدحه ورفعه فوق منزلته وحقيقته ، فلماذا نفرط نحن في إطراءِ الأَولياءِ وأَهل البيت ؟ . فنسميهم : أَهل الله؟ وهم أَدنى منزلة من الرسول ؟ !

١ — من هذه الأسماء : العارف والغوث والقطب . وغيرها من الأسماء التى لم نقرأ عنها في شيءٍ من كتب السنة أو كتب التاريخ الصحيحة المعتمدة . ولم تصدر هذه التسميات إلا من أصحاب الطرق الصوفية .

٢ — انظر كتاب « صراع بين الحق والباطل » .

معتقـــدات باطلـــة

أولاً : محمد بشر ، وليس من نور الله :

يقولون أَن محمداً خلق من نور الله ، ويعرِّفونه في كتبهم أَنه : نور انبثق وفاض من الله . ونرد عليهم فنقول : إِن زعمكم أَن محمداً نور انبثق من الله يعوزه دليل من الكتاب والسنة ، يؤيد هذا الاعتقاد الموروث عن اليهود والنصارى .

لقد أَمر الله رسوله أَن يخبرنا أَنه بشر مثلنا ، لكي لا نعتقد أَنه نور كما تدعون . فقال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ) سورة الكهف : ١١٠ .

ويقول له : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ . أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)[١] . ويقول تعالى عـلى لسان المشركين الأَولين : (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ) . سورة المؤمنون : ٣٤ .

ويقول الرسول ، عليه الصلاة والسلام : « كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » . كل هذه الآيات والأَحاديث الواضحة تدل على أَن محمداً ، ﷺ ، من أَولاد آدم المخلوق من تراب ، وأَنه بشر من ظهر بشر وبطن بشر ، كما يشهد هو في حديثه : « إِنَّمَا أَنَا ابْنُ

١ ـ سورة الأنبياء : ٣٤ .

امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » . وأنه مرت به جميع أطوار الطفولة ، كما تمر بكل طفل ، وأنه كان يأكل طعام البشر ويشرب شرابهم ، كما قال عنه مشركو الجاهلية الأولى : (مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) . سورة المؤمنون : ٣٣ .

وكذلك يقظته ونومه ولبسه ، وكل ما فيه من مظاهر البشرية مثلنا . ولكنهم مع ذلك يكذبون هذه الآيات الواضحات ، ويصرون في عناد على موقفهم ، المخالف لما صرح به كتاب الله وبينته سنة رسوله ، ويقولون : خلق من نور الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله[١] .

ثانياً : آدم وعيسى ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام ، خلقوا من تراب :

ومن العجيب أننا نخالف النصارى في اعتقادهم الوثني الباطل بأن عيسى ابن الله[٢] ، إذ نؤمن بأن الله ليس له ولد ، كما قال الله تعالى : (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) . سورة الصمد . ونؤمن أيضاً أن عيسى

---

١ — راجع كتاب « صراع بين الحق والباطل » .

٢ — جعلت النصارى حكمة الله في ولادة عيسى من غير أب ، خلافاً لولادة كل البشر . فقالوا — افتراءً وكذباً — أنه ابن الله . ومن هنا عظموه وقدسوه ورفعوه لدرجة الألوهية . وقال الله موبخاً عقيدتهم : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) . سورة المائدة : ١٧ .

لقد جعلت النصارى عيسى ابن مريم جزءاً من الله ، وفعلنا نحن أيضاً مثل النصارى فجعلنا محمداً جزءاً من الله . كما جعلنا الأولياء وأهل البيت أهل الله . وقد أشار =

خلق من تراب ، بدليل قوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمْ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . سورة آل عمران : **٥٩**

العجيب أننا نؤمن بهذا ، ونخالف النصارى فيما يعتقدون ثم نعتقد نحن أن محمداً ، ﷺ ، خلق من نور الله ! ! وأنه نور انبثق وفاض من الله . علماً بأن المخلوق من نور الله هو جزءٌ من الله فكيف ننكر على النصارى عقيدتهم هذه ؟ بينما نعتقد نحن نفس العقيدة ونرضاها لأنفسنا ؟ ! . فهذه هي المناقضة التي يحملها الجهلة[1] .

عقيدة النصارى في عيسى ، عليه السلام :

وعقيدة النصارى في أُلوهية عيسى ، عليه السلام ، هي : عقيدة التثليث . التي تقرر أن الإلٰه مركب من ثلاثة أُصول هي : الأَب والابن والروح القدس. ومعتنقو هذه العقيدة يعرفونها هكذا : الله : الأَب . والله : الابن . والله : الروح القدس .وحجتهم في هـذه العقيدة هي : أَنه ما دام عيسي لم يولد من أَب وأُم كما يولد سائر

= القرآن إلى هذه العقيدة الشركية وقال تعالى : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ) . سورة الزخرف : ١٥ .

ولكي لا نرث هذه العقيدة الوثنية عن النصارى ، حذرنا الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ » . وقال : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ » .

١ ــ انظر كتاب « صراع بين الحق والباطل » .

البشر ، وما دام الله قد أَلقى كلمته إلى مريم ، بدليل قوله تعالى : (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) . سورة النساء : ١٧١ .

ما دام الأَمر كذلك فلابد أَن يكون عيسى هو ابن الله ، ويصبح كل منهما عين الآخر ، لأَن الابن جزءٌ من الأَب . وقد شاركت الجاهلية الثانية طائفة النصارى في هذه العقيدة الفاسدة ، غير أَن هناك اختلافاً بسيطاً في طريقة إعلان العقيدة ؛ فالنصارى تقول عن عيسى أَنه ابن الله ، أَما المسلمون فيقولون عن محمد أَنه نور انبثق وفاض من الله . فاتفقت العقيدتان في المعنى واختلفتا في التسمية[١] .

ثالثـاً : محمد ليس أول خلق الله :

يقولون : أَن محمداً ، ﷺ، هو أَول خلق الله ، ويظهرون هذا الاعتقاد الباطل في صيغة الصلاة البدعية ، التي لم ترد في السنة المطهرة . ويسوقون على ذلك لمن يطالبهم الدليل ، حديثاً اتفق جميع أَئمة الحديث على أَنه مكذوب وموضوع . هذا الحديث هو : كنت نبياً وآدم بين الماءِ والطين وآدم لا ماءٌ ولا طين .

ونرد عليهم فنقول : إن محمداً ليس أَول خلق الله كما تزعمون بل آدم هو أَول خلق الله بشهادة القرآن ، الذي لا يستطيع أَن ينكره إلا كل جاحد مكابر لا يؤمن بالله .

---

١ ـ انظر كتاب « صراع بين الحق والباطل » .

أَلا يعجبهم دليلاً أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد خلقه بقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) . سورة الأعراف : ١١ – ١٢ .

وقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) . سورة البقرة : ٣٤ . وقال تعالى : (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) . سورة ص : ٧٥.

أَلا يقنعهم أن الرسول ، ﷺ، يقول : « كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » . ؟ ! كل هذه آيات وأحاديث تدل على أن آدم هو أول خلق الله ، ومع ذلك فهم يصرون في عناد على أن محمداً ، ﷺ هو أول خلق الله[1] ! ! . ويجهرون بهذا في الصلاة على النبي . فمتى يؤمنون ؟ . وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون[2] ؟ .

رابعاً : رد شبهة . الكون ليس مخلوقاً من أجل محمد ﷺ

لقد أقسم إبليس – لعنه الله – بإغواء الناس ، فنجح في مهمته

١ – إن أكثر ما يردد هذا الزعم الباطل هم بعض المغفلين من أدعياء الصوفية وأتباعهم . وأكثر ما تتكرر هذه الفرية في صلاة التراويح وغيرها .

٢ – انظر « صراع بين الحق والباطل » .

وكثر صرعاه ، وبرَّ في قسمه هذه المرة . يقولون : أَن هذا الكون خلق من أَجل محمد ، ووجد إكراماً لــه . ويرددون كلاماً مخترعاً يقولون فيه : لولاك ما خلقتُ الأَفلاك .

ونرد عليهم فنقول : لقد خلق الله الكون بما فيه من إنس وجن وحيوان ، وغير ذلك من كافة الموجودات لأَجل غاية واحدة أَلا وهي : عبادة الله وحده ، لا شريك له سبحانه ، ودون مثيل له .

وقد صرح القرآن بهذا في أَوضح عبارة وأَجلى بيان ، إذ يقول تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) . سورة الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ .

ويقول سبحانه : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) . سورة الاسراءِ : ٤٤ . نعم . خلق الله الجن والإِنس وكل دابة في الأَرض لتدين له وحده بالولاءِ والطاعة والذل . ورغبة منه سبحانه في إظهار عظيم قدرته ، وكمال صنعه وجميل إبداعه فإن من يقلب نظره في الكون ، ليشاهد من فيه وما فيه ، يدرك حقا قدرة الله ، التي لا تدانيها قدرة ، وعظمته التي لا تحاكيها عظمة ، وإبداعه الذي لا يماثله إبداع . ومن هنا يبدو سر خلق الله لهذا الكون البديع النظام ، المحكم الثابت .

ولا ندري والله ، كيف يزعمون أَن الكون مخلوق من أَجل

محمد ، ﷺ ؟ . ! لماذا خلق الكون من أجله ؟ ! وما السر في هذا ؟ !
إن محمداً ، عليه السلام ، هو بشر ممن خلق الله ، وسبقه كثير من إخوانه الرسل أُولي العزم ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه . وقد أَمرنا الله أَلا نفرق بين أَحد من رسله[1] .

لا ندري لماذا يفترون على الله الكذب ، وهم يقرؤون آيات الله التي تنطق بعكس ما يزعمون ؟ ! إن محمداً لو بعث اليوم من مرقده ، لتبرأَ مما يزعمون . أَلَا قاتل الله كل من يعمل على تزييف الحقائق وإخفاءِ آيات الله البينات عن الناس[2] .

تحضير الارواح

شن أُعداءُ أُمة التوحيد حرباً ضروساً على حَمَلة القرآن ،ومعتنقي الإِسلام . وذلك لتفريغ هذه الأُمة من قيمها وعقائدها ، حيث كانت موجات متلاحقة كالرياح العاصفة والأَمواج المتلاطمة للقضاءِ على دعوة الإِسلام ، ولنصرة دعوة الشرك والأَوهام ، والتي لا بقاءَ لها إلا بزوال جند الحق وكتائبه ، التي لا تعرف الاستسلام .

إن دعاة الهدم والتخريب ، قد استفحل شرهم في كل مكان

---

١ ــ راجع سورة البقرة : ٢٨٥ .

٢ ــ صراع بين الحق والباطل .

وأصبح الناس مشغولين بالجدل والمناقشة ، حول ما يثيرونه من أباطيل وترهات . تلك الموضوعات التي يسترون مآربهم الهدامة من ورائها ، تحت أسماءٍ خلابة براقة ، كالتطور والتحرر والعلمانية وتحضير الأَرواح ، التي هي موضع بحثنا . وقد نسي هؤلاءِ أَو تناسوا أَن الدين الإِسلامي قد جمع الناس على قيم الخير والفضيلة والمثل العليا ، وهذه قيم موحدة متفق عليها .

إن الدعوة الروحيـــة – تحضير الأَرواح – التي تعتمد على استحضار أَرواح الموتى ، ما هي إلا دعوة تقف في وجه مفهوم الإسلام وتعارضه . حيث أَنها تدعي في بعض منقولاتها إخضاع عالم الغيب للتجريب . [فهي تلبس مسوح العلم وتصطنع اسمه حين تزعم أَنها تجري التجارب على الاتصال بأَرواح من ماتوا ، وتدعي أَن هذا هو سبيلها إلى رد الناس عن تيار المادية الطاغية . والواقع أَنها ليست حرباً على المادية ، كما يدعي أَصحابها ، ولكنها إغراق وإمعان في التمسك بها ، لأَنها لا تقنع بإخضاع المحسوسات للمنهج التجريبي فقط ، ولكنها تتطاول إلى ما وراءَها ، تريد أَن تخضعه للتجربة وإذا سلم الناس بذلك ، انتهى بهم الأَمر إلى إنكار كل ما لا يمكن ثبوته إلا عن هذا الطريق][1] .

---

١ – حصوننا مهددة من الداخل . للدكتور محمد محمد حسين .

والشيءُ الذي لا شك فيه أَن الروحية في وضعها الراهن ، شَرَك من شراك الصهيونية العالمية الهدامة ، وآلة في أَيديهم يسخرونها لهدم الإِسلام والمسيحية على السواءِ .

إن المنظمات الروحية - تحضير الأَرواح - تشترك مع كل المنظمات التي تعمل في خدمة الصهيونية العالمية ، لأَنها تهدم الخلق حيث تهدم الدين . فالدراسات الروحية قد أَصبحت أَداة هدم كالدراسات النفسية المنحرفة سواءً بسواءٍ .

لا ينبغي أَن يغيب عن بال الناس[1] ، أَن إِطلاق الاتصال بالموتى وجعله في متناول كل إِنسان ، والاستعانة بهم في علاج مرضانا وفي شئون دنيانا المختلفة ، إِفساد للحياة التي يقوم بعض عمرانها على التنافس واستباق الخيرات ، وعلى المحاولة المتصلة الدائبة المتكررة في سبيل التفوق وفي التغلب على الصعاب ، والانتصار على مصادر التعب والقلق ، ومن بينها المرض . وهو كذلك إِبطال للحكمة في خلق الموت والحياة ، وما قدر الله سبحانه وتعالى وقضى في إِقامة الحجاب بينهما لحكمة يعلمها ، تنتظم بها حياتنا في الدنيا والآخرة .

لقد أَغنى الله المسلمين عن التماس الهدى والخير في هذه

---

١ - كتاب : قضايا العصر . للاستاذ على الجندي .

المجازفات ، والجري وراءَ الضلالات والمنكرات ، فأَنزل عليهم كتاباً لا يضلّون إن تدبروه واتبعوه ، فمن أعرض عنه والتمس الهداية والرشاد في سواه ضل ، وكان الشيطان له قريناً وساءَ قريناً : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)[1] . وما أَرى أُولئك إلا أَن يختاروا بين الكفر والإِيمان ، وبين الضلال والإِسلام .

هكذا يستمر الروحيون في دعوتهم الباطلة ، لتبرير أَغراضهم وتنفيذ مخططاتهم الإِجرامية . ومن جهة أُخرى فإِنا نذكِّر هؤلاءِ وأَمثالهم ومصدقيهم بقول الحق تبارك وتعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)[2] .

جاءَ في كتاب الفتاوى ، للشيخ محمود شلتوت ، في حديثه عن تحضير الأَرواح : وكما لم يرد نص في شيءٍ من ذلك كله ، لم يرد شيءٌ فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإِنسان ، كما لم يدل عليه حس موثوق به أَو تجربة صادقة ، وكل ما نسمعه في ذلك ، لا يخرج عن مظاهر خداع وإِلهاءٍ بالخيالات ، لا يلبث أَن ينكشف أَمره .

---

١ ـ سورة طه : ١٢٤ .

٢ ـ سورة الاسراء : ٨٥ .

أوهام العامة في اللوح المحفوظ والكرام الكاتبين

للناس اعتقادات وآراءُ مختلفة في أَمر اللوح المحفوظ والكرام الكاتبين . وقد انتشرت الأَوهام وعمت الخرافات حول ذلك . وخاصة ما يتناقله العوام فيما بينهم ، فيتمسك به الخلف ويعتدون به دونما تثبت أَو استناد على دليل أَو برهان . ونترك الحديث للشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ حيث يقول[1] :

إن العامة يعتقدون أَن اللوح المحفوظ من جنس الأَلواح المعروفة وهو خطأ . والصواب فيه أنه من عالم الغيب. فالإيمان به إيمان بالغيب يجب أَن يوقف فيه عند النصوص الثابتة بلا زيادة ولا نقص . وأَن كل ما قدره الله تعالى من ابتداءِ خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق الله تعالى ، يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين ، وتارة بإمام مبين ، كما ورد في القرآن الكريم . فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ، ومنقوش عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين ، ولا تظنن أَن ذلك اللوح من خشب أَو حديد أَو عظم ، وأَن الكتب من كاغد أَو ورق ، بل ينبغي أَن تفهم قطعاً أَن لوح الله لا يشبه لوح الخلق ، وكتاب الله تعالى لا يشبه كتاب الخلق ، كما أَن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم

١ ــ راجع « الإبداع في مضار الابتداع » . ص ٤٣٦ ــ ٤٣٧ .

بل إن كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى فهمك ، فاعلم أَن ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ ، يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه ، فإنه مسطور فيه حتى كأَنه حين يقرأُ ينظر إليه ، ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً .

فمن هذا الخط ينبغي أَن نفهم كون اللوح منقوشاً لجميع ما قدره الله تعالى وقضاه ، فليس اللوح والكتاب والنقص فيهما كما أَلِفته الأَوهــام .

ومثل هذا يقال في أَمر الكرام الكاتبين الموكلين بالعبد . يكتبون عليه الحسنة والسيئة في صحفهم ، فليست الكتابة كما نتخيل ، وليست الصحف كما نتوهم ، بل علينا أَن نؤمن بذلك وإن لم نعلم ما قلمهم وما مدادهم وما قرطاسهم ؟ وكيف كتابتهم وأَيــن محلهم ؟ .

اعتقاد العوام بعدم نزول جبريل ، عليه السلام

تتردد على أَلسنة الناس اعتقادات باطلة ، حول نزول جبريل عليه السلام ، إلى الأَرض ، وعدم نزوله بعد انتقال النبي ﷺ ، إلى الرفيق الأَعلى . وفي هذا يحدثنا الشيخ علي محفوظ فيقول[1] :

١ ــ الإبداع في مضار الابتداع . ص ٣٣٨ ــ ٣٣٩ .

أَما اعتقاد العوام بأَن جبريل ، عليه السلام ، لم ينزل ، ولن ينزل بعد موت النبي ، ﷺ ، بناءً على بعض آثار في ذلك ، دلت على أَن جبريل ، عليه السلام لما اجتمع بالنبي ، ﷺ ، اجتماعه الأَخير ودعه وقال له : لا أَنزل الأَرض بعدك .

وهذا لا أَصل له ، ويرده خبر الطبراني : ما أُحب أَن يرقد الجنب حتى يتوضأَ ، فإِني أَخاف أَن يتوفى ، وما يحضره جبريل عليه السلام . فإِنه يدل على أَن جبريل ينزل إِلى الأَرض ، ويحضر موت كل مؤمن مات على طهارة . قاله ابن الهيثمي .

ونشأَ من هذا الاعتقاد الفاسد ، ومن خبر باطل موضوع : لا وحي بعدي. اعتقاد العامة أَن لا وحي على الإِطلاق بعد رسول الله ، ﷺ . سئل ابن حجر ، هل يوحى إِلى عيسى عليه السلام ؟ . فقال : نعم . يوحى إِليه عليه السلام وحي حقيقي ، كما في حديث مسلم وغيره عن النواس بن سمعان . وفي رواية صحيحة : « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ : يَا عِيسَىٰ إِنيِّ أَخرَجْتُ عِبَاداً لِي لَا يَدانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَوِّلْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ . وَذٰلِكَ الْوَحْيُ عَلَىٰ لِسَانِ جبْرِيلَ ، إِذْ هُوَ السَّفِيرُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وأَنْبِيَائِهِ ، لَا يُعْرَفُ ذٰلِكَ لِغَيْرِهِ وَخَبَرُ بَعْدِي بَاطِلٌ » .

يشير العلامة ابن حجر إِلى ما في صحيح مسلم من حديث النواس

ابن سمعان ، فقال : ذكر رسول الله ، ﷺ ، الدجال فقال : « إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ . وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ . وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ » . وفيه : « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَأَحْرِزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ . وَيَبْعَثَ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ . . . » الحديث . فإنه مطول . ا . هـ .

لا يَدانِ . بكسر النون : تثنية يَد . معناه لا قدرة ولا طاقة . يقال : مالي بهذا الأَمر يد ، ومالي به يدان . لأَن المباشرة والدفع إنما يكون باليد . وكأَن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه . أَحْرِزْ : ضُمهم . يقال أَحرزت الشيءَ . إذا حفظته وضممته إليك ، وصنته عن الأَخذ .

كلمة حول التنجيم وأسرار البروج

جاءَ في كتاب : أَسرار الأَبراج[1] ما يلي : فرجْم الغيب عن طريق الفلك علم قائم بذاته ، يعتقد بعض الناس أَنه شعوذة والبعض الآخر يعتقد أَنه علم كامل القواعد .

والواقع أَن تاريخ هذا العلم يعود إلى أَعماق الماضي ، وكان كل الناس يؤمنون به . حتى أَن كلمة الكاهن والكهان جاءَت من التكهن

١ — أَسرار الابراج . ص ٦٤ : نشر المكتبة الحديثة — لبنان .

والتخمين والتنبؤ . وإذا علمنا أَن المزارعين لم يكونوا ليزرعوا حبوبهم في الأَرض إلا بعد استشارة الكهان ، الذين يحسبون حسابات الفلك ، ليقولوا لهم متى وفي أَي ساعة من الزمن يجب أَن يزرعوا زرعهم ، لتكون الغلال وفيرة في مواسمها . حتّى أَن المحاربين أَنفسهم لم يكونوا ليتورطوا في حروب مع أَعدائهم ، إلا إذا جاءتهم تكهنات العرّافين ، لتقول لهم أَي يوم من الأَيام في صالحهم ، وأَي يوم من الأَيام يجب أَن يتجنبوه ، حتى لا يتعرضوا للانحدار أَمام أَعدائهم . وقد أَثبتت الوقائع ، في كثير من الحالات صدق التنبؤات . ويعزون هذا التباين إلى إلمام بعض المنجمين بعلمهم من جهة ، وإلى جهل بعض أَدعياء التنجيم بأُصوله من جهة أُخرى .

نحن هنا لسنا في وارد التحيز أَو الدحض ، ولكن لابد من القول أَن أَكثر من عُشر سكان العالم اليوم مازالوا للآن يكسبون أَرزاقهم من التنجيم ، ويتطلع إلى معرفة المستقبل بكل ما أُوتي من مال وقدرة .

ولا عجب في ذلك ، فالإنسان يعيش على الأَمل ، ومناه أَن تتحقق الآمال في المستقبل ، وهو يتمنى لو يعرف هذا المستقبل قبل قدومه للاطمئنان .

قراءة الفنجان والفتح بالمسبحة والكف والوَدَع

يلجأُ بعض الناس – من ذوي العقول الضعيفة ، والعقيدة الفاسدة – إلى بعض المنحرفين من أَدعياءِ العلم بأَسرار الغيب ، الذين يموِّهون على العوام وأَشباههم ، بقدرتهم الخارقة على استطلاع حوادث المستقبل ، بدعوى أَنهم من أَهل الكشف والولاية والتقوى والاطلاع على المغيبات[1] .

وتفصيل قراءَة الفنجان أَو الفتح به : يتناول أَحد المحتالين – والمحتالات – فنجان القهوة بعد شربه من قبل الرجل أَو المرأَة الذين يريدون معرفة حقيقة مستقبلهم ، وما تخفي الأَيام لهم فيقلّبه يمنة ويسرة ، ويدقق النظر في جوانبه ، ليقرأَ فيه النصيب – البخت – عن المستقبل ، وذلك من خلال التعاريج والخطوط التي تكون الرواسب قد صنعتها في أَطراف الفنجان ، التي يُعْرف الحظ البعيد من خلالها .

ومن عباراتهم المزعومة ، التي يقرؤونها عادة : سترزق بمولود ذكر مثلا . ستنجح في الامتحان . تجارتك رابحة . زوجك سيتزوج

١ – لا شك أن هؤلاءِ المنحرفين ، الذين يدّعون مثل هذا الهراءِ ، الذي لا يقبل به كل من يحترم عقله ، هم قوم أَدعياءُ مبتدعون ، زين لهم الشيطان سوءَ عملهم . قال الله تعالى : « إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ » . سورة الأعراف : ٣٠ .

عليك ثانية . . إلى غير ذلك من العبارات المطلقة ، التي يجيد صياغتها هؤلاءِ الفسقة . وبها يضحكون على العقول الماحلة والأَفكار القاحلة ، وهكذا يجمعون الأَموال من أُولئك المغفلين دون حق ، وهم يحسبون أَنهم يقومون بعمل مشروع ، بغيته الرزق الحلال .

أَما الخلاصة لمعرفة البخت بالمسبحة والكف والودع ، فهذه أَيضاً من جملة المنكرات ، التي لا يليق بأَصحاب العقول السليمة تصديقها ، فضلاً عن الجريان وراءَها ، مما يعوق نشاط أَفراد الأُمة ويجعلهم أُلعوبة في أَيدي الكهنة ومدعي علم الغيب ، والإِسلام من هذا براءٌ .

إن اللائق بالمسلم الحق أَن يكِل علم الغيب إلى علّام الغيوب .

ومن المؤسف أَن يطلع علينا من يقول : إن طريقة الفتح بالفنجان – الكف ، المسبحة ، الودع أَو المصحف – هي وسيلة من وسائل الفكاهة والتسلية ، ولا تتعدى ذلك ، ولا ضير على من يقوم بذلك .

أَقول لهؤلاءِ الواهمين : ستصبح هذه الملهاة عادة متحكمة ومهنة رائجة كغيرها من الضلالات ، يلتزم بها الخلف بمرور الزمن وسوف تتجاوز هذا ، فتصبح عقيدة يتوارثها الأَحفاد ويستسلمون لسلطانها ، وبهذا تفسد العقول وتضيع القيم ، وتتزعزع العقيدة من النفوس ، وتقرُّ البدع والمنكرات .

ولنستمع لآيات الحق سبحانه ، التي ترد على كل منحرف

ودجال مدَّع بعلم الغيب ـ الذي استأْثر الله به ـ قال تبارك وتعالى : (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ)[1] . وقال سبحانه : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ)[2] .

أَما في هذه الآيات الكريمة كشف لزيف أدعياء الغيب ؟ . أَلم يقل الحق سبحانه لخيرة خلقه ـ نبينا ، ﷺ ـ بأَنه لا علم له بالغيب ؟ . فكيف يدَّعي هؤلاءِ الدجالون بعلم الغيب ؟ . أَم أَن لهم منزلة أَعلى وأَرفع من منزلة سيد الخلق وخاتم النبيين ؟ . أَما في ادعائهم هذا ـ معرفة الغيب ، وحاشا لله أَن يكون لهم ـ مخالفة صريحة ، ومصادمة واضحة لشرع الله ؟ . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أَقول : أَما يكفي أُمتنا السكوت على هؤلاءِ المنحرفين وأَشباههم من دعاة الدجل والشعوذة والتزييف ؟ . أَما يكفينا بُعداً عن الإسلام ومتاجرة بالضلال والبهتان ؟ . نصيحتي لهؤلاءِ اللاهين الضاحكين اليوم ، الباكين غداً ـ لإفراطهم وتفريطهم ـ : ترفعوا عن هذه المنكرات ، وتاجروا بالتجارة الرابحة ، وعودوا لسيرة أَسلافكم الصالحة ، والعود أَحمد .

ولعل خير ما أَختم به كلامي ، قول الله تعالى : (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)[3] .

---

١ ـ سورة آل عمران : ١٧٩ . ٢ ـ سورة الأنعام : ٥٠ .
٣ ـ سورة النساء : ٧٦ .

حظك اليــوم ـ البخت

لا شك أَن الإسلام الحنيف ، قد أَزال عن أَبنائه ، المتمسكين به والمنضوين تحت لوائه ، كل بواعث الكسل وأَسباب الركود إلى الحظوظ العمياء .

جــاءَ في كتاب : يسأَلونك عن الدين والحياة[1] : من البدع التي يراد بها تضليل الناس في عقائدهــم ، والضحك عليهم والسخرية بعقولهم ، تلك الأَخبار والتنبؤات الكاذبة ، التي تقال عن المستقبل ، على أَساس أَنها مستمدة من حساب النجوم والبروج وغير ذلك . لا ريب أَن إصرار بعض الصحف على هذا الإِيهام بالناس ، بأَنه حق وإخبار عن المستقبل ، والحظ ـ البخت ـ فيه نوع من الاستخفاف بالقراءِ ، وفيه تضليل لهم ، وصرف لعقولهم عن فهم السنن الكونية ، والأَوامر الإِلٰهية التي جاءَ بها الدين .

إن الله تبارك وتعالى قد اختص ذاته بعلم الغيب والمستقبل . فقال جل جلاله في سورة الأَنعام : ٥٩ : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) . ويقول ، عز من قائل ، في سورة آل عمران :

---

١ ـ دكتور أحمد الشرباصي . ص ٣٢٨ .

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . آية : ٢٦ - ٢٧ . ويقول سبحانه في سورة لقمان : (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) . آية : ٣٤ . ويقول النبي ، صلوات الله وسلامه عليه : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً »[١] . وهـذا نوع من التهديد والوعيد الإلٰهي . والعراف : هو من يضرب الرمل أَو يستنبئ الودع ، أَو يتحدث عن البخت أَو يستخرج الطالع .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « مَنْ صَدَّقَ كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ »[٢] .

والكاهن : هو الذي يدَّعي علم الغيب ، أَو القدرة على الإِخبار بالأُمور المستقبلة ، أَو الاطلاع على الأَسرار أَو كشف ما في النفوس

---

١ - رواه مسلم .

٢ - رواه أبو داود والبزار بإسناد جيد . انظر : فتح المجيد . ص ٣٠٣ وما بعدها .

والضمائر ، لأَن الذي يعلم هذه الأُمور علماً حقيقياً مطابقاً للواقع إنما هو الله سبحانه .

وتحريم هذا الادعاءِ لا يتنافى مع جواز التعلم لحقائق النجوم والأَفلاك . ولذلك يقول بعض الأَئمة : إن المنهي عنه في الدين ، هو ما يدعيه المتنبئون من معرفة الحوادث المستقبلة ؛ كنزول المطر وهبوب الرياح ، وتغير الأَحوال وسقوط فلان ونجاح فلان ، زاعمين أَنهم يعلمون ذلك بسير الكواكب وظهورها في بعض الأَحيان . وهذا علم استأْثر الله به . وأَما ما يدرك عن طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يُعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى من الليل والنهار وكم بقي[١] ، فذلك غير منهي عنه شرعاً . والله تعالى أَعلم .

أَقول : آن الأَوان لهؤلاءِ الأَدعياءِ أَن يختفوا من مجتمع المسلمين . وآن للمسلمين أَن يقولوا لكل محترف من أَدعياءِ الولاية والاستجداءِ : إن وليّ الله الحق ، هو من جعل المغزل مسبحة له وجعل الفأْس عكازه ، وجعل العمل لإِغناءِ النفس عن غيرها أَول درجة يخطوها نحو تحقيق الولاية[٢] .

١،٢ ـ يسألونك في الدين والحياة . ص ٣٢٨ . دكتور أحمد الشرباصي .

منشورات حامل مفاتيح الحــرم

بينما كنت أُلقي درس الجمعة في أَحد مساجد الزرقاء[1] ، وإذا بشاب يتقدم إلي بمنشور موقـع باسم الشيخ أَحمد ـ حامل مفاتيح حرم رسول الله ، ﷺ ـ وقد استهل بنصائح عامة للمسلمين ، وهذه بعض الفقرات كما وردت في ذلك المنشور .

ا ـ إلى المسلمين في مشارق الأَرض ومغاربها . غلبني النوم ورأَيت في نومي رسول الله ، ﷺ . وقال لي : مات في هذا الأُسبوع أَربعون أَلفاً من الناس على غير إيمان . وأَنهم ماتوا ميتة جاهلية .

ب ـ أَن رسول الله ، ﷺ ، قال له : بلِّغ الناس أَن يوم القيامة لقريب .

جـ ـ أنه أُخبر أَن شخصاً في اليونان قد وزع هذه التوصية ثلاثين ورقة ، فرزقه الله ستة آلاف روبية . كما أُخبر أَن هناك شخصاً قد كذَّب هذه التوصية ـ التي جاءَت في هذا المنشور ـ ففقد ابنه بنفس اليوم . وقال : إذا اطلع شخص على هذه الوصية ولم ينشرها ، فإنه ستصيبه مصيبة كبيرة .

هذه أَهم فقرات ذلك المنشور .

لقد اطلعت على ذلك المنشور المتهافت ـ الذي أَصبح يتكرر

---

١ ـ الزرقاء : إحدى كبريات مدن الأردن . وتقع على بعد ٢٠ كم من عمان .

نشره سنوياً - كما اطلعت على بعض المقالات التي كتبت عنه موضحة زيفه وتناقضه مع النصوص الشرعية .

وتوضيحاً للحقائق ، وكشفاً للشبهات أقول :

إن ما ورد في هذا المنشور يصادم نصوص القرآن ، وما جاءَ به سيد الأَنام محمد ، ﷺ ، الذي بعثه الله إلى أُمة الثقلين من الإنس والجان ، لتقوم حجة الله على العالمين .

لقد ورد في القرآن والسنة كثير من النصوص الصريحة ، التي تعارض وتناقض ما جاءَ في هذا المنشور الزائف . ومن أَجلاها قول الحق تبارك وتعالى : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)[1] . وقوله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[2] .

وقوله عز وجل : (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً)[3] . كما جاءَ في قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ

١ - سورة النمل : ٦٥ .
٢ - سورة لقمان : ٣٤ .
٣ - سورة الأحزاب : ٦٣ .

إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . سورة الأعراف : ١٨٧ .

كما ورد في الصحيح أن الرسول ، ﷺ ، قال : « مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَىٰ يَجِيءُ الْمَطَرُ »[1] .

والذي أُحب أَن أُقرره هنا : إننا نؤمن بالقدر الذي أَخبر الله به دون صرف اللفظ عن معناه ، ودون زيادة عمّا تضمنه الخبر الصادق .

وبدءَ ذي بدءٍ نقول : إن الله تعالى قد استأْثر بعلم الغيب ، وهو من حقائق الأُلوهية . فمن ادعى معرفة الغيب ، فهو ضال كاذب يكذبه صريح القرآن الكريم ، لأَن الغيب كله لله ، فلا يعلمه أَحد سواه ، سبحانه وتعالى ، ولهذا يقول سبحانه : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ) . سورة النمل : ٦٥ . وقوله : (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ . .) .

بهذا يتضح لكل ذي بصيرة أَنه لا الملائكة ولا البشر ولا الجن يعلمون الغيب .

ومن جهة ثانية فقد نفى الله ، سبحانه وتعالى ، عن رسوله الكريم ، سيدنا محمد ، ﷺ، صفيه وخليله ، نفى علمه بالغيب

١ ـ جواهر البخاري .

فقال تعالى : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ)[1]

فإذا كان سيد الخلق قد نفى الله عنه علمه بالغيب ، إلا ما يوجبه بأمره سبحانه ، فكيف إذن يزعم هؤلاء الدّساسون ، الذين ملؤوا الدنيا بأباطيلهم – ومن جملتهم مفتعل هذا المنشور الذي هو قيد بحثنا – علم الرسول ، ﷺ بالغيب ؟ .

وكذلك ورد في الحديث القدسي – حديث الحوض المشهور – قول الحق تبارك وتعالى لنبيه الكريم : « إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ »[2] .

وفي هذا أيضاً نفى عن علمه ، ﷺ – وهو ميت – ما هي عليه أمته من الفساد العقائدي ، وما لحقها من ضياع . أقول : إن من يدعي معرفة الغيب الحقيقي فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس ، وهذا ينطوي على منطوق هذا المنشور ومحتواه وما جاء فيه ، فهو باطل لا يستند إلا على الباطل .

إن هذه النصوص الكريمة ، تدمغ أدعياء هذه الخرافة ، وأمثالها بالكذب والتدليس ، وهكذا تنتقض عرا هذا المنشور وافتراءاته عقدة عقدة ، وتنتفي بذلك كافة التخرصات الدّعية .

---

١ – سورة الأنعــام : ٥٠ .

٢ – فقرة من حديث طويل . وهو حديث صحيح .

إن هذه الدسائس تلد ميتة ، لأَنها من دسائس الشيطان وأَوليائه الذين يكيدون لهذه الأُمة في سواد الليل . هذا الكيد الذي لا تلده إلا الليالي المظلمة ، لا يلبث أَن يتلاشى عندما تلوح بشائر النور في الأُفق ، ويبزغ الفجر . وبذلك ترتد سهام الأَعداءِ إلى نحورهم لأَن نور الحق يكشف ظلمة الباطل وزيفه ويعرّيه ، فيظهر واضحاً جلياً وضوح الشمس في رابعة النهار . قال الله تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)[1] . فالله المستعان على هفوة مكشوفة السوأَة .

والذي يجب أَن نؤكد عليه ، كما ثبت لنا ، أَن هذه دعوى كاذبة باطلة عُلم كذبها وبطلانها يقيناً بلا أَدنى ريبة أَو شبهة .

إن هذا المنشور ما هو إلا دسيسة من دسائس أَعداءِ هذه الأُمة . وكما لا يخفى ؛ تقوم سفارات الغرب ومراكزه الاستعلامية ، التي تملأُ بلاد المسلمين ، بالتعاون مع دوائر التبشير والإلحاد وغيرها التي تصول وتجول في ديار المسلمين شرقاً وغرباً وبلا رقيب ، فتنشر الدسائس وتشوه الحقائق ، وتفسد القيم لتخرج المسلمين عن دينهم باستخدامها كافة الوسائل المغرية لهدم ديننا الحنيف .

فعلى المسلمين اليقظة والتنبه . وكفاهم ما لحق بهم من ضياع .

---

١ — سورة الإسراء : ٨١ .

وعلى كل قادر تقع مهمة كشف أعداءِ الأُمة وفضحهم ، ليقف المسلم على حقيقة أَعدائه ليكون في مأْمن منهم .

إن ادعاءَ علم الغيب ، من الكبائر ، كما قال الإمام الذهبي .

وجدير بالملاحظة أَن مثل هذا الادعاءِ الزائف يشكل خطراً جسيماً ، يهدد سلامة الأُمة ، ويعرضها للوهن والضعف والضياع . وهذا يفضي بالمسلمين إلى عدم الأَخذ بالأَسباب ، وعدم سلوك السنن الكونية ، التي سنها الله للناس ، حتى يتمكنوا من كسب معركة الحياة تلك المعركة التي تتطلب من المسلم كياسة وفطنة وذكاءً ويقظة وإيماناً بالغيب ، وأَن يعلم أَن الغيب كله لله ، حتى لا يتواكل ، لأَن التواكل يؤدي بالإنسان إلى الجمود والمآل إلى الحضيض ، وهذه أَهم مقاصد أَصحاب المنشور – الدسيسة – موضوع البحث ، الذين يريدون لأَبناءِ هذه الأُمة الأَخذ بالتواكل ، وعدم الأَخذ بالأَسباب وسنن الفطرة . وبالتالي لتعطيل الشرع والتردي في وحل الجهل والخرافة .

إن أُمتنا أُمة موحدة – والحمد لله على نعمائه – لا تعرف التواكل وتحارب كل أَمثال هذه الدعاوى الباطلة ، التي لا يقبل بها إلا المغفلون ، الذين عطلوا حواسهم وعقولهم في الحياة .

إن خطر هذه الدسيسة وأَمثالها ، ينصب بالدرجة الأُولى على

تشويه حقائق الإسلام ، والدس الرخيص على الكتاب والسنة ، وإبطال الحق ، وإفساد عقول أبناءِ الأُمة .

فالمسلم البسيط - الذي لم يكن مزوداً بالثقافة الإسلامية - يصدّق مثل هذا البهتان وينساق وراءه ، مما يجره إلى الانحراف وسوءِ المصير . ذلك هو هدف أعداءِ الإسلام ومفتعلي فرية المنشور المنسوب للشيخ أحمد ، حامل مفاتيح الحرم المدني ، ذلك المنشور الذي لا وجود له إلا في عقول الواهمين .

وهكذا تنطلي هذه الشبهات والدسائس على أبناءِ المسلمين ، مما يفسد القيم ، ويعطل الأَحكام ويشوّه معالم الدين .

ومن نتائج هذه الظواهر ، التي عمت ديارنا ، أَنها تجعل من حضارتنا وقيمنا نموذجاً سلبياً يظهر بلون أَسود قاتم ، يستغله المستشرقون والأَعداءُ في تشويه سمعة الإسلام ، فضلاً عن فساد الدين والعقيدة . والله تعالى يقول : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) [1] .

إن هذه الأَوهام والدعايات المغرضة ، التي تضاف إلى حظيرة الإسلام ، ما هي إلا معاول هدم ، وحراب مشرعة وزلازل مدمرة لا تخلف إلا الرماد . ومن هنا فمسؤولية أَبناءِ هذه الأُمة من رؤساءَ

١ - سورة الأنفال : ٢٥ .

ومرؤوسين ، مسؤولية كبيرة وجسيمة لحماية هذا الدين من عبث العابثين ، فديننا الإسلامي الحنيف أمانة في الأعناق . والله تعالى ناصر لدينه وأتباعه ، ومهلك لأعدائه وأنصارهم .

والله تعالى أسألُ أن يهلك أعداءه ، فبيده نواصيهم ، وإليه نلتجئُ وبه نستعين . إنه نعم المولى ونعم النصير .

دور الانسان في حمـــاية المجتمع

لقد رسم الإسلام الطريق الذي يجب على أفراد الأُمة اتباعه وعدم الخروج عليه . كما وضع الخطوط الرئيسية التي تضمن لأبنائه السعادة في الدارين ، إذا ما تقيدوا بالأوامر والنواهي التي أُنيطت بهم . فالإنسان في حياته مكلف بأداءِ واجباته مقابل حقوق ينالها من مجتمعه .

فواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا قام به أبناءُ الأُمة وفهموا دورهم الإيجابي فيه ، صلح بذلك المجتمع ، وتخلص من سيطرة الرذيلة ، التي تنشأُ عن التهاون في نصرة الحق ، وإفساح المجال أمــام العابثين والمفسدين ، الذين يزداد خطرهم في غياب الرقيب ، ودعاة الخير ومصلحي الأُمة . فالرقابة على المجتمع ضرورة تمليها ضرورة استمرار الحياة الكريمة ، وتوفر الأمن والطمأْنينة

لأَبناءِ المجتمع . والله تعالى يقول : (وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1] .

ولقد عبر رسول الله ، ﷺ ، عن ضرورة الرقابة ، بحديث السفينة حيث قال : « ... فَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَنْجُوهُ وَنَجَوْا بِأَنْفُسِهِمْ وإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ »[2] .

فبهذا الاقتناع العقلي الموجز ، عبر الرسول ، ﷺ ، عن ضرورة الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا جعل الإسلام من أفراد المجتمع ، وحدة قوية متماسكة ، إذا اعترى الفساد بعض أَجزائها سرى إلى الأَجزاءِ الأُخرى ، مالم يكبت الفساد في مهده قبل أن يستفحل ويستشري ، فأَسند إلى الجماعة مهمة الرقابة ، التي جعل لها عنواناً هو : الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر . حيث يقول رسول الله ، ﷺ : « تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ » رواه البخاري وغيره .

إن ضرورة الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ناتجة أَيضاً

---

١ — سورة آل عمران : ١٠٤ .

٢ — فقرة من حديث طويل رواه البخاري وغيره .

عن التزام الإسلام بتقرير حقوق خمسة لكل مواطن ، حيث لا تتم كرامة الإنسان وسعادته بفقدان واحد منها وهي :

١ ـ حفظ الدين . ٢ ـ حفظ النفس . ٣ ـ حفظ النسل .
٤ ـ حفظ المال . ٥ ـ حفظ العقل[١] .

ويحدد الرسول ، ﷺ، مسؤولية الجمهور عن الرقابة ، فيقرر أَن كلمة الحق يجب أَن تقال مهما كانت العوائق ، إذا كان ذلك داخلاً في حدود الطاقة البشرية . فيقول ، عليه الصلاة والسلام : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ »[٢] .

وتتناول الرقابة الجماهيرية ما يتوقف عليه صلاح المجتمع ونقاؤه ودفع الظلم عنه . مثل أَداءِ الأَمانة ، والنهي عن الخيانة وتطفيف المكيال والميزان ، والغش في الصناعات والبيوع ، وتفقد أَحوال الموظفين والصناع والعمال ، الذين يصنعون الأَطعمة والخبازين والجزارين والخياطين وغيرهم من الحرفيين .

ويذكر ابن القيم ، رحمه الله ، بعضاً مما يدخل تحت سلطة الجمهور ، الذين لهم حق الرقابة على المجتمع ، فيقول : ومعظم ولاية الحسبة وقاعدتها ؛ الإنكار على هؤلاءِ الزغلية ، وأَرباب الغش

١ ـ انظر « الموافقات » للشاطبي ج ٢ . ص ٨٠ .
٢ ـ المشكاة . ج ٢ . ص . ٣٢٥ .

في المطاعم والمشارب والملابس وغيرها ، فإن هؤلاءِ يفسدون مصالح الأُمة . والضرر بهم عام لا يمكن الاحتراز منه ، فعليه - أي صاحب الحسبة سواءٌ كان متبوعاً أَو ذا ولاية - أَلا يهمل أَمرهم ، وأَن ينكل بهم وأَمثالهم ، ولا يرفع عنهم عقوبته ، فإن البلية بهم عظيمة والمضرة بهم شاملة ، ولا سيما الكيماويين الذين يغشون النقود والجواهر والعطر والطيب وغيرها .

ويدخل في المنكرات : ما نهى الله عنه ورسوله من العقود المحرمة مثل عقود الربا صريحاً واحتيالاً ، وعقود الميسر كبيوع الغرر والمنابذة والنجش .

ويختم ابن القيم كلامه هذا بقوله : فعلى والي الحسبة إنكار ذلك جميعاً ، والنهي عنه وعقوبة فاعله ، ولا يتوقف ذلك على دعوى ومدعى عليه[1] . تأكيداً منه على أَن ذلك داخل ضمن صلاحية الجمهور ، وواجبه في الرقابة على المجتمع ، وحمايته من الانحراف والظلم .

---

١ - الطرق الحكمية ص ٢٦٠ . نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام . العددان ٥-٦ سنة١٣٩١هـ

سلطان رقابة الجمهور والعامة

يقتصر دور الجمهور في المجتمع على مجرد التنبيه والتحذير وأداءِ النصيحة ، وليس لهم من الصلاحيات ما يمكنهم من التنفيذ والردع والزجر والبطش ، وإنما واجبهم أَن يستعملوا الرفق واللين في أداءِ النصيحة أولاً ، ثم التهديد برفع الأَمر إلى الجهات المختصة بالتنفيذ ثم إذا لم ينجح معهم الأَمر في الحالتين عليهم أَن يرفعوا الأَمر إلى جهات التنفيذ ، ويحاولوا أَن يكون ذلك بصورة مجدية خالية من العنف والشدة .

١ - ويرى بعض الفقهاءِ أَن للجمهور - على وجه الاجمال - الحق في إيقاع العقوبة على بعض المخالفين إذا كانت تلك المخالفات داخلة ضمن حدود الرقابة على المجتمع ، وهو ما يعبر عنه بإِزالة المنكر . ولكن هذا رأْي يخالف تقسيم العمل حسب ما قسمه رسول الله ﷺ ، فالجمهور ليس له حق التغيير باليد إلا إذا فقد السلطان والحاكم ، أَما مع وجود ولي الأَمر - الذي هو الحاكم - فليس للجمهور حق التنفيذ ، ويتحمل السلطان هذه المظلمة بجانب ظلمه وجوره ، إذا لم يكن عادلاً قائماً بإِزالة المنكر . ولا ريب أَن تطاول الجمهور والعامة بالتنفيذ يوقظ الشر والفتن في الدولة أَو المدينة . وقد أَمر النبي ، ﷺ، بالسمع والطاعة ولو تأَمَّر علينا عبد . ومن

الأمور التي يغار الجمهور والعــامة على الانكار عليها ما يشاهد من الخلاعة والتماثيل المجسمة ، والمعابد التي تقصد بالنذور ، ودور الدعارة وبارات الخمر ، والمزارات المقصودة بالنذور وما شابهها . ولكن المقاومة هنا مع المساوي بالقوة لا تجدي خيراً ولا تزيل منكراً فعلى العــامة الغيورة إنكار ذلك بالقول ، ورفع الأمر إلى الجهات المعنية وبهذا تبرأ ذمتهم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال الأثرم : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل كسر عوداً – كان مع أمه لإنسان – فهل يغرمه أو يصلحه ؟ . قال : لا أرى عليه بأساً أن يكسره ، ولا يغرمه ولا يصلحه . قيل له : فطاعتها ؟ قال : ليس عليها طاعة في ذلك[1] .

وقال أبو داود : سمعت أحمد يُسأل عن قوم يلعبون بالشطرنج . فنهاهم فلم ينتهوا . فأخذ الشطرنج فرمى به ؟ . قال : قد أحسن . قيل له : وكذلك إن كسر عوداً أو طنبوراً ؟ . قال : نعم . وفي رواية اسحق بن منصور ، في الرجل يرى الطنبور والطبل والقنينة . قال : إذا كان طنبوراً أو طبلاً .

قال ابن القيم : وهذا قول أبي يوسف ومحمد بن الحسن واسحق ابن راهويه ، وأهل الظاهر وطائفة من أهل الحديث وجماعة السلف وهو قول قضاة العدل وإنما يشترط أمن الفتنة في كل ذلك .

١– يكون هذا مع أمن الفتنة وتفاقم الشر .

وعلى هذا كانت رقابة الجمهور على المجتمع ، رقابة شرعية ومباشرة ، ولهم من الصلاحيات في ذلك ما يصل إلى حد إتلاف الأموال ، حينما كان إذعان الجمهور للحق قائما بدون جدال ، وكان الكثير منهم يتعاونون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان على نفسه وولده وأهله .

ولا ريب أن حبس رائد الضمير الصالح يفتك بأبناء الأمة ويقضي على كرامة المجتمع ورجولة أبنائه - كما لا يخفى - وقد أدى ذلك إلى تحول أبناء مجتمعاتنا المعاصرة - الكثير منهم - إلى التفسخ الخلقي والانحلال والضياع . ولكن من واجبات المسلم أن يهتدي بهدي نبيه ، ويسير على طريق نصائحه في كل حركاته وسكناته ، وبذلك تبرأ ذمته ، ويتخلص من المسئولية ، وما هداية العباد بيد الناس ، ولو وهبت تلك لأحد ، لسمح فيها رب العباد لسيد الخلق . بذلك نقتنع إذا أدينا ما نقدر عليه . واسمع يا أخي إلى قول الله تعالى لنبيه ﷺ : (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)[1] وقوله تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)[2] . وإلى قوله تعالى : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)[3] . وإلى قوله تعالى : (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ)[4] .

١ - سورة الشورى : ٤٨ .
٢ - سورة القصص : ٥٦ .
٣ - سورة الغاشية : ٢١ - ٢٢ .
٤ - سورة يوسف : ١٠٨ .

قال المروزي : قلت لأحمد : استعرت كتاباً فيه أشياءٌ رديئة . ترى أن أحرقه ؟ . قال : نعم . فاحرقه . وقال ابن القيم : إن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدع ، يجب إتلافها وإعدامها . وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف ، وإتلاف آنية الخمر ، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه . ولا ضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها[1] . ويقاس على ذلك كل ما يماثل من المجلات الخليعة والصحف المفسدة ، ووسائل الإعلام ـ كالتلفزيون ـ ذات الهدف الهدام ، لبناء الأُمة القائم على صلابة أخلاقها .

٢ ـ إغلاق دور الدعارة والفساد ، وكافة وسائل الانحطاط . فقد روى ابن القاسم أن مالكاً ، رحمه الله ، سئل عن فاسق يأْوي إليه أهل الفسق والخمر . ما يُصنع به ؟ . قال : يُخرج من منزله وتكرى عليه الدار والبيوت . قال : فقلت : ألا تُباع ؟ . قال : لا . لعله يتوب فيرجع إلى منزله . قال ابن القاسم : يتقدم إليه مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، فإن لم ينته أُخرج وأُكريت عليه[2] .

٣ ـ إن لعامة المسلمين أن يحولوا دون بلوغ رحلة الفساد ، من اختلاط

١ ـ الطرق الحكمية ص ٢٩٨ ـ مجلة حضارة الإسلام ـ سنه ١٣٩١ هـ .
٢ ـ الطرق الحكمية . ص ٣٠٠ .

النساءِ بالرجال . قال مالك : أرى أن لا تترك المرأة الشابة تجلس إلى الصيَّاغ . فأما المرأة المتجالسة والخادم الدون ، التي لا تتهم على القعود ، ولا يتهم من تقعد عنده ، فإني لا أرى بذلك بأساً[1] .

وقال ابن القيم : يجب منع النساءِ من الخروج متزينات متجملات ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات ، كالثياب الواسعة والرقاق . وتكون عقوبة هؤلاءِ بما ذكره ابن القيم أيضاً من أن لولي الأمر أن يفسد على المرأة – إذا تجملت وتزينت وخرجت – ثيابها بحبر ، فقد رخص في ذلك بعض الفقهاءِ .

إن كثيراً من أساليب الرقابة القديمة ، قد ثبت صلاحيتها في عصرنا الحاضر . والمثال على ذلك ما تمت تجربته في العراق ؛ من إتلاف زينة النساءِ اللواتي يخدشن الحياءَ بمغالاتهن في التبرج فكن يتعرضن لتلويث أرجلهن بالطلاءِ الأسود أو الحبر ، تحت إشراف السلطة[2] . وهذا عين ما قاله ابن القيم ، رحمه الله .

فياليت قومي يقتدون بما حدث في العراق ، وما سبق أن قال به العلامة ابن القيم في موضعه . وهذا ما نعانيه اليوم ونعيشه ، فقد بلغ السيل الزبى ، وعمت الطامات . فهل سمع المسلمون بهذا أو شاهدوه ؟ .

---

١ – المصدر نفسه . ص ٣٠١ .

٢ – راجع مقال الدكتور حمد عبيد الكبيسي – العراق – مجلة حضارة الإسلام – ١٣٩١هـ

إنها الأَمانة المفقودة والشرف المهان والقيم المهدورة . اللهم اشهد البلاغ ، وأَنت الرقيب وأَنت علام الغيوب .

٤ – وعلى الجمهور وقاية المجتمع من الجهل ، بنشر العلم النافع الذي فيه سعادة المرءِ في الدنيا والآخرة . قال علي بن أَبي طالب : لا يُسأَل الجهلاءُ لمَ لم يتعلموا ، حتي يُسأَل العلماءُ لمَ لم يعلّموا ؟ . فالتعليم إِذن هو مسئولية العلماءِ ، فإِن أَخلوا بهذه المسؤولية سئلوا .

وهكذا فمحاربة ينابيع الجهل والقضاءُ عليه ، واجب على علماءِ الأُمة وفقهائها ، وفي ذلك نرى أَن القرآن الكريم قد قرر أَن الله تعالى لا يرضى باحتكار العلم وكتمانه ، كما أَنه قرر أَن لعنة الله والناس أَجمعين على كاتمي العلم ، إلا أَن يتوبوا فيبينوا : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) . سورة البقرة : ١٥٩ – ١٦٠ .

ويرى الماردي أَن على الجمهور أَن يتصدى بالنكير والزجر لكل من يتصدى لعلم الشرع وليس من أَهله[١] ، إذا لم يؤمن من

١ – إن هذه مصيبة نعيشها في هذا الزمان ، حيث يتصدر مجالس الوعظ والإرشاد ، في كثير من بلاد المسلمين ، أَشخاص غير مؤهلين للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، التي هي مناط الأمر كله ، من حيث بناء العقيدة وصلاح المجتمع . فهؤلاء الوعاظ والأئمة =

اغترار الناس به سوءُ تأويل أو تحريف صواب[1] .

وتأكيداً لوجوب قيام الجمهور بذلك ، يرى الماوردي أيضاً ضرورة المساءلات في هذا الأمر ، حتى أن من أُشكل أمره على الناس بين العلم والجهل ، لا يقدم عليه بالإنكار حتى يختبر علمه ، وقد مرَّ علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بالحسن البصري ، وهو يتكلم على الناس ، فاختبره فقال له : ما عماد الدين ؟ . فقال : الورع . قال : فما آفته ؟ قال : الطمع . قال : تكلم الآن ما شئت[2] .

ومن واجب الجمهور أيضاً التعرض لأهل الأهواءِ والآراءِ الفاسدة والإشاعات الكاذبة ، التي تعود على عقلية الأُمة بالفساد والانحراف . وبذلك يسلم المجتمع من الضياع ، ويعرف كيف يقاوم المعوقات التي تعترضه ، فيتابع مسيرته على نور وبصيرة .

= الذين يتسلمون مصائر أممهم ، لا يحسنون القيام بها . حيث أن الكثيرين منهم أشباه عوام ، فلا يعرفون التوحيد من الشرك ، ولا السنن من البدع ، حيث أن التوحيد هو أوجب واجب على المسلم . ونراهم – الأئمة – يبثون وينشرون الروايات والقصص والأحاديث الموضوعة والإسرائيليات ، التي تقضي على الدين وتقوض معالمه ، فيتلقفها العوام ويتخذونها ديناً . أهيب بعلماء المسلمين وزعمائهم ، أن يتحملوا مسؤولية نشر الإسلام وإبلاغه للعالم ، عن طريق العلماء والدعاة المختصين في مهمة التبليغ والارشاد ، لإنارة بلاد الظلمة بنور الإسلام . وهو أحق من دعوة التبشير الباطلة التي غزت ديارنا .

١ – الأحكام السلطانية . ص ٢٤٨ . ٢ – المصدر نفسه . ص ٢٤٩ .

هذه لمحة موجزة عن دور الجمهور ، في حماية المجتمع الإسلامي ووقايته من الانحراف والفساد ، ليكون مجتمعاً متعاوناً متكاملاً متناصراً ، متين البناءِ قوي الشكيمة ، على الشكل الذي يسعد به كل من ينتمي إليه .

وهذا بيان مجمل لمنهج الإسلام في الحياة ، التي يريدها لأَبنائه . حياة حرة كريمة ، لا يدنسها فساد ولا ينتابها قهر ، بل كانت كما أَرادها الله تعالى ، الأُمة المعطاءَة السباقة إلى مكارم الأَخلاق ذات الجبين الوضاءِ ، التي تعطي ولا تأْخذ . فبارك الله لها في مسيرتها الطيبة ، عبر تاريخها الطويل ، الزاخر بعظائم الأُمور والأَمجـاد .

هكذا حققت أُمة الإسلام - التي كان لها الشرف في حمل رسالة الإسلام - ما عجزت عنه الإنسانية في عصورها المتعاقبة من منجزات لازالت مناراً مشرقاً في جبين التاريخ .

تبليـغ دعـوة الاسلام واجب دينـي

اختار الله ، سبحانه وتعالى ، أُمة الإسلام لقيادة البشرية واصطفى منها أَفضل رسول ، وشرفها بحمل أَكمل وأَشمل رسالة عرفتها الأَرض ، فكانت أُمة الوسط ، خير أُمة أُخرجت للنـاس .

وبمولد هذه الرسالة الخالدة ، بزغ نور فجر جديد ، وتنفست الإِنسانية الصعداءَ ، وازَّينت الأَرض بزخرفها ، متهللة مستبشرة بنور التوحيد المكين ، وآمنة مطمئنة في رعاية الله رب العالمين .

ومن المعلوم أَن أَنبياءَ الله ورسله ، كانوا يقرعون آذان أَقوامهم بالدعوة إلى الله وحده : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ)[1] . هكذا كانت الدعوة ، وبهذا دعا الله في خطابه حيث يقول : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[2] . فعلى ورثة الأَنبياءِ وخلفاءِ الله في أَرضه ، وأُمنائه على تبليغ الرسالة إلى الإِنسانية أَقول : إن داعي الخير قد دعاكم إلى إِنقاذ البشرية بدعوتها إلى ما فيه خلاصها من كل المشاكل والمعضلات ، والأَخذ بيدها رويداً إلى كل فضيلة إنسانية ، وإلى انتهاج سبل الخير كلها كي تتحقق للبشرية في ظل الإِسلام السعادة العظمى ، التي يرجوها الناس لأَنفسهم .

إن الإِسلام يستجيب لحاجات البشر ، ويتكلفها ويلبي رغائبها ولا يقصر عنها ، بل فيه الحلول السلمية لهذه المشاكل ، كما أَنه الدواءُ الشافي لكل آفة وداءٍ . لذلك كتب له الله الخلود والبقاءَ لتمامه وكماله . فهو الملاذ الوحيد والحصن الفريد ، الذي يجب أَن

١ ــ سورة الأعراف : ٥٩ .　　٢ ــ سورة فصلت : ٣٣ .

يعتصم به البشر ويحتكم إليه الناس ، وإن طريق الله واحدة مستقيمة لا عوج فيها ولا غموض : (فاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1] .

الرسول محمد ﷺ خاتم النبوة . ورسالته خاتمة للشرائع

إن رسالة الإسلام رسالة شاملة ، لم تختص بقوم ولا بجيل ولا بأرض . والمتفحص للرسالات التي خلتْ من قبلها يجدها رسالات محلية محددة لفترة زمنية معيَّنة . وكانت البشرية تخطو خطواتها المتواصلة ، تأْهيلاً لها واستعداداً للرسالة الأَخيرة ، التي أَرادها الله للبشرية ، ألا وهي رسالة الإسلام الخالدة . هذه الرسالة الكاملة الشاملة للأُصول والفروع ، الملبية لرغبات الناس ومصالح العباد ، في كل زمان ومكان ، قد جاءَت للناس جميعاً ، لا فرق بين عربي وأَعجمي أَو أَسود وأَحمر . وفق الفطرة الإنسانية التي عندها يلتقي الناس جميعاً .

يقول الله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ

١ – سورة الزخرف : ٤٣ .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[1] .

قال الإمام أَحمد عن ابن عباس ، مرفوعاً ، أَن رسول الله ، ﷺ قال : « أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي . وَلَا أَقُولُهُ فَخراً : بُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ . وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأَخَّرْتُهَا لِأُمَّتِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً »[2] .

قال عليه الصلاة والسلام : « وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النُّبُوَّةُ »[3] . والنصوص في هذا الأَمر كثيرة مستفيضة ، ولا تحصى إلا بكلفة .

قال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : كنا أَذل أُمة فأَعزنا الإِسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أَذلنا الله[4] .

كيف بلغ الرسول دعوته

بلغ الرسول الأَعظم ، ﷺ ، دعوة الإِسلام إلى غير العرب من أُمم الأَرض . فكان يكاتب الملوك والأُمراء وقادة دول العالم ، ويرسل

١ ــ سورة الأعراف : ١٥٨ .
٢ ــ رواه أحمد بإسناد جيد . تفسير ابن كثير .
٣ ــ رواه مسلم .
٤ ــ انظر كتاب « محمد رسول الله وخاتم النبيين » . ص ٥٠ ــ ٥١ .

لهم الرسل ويدعوهم إلى الهدى ودين التوحيد ، كما كان يستقبل الوفود ورؤساءَ القبائل في المواسم والأَسواق العامة ، ويرسل السرايا للغزو إن أَعلنوا الحرب على الدعوة الإسلامية .

وقد رأَينا أَن نذكر لك أَيها القارىءُ الكريم ، مثالين لكتبه عليه السلام ، التي كان يرسلها إلى ملوك وولاة العالم ، ليكونا نبراساً للمرشدين ، ومعواناً للدعاة العاملين على طريق سيد الخلق محمد بن عبد الله ، خاتم الأَنبياءِ والمرسلين . وفيما يلي النص الكامل للكتاب الذي بعث به رسول الله ، ﷺ ، إلى كسرى ملك الفرس :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ، إِلَىٰ كِسْرَىٰ عَظِيمِ فَارِسَ

سَلامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللهِ . فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً ، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ . أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ » .

فلما قرىءَ عليه الكتاب مزقه ، فبلغ ذلك رسول الله ، ﷺ

فقال : « مَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُ » . . وقد كان [١] .

أما الكتاب الثاني فقد كان موجهاً من قبله ، عليه الصلاة والسلام إلى هرقل عظيم الروم . وهو كما روى البخاري [٢] :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ .

سَلامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ . أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ [٣] : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [٤] » .

مسؤولية الحكام والعلماء في تبليغ الدعوة

وبعد أَن لحق الرسول الأَعظم بالرفيق الأَعلى ، حمل راية الدعوة وتبليغها للناس من بعده خلفاؤه الأَبرار ، الذين بلَّغوا الإِنسانية رسالة التوحيد ، وعلَّموا الناس كما علمهم معلم البشرية محمد

١ — انظر « إصلاح الوعظ الديني » . ص ٤٦ — ٤٧ . « والإسلام » لسعيد حوّى . جـ١ .

٢ — راجع صحيح البخـاري .

٣ — الأريسيين : هم الفلاحون . والمقصود الأتباع والرعية .

٤ — سورة آل عمران : ٦٤ .

عليه الصلاة والسلام . وبذلك بلغ نور الإسلام كل مكان . فعلى حكام العرب والمسلمين وعلمائهم تقع مسؤولية تبليغ الدعوة ، ليصل نور الحق إلى كافة أَمصار العالم ، المتعطش إلى هذه الدعوة المنقذة ولهم في رسولهم العظيم وسلفهم الصالح أُسوة حسنة : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[1] .

جاءَ في كتاب ، قرة عيون الموحدين :

ينبغي لأَهل الإِسلام أَن يكون قصدهم ، بجهادهم وتحملهم التبعات ، هداية الخلق إلى الإِسلام والدخول فيه ، وينبغي لولاة الأَمر أَن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم . والذي يجب معرفته أَن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ، ﷺ. وأَن على الحاكم والسلطان المسلم أَو الإِمام ، أَن يبعث الدعاة إلى الله تعالى ليبلغوا البشر بدعوة الإِسلام ورسالته العالمية الخاتمة . وكما كان النبي ، ﷺ ، وخلفاؤه يفعلون ، كما في المسند عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أَنه قال : قال صلى الله عليه وسلم ، في خطبته : « أَلَا إِنيِّ وَاللهِ مَا أُرْسِلُ عُمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ وَلٰكِنْ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ »[2] .

فعلى المسلمين أَن يجعلوا من أَنفسهم دعاة إلى الله بأَقوالهم

---

١ — سورة الأحزاب : ٢١ .

٢ — رواه الإمام أَحمد في مسنده . انظر « فتح المجيد » . ص ٧٧ .

وأفعالهم ، ليخرجوا الحيارى من جوْر الأديان إلى عدل الإسلام .
وكما قال رسول الله ، ﷺ ، لعلي ، كرم الله وجهه : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ »[1] .

فمن الواجب على حكام العرب والمسلمين وعلمائهم تبني دعوة تبليغ الإسلام ، وأن نتمثله علماً وعملاً وحُكماً ، وأن نكون صورة صادقة لمبادئه وتعاليمه وفق الكتاب والسنة .

إن هذا الدين هو الحق ، ولكنه بحاجة إلى رجال مؤمنين عاملين يوضحون حقائقه ، ويبرزون معالمه ويضحّون من أجله ، حتى لا يبقى شبر من يابسة إلا ورفرفت عليه أعلام (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) . . .

فيعم العالم السلم والسلام ، والعدل والمساواة والمحبة والتكافل .
قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[2] . صدق الله العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

١ – رواه البخاري ومسلم .
٢ – سورة النور : ٥٥

ثبت المراجع

١	تفسير القرآن الكريم	
٢	تاريخ الطبري	ابن جرير الطبري :
٣	المدخل	ابن الحاج :
٤	مختصر الترغيب والترهيب	ابن حجر العسقلاني :
٥	الزواجر	ابن حجر الهيثمي :
٦	كلمة الإخلاص	ابن رجب الحنبلي :
٧	أعلام الموقعين	ابن قيم الجوزية :
٨	إغاثة اللهفان	
٩	بدائع الفوائد	
١٠	الفوائد	
١١	زاد المعاد	
١٢	الرسالة التبوكية	
١٣	السيرة النبوية	ابن هشام :
١٤	البدع والنهي عنها	ابن وضاح القرطبي :
١٥	الموافقات	أبو اسحق الشاطبي :
١٦	الاعتصام	
١٧	شرح العقيدة الطحاوية	أبو جعفر أحمد الطحاوي :
١٨	إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي :
١٩	تنزيه الشريعة المرفوعة	أبو الحسن علي بن محمد الكناني :
٢٠	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	أبو الحسن الندوي :
٢١	الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية	
٢٢	أحمد بن تيمية	
٢٣	القادياني والقاديانية	

المؤلف	الكتاب	الرقم
أبو الحسن الندوي :	رسالة عن القاديانية	٢٤
أبو عبد الرحمن السلمي :	طبقات الصوفية	٢٥
د . أبو العلا عفيفي :	الملامية والصوفية	٢٦
	التصوف ـ الثورة الروحية	٢٧
أبو الفداء ابن كثير :	تفسير القرآن العظيم	٢٨
	البداية والنهاية	٢٩
	الباعث الحثيث	٣٠
أحمد أمين :	ضحى الإسلام	٣١
أحمد بن حجر آل بو طامي :	العقائد السلفية	٣٢
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية :	الفتاوى الكبرى	٣٣
	مجموعة الرسائل والمسائل	٣٤
	مجموعة الرسائل الكبرى	٣٥
	رسالة العبودية	٣٦
	الفرقان	٣٧
	شرح حديث النزول	٣٨
	الإيمان	٣٩
	التوسل والوسيلة	٤٠
د . أحمد الشرباصي :	يسألونك في الدين والحياة	٤١
	من أدب القرآن	٤٢
د . أحمد عبد الجواد الدومي :	أحمد بن حنبل	٤٣
أنور الجندي :	قضايا العصر في ضوء القرآن	٤٤
برهان الدين البقاعي :	مصرع التصوف	٤٥
التبريزي :	مشكاة المصابيح	٤٦
حسن بن مهدي النعمي :	معارج الألباب	٤٧
خير الدين الشريف :	الرسالة الخيرية	٤٨
د . رمزي نعناعة :	الاسرائيليات في كتب التفسير	٤٩

د . زكي مبارك :	التصوف في الأدب والأخلاق	٥٠
سعيد حوّى :	الإسلام	٥١
	جند الله ثقافة وأخلاقاً	٥٢
سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب :	تيسير العزيز الحميد	٥٣
سيد سابق :	العقائد الإسلامية	٥٤
	إسلامنا	٥٥
سيد قطب :	في ظلال القرآن	٥٦
عبد البديع صقر :	مختصر مشكاة المصابيح	٥٧
عبد الجليل عيسى :	ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين	٥٨
عبد الحميد محسن :	حقيقة البابية والبهائية	٥٩
عبد الرحمن ابن الجوزي :	تلبيس إبليس	٦٠
	صيد الخاطر	٦١
عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :	فتح المجيد	٦٢
عبد الرحمن بن خلدون :	المقدمة	٦٣
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب :	قرة عيون الموحدين	٦٤
عبد الرحمن عبد الخالق :	الفكر الصوفي	٦٥
عبد الرحمن الوكيل :	هذه هي الصوفية	٦٦
عبد الرحمن يوسف الأفريقي :	الأنوار الرحمانية	٦٧
عبد العزيز بن باز :	إقامة البراهين	٦٨
عبد العزيز محمد السلمان :	الكواشف الجلية	٦٩
عبد القادر عودة :	الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه	٧٠
عبد القاهر الخطيب البغدادي :	الفرق بين الفرق	٧١
عبد الكريم ابراهيم الجيلاني :	الإنسان الكامل	٧٢
عبد الكريم الشهرستاني :	الملل والنحل	٧٣
د . عبد الواحد وافي :	شخصية المسلم	٧٤
عبد الوهاب النجار :	قصص الأنبياء	٧٥
د . عزت عطية :	البدعة	٧٦
علي محفوظ :	الإبداع في مضار الابتداع	٧٧

المؤلف	الكتاب	الرقم
غازي التوبة :	الفكر الإسلامي المعاصر	٧٨
القسطلاني :	شرح جواهر البخاري	٧٩
مجد الدين يعقوب الفيروزابادي :	القاموس المحيط	٨٠
المحب الطبري :	القِرى لقاصد أم القُرى	٨١
محب الدين الخطيب :	البهائية	٨٢
	الغارة على العالم الإسلامي	٨٣
د . محمد أبو زهرة :	تاريخ المذاهب الإسلامية	٨٤
	محاضرات في النصرانية	٨٥
محمد بن اسماعيل الصنعاني :	تطهير الاعتقاد	٨٦
الإمام محمد بن عبد الوهاب :	كتاب التوحيد	٨٧
محمد بن علام الصديفي :	دليل الفالحين	٨٨
محمد بن علي سلوم :	مختصر لوامع الأنوار البهية	٨٩
محمد بن علي الشوكاني :	نيل الأوطار	٩٠
	رسالة شرح الصدور	٩١
محمد جمال الدين القاسمي :	قواعد التحديث	٩٢
	إصلاح المساجد	٩٣
د . محمد حسين الذهبي :	الاسرائيليات في التفسير والحديث	٩٤
	اتجاهات منحرفة في التفسير	٩٥
محمد الخضر حسين :	رسائل الإصلاح	٩٦
	محمد خاتم النبيين	٩٧
د . محمد خليل هراس :	دعوة التوحيد	٩٨
محمد الخولي :	إصلاح الوعظ الديني	٩٩
د . محمد سعيد رمضان البوطي :	تجربة التربية الإسلامية	١٠٠
	ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية	١٠١
محمد سلطان المصومي الخجندي :	هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين ؟	١٠٢
محمد الصادق عرجون :	صراع بين الحق والباطل	١٠٣
محمد عبد السلام خضر الشقيري :	السنن والمبتدعات	١٠٤
الشيخ محمد عبده :	الإسلام والنصرانية	١٠٥
		١٠٦

المؤلف	الكتاب	الرقم
محمـــد عيـــد عباسي :	بدعة التعصب المذهبي	١٠٧
محمـــد الغـــزالي :	عقيدة المسلم	١٠٨
	فقه السيرة	١٠٩
محمـــد فـــؤاد عبد البـــاقي :	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	١١٠
محمـــد فهـــد شقفة :	التصوف بين الحق والخلق	١١١
محمـــد قطب :	جاهلية القرن العشرين	١١٢
د . محمـــد محمـــد حسين :	الاتجاهات الوطنية في الأدب	١١٣
	حصوننا مهددة من داخلها	١١٤
د . محمد محمود حجازي :	التفسير الواضح	١١٥
محمد ناصر الدين الألباني :	صفة صلاة النبي	١١٦
	أحـــكام الجنائز وبدعها	١١٧
	آداب الزفـــاف	١١٨
	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	١١٩
	سلسلة الأحاديث الصحيحة	١٢٠
	مناسك الحج والعمرة	١٢١
	رسالة الأجوبة النافعة	١٢٢
محمـــود البشيشي :	الفرق الإسلامية	١٢٣
محمـــود شكري الآلوسي :	غاية الأمـــاني في الرد على النبهاني	١٢٤
محمـــود شلتوت :	الفتـــاوى	١٢٥
محمود مهدي الاستانبولي :	تقاليد يجب أن تزول	١٢٦
	تحفة العروس	١٢٧
محيي الـــدين النـــووي :	شرح صحيح مسلم	١٢٨
د . يوسف القرضاوي :	العبـــادة في الإسلام	١٢٩
	الحـــلال والحـــرام في الإسلام	١٣٠
يوسف الكندهلوي :	حيـــاة الصحـــابة	١٣١
طائفـــة من العلمـــاء :	المجمـــوع الفـــريد	١٣٢
	مجلات ورسائل دينية مختلفة	١٣٣

الفهـــرس